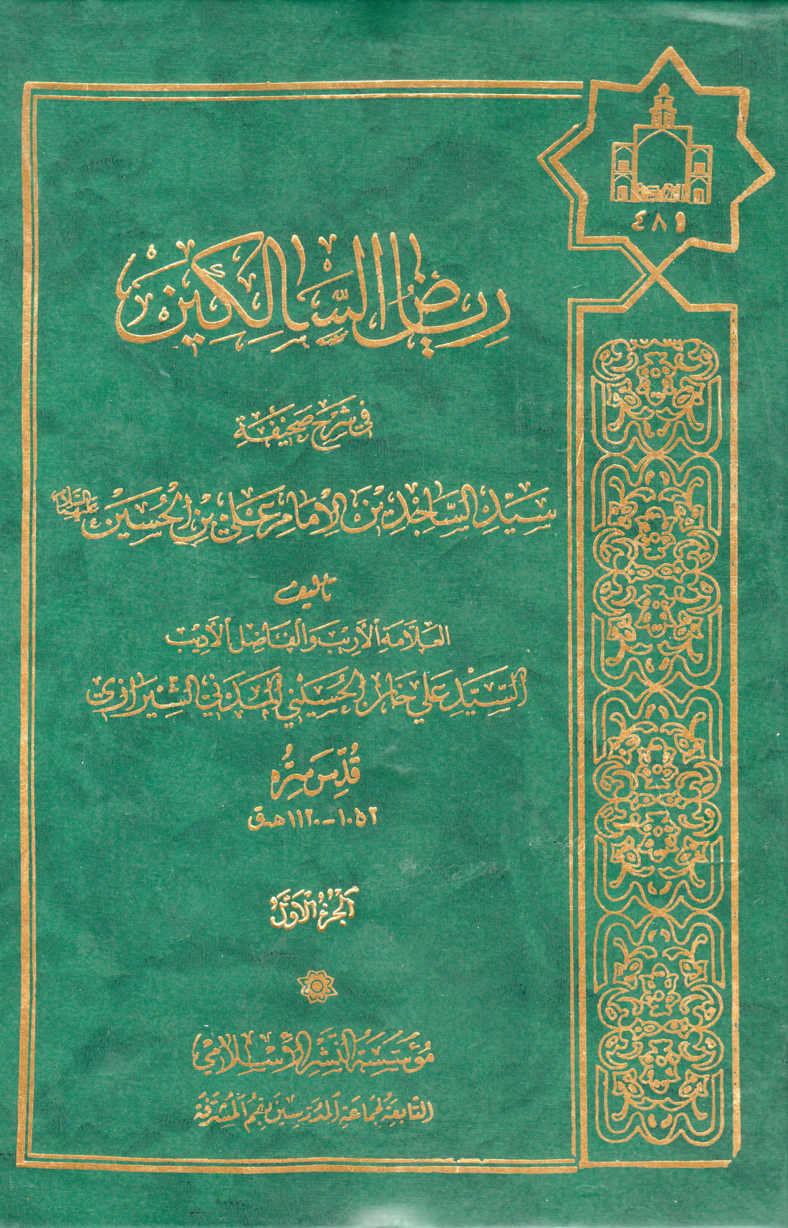
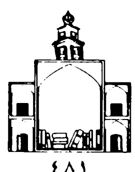

٤٨٩
رياض السالكين
في شرح صحيفة
سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام
تأليف
العلامة الأريب والفاضل الأديب
السيد علي خان الحسيني المدني الشيرازي
قدس سره
١٠٥٢ - ١١٢٠ هـ ق
الجزء الأول
مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة



٤٨١



في

شرح صحيفة سيد الساجدين صلوات الله عليه

تأليف

العلامة الأريب والفاضل الأديب

السيد علي خان الحسيني الحسني المدني الشيرازي

قدس سره





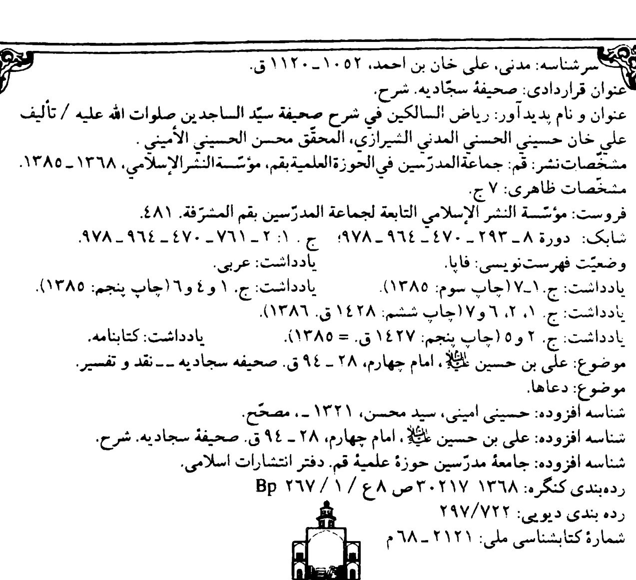
١٠٥٢ ـ ١١٢٠ هـ.ق

الجزء الأول

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة

لجماعة المدرسين بقم المشرفة



سرشناسه: مدنی، علی خان بن احمد، ۱۰۵۲ ـ ۱۱۲۰ ق.
عنوان قراردادی: صحیفهٔ سجّادیه. شرح.
عنوان و نام پدیدآور: ریاض السالکین في شرح صحیفة سیّد الساجدین صلوات الله علیه / تألیف علي خان حسیني الحسني المدني الشیرازي، المحقّق محسن الحسیني الأمیني.
مشخّصات نشر: قم: جماعة المدرّسین في الحوزة العلمیة بقم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ۱۳۶۸ ـ ۱۳۸۵.
مشخّصات ظاهری: ۷ ج.
فروست: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسین بقم المشرّفة. ۴۸۱.
شابک: دورة ۸ ـ ۲۹۳ ـ ۴۷۰ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸؛ ج. ۱: ۲ ـ ۷۶۱ ـ ۴۷۰ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸.
وضعیّت فهرست‌نویسی: فاپا. یادداشت: عربی.
یادداشت: ج. ۱ـ۷ (چاپ سوم: ۱۳۸۵). یادداشت: ج. ۱ و ۴ و ۶ (چاپ پنجم: ۱۳۸۵).
یادداشت: ج. ۱، ۲، ۶ و ۷ (چاپ ششم: ۱۴۲۸ ق. ۱۳۸۶).
یادداشت: ج. ۲ و ۵ (چاپ پنجم: ۱۴۲۷ ق. = ۱۳۸۵). یادداشت: کتابنامه.
موضوع: علی بن حسین علیه السلام، امام چهارم، ۳۸ ـ ۹۴ ق. صحیفه سجادیه ـــ نقد و تفسیر.
موضوع: دعاها.
شناسه افزوده: حسینی امینی، سید محسن، ۱۳۲۱ ـ، مصحّح.
شناسه افزوده: علی بن حسین علیه السلام، امام چهارم، ۳۸ ـ ۹۴ ق. صحیفهٔ سجادیه. شرح.
شناسه افزوده: جامعهٔ مدرّسین حوزهٔ علمیهٔ قم. دفتر انتشارات اسلامی.
رده‌بندی کنگره: ۱۳۶۸ ۳۰۲۱۷ ص ۸ ع / ۱ / Bp ۲۶۷
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۷۲۲
شمارهٔ کتابشناسی ملی: ۲۱۲۱ ـ ۶۸ م

رياض السالكين

في شرح صحيفة سيّد الساجدين عليه السلام

(ج ١)

■ المؤلّف: العلّامة الأديب السيّد علي خان المدنيّ الشيرازيّ رحمه الله □
■ المحقّق: فضيلة السيّد محسن الحسينيّ الأمينيّ □
■ الموضوع: المعارف الإلهيّة □
■ طبع و نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي □
■ عدد الصفحات: ٥٦٨ □
■ الطبعة: الثامنة □
■ المطبوع: ٥٠٠ نسخة □
■ التاريخ: ١٤٣٥ هـ. ق □
■ شابك ج ١: ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٤٧٠ ـ ٧٦١ ـ ٢ □
ISBN 978 - 964 - 470 - 761 - 2

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاة و السّلام على خير خلقه و أشرف بريّته محمّد و آله الطاهرين.

إنّ الصحيفة السجّاديّة للإمام زين العابدين و سيّد الساجدين عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ عليهم السّلام ـ تعتبر من أهم المعادن الإلهيّة التي لقّبت بـ «إنجيل أهل البيت و زبور آل محمّد» صلوات الله عليهم أجمعين وهي التي قيل في حقّها أنّها أُخت القرآن المشتملة على مضامين فاخرة في شتّى المواضيع المختلفة باسلوب الدعاء التي تهز كل فاجر و عنود جائر لا سيّما في ذلك الظرف الحرج الذي عاش الإمام عليه السّلام فيه اي في عصر الظلم و القتل والتشريد من قبل السلطة الجائرة الظالمة من بني اميّة فأصبحت هذه الصحيفة سبباً للهداية والإرشاد و وسيلة للإتصال بين العبد و ربّه.

و لأهميّة هذا الأثر المقدّس قام عدّة من علماء الإسلام بشرح فصوله و أبوابه منهم الفاضل النبيل و العلّامة الأديب السيّد علي خان الحسني الحسيني المدني الشيرازي ـ قدّس سرّه ـ فقد شرحه شرحاً وافياً جامعاً يرتوي به كلّ ظمآن لتلك المعارف الإلهيّة والمسائل العقائديّة والعرفانيّة والاجتماعيّة وغيرها.

و قد قامت المؤسّسة بطبعه ونشره بعد مقابلته مع عدّة نسخ خطّية واستخراج النصوص من مصادرها خدمة للأُمّة الإسلاميّة شاكرة الله سبحانه على ما وفّقها لهذه الخطوة الجبّارة الكريمة، كما و تشكر سماحة فضيلة السيّد محسن الحسينيّ الأميني و سائر الاخوة من أهل الفضل و العلم على ما بذلوا من الجهود الوافرة في تحقيق الكتاب سائلةً المولى عزّ اسمه التوفيق لنشر ما يرضاه انّه وليّ حميد.

مؤسّسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بـ «قم المشرّفة»

المقدّمة:

- تمهيد
- نسبه الشريف
- ولادته و نشأته
- وفاته
- أقوال العلماء فيه
- تقاريض كتاب رياض السّالكين
- مؤلّفاته
- تأثر السيد ابن معصوم بالشيخ البهائي
- رياض السّالكين و نسخه
- منهج التحقيق

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، و الصلاة و السّلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد وعلىٰ آله الطاهرين.

قال تعالىٰ: «قُلْ مايَعْبَؤُابِكُمْ رَبِّي لَوْلاٰ دُعٰاؤُكُمْ»(١).

الدعاء: وسيلة الارتباط بالله تعالىٰ و منهاج التربية لتاصيل شخصيّة المسلم وتهذيب أخلاقه وسلوكه، وسلّماً للترقّي بالإنسان إلىٰ مدارج الكمال،والإنعتاق من كل ألوان العبوديّة لغير الله تعالىٰ.

و نتيجة لهذا الدور الخطير للدعاء، لم يغفل النبي والائمة عليهم الصلاة والسّلام عن ذلك، بل خلّفوا لنا تراثاً فريداً، ثر العطاء لا غناء للبشريّة عنه على مرّ العصور.

والصحيفة السجاديّة: مجموعة من الأدعية المأثورة عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام)، وهو الرابع من أئمة أهل البيت اَلَّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً.

و قد أشتهرت هذه الصحيفة بـ«زبور آل محمّد» و «إنجيل آل محمّد» كما سمّاها العلّامة ابن شهراشوب في «معالم العلماء».

و لم يقتصر دور الصحيفة السجاديّة علىٰ كونها تراثاً ربانياً ومدرسة أخلاق

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٧.

بمثابة هداية، بل انّها تعبّر أيضاً عن عمل إجتماعي عظيم، كانت ضرورة المرحلة تفرضه علىٰ الإمام (عليه السّلام).

و نظراً للأهميّة البالغة للصحيفة السجاديّة، فقد ألفّ العلماء حولها شروحاً كثيرة، ذكر صاحب الذريعة منها سبعة وأربعين شرحاً.

و هذا الكتاب ـ الذي بين يديك ـ أحد الشروح الكاملة والرئيسيّة للصحيفة السجاديّة، نسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يكون تحقيق وطبع هذا الكتاب بهذه المزايا الخاصة فاتحة عهد جديد للإهتمام بالصحيفة السجاديّة وبما يليق بعلوّ شأنها ومنزلتها، وأن يبادر أهل العلم والثقافة إلىٰ تأليف الدراسات وعقد المؤتمرات العلميّة والفكريّة وتأسيس دار خاصة بالصحيفة السجّاديّة كما كان الحال بالنسبة إلىٰ نهج البلاغة.

نسبه الشريف:

هو السيد علي خان صدر الدين المدني الشيرازي المعروف بابن معصوم، بن الأمير نظام الدين أحمد، بن محمّد معصوم، بن أحمد نظام الدين، بن إبراهيم، بن سلام [الله](١)، بن مسعود عمادالدين، بن محمّد صدرالدين، بن منصور غياث الدين، بن محمّد صدرالدين، بن إبراهيم شرف الدين(٢)، بن محمّد صدرالدين، بن اسحاق عزّالدين، بن علي ضياءالدين، بن عرب شاه فخرالدين، بن الأمير عزالدين أبي المكارم(٣)، بن الأمير خطيرالدين(٤)، بن الحسن شرف الدين أبي علي بن الحسين أبي جعفر العزيزي، بن علي أبي سعيد النصيبيني، بن زيد الأعشم أبي

---

(١) هكذا في رياض السّالكين.

(٢) رياض السّالكين: (شرف الله).

(٣) رياض السّالكين: (بن أمير أنبه).

(٤) رياض السّالكين: (بن أميري).

إبراهيم، بن علي، [بن الحسين أبي شجاع الزاهد](١) بن محمّد أبي جعفر، بن علي(٢)، بن الحسين، بن جعفر أبي عبدالله، بن أحمد نصيرالدين السكّين النقيب، بن جعفر أبي عبدالله الشاعر، بن محمّد أبي جعفر بن محمّد، بن زيد الشهيد، بن الإمام السجّاد زين العابدين علي بن الحسين السبط، بن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السّلام(٣).

* * *

ولادته ونشأته:

ولد رحمه الله ليلة السبت الخامس عشر من جمادي الأولى سنة ١٠٥٢هـ في المدينة المنوّرة(٤)، ولذا لقّب بالمدني، ونشأ وترعرع فترة طفولته وصباه فيها وبجوار مكّة المكرّمة، وقد سافر أبوه الفاضل الأديب السيد نظام الدين أحمد إلى حيدرآباد في الهند بطلب من السلطان عبدالله قطب شاه حيث زوّجه إبنته، وبقي السيد ابن معصوم في أحضان والدته، وهي كما في المحكي عن سلافة العصر(٥) ابنة الشيخ محمد بن أحمد المنوفي،إمام الشافعيّة بالحجاز المتوفى سنة ١٠٤٤هـ، وقال صاحب رياض العلماء(٦) نقلاً عن المترجم له بخط بعض الأفاضل من سلسلة السيد المدني في طي بعض المواضع حيث قال: «وأمّا نسبي من جهة الأمّ فأكون ابن القانتة بنت غياث الحكماء بن صدر الحكماء».

---

(١) هذه الجملة ليست موجودة في رياض السّالكين.

(٢) في رياض السّالكين، ص ١٣٩ : بن علي أبي الحسن نقيب نصيبين.

(٣) راجع الغدير: ج١١، ص ٣٤٦، وأنوار الربيع للمترجم له: ج١، ص٥.

(٤) الغدير: ج ١١ ص ٣٤٩، والمحكي عن سبحة المرجان: ص٨٦، والمحكي عن الدرجات الرفيعه للمترجم له:ص٤، والذريعة:ج٩ ص٧٥٤، ومستدرك الوسائل:ج٣، ص٣٨٦.

(٥) ص ١٢٤ نقلاً عن مقدّمة أنوار الربيع: ج١، ص٦.

(٦) رياض العلماء: ج٣، ص٣٦٤.

و قد اشتغل السيد ابن معصوم (قدّس سرّه) خلال فترة صباه بطلب العلم(١) الى أن سافر الى حيدرآباد بطلب من والده، إذ غادر مكة المكرّمة في ليلة السبت السادس من شهر شعبان سنة ١٠٦٦هـ، فوصل الى حيدرآباد يوم الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٠٦٨هـ كما هو المحكي عن سبحة المرجان(٢).

و ظلّ السيد علي خان في رعاية والده الطاهر في حيدرآباد إلى أن توفّى أبوه سنة ١٠٨٦هـ(٣).

و في المحكي عن سبحة المرجان(٤)، إنّ السيد المدني أمضىٰ في حيدرآباد ثمان عشرة سنة، إغترف خلالها العلم، خاصة من رواد مجلس أبيه الذي كان منتدىٰ يلتقي فيه العلماء والأدباء، وخلال هذه الفترة ألفّ كتاب الحدائق النديّة في شرح الصمديّة، وفي ختام الكتاب قال كلاماً يوحي ببعض ملامح العصر الذي عاش فيه خلال تلك الفترة حيث قال: «وكان الفراغ من تبييض هذا الشرح المبارك مع تشويش البال وكثرة الهم والبلبال، وكوني في زمان وبلاد قد كسدت فيها سوق الفضل وطلّابه، وقامت دولة الجهل وأحزابه، فلم يعرف من العلم الّا اسمه، ولم يبق منه أثر. ولولا أن خشيت المبالغة قلت: إلّا رسمه،صبيحة يوم الا ثنين لثلاث عشرة خلون من جمادي الآخرة إحدىٰ شهور سنة تسع وسبعين وألف، أحسن الله ختامها وأكمل علىٰ أحسن نسق نظامها وذلك بالديار الهندية»(٥).

و تولّىٰ خلال هذه المدّة مناصب هامّة في الدولة إلىٰ أن توفى والده سنة

---

(١) الغدير: ج ١١، ص ٣٤٩.

(٢) سبحة المرجان ص٨٦ نقلاً عن مقدمة أنوار الربيع: ج١، ص٦.

(٣) الغدير: ج ١١، ص ٣٤٩، وقال الشيخ النوري في مستدرك الشيعة: ج٣، ص ٣٨٦ «فهاجر ولده إليه في سنة ١٠٦٦هـ، ولما توفى والده بعد سنة»، وعلّق على ذلك صاحب الغدير بقوله: فيه تصحيف [انظر المصدر السابق].

(٤) مقدمة أنوار الربيع: ج١، ص ٧.

(٥) الحدائق الندية في شرح الصمدية للمؤلف: ص ٥٨٣.

١٠٨٦هـ، وتوفى بعده السلطان عبدالله قطب شاه.

أمّا سبب خروجه من حيدرآباد فالمحكي عن سبحة المرجان: «لمّا علم أن خصوم أبيه يدبّرون المكائد للقضاء عليه خرج من حيدرآباد سرّاً متوجّهاً إلىٰ السلطان محمّد أورنك زيب شاه في (برهان پور) فَجَدّوا في طلبه ولكنّهم لم يلحقوا به، وإلىٰ هذه الحادثة يشير بقوله:

وحثّوا الجياد السابحات ليلحقوا ... و هل يلحق الكسلان شأو أخي المجد

فساروا و عادوا خائبين علىٰ رجا ... كما خاب من قدبات منهم على وعد(١)

و أمّا في المستدرك فقد ذكر انّ السيد المدني (قدّس سرّه) وصل برهان پور باستدعاء من السلطان ولاقاه هناك (٢). بينما المذكور في روضات الجنات هكذا «ثم لما غلب أورنگ زيب ملك الهند علىٰ تلك البلاد سار إلىٰ الملك المذكور، وصار من أعاظم أمراء دولة هذا السلطان»(٣).

و مهما كان السبب الذي دعا السيد ابن معصوم إلىٰ ترك حيدرآباد والتوجه إلىٰ برهان پور، فالمتفق عليه انّه (قدّس سرّه) عند وصوله إلىٰ السلطان رحّب به، وقلّده قيادة كتيبة من الجيش تعدادها ألف وثلا ثمائة فارس،وأعطاه لقب (الخان) فعرف بالسيد علي خان،واصطبحه معه إلى أورنك آباد، ولمّا ذهب السلطان إلى بلدة (أحمدنكر) عيّنه حارساً علىٰ أورنگ آباد فأقام فيها مدة، ثم جعله والياً علىٰ حكومة «ماهور» وتوابعها، ثم إستعفىٰ من منصبه بعد أن قضىٰ فيها مدة طويلة، ثم ولّي رئاسة الديوان في (برهان پور) وأشغل فيها منصّة الزعامة مدّة سنين، واستمر بعسكر ملك الهند حتىٰ سنة ١١١٤هـ.

و في أول هذه الفترة ألّف كتابه «أنوار الربيع في أنواع البديع» وفي ختامه

---

(١) مقدمة أنوار الربيع: ج١، ص ٧.

(٢) راجع مستدرك الشيعة: ج٣، ص ٣٨٦.

(٣) روضات الجنات: ج٤، ص ٣٩٤.

يشرح شيئاً من حاله وظرفه الذي عاش فيه خلال هذه المدّة فيقول رحمه الله: «ومن أحسن الإتفاق أن جاء تاريخ عام التمام، موافقاً لحساب طيب الختام، وهو عام ثلاث وتسعين وألف، وقد وفق الله سبحانه للشروع فيه والفراغ منه في وقت لا يتصوّر فيه صحبة قلم لبنان، ولا يتخيّل فيه تصوّر مسألة في جنان، بل لا تقع العين الاّ علىٰ لمع مهنّد وسنان، ولا تصحب اليدين إلّا قائم حسام، وجديل عنان، وذلك حين المرابطة بثغر العدو من الديار الهنديّة، والمنازلة لمنازلهم في كلّ صباح وعشيّة، والسمع لا يعي إلاّ صارخاً: يا خيل الله اركبي، أو صائحاً لما دهمه:يا غلام قرّب مركبي»(١).

و في سنة ١١١٤هـ حيث طلب من السلطان إعفاءه والسماح له مع عائلته بزيارة الحرمين الشريفين فأذن له، فغادر الهند بعد أن قضىٰ فيها ست وأربعون عاماً، وفي هذه الفترة أيضاً ألّف كتابه النفيس «رياض السّالكين في شرح صحيفة سيّد السّاجدين» خلال اثناعشر عاماً، وفي ختام كتابه هذا يقول مشيراً إلىٰ الظروف والأوضاع التي كتب خلالها شرحه المذكور فقال: «تمّ الشرح المسمّىٰ برياض السّالكين لتسع بقين من شوال المبارك سنة ست ومائة وألف و لله الحمد»(٢) ثم قال: «والثقة باعدادهم (أي أهل البيت) كنت آيساً من إكماله و إتمامه و إجتلاء بدره من اُفق تمامه، وذلك لما منيت به بعد الشروع فيه من تقحّم أخطار وأهوال،وتقلّب شؤون وأحوال،وتجشّم تنقّلات وأسفار،وقطع مهامه وقفار.

لا أستقرُ بأرض أو أسيرُ إلى | أُخرى بشخص قريب عزمُهُ نائي
يوماً بخروىٰ و يوماً بالعقيق | و يوماً بالعذيب و يوماً بالخليصاء
و تارة أنتحي نجداً و آونة | شعبُ العقيق و طوراً قصرُ بتماء

واني مع تفاقم شروى هذه المصائب، يسدّد لمثل هذا الغرض سهم صائب، ومتىٰ يتّسع مع مثل هذه الأخطار فراغ خاطر لمطالعة أسفار ومراجعة

---

(١) أنوار الربيع للمؤلف: ج٦، ص ٣٣٢. (٢) رياض السّالكين خاتمة الكتاب.

قاطر، لولا ما ذكرت من أسعافهم عليهم السّلام»(١).

و بعد أن غادر الهند توجّه إلىٰ مكة المكرمة،فأدّىٰ مناسك الحج كما في آخر النسخة الحجرية لكتاب أنوار الربيع(٢)، ثم قصد المدينة المنورة فتشرّف بزيارة قبر النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) وقبور ائمة البقيع (عليهم السّلام)، ثم عرج علىٰ العراق فحظىٰ بزيارة العتبات المقدّسة في النجف وكربلاء والكاظميّة وسامراء.

ثم توجّه إلىٰ إيران لزيارة مرقد الإمام الرضا (عليه السّلام) في خراسان، رحل بعدها إلىٰ اصفهان عاصمة الدولة الصفويّة آنذاك، فوصلها سنة ١١١٧هـ في عهد السلطان حسين الصفوي فأكرمه السلطان وعظّمه(٣)، وقد أهدىٰ السيد المدني كتاب «رياض السّالكين» إلى السلطان حسين الصفوي فمجّده وأطراه فيه بعبارات قلّ نظيرها(٤).

و بعد أن أقام في اصفهان سنين، لم يجد في العاصمة المقام الذي ترتاح إليه نفسه، إختار مدينة شيراز مقرّاً لسكناه كما هو المحكي عن سبحة المرجان(٥). وأصبحت شيراز محط رحله الأخير،وأقام بالمدرسة المنصوريّة التي بناها جدّه العلّامة غياث الدين منصور، فكان في شيراز زعيماً مدّرساً مفيداً(٦)، ومرجعاً للفضلاء(٧). وانصرف بكليته للتدريس والتأليف، ولكن لم يمدّه الأجل إلاّ سنوات قليلة.

* * *

(١) رياض السّالكين: خاتمة الكتاب.

(٢) أنوار الربيع: النسخة المطبوعة ج١، ص ٨.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٣، ص ٣٨٦.

(٤) رياض السّالكين: ج١، ص

(٥) أنوار الربيع: ج١، ص ٨.

(٦) الغدير: ج ١١، ص ٣٤٩.

(٧) مستدرك الوسائل: ج٣، ص ٣٨٦.

وفاته:

توفي السيد علي خان (رحمه الله) سنة ١١٢٠هـ(١) على أرجح الروايات في شيراز و في المحكي عن سبحةالمرجان(٢) إنّ وفاته رحمه الله سنة ١١١٧هـ، وفي رياض العلماء لمؤلّفه الميرزا الاصفهاني المعاصر للمترجم له قال: «حلّ به [أي السيد المدني قدّس سرّه] الموت في شيراز في شهر ذي القعدة سنة ١١١٨هـ»(٣).
وفي سفينة البحار: «وتوفي رحمه الله سنة ١١١٩هـ»(٤).

و دفن بحرم السيد أحمد بن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السّلام الملّقب بالشاه چراغ عند جدّه غياث الدين بن منصور.

أقوال العلماء فيه:

قال المحدّث الحرّ العاملي صاحب وسائل الشيعة في ترجمة السيد ابن معصوم: «من علماء العصر، عالم فاضل ماهر، أديب شاعر»(٥).

و قال العلّامة محمّد باقر الخوانساري: «السيد النجيب والجوهر العجيب، والفاضل الأديب، والوافر النصيب، وكان من أعاظم علمائنا البارعين، وأفاخم نبلاءنا الجامعين، صاحب العلوم الأدبيّة والماهر في اللغة العربيّة، والناقد لأحاديث الاماميّة، والمقدّم في مراتب السياسات المدنيّة، والرياسات الدنيَويّة والدينيّة»(٦).

---

(١) الغدير: ج١١، ص ٣٤٩، واعيان الشيعة: ج٨، س ١٥٢، والذريعة: ج٩، ص٧٥٤، ومستدرك الوسائل: ج٣، ص٣٨٦، وأمل الآمل: ج٢، ص١٧٦، وروضات الجنات: ج٤، ص٣٩٧.

(٢) أنوار الربيع: ج١، ص ٢٢.

(٣) رياض العلماء: ج٣، ص ٢٦٧.

(٤) سفينة البحار: ج٢، ص ٢٤٦.

(٥) أمل الآمل: ج٢، ص ١٧٦.

(٦) روضات الجنات: ج٤، ص ٣٩٤.

و قال المحدّث الشيخ عباس القمّي: «السيد النجيب و الجوهر العجيب، الماهر الأديب، والمنشيء الكاتب الكامل الأريب،الجامع لجميع الكمالات والعلوم والذي له في الفضل والأدب مقام معلوم،الذي إذا نظم لم يرض من الدّر إلّا بكباره، وإذا نثر فكالأنجم الزهر بعض نثاره، حائز الفضائل عن أسلافه السادة الأماثل، صاحب المصنّفات الرائعة والمؤلّفات الفائقة»(۱).

و قال العلّامة الشيخ عبدالحسين الأميني صاحب الغدير: «من أُسرة كريمة طنب سرادقها بالعلم والشرف والسؤدد، ومن شجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كلّ حين، إعترقت شجونها في أقطار الدنيا من الحجاز إلىٰ العراق إلىٰ إيران، وهي مثمرة يانعة حتىٰ اليوم، يستبهج الناظر إليها بثمرها وينعه، وشاعرنا صدرالدين من ذخائر الدهر، وحسنات العالم كلّه، ومن عباقرة الدنيا، فنيّ كلّ فن، والعلم الهادي لكلّ فضيلة، يحقّ للأُمة جمعاء أن تتباهى بمثله، ويخصّ الشيعة الإبتهاج بفضله الباهر، وسؤدده الطاهر، وشرفه المعلّىٰ، ومجده الأثيل، والواقف علىٰ آيات براعته، وسور نبوغه -الا وهو كلّ كتاب خطه قلمه، أو قريض نطق به فمه- لايجد ملتحداً عن الإذعان بامامته في كلّ تكلم المناحي، ضع يدك علىٰ أي سفر قيّم من نفثات يراعه، تجده حافلاً ببرهان هذه الدعوىٰ، كافلاً لإثباتها بالزبر والبيّنات»(۲).

و قال صاحب خلاصة الأثر: العالم الفاضل المحبي في كتابه نفحة الريحانة: «القول فيه إنّه أبرع من أظلّته الخضراء وأقلّته الغبراء،وإذا أردت علاوة في الوصف قلت: هو الغاية القصوىٰ والآية الكبرىٰ،طلع بدر سعده فنسخ الأهلّة،وأنهل سحاب فضله فأخجل السحب المنهلة»(۳).

---

(۱) سفينة البحار: ج۲، ص ۲٤٥.

(۲) الغدير: ج۱۱، ص ۳٤٧.

(۳) أعيان الشيعة: ج۸، ص ۱٥۲، وأنوار الربيع: ج۱، ص۱٥.

و قال العلّامة السيد عبّاس بن علي نورالدين الموسوي المكي صاحب كتاب نزهة الجليس: «إمام الفضل والأدب، والعلم الموروث والمكتسب، فاضل لا تسجع الحمائم بدون نسيبه، ولا يترنّم المحبّ الهائم بسوى غزله في حبيبه، شعره كثير الفنون، ونثره سلوة المحزون، له المعاني العجيبة الأنيقة، والألفاظ البليغة الرقيقة»(١).

و قال صاحب كتاب سبحة المرجان السيد غلام علي آزاد: «هو من مشاهير الأدباء، وصناديد الشعراء، بيته بشيراز بيت العلم والفضل، والمدرسة المنصوريّة بشيراز منسوبة إلى جدّه المير غياث الدين منصور، وهو مشهور مستغن عن البيان»(٢).

و قال صاحب كتاب حديقة الأفراح الشيخ أحمد بن محمّد بن علي الأنصاري اليمني: «السيد الجليل علي الصدر بن أحمد نظام الدين المدني صاحب سلافة العصر، وهو الإمام الذي لم يسمح بمثله الدهر»(٣).

و قال العلّامة ميرزا محمّد علي مدرّس بعد عبارات الثناء والإطراء «كلّ كتاب من تأليفاته الظريفة برهان قاطع وشاهد ساطع على علّو درجاته العلميّة، وحدّة ذهنه، ودقّته، وفطانته»(٤).

و قال العلّامة الميرزا عبدالله الإصفهاني صاحب رياض العلماء -وهو من المعاصرين للمترجم له- «وبالجملة السيد علي خان المذكور من أجلّة الأولاد البعيدة للأمير صدرالدين محمّد الشيرازي الدشتكي المعروف المعاصر للعلّامة الدواني، وهو أدام الله فضائله من أكابر الفضلاء في عصرنا هذا»(٥).

---

(١) انوار الربيع: ج١، ص ١٥.

(٢) أنوار الربيع: ج١، ص ١٥.

(٣) أعيان الشيعة: ج٨، ص ١٥٢، وأنوار الربيع: ج١، ص١٥.

(٤) ريحانة الأدب: ج٢، ص ٩٢.

(٥) رياض العلماء: ج٣، ص ٣٦٥.

و قال صاحب المستدرك السيد محمّد رضا النوري: «المتبحّر الجليل السيد علي خان الشيرازي المدني شارح الصحيفة والصمديّة الذي يروي عن أبيه عن آبائه عن الإمام (عليه السّلام)»(١).

تقاريض كتاب رياض السّالكين:

قال السيد محسن الأمين صاحب أعيان الشيعة: «شرح الصحيفة السجاديّة مطبوع مشهور، سمّاه رياض السّالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، ولم يؤلّف في شروحها مثله»(٢).

وقال الميرزا عبدالله الإصفهاني صاحب رياض العلماء: «و له أيضاً شرح الصحيفة الكاملة كما أشرنا إليه آنفاً، وقد جعله باسم سلطان عصرنا الشاه سلطان حسين الصفوي، وهو شرح كبير جداً من أحسن الشروح وأطولها، وقد أورد فيه فوائد غزيرة من كتب كثيرة غريبة عزيزة، وقد سمّاه رياض السّالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، وقد صدّر شرح كلّ دعاء من أدعية هذه الصحيفة بخطبة وديباجة علىٰ حدة ظريفة، وقد أودع في هذا الشرح فوائد كثيرة وفرائد غزيرة، وبسط الكلام فيه،ونقل أقوال سائر الشرّاح والمحشّين وتعصب فيه للشيخ البهائي من بين الشرّاح، وطوّل البحث في أكثر العلوم ولا سيّما في العلوم العربيّة»(٣).

و قال المحدّث الشيخ عبّاس القمي: «و شرح الصحيفة السجاديّه ينبىء عن طول باعه،وكثرة إطلاعه و إحاطته بالعلوم»(٤).

وقال العلّامة عبدالحسين الأميني صاحب الغدير: «رياض السّالكين في شرح الصحيفة الكاملة السجادية، كتاب قيّم يطفح العلم من جوانبه، وتتدفّق

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٣، ص ٣٨٦.

(٢) أعيان الشيعة: ج٨، ص ١٥٢.

(٣) رياض العلماء: ج٣، ص ٣٦٦.

(٤) سفينة البحار: ج٢، ص ٢٤٦.

الفضيلة بين دفتّيه، فاذا أسمت فيه سرح اللحظ فلا يقف إلّا علىٰ خزائن من العلم والأدب موصدة أبوابها، أو مخابىء من دقائق ورقائق لم يهتد إليها أيّ ألمعي غير مؤلّفه الشريف المبجّل»(١).

مؤلّفاته:

١ ـ سلافة العصر: ترجم فيها لأدباء القرن الحادي عشر، و شرع في تأليفه في بلاد الهند في أواخر سنة ١٠٨١هـ، وفرغ منه في شهر ربيع الثاني سنة ١٠٨٢هـ. والكتاب يشمل خمسة أقسام:

الأوّل: محاسن أهل الحرمين.

الثاني: محاسن أهل الشام و مصر.

الثالث: محاسن أهل اليمن.

الرابع: محاسن أهل العجم و العراق.

الخامس: محاسن أهل المغرب(٢). وهو مطبوع مرّتين:الأُولىٰ سنة ١٣٢٨هـ والثانية في ايران سنة ١٣٨٧هـ.

٢ ـ سلوة الغريب و أسوة الأديب :وهي رحلته إلىٰ حيدرآباد في الهند،سنة ١٠٦٦هـ.

٣ ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الإماميّة من الشيعة: وقد رتّبة علىٰ اثني عشر طبقة (الاولىٰ) في الصحابة (الثانية) في التابعين (الثالثة) في المحدّثين الذين رووا عن الائمة عليهم السّلام (الرابعة) في العلماء (الخامسة) في الحكماء والمتكلّمين (السادسة) في علماء العربيّة (السابعة) في السادة الصفويّة (الثامنة) في الملوك والسلاطين (التاسعة) في الأمراء (العاشرة) في الوزراء (الحادية عشر) في الشعراء

---

(١) الغدير: ج١١، ص ٣٤٧.

(٢) انظر هامش البدر الطالع: ج١، ص ٤٢٩، وذكره أيضاً صاحب الذريعة:ج٩، ص٧٥٤.

(الثانية عشر) في النساء(١).

و قد عثر على قسم من هذا الكتاب و طبع في النجف سنة ١٣٨٢هـ.

٤ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع: فرغ من تأليفه سنة ١٠٩٣هـ.

و هو شرح لبديعيّته ١٤٧ بيتاً، نظمها في أثنتي عشرة ليلة.

و قد طبع الكتاب طبعته الاولى في النجف سنة ١٣٨٩هـ.

٥ ـ الكلم الطيّب و الغيث الصيّب في الأدعية المأثورة عن النبيّ وأهل البيت (عليهم السّلام): لم يتمّه. وعن رياض العلماء: انّه لا يخلو من فوائد جليلة(٢).

٦ ـ رياض السّالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين.

٧ ـ الحدائق الندية في شرح الصمديّة: فرغ من تأليفه سنة ١٠٧٩هـ.

قال عنه السيد محسن الأمين: «و هو شرح لم يعمل مثله في علم النحو، نقل فيه أقوال جميع النحاة من كتب كثيرة»(٣).

٨ ـ شرحان أيضاً على الصمديّة: المتوسط و الصغير، ذكرهما صاحب الغدير(٤). وعنوان الشرح الصغير: الفرائد البهيّة في شرح الفوائد الصمديّة

٩ ـ موضح الرشاد في شرح الإرشاد: كتاب في النحو.

١٠ ـ رسالة في أغلاط الفيروزآبادي في القاموس: قال عنها صاحب رياض العلماء: وهي رسالة حسنة(٥).

١١ ـ التذكرة في الفوائد النادرة، قال عنه صاحب روضات الجنات: «والظاهر إنّه غير كتابه الذي وسمه بالمخلاة»(٦).

---

(١) مقدمة أنوار الربيع: ج١، ص ١١، وذكره أيضاً صاحب الذريعة:ج٩، ص٧٥٤.

(٢) رياض العلماء: ج٣، ص ٣٦٧.

(٣) أعيان الشيعة: ج٨، ص ١٥٢.

(٤) الغدير: ج١١، ص ٣٤٨.

(٥) رياض العلماء: ج٣، ص ٣٦٧.

(٦) روضات الجنات: ج٤، ص ٣٩٦.

١٢ ـ المخلاة: وهو على نحو مخلاة الشيخ البهائي.

١٣ ـ الزهرة في النحو.

١٤ ـ نغمة الأغان في عشرة الاخوان: أرجوزة ذكرها برمّتها الشيخ يوسف البحراني في كشكوله ج١، ص٦٧، عدد أبياتها ٦٩٣ بيتاً، نظمها في برهان پور بالهند سنة ١١٠٤هـ(١).

١٥ ـ رسالة في المسلسلة بالآباء: شرح فيها الأحاديث الخمسة المسلسلة بآبائه فرغ منها سنة ١١٠٩هـ.

١٦ ـ ملحقات السلافة: ذكرها صاحب الغدير و قال عنها: بانّها مشحونة بكل أدب وظرافة(٢).

١٧ ـ الطراز الأول فيما عليه من لغة العرب المعوّل: كتاب في اللغة كبير، قال عنه العلّامة الأميني: «اشتغل بتأليفه إلى يوم وفاته ولم يتم خرج منه قريب من النصف قيل: إنّه أحسن ما كتب في هذا الموضوع ذكر فيه كلّ ما يتعلّق باللفظة المبحوث عنها حتى القصص والأغاني والقواعد المستنبطة لأساتيذ هذا الفن من كلّ مكان وجدت منه نسخة إلى باب الصاد المهملة»(٣).

١٨ ـ رسالة سمّاها نفثة المصدور: نوّه عنها المؤلف في باب الكلام الجامع من كتابه أنوار الربيع حيث قال: «وقد عقدت لكلّ من ذم الزمان وذم أبناءه فصلاً في (نفثة المصدور) وذكرت فيهما من النثر والنظم ما يشفي الصدور»(٤).

١٩ ـ كتاب محك القريض: أشار إليه المؤلف في باب المغايرة من كتابه أنوار الربيع فقال «وقد أمليت كتاباً لطيفاً، وديواناً طريقاً في مقاصد الشعر، ترجمته

---

(١) مقدمة أنوار الربيع: ج١، ص ١٣.

(٢) الغدير: ج١١، ص ٣٤٨.

(٣) أعيان الشيعة: ج ٨، ص ١٥٢.

(٤) أنوار الربيع: ج ٢، ص ٣٨٤.

بـ«محك القريض» أوردت فيـه من مدح الشعر والشعراء ما فيه مقنع لمن كان منه بمرأى ومسمع والله الموفق»(١).

٢٠ ـ ديوان شعر: قـال عنه الـعلّامة الأميني: «مخطوط في ١٨٣صفحـة متوسطة توجد منـه عـدّة نسخ في العراق. وأكـثـره مراسلات ومدائح في أبـيه وفيه عرسـيات كثيرة»(٢).

تأثر السيد ابن معصوم بشخصيّة الشيخ البهائي قدّس سرّه:

قال السيـد المدني في مـقدّمة شـرحه لـكتاب الـفوائـد الصمديّـة للشيـخ البهائي مانصّه: «شيخـنا الإمام العلّامـة،والهمام القدوة الـفهّامة،سيد العلماء المحقّقين، سند العظماء المدقّقين، نادرة دهره وزمانـه، باقعة عصره وأوانه، ملاذ المجتهـدين وشرفهم، بحر أُولي اليقين ومـعترفـهم، شيخنا ومولانـا بهاءالدين العاملي سقـىٰ الله ثراه وجعل بحبوبة الفردوس مثواه»(٣).

و قال أيضاً في كتابه سلافة العصر في ترجمة الشيخ البهائـي والذي ألّفه في وقت مبّكر من حـياته ممّا يـدلّ علىٰ عظم تأثره بهذا العالم العظيم مند حداثة سنّه فيقول: «علم الائمة الأعلام،وسـيد علماء الإسلام،وبحر الـعلم المتلاطـمة بالفضائـل أمواجه، وفحل الفضل النابجـة لديه أفراده وأزواجه، وطود المعارف الراسخ، وفضاؤها الذي لاتحد له فراسـخ، وجوادها الـذي لا يؤمل له لحـاق، وبدرها الـذي لا يعتريه محاق، الرحـلة التي ضربـت إليـه أكباد الابـل، والقـبلة التي فطـر كلّ قـلب علـىٰ حبّـها وجُبل. هو علّامة البشر ومجدّد دين الأُمة علىٰ رأس القرن الحادي عشر، إليه إنتهت رئاسة المذهـب والملّة، وبـه قامت قواطع البراهين والأدلّـة، جمع فنون العلم فـانعقد

(١) أنوار الربيع: ج ٢، ص ٣٨٤.

(٢) وفيات الأعيان: ج ٨، ص ١٥٣.

(٣) الحدائق الندية في شرح الصمدية: للسيد علي خان المدني ص٣.

عليه الإجماع، وتفرّد بصنوف الفضل، فبهر النواظر والأسماع، فما من فنّ إلّا وله فيه القدح المعلّى، والمورد العذب المحلّى، إن قال لم يدع قولاً لقائل، أو أطال لم يأت غيره بطائل»(١).

و قد حاول السيد المدني أن يقلّد الشيخ البهائي في كتبه فألفّ كتابه (المخلاة) على منوال كتاب (المخلاة) للشيخ البهائي، وكتابه (التذكرة في الفوائد النادرة) على ضوء كشكول الشيخ البهائي، بالإضافة إلى شروحه الثلاث على كتاب (الفوائد الصمدية) الأول المسمى بالحدائق الندية الذي مرّت الإشارة إليه آنفاً، والشرحان الآخران متوسط وصغير.

كما تأثر السيد المؤلف كثيراً في شرحه هذا على الصحيفة السجادية بشرح الشيخ البهائي على هذه الصحيفة في أسلوب البحث ومنهجته، ولأنّ شرح الشيخ البهائي (قدّس سرّه) المسمّى بـ«حدائق الصالحين» لم يتمّه، بل لم يشرح منه سوى بعض الأدعية، والموجود منه الآن شرح الدعاء عند رؤية الهلال وأسماه بالرسالة أو الحديقة الهلاليّة. وقد إلتفت إلى ذلك صاحب الرياض فقال: «وبسط الكلام فيه «أي في رياض السالكين» ونقل أقوال سائر الشرّاح والمحشّين وتعصّب فيه للشيخ البهائي من بين الشرّاح»(٢)، وتنبّه إلى ذلك أيضاً العلّامة الأميني فقال: «وسمّى كلّ روضة منه باسم خاص بها، ولها خطبة مستقلّة كما فعل البهائي في حدائق الصالحين»(٣).

قال صاحب الغدير في الحديث حول «حدائق الصالحين» للشيخ البهائي: «جعل شرح كلّ دعاء في حديقة وقد خرج شرح عدة من حدائقة وكانت موجودة في المشهد الرضوي في عصر العلّامة المجلسي، كما ذكره بعض معاصريه أو تلاميذه

---

(١) روضات الجنات: ج ٧، ص ٦١.

(٢) رياض العلماء: ج ٣، ص ٣٣٦.

(٣) الدريعة: ج ٩، ص ٣٢٦.

في رسالة كتبها إليه، والرسالة بصورتها مدرجة في آخر اجازات البحار، ولكن الموجود المتداول منها اليوم هو (الحديقة الهلاليّة) فقط في شرح دعائه عند رؤية الهلال الذي هو الدعاء الثالث والأربعون، وقال في آخرها: (تم تأليف الحديقة الهلالية من كتاب حدائق الصالحين ويتلوها بعون الله تعالىٰ الحديقة الصوميّة وهو شرح دعائه (عليه السّلام) عند دخول شهر رمضان). وقد كتب قبل الهلاليّة (الحديقة الأخلاقيّة) قطعاً؛ لأنّه قال في أثناء الهلاليّة مالفظه: (وقد قدّمنا في الحديقة الأخلاقيّة في شرح دعائه (عليه السّلام) في مكارم الأخلاق كلاماً) ثم أورد الكلام بعينه، ودعاء المكارم هو الدعاء العشرون، وفي الروضات: (ص٦٣٢) انّه قرأ عليه السيد حسين بن حيدر شرح دعاء الصباح.

فظهر انّ ما خرج من قلم الشيخ البهائي لم يكن منحصراً بالحديقة الهلاليّة حتىٰ يقال انّ إستعمال (حدائق الصالحين) مجاز لا حقيقة له»(١).

و لكن من المطمئن إليه أنّ اسيد ابن معصوم لم يطلّع علىٰ أكثر من الحديقة الهلاليّة حيث يقول: «وأمّا شرح شيخنا البهائي -قدّس الله روحه الزكيّة- الذي سمّاه حدائق الصالحين وأشار إليه في الحديقة الهلاليّة فهو مجاز لا حقيقة، إذ لم تقع حدقة منه علىٰ غير تلك الحديقة، ولعمري لو أتمّه علىٰ ذلك المنوال لكفىٰ من بعده تجشم الأهوال، ولكن عسىٰ أن يثمر غرس الأماني فأكون عرابة هذه الراية في زماني»(٢).

و قد تعدّىٰ تأثر السيد المدني بأسلوب الشيخ البهائي و منهجه إلىٰ إختيار عنوان الكتاب كذلك، فترىٰ مقدار التقارب بل الترادف بين عنواني شرح الصحيفة لهما (قدّس سرّهما) بين (حدائق الصالحين) و (رياض السالكين) بل انّ اسم شرح الصحيفة أولاً كما نصّ عليه صاحب الغدير كان (رياض الصالحين)(٣) ثمّ غيرّ المؤلف العنوان بعد ذلك الى (رياض السالكين).

---

(١) الغدير: ج ٦، ص ٢٨٨.

(٢) رياض السالكين:

(٣) راجع الغدير: ج١١، ص ٣٢٦.

رياض السّالكين ونسخة الخطيّة:

١ ـ نسخة فتوغرافية أُخذت عن النسخة الخطيّة المحفوظة في المكتبة الرضويّة في مشهد المقدّسة علىٰ ساكنها الآف التحية والسّلام، تحت رقم (٣٢١) من كتب الأدعية. وتحت رقم (٣٣٥٦) بالتسلسل العام.

وهي نسخة كاملة، جيدة الخط، قليلة الخطأ، وكان سنة استنساخها ١١١٢هـ. ورمزنا لها بحرف (ب).

٢ ـ نسخة فتوغرافية أُخذت عن النسخة الخطيّة المحفوظة في المكتبة الوطنيّة (كتابخانه ملّي) بطهران، تحت رقم (٢٣٧٨).

وهي نسخة جيدة الخط، غير مصحّحة، وكان سنة استنساخها ١١١٢هـ. ورمزنا لها بحرف (الف).

٣ ـ نسخة فتوغرافية عن النسخة الخطيّة المحفوظة في المكتبة الخاصة للفاضل يوسف محسن الاردبيلي في زنجان. وكان سنة استنساخها ١١٣٢هـ بخط المرحوم ملّا محسن بن محمّد طاهر القزويني صاحب شرح العوامل، وكان من الأفاضل.

وهي نسخة ناقصة، تبدأ من أول الرياض حتى نهاية الرّوضة السابعة والعشرون، وعليها تعليقات بقلم المستنسخ الشريف. ورمزنا لها بحرف (ج).

منهج التحقيق:

١ ـ استنسخنا الرياض أولاً من النسخة الحجريّة المستنسخة سنة ١٣١٧هـ، وأشار كاتبها بأنّها قد قوبلت مع مجموعة من النسخ الخطية المعتبرة.

٢ ـ قابلناه على النسخ الخطيّة المشار إليها سابقاً، وفي حال الاختلاف نختار الصحيح منها، ونشير إلى موضع الاختلاف إذا كان ممّا يغيّر المعنىٰ.

وعند استخراج نصوص الكتاب ومقابلتها مع مصادرها المقتبسة منها حاولنا ـ جهد الإمكان ـ الاعتماد على النسخ المطبوعة المتوفرة بأيدي القارئ الكريم.

٤ ـ فسرّنا الألفاظ التي ربّما يقف عندها عموم القراء الكرام.

٥ ـ ترجمنا بصورة وجيزة لكلّ شخص ورد اسمه في الكتاب معتمدين على كتبنا الرجاليّة ما أمكن.

٦ ـ بذلنا جهوداً مضنية في استخراج نصوص الكتاب، و بما أنّ المؤلف (قدّس سرّه) عالم أديب، فقد اعتمد على كتب كثيرة في شتّىٰ أبواب العلم والأدب، و بعضها لازال خطيّاً نادر الوجود، وقد طفنا مكتبات بلادنا الرئيسيّة فما وجدنا لها أثراً.

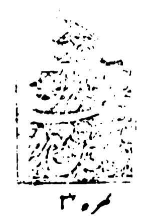
و يشهد لما قلناه السيد محسن الأمين صاحب أعيان الشيعة ج٨ ص١٥٢ حينما يقول: «وقد أورد فيه ـ أي في رياض السالكين ـ فوائد غزيرة من كتب كثيرة غريبة عزيزة».

و أمّا الكتب الخطّية التي عثرنا عليها، فقد استخرجنا النصوص التي اقتبسها المؤلف منها، وأشرنا إليها بحيث يهتدي من شاء الرجوع إليها بسهولة. وحيث جعلنا المتن (الدعاء) في صدر الصفحة وربّما يرِد قطعتين من الدعاء واحداً تلو الآخر لهذا يرد شرحين من دون فاصلة بينهما، ولذلك جعلنا آخر كلّ شرح علامة نجمة *

و أخيراً نعتذر للقارئ الكريم عن كل تقصير في تحقيق الكتاب واخراجه وطباعته، وليس لنا في نهاية المطاف إلّا ترديد قول محقق كتاب أنوار الربيع: «واني لعلىٰ علم بأنّ من مارس أمثال هذه الأعمال يقدّر الجهد المبذول في سبيل تحقيقه، ورحم الله القائل: سل عن النار جسم من عاناها».

هذا و من حُسن التوفيق أن يكون الانتهاء من تسويد هذه الصفحات في يوم وفاة صاحب الدعاء الامام زين العابدين وسيّد السّاجدين عليّ بن الحسين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الميامين الأطهار، الموافق يوم الثلاثاء ٢٥ محرم الحرام سنة ١٤٠٧هـ في قم المقدسة.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسّلام على سيد المرسلين محمّد وآله الطيبين.



نمره ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك حمدا نوتى به من صحائف الحسنات صحيفة كاملة ونشكرك شكرا نتولى به من نعم
الحسنات نعمة شاملة تصديقا لوعدك الصادق لعبادك الشاكرين وتحقيقا لرجاء فضلك السابغ على
عبادك الذاكرين ثم الاقاصي الشكر ولو كان البحر له مدادا قاصر عن ان يكون لادنى سوالف آلائك
عدادا لا سيما ما هديتنا له من الاعتراف بوحدانيتك التي شهدت بها السماء مزينة بالكواكب
والارض حاملة اثقالها على المناكب والصبح ماتكا لستور الظلماء ونهار مطرودة في
انهار والسماء رافلة في حلل السواد اسام ليلها ركضة في ميادين الظلام ادهم خيلها والماء بالجامعنا
لامحا حصباؤه في قرار والنار لاهبة بالتهاب نجمها ناشرة ذوائب لهبها والهواء حاملا للماء في بطون
الغمام سائرا بالجواري المنشآت في البحر كالاعلام كلها السنة ناطقة بوحدانيتك وادلة بانية على
فردانيتك مرغمة بشهادتها انف كل منكر وجاحد بل في كل شيء لك آية تدل على انك واحد ثم ما
وفقتنا له من الاقرار بالنبوة المحمدية والامامة الاثني عشرية الذي اخذت به المواثيق والعهود من اول
يوم الى اليوم المشهود ونصلي ونسلم على نبيك الذي ارسلته رحمة للعالمين وانزلت على قلبه الروح الامين
ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين وعلى اخيه ووصيه الذي جعلته ردءا له وظهيرا وسائر اهل بيته
الذين اذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا وبعد فيقول العبد الفقير الى ربه الغني علي صدر الدين
المدني ابن احمد نظام الدين الحسيني الحسني هذا شرح مفيد وصرح مشيد علقته على الصحيفة
الكاملة انجيل اهل البيت وزبور آل محمد عليهم السلام المنسوبة الى سيد العابدين وقدوة الزاهدين امام

الصفحة الاولى من نسخة المكتبة الوطنية (كتابخانه ملّى) في طهران المرموز لها بـ(ألف).

ويقدّ ان للقلم ان يحبس العنان ويتنزل عن صهوة البنان فان اسوء القول الافراط واتقه المادي

الى سواء الصراط ولولا ان ذلك المتزيد تابل بالكفر والاحسان لما جرى بذلك في قلمه ولا نطق

لسان وفي المثل البادي اظلم ومن يلق ابطال الرجال يكلم . ايها السائلي عن نعيش فيه

هو قد غاث بادانى اديم ولعمري ان الحليم اذا ما سيم خسفا تراه غير حليم

وانا التمس من اخواني المؤمنين وخلاني الموقنين السالكين سبيل الانصاف المتصفين

بجميل الاوصاف ان يغتفروا ما طغى به القلم وزلت به القدم ونبا عنه الفكر وسها عنه

الذكر وان يستروا العوار ولا يرموا الرايج بالبوار وان يجعلوا ذلك في جنب ما اهديته اليهم

من غرايب الفوايد ورغايب العوايد التي لم يكشف قبلي عن نقابها نقاب ولا خطبت على

شواكلها اتراب كتاب من ابى الا الشطط وكفر الصنيعة وغمط حسدا او عصبية و

ميلا الى حمية الجاهلية فلست ابالي بمقال الحاسد ومن يغالي في المتاع الكاسد وانما

لكل امرء ما نوى فلا اعبأ بمن ينطق عن الهوى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل عليه

توكلت وهو على كل شيء وكيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الاكرمين

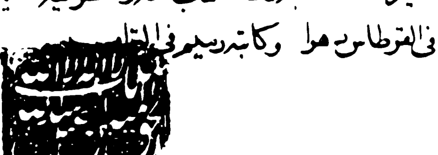
آمين

قد فرغ من تسويد هذا الشرح اللائق بالمدح المبرء من القدح محب علي بن ملك محمد الكا

في يوم الخميس الثاني والعشرين شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ١١١٣ ملتمسا من اخوانه

المؤمنين دعاء الخير عند مطالعته والاستكتاب منه والنظر اليه يلوح الخط

في القرطاس دهرا وكاتبه رميم في التراب



الصفحة الأخيرة من نسخة المكتبة الوطنية (كتابخانه ملى) في طهران المرموز لها بـ(ألف).

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أكمل بنبيه أحمد نظام الدين ونوّر [illegible] في جملة البرايا [illegible] عليهما

وعلى [illegible] الائمة وخلفائه الى [illegible] فيقول الفقير الى ربه الغني علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين الحسيني

الحسيني [illegible] من فضله [illegible] السيد [illegible] أحمد نظام الدين والدي السيد [illegible] محمد معصوم عن شيخه المحقق

مولى محمد أمين الاسترابادي عن شيخه [illegible] المحدثين الميرزا محمد الاسترابادي السيد ابي محمد [illegible] علي [illegible] آبائه

عن أبيه منصور غياث الدين [illegible] أبيه محمد صدر [illegible] أبيه منصور غياث الدين [illegible] صدر الدين [illegible] أبيه

ابراهيم [illegible] أبيه محمد صدر الدين أبيه [illegible] الدين أبيه علي [illegible] الدين أبيه [illegible] زين الدين [illegible] أبيه

ابي الحسن [illegible] أبيه [illegible] الدين أبيه ابي علي [illegible] الدين أبيه ابي جعفر [illegible]

أبيه ابي سعيد علي أبيه [illegible] أبيه ابي [illegible] علي أبيه ابي عبد الله محمد أبيه علي أبيه ابي محمد [illegible] جعفر

[illegible] أبيه [illegible] أبيه جعفر أبيه [illegible] محمد أبيه [illegible] الشهيد أبيه علي بن [illegible] أبيه الحسين سيد الشهداء

عن أبيه أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهم السلام [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] بأي لغة خاطبك

ربك ليلة المعراج فقال خاطبني بلسان علي [illegible] فقلت يا رب خاطبتني أم علي فقال يا أحمد [illegible] الأشياء [illegible]

[illegible] خلقتك من نوري وخلقت عليا من نوري [illegible] اطلعت على سرائر قلبك [illegible] فلم أجد في قلبك أحب اليك من علي

[illegible] فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك [illegible] الحديث الشريف [illegible] ابو المؤيد [illegible] أحمد الخوارزمي المعروف

بأخطب خوارزم [illegible] من كتاب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام [illegible] في القسم [illegible]

[illegible] عبد الله

[illegible] محمد [illegible] الرازي [illegible]

[illegible] عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة

المعراج فقال خاطبني بلغة علي [illegible] فقلت يا رب خاطبتني أم علي فقال يا أحمد [illegible] الأشياء [illegible] وصف

[illegible] خلقتك من نوري وخلقت عليا من نوري فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد [illegible] علي بن ابي طالب فخاطبتك

بلسانه كيما يطمئن قلبك انتهى [illegible] كاللسان [illegible] يطلق على ما يعبر به كل قوم عن أغراضهم كلغة العرب ولغة [illegible] يطلق على ما يعبر به

الانسان [illegible] من النطق [illegible] الصوت [illegible] بعضها عن بعض [illegible] فقوله [illegible] في

الحديث بأي لغة خاطبك ربك يحتمل المعنيين [illegible] عليه السلام خاطبني بلسان علي [illegible] المعنى الثاني

[illegible] لغة علي عليه السلام كانت [illegible] في مقدار

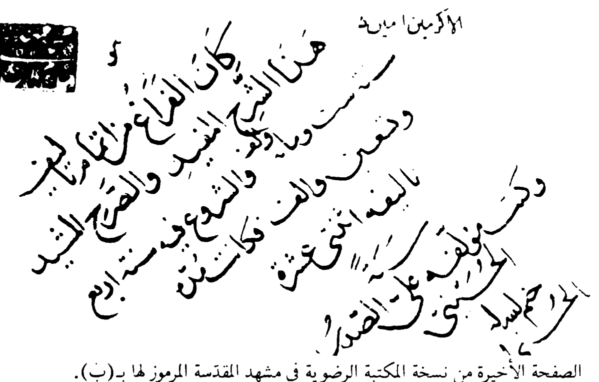
[illegible] جمع [illegible] القاموس [illegible] الناس [illegible] المعنى الثاني [illegible] وصف

[illegible] صلى الله عليه وآله [illegible] عليا [illegible]

ذات الله [illegible] الجنين [illegible] الأساس [illegible] في دينه

[illegible] التعظيم [illegible] ممنوع [illegible] العقل

الصفحة الاولى من نسخة المكتبة الرضوية في مشهد المقدسة المرموز لها بـ(ب).



الصفحة الأخيرة من نسخة المكتبة الرضوية في مشهد المقدسة المرموز لها بـ(ب).

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

اللهم إنا نحمدك حمداً نتلو به من صحائف الحسنات صحيفة كاملة، ونشكرك شكراً نوليه من نعمك السابغة الشاملة، تصديقاً
لوعدك السابق لعبادك الشاكرين، وتحقيقاً لرجاء فضلك السابغ على الملائك الذاكرين، وإلا فأقصى الشكر لكان الحمد لها قاصر
عن أن يكون لأدنى سوالف آلائك عديلاً لا سيما ما هديت له من الاعتراف بوحدانيتك التي شهدت بها السماء مزينة بالكواكب والأرض
حاملة أثقالها على المناكب، والصباح ماحياً بسمو الظلماء نهاره، مطرزة في حدائق الخضراء أنهاره، والمساء رافلة ذيل
السواد أمام ليله، راكضة في ميادين الظلام أدهم خيله، والماء بأمواجها صافية أسراره، لا تحجبها في قراره، والنار
لامعة هباها ناشرة ذوائب لهيبها، والهواء حاملاً للماء في سحب الغمام، سائراً بالجواري المنشآت في البحر كالأعلام، كما أنشأت
ناطقة بوحدانيتك، ودالة كما بشر على فردانيتك، أم غير شهادتها أنف كل منكر جاحد، بل في كل شيء له آية تدل على أنك واحد
ثم ما وفقت له من الإقرار بالنبوة المحمدية، والإمامة الاثني عشرية، التي أخذت بها المواثيق والعهود من أول يوم إلى اليوم المشهود، ونصلي
ونسلم على نبيك الذي أرسلته رحمة للعالمين، وأنزلت على قلبه الروح الأمين، ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، وعلى أخيه ووصيه الذي
جعلته ردءاً له ووزيراً، وسائر أهل بيته الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً. وبعد، فيقول العبد الفقير إلى ربه الغني
علي صدر الدين المدني ابن أحمد نظام الدين الحسيني الحسني أناله الله تعالى من فضله السني: هذا شرح مفيد وفتح مشيد، يشتمل على الصحيفة الكاملة
إنجيل أهل البيت وزبور آل محمد عليهم السلام المنسوبة لسيد العابدين وقدوة الزاهدين إمام الثقلين علي بن الحسين صلوات الله عليه وعلى آبائه
وأبنائه المنتجبين، يفتح مقفلها، ويفصل مجملها، ويظهر كنوزها، ويحل رموزها، على أتم معرفة وأصدق نجاة، بأن الباع قصير
والبضاعة مزجاة، ولكني لم يعقني الجناح عن تسنم هذا المطار، ولم يقعد الجنان عن تقحم هذه الأخطار، بيد أني بنفس نفثتها أستمد وأستعين
وبركات أهل البيت عليهم السلام أرد هذا العذب المعين، ولا أعلم أحداً سبقني إلى هذا الغرض، والقيام بأداء هذا الحكم المفترض،
سوى ما حرره جماعة من أصحابنا المتأخرين شكر الله سعيهم، وأحسن يوم الجزاء رعيهم، من تعليقات تشتمل على حل بعض لغاتها
وتفسير يسير من غرائبها، وهي لا تبرد غليلاً، ولا تبرئ عليلاً، وأما شرح شيخنا البهائي قدس الله تعالى روحه الزكية الذي
سماه حدائق الصالحين، وأشار إليه في الحديقة الهلالية، فهو غير ما لحقته إذ لم تتم صفقته على غير تلك الحديقة،
ولعمري لو تم على ذلك المنوال لكفى من بعده تجشم الأهوال، ولكن عسى أن يكمل غريم الأماني فأكون من أرباب هذا الأمر
في زماني، وإذا كانت عمومات مواهب الواهب غير مقيدة بوقت، وفيوضات فيضه الواسع لا مقطوعة ولا ممنوعة، فغير بديع أن
تشرق أشعة نور فضله العميم على مرآة من لا يرى نفسه أهلاً لهذا التكريم، وعليه جائر قصد السبيل، وهو حسبي ونعم
الوكيل، وإذا أشرق الله تعالى بدره المنير من أفق التمام، ونفح زهره النضير من حجب الكمام، سميته برياض السالكين في
شرح صحيفة سيد العابدين، وإلى الله تعالى أرفع أكف الدعاء، وأستشفع إليه بأكرم الشفعاء، أن يرفع حجب العوائق
عن إتمامه، وأن يشفع حسن ابتدائه بحسن اختتامه، وأن يسددني فيه للصواب، وأن يثيبني عليه جميل الذكر وجزيل الثواب
ثم إني لما أينعت ثمرات ثمانه في رياض الجود، وأكرمني باجتناء زهرات كمائمه مفيض الكرم والجود، قدمته وهو الحري بالتقديم
على ما جرت به العادة من الترويج والتقديم، إلى الحضرة التي هي مجمع الخلافة والإمامة، ومطلع الشرف المظلل بالغمامة، ومشرق الأنوار
المصطفوية، ومعدن الأسرار المرتضوية، ومربع العدل ومرتع الفضل، ومشعر المجد ومشرع البذل، ومسقى الجود والكرم
وملتقى نزل الحسنة، والحرم المحرم للخلافة منصوب سرادقها بين النقيضين من عفو ومن نقم، وللأمر أوزار مثقلة
تحمل البغضاء من ظالم ومن ظلم، وللنبوة آيات تنص لنا، على الخفيين من حكم ومن حكم، وللمكارم
أعلام تعلمنا، مدح الجزيلين من بأس ومن كرم، وللعلى ألسن تثني محامدها، على الحميدين من فعل ومن
شيم، وراية الشرف الوضاح ترفعها، يد الرفيعين من مجد ومن همم، حضرة سيد سلاطين الأمم

الصفحة الاولى من نسخة المكتبة الخاصة للفاضل يوسف محسن الأردبيلي في زنجان المرموز لها بـ(ح)

للكلام السابق وتعليل لاستدعاء الاجابة من حيث ان اتصافه بالصفات المذكورة مستدع لها وقصر الصفات
اختصاص دعائه عليهم بها وانقطاع رجائه عما سواه بالكلية والمنّان صيغة مبالغة من المنّ قال صاحب الاثير المنان هو
المنعم المعطي من المنّ بمعنى العطاء لا من المنّة وكثيرا ما يرد المنّ في كلامهم بمعنى الاحسان الى من لا يستثيبه ولا يطلب
الجزاء عليه قال البرهان الرشيدي ان الصفات التي على صيغة المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة
فيها فان المبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ
تقي الدين السبكي وقال الزركشي في البرهان التحقيق ان صيغ المبالغة قسمان احدهما ما تحصل المبالغة
فيه بحسب زيادة الفعل والثاني بحسب المفعولات ولا شك ان تعددها لا يوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد
قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا تنزل صفاته تعالى ويرتفع الاشكال انتهى والحميد المحمود على كل حال فعيل
بمعنى مفعول والمبدئ المعيد معناهما الموجد لكن الايجاد اذا لم يكن مسبوقا بمثله سمي ابداء [illegible] ابداء
لتعلقه بالاشياء من غير سابق مثال واذا كان مسبوقا بمثله سمي اعادة والله تعالى بدأ الخلق ثم هو يعيدهم
اي يبعثهم يوم القيمة قال تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده انه هو يبدئ ويعيد والفعال لما يريد
الذي لا يتخلف عن ارادته مراد ولا يمنعه عنه مانع اذ الحكم لا يجري عليه وصيغة المبالغة لما مرّ من
انها بحسب تعدد المفعولات وكثرتها اذ كان ما يفعله ويريده في غاية الكثرة وقيل معنى المبالغة
فيه ان ما يريده فانه يفعله البتة لا يصرفه عنه صارف قال تعالى ان ربك فعال لما يريد

والله اعلم

قد فرغت من تسويده بعون الله وحسن توفيقه ليلة السبت [illegible] خلون من [illegible]
من شهور سنة ثمانين وثلثين ومائة والف من الهجرة المقدسة على هاجرها الف
وآله الصلوة والتحية بالنجف [illegible] في الجملة وكتب [illegible] في [illegible]
حين الكتابة [illegible] المسمى الحرّ محمد بن طاهر
والحمد لله اولاً وآخراً وباطناً وظاهراً
وصلى الله على محمد المصطفى
وآله الذين هم مصابيح
الدجى ومفاتيح
الهدى
ه

ابداء
ابداءً

الصفحة الأخيرة من نسخة المكتبة الخاصّة للفاضل يوسف محسن الأردبيلي في زنجان المرموز لها بـ(ح)

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل بنبيّه أحمد نظام الدين، وشرح بوصيّه علي صدر الدين، صلّى الله عليهما وعلى أبنائهما الهادين، أئمّة الأُمّة والخلفاء الراشدين.

و بعد: فيقول الفقير إلى ربه الغنيّ علي صدرالدين بن أحمد نظام الدين الحسيني الحسني أنالهما الله من فضله السني:

حدّثنا والدي السيد الأجل أحمد نظام الدين عن والده السيد الجليل محمد معصوم، عن شيخه المحقّق المولى محمد أمين الاسترابادي، عن شيخه طراز المحدّثين الميرزا محمد الاسترابادي، عن السيد أبي محمد محسن، قال: حدّثني أبي علي شرف الآباء، عن أبيه منصور غياث الدين، أُستاد البشر، عن أبيه محمد صدر الحقيقة، عن أبيه منصور غياث الدين، عن أبيه محمّد صدرالدين، عن أبيه إبراهيم شرف الملّة، عن أبيه محمّد صدر الدين، عن أبيه إسحاق عزّ الدين، عن أبيه علي ضياءالدين، عن أبيه عربشاه زين الدين، عن أبيه أبي الحسن أمير أنبه نجيب الدين، عن أبيه أميري خطير الدين، عن أبيه أبي علي الحسن جمال الدين، عن أبيه أبي جعفر الحسين العزيزي، عن أبيه أبي سعيد علي، عن أبيه أبي إبراهيم زيد الأعشم، عن أبيه أبي شجاع علي، عن أبيه أبي عبدالله محمّد، عن أبيه علي، عن أبيه أبي عبدالله جعفر، عن أبيه أحمد

السكين، عن أبيه جعفر، عن أبيه أبي جعفر محمد، عن أبيه زيد الشهيد، عن أبيه علي زين العابدين، عن أبيه الحسين سيّدالشهداء، عن أبيه أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السّلام قال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: وقد سئل بأيّ لغة خاطبك ربّك ليلة المعراج ؟ قال: «خاطبني بلسان علي (عليه السّلام) فألهمني أن قُلتُ: ياربّ خاطبتني أم علي، فقال: يا أحمد أنا شيء ليس كالأشياء، لا أُقاس بالناس، ولا أُوصف بالشبهات، خلقتك من نوري، وخلقت علياً من نورك ، اطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد في قلبك أحبّ من علي بن أبى طالب (عليه السّلام) فخاطبتك بلسانه كيما يطمئنّ قلبك».

توضيح

أقول: هذا الحديث الشريف، رواه أيضاً أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد الخوارزمي، المعروف بأخطب خوارزم(١) في الباب السادس من كتاب مناقب أميرالمؤمنين (عليه السّلام) بسند آخر وتغيير يسير في متنه. ونصّه: أخبرنا أبوالقاسم نصر بن محمد بن علي بن زيرك المقري، حدّثنا والدي أبوبكر محمّد، قال: حدّثنا أبو علي عبدالرحمن بن محمد بن أحمد النيسابوري، حدّثنا أحمد بن محمد بن عبدالله النانجي البغدادي من حفظه بدينور، حدّثنا محمد بن جرير الطبري، حدّثنا محمد بن حميد الرازي، حدّثنا العلاء بن الحسين الهمداني، حدّثنا أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي، عن عبدالله بن عمر، قال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسئل بأىّ لغة خاطبك ربّك ليلة المعراج؟ قال:

---

(١) هو أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد البكري المعروف بـ«أخطب خوارزم». تولّد سنة ٤٨٤ هجريّة وتوفّي سنة ٥٦٨هجريه. وله كتاب في مناقب أهل البيت عليهم السّلام.
الكنى والألقاب: ج٢ ص١١.

«خاطبني بلغة علي (عليه السّلام)، فألهمني أن قلت: يا ربّ خاطبتنى أم علي فقال يا محمّد [احمد]، أنا شيء لا كالأشياء، لا أُقاس بالّناس، ولا أُوصف بالشبهات، خلقتك من نوري، وخلقت عليّاً من نورك فاطّلعت على سرائر قلبك، فلم أجد أحداً إلى قلبك أحبُّ من علي بن أبي طالب (عليه السّلام)، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئنّ قلبك»(١) انتهى.

و اللغة: كاللسان، كما يطلق على ما يعبّر به كلّ قوم عن [من] أغراضهم، كلغة العرب، ولغة العجم، يطلق على ما يعبّر به الانسان الواحد عن غرضه من النطق، وتقطيع الصوت، الذين يمتاز بهما الاشخاص بعضها عن بعض، ويعبّر عنها باللهجة.

فقول السائل في الحديث: «بأيّ لغة خاطبك ربّك؟»(٢) يحتمل المعنيين، وقوله (عليه السّلام): «خاطبني بلسان علي، أو بلغة علي» كما في رواية الخوارزمي(٣) مراد به المعنى الثاني وهو يتضمن الجواب عن المعنى الأوّل أيضاً إن كان مراداً، لأنّ لغة علي (عليه السَّلام) كانت عربيّة.

و قاس الشيء بالشيء: قدّره به أي: جعله على مقداره.

و الشبهات: جمع شبهة كغرفة وغرفات.

قال في القاموس: الشبهة: بالضمّ الالتباس والمثل(٤) إنتهى.

و ارادة المعنى الثاني هنا أظهر، أي لا يوصف بالأمثال و إن كان المعنى الأوّل أيضاً ظاهراً.

رجع: وحدّثنا والدي بالسند المذكور: انّه قال (صلّى الله عليه وآله): «إنّ عليّاً (عليه السّلام) لأخيشنّ في ذات الله»(٥).

---

(١) المناقب للخوارزمي: ص٣٦، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) و (٣) نفس المصدر السابق.

(٤) القاموس المحيط: ج٤، ص٢٨٨.

(٥) سفينة البحار: ج١، ص ٣٨٦.

توضيح

الأخيشن: تصغير «أخشن»، افعل تفضيل من خشن خشونة ضدّ «لان».

قال في الأساس: و من المجاز: فلان خشن في دينه إذا كان متشدّداً فيه(١)، انتهى.

و التصغير هنا للتعظيم كقوله: دويهيّة تصفرّ منها الأنامل.

و أخيشن ممنوع من الصرف لوزن الفعل المفتتح بزيادة هي بالفعل أولى مع [من] الصفة، لانّ مدار وزن الفعل المذكور وجود الزيادة، وإن زالت صورته. وهذه فائدة قلّ من نبّه عليها.

و ذات الله: عبارة عمّا يضاف إليه سبحانه من الأوامر والحدود والأحكام، كجنب الله في قوله: «يَاحسْرَتىٰ عَلىٰ مَافَرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ»(٢) وفيه شاهد على استعمال ذات بهذا المعنى، وردّ على من أنكره، على انّه قد حكي عن صاحب التكملة: جعل الله ما بيننا في ذاته، وقال أبو تمام: ويضرب في ذات الإله فيوجع(٣).

و المعنى: أنّه (عليه السّلام) شديد التصلّب، والتشدّد في الأُمور الإلٰهيّة لا يداري فيها ولا يداهن ولا تأخذه لومة لائم.

رجع: و بالسند المذكور أيضاً أنّه قال (صلّى الله عليه وآله): «انّ عليّاً ممسوس في ذات الله»(٤).

---

(١) أساس البلاغة: ص ١٦٤، وليس فيه: «ومن المجاز».

(٢) سورة الزمر: الآية: ٥٦.

(٣) المصباح المنير: ص ٢٨٩.

(٤) المناقب لابن شهراشوب: ج٣، ص٢٢١.

توضيح

في الأساس: رجل ممسوس: مجنون(١).

وفي المجمل: الممسوس الذي به مسّ من جنّ(٢)، انتهى.

و هو إمّا على التشبيه بحذف الأداة أو على الاستعارة كقوله تعالى: «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ»(٣) ولأئمّة البيان خلاف هل يسمّى ذلك تشبيهاً أو استعارة؟ والمحقّقون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة. ولبعضهم في ذلك تفصيل ذكرناه في أنوار الربيع(٤)

و الحاصل: أنّه (عليه السّلام) شبّهه صلوات الله عليه في تشدّده وتصلّبه في الأمور الإلٰهيّة، وعدم ملاحظته للوم لائم أو رعاية جانب بالمجنون الذي لا يبالي بما يقال فيه من لوم أو مذمّة،ولذلك نسبه أعداؤه إلى الحمق وعدم المعرفة بتدبير الحروب، واستمالة قلوب الرجال حتّى فارقه كثير من أصحابه، والتحقوا بمعاوية وهو (عليه السّلام) لا يلتفت إلى شيء من ذلك في التصميم على إيثار الحقّ والعدل والعمل بهما ولو كره الكافرون.

حكى الشعبي(٥) قال: دخلت الكوفة وأنا غلام في غلمان فإذا أنا بعلي (عليه السّلام) قائماً على صبرتين من ذهب وفضّة فقسّمهما بين الناس حتّى لم

---

(١) اساس البلاغة: ص٤٢٩.

(٢) المجمل في اللغة لابن فارس مخطوط: ج٢، ص١٢٨، في مادة «مسّ».

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨.

(٤) انوار الربيع: ج١، ص٢٩٥.

(٥) هو ابو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي الشعبي، يُنسب إلى همدان، من التابعين، وكان فقيهاً شاعراً، روى عن خمسين ومائة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله.

الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص ٣٢٧.

يبق شيء، ثم انصرف ولم يحمل إلى بيته قليلاً ولا كثيراً، فرجعت إلى أبي فقلت: لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحمق الناس؟ قال: من هو؟ قلت: علي بن أبي طالب (عليه السّلام) رأيته يصنع كذا، فقصصت عليه فبكى وقال: يا بنيّ بل رايت خير الناس (١).

و قال ابن أبي الحديد: (٢) «كان (عليه السّلام) شديد السياسة خشناً في ذات الله لم يراقب ابن عمّه(٣)، في عمل كان ولّاه إيّاه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به، وأحرق قوماً بالنار وقطع جماعة وصلب آخرين ولم يبلغ كلّ سائس في الدنيا في فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر ممّا فعل (عليه السّلام) في حروبه بيده وأعوانه» (٤)، انتهى.

و يحتمل أن يكون وجه التشبيه له بالممسوس ما كان يعتريه (عليه السّلام) من الغشية والهزّة لخشية الله عند اشتغال سرّه بملاحظة جلال الله ومراقبة عظمته كما تضمّنه حديث أبي الدرداء، الذي حكى فيه شدّة عبادته (عليه السّلام) حتّى قال: فأتيته فاذا هو كالخشية الملقاة فحرّكته فلم يتحرك فأتيت منزله مبادراً أنعاه. فقالت فاطمة عليها السّلام: ما كان من شأنه فأخبرتها فقالت: هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله تعالى، الحديث(٥).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢ ص١٩٨.

(٢) هو عزالدين عبدالحميد بن محمد بن أبي الحديد المدائني، الفاضل الاديب المؤرخ الحكيم الشاعر، شارح نهج البلاغة، وصاحب القصائد السبع المشهورة، كان مذهبه الاعتزال كما شهد لنفسه في احدى قصائده فى مدح أميرالمؤمنين صلوات الله عليه بقوله:

و رايت دين الاعتزال و أنني ... أهوى لأجلك كلّ من يتشيّع

كان مولده سنة ٥٨٦هجرية، و توفي ببغداد سنة ٦٥٥هجرية. الكنى والألقاب: ج١ ص١٨٥.

(٣) أي عبدالله بن عباس.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١، ص٢٨.

(٥) بحار الأنوار: ج٤١، ص١٢.

وعن زين العابدين (عليه السّلام): لما نزلت الآيات الخمس في طس «أمّن جعل الأرض قرارا» انتفض عليٌّ انتفاض العصفور فقال له: رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «ما بالك يا علي؟ قال: عجبت يا رسول الله من كفرهم وحلم الله تعالى عنهم» الحديث(١).

والله تعالى أعلم بمقاصد أنبيائه.

رجع: وبالسند المتقدّم: إنّ علياً (عليه السّلام) قال: «كان لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) سرّ قلّما عُثر عليه»(٢).

توضيح

ما المتصلة بـ«قلّ» زائدة كافّة للفعل عن عمل الرفع وطلب الفاعل عند الجمهور. ولا تتّصل إلاّ بـ«قلّ»، وكثر، وطال.

وزعم بعضهم إنّها في ذلك مصدريّة لا كافّة وهي وصلتها فاعل قلّ، أي قلّ عثور عليه.

وعلى كلّ تقدير فلقلّ حين اتّصال «ما» بها اسعمالان:

أحدهما: استعمالها بمعنى النفي،لأنّ القليل أقرب شيء إلى النفي فيقوم مقامه وهو الأكثر. ومنه قول الشاعر:

قلّما يَبرحُ اللبيبُ إلى ما يُورثُ المجدَ داعياً و مجيباً (٣)

أي لا يبرح(٤) العاقل على إحدى هاتين الحالتين: إمّا داعياً إلى ما يورث المجد، أو مجيباً لما يدعوا إليه.

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٣ ص٢٠٧. (٢) الجواهر السنيّة: ص١٣٧.

(٣) مغني اللبيب لابن هشام: ص٤٠٤ رقم الشاهد ٥٦٩.

(٤) لا يبرح: اي لا يزال. المصباح المنير: ص٥٨.

و الثاني: استعمالها لمعنى القليل حقيقة، فتدلّ على وجود الشيء نزراً لا على نفيه. وهذا هو الأصل فيها.

إذا عرفت ذلك، فالظاهر إنّ المراد هنا: المعنى الثاني لا الأوّل إذ كان مفاد إخباره (عليه السّلام) بهذا السرّ لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) إطّلاعه هو عليه، دون غيره وإلاّ فلكلّ أحد سرّ قلّما عثر عليه. ولو لا إطّلاعه عليه لما علم ولا أخبر بأنّ له (صلّى الله عليه وآله) سرّاً بهذه المثابة.

و فائدة الإخبار بذلك تحدّثه بما أنعم الله تعالى عليه به من إختصاصه برسوله (صلّى الله عليه وآله) واطّلاعه على سرّه دون غيره. مضافاً إلى سائر خصائصه الشريفة التي كانت له من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وتنكير المسند إليه من قوله: «سرّ» إما للنوعيّة أي نوع من السرّ غير ما يتعارفه الناس، أو للتعظيم أي سرّ عظيم بلغ في عظم شأنه أنّه لا يمكن أن يعثر عليه كلّ أحد، والله أعلم بمقاصد أوليائه.

رجع: و حدّثنا والدي قدّس سرّه بالسند المذكور متّصلاً إلى زيد الشهيد(١) أنّه قال: سمعت أخي الباقر (عليه السّلام) يقول: سمعت أبي زين العابدين يقول: سمعت أبي الحسين يقول: سمعت أبي علي بن أبي طالب (عليه السّلام) يقول: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: نحن بنو عبدالمطلب ما عادانا بيت إلّا وقد خرب، ولا عاوانا كلب إلاّ وقد جرب، ومن لم يصدّق فليجرّب (٢).

توضيح

قوله (صلّى الله عليه وآله): «بيت» أي أهل بيت كقوله تعالى: «فَلْيَدْعُ

---

(١) هو أبوالحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السّلام) المعروف بزيد الشهيد، استشهد في يوم الاثنين ٢/صفر سنة ١٢١هجريّة، وله اثنان وأربعون سنة. وقد تعرّض المؤلف لترجمته مفصلاً كما ستقف عليه قريباً.

(٢) كتاب زيد بن علي: ص ١٠٠ نقلاً من وقائع الايام (الصيام) ص٨٨.

نَادِيَهُ»(١) وقوله: «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ»(٢).

قوله (عليه السّلام): «و ما عاوانا كلب» أي عوى علينا، وإيثار صيغة المفاعلة لإفادة المبالغة فانّ الفعل متىٰ غولب فيه بولغ فيه قطعاً وعليه قوله تعالى: «يُخَادِعُونَ اللهَ»(٣) على ما قاله الزمخشري(٤) وغيره من المفسّرين(٥).

و مفاد المبالغة في الخبر أنّ مضمونه مقصور على من تمادى في عنادهم، ولحّ [لجّ] وأصرّ على خصامهم دون من وقع ذلك منه نادراً ثم تاب وأصلح.

و «الكلب» مستعار لمن هو في الخسّة بمثابته والله أعلم.

قال راقم هذه الأسطر علي صدرالدين بن أحمد نظام الدين بن محمد معصوم بن أحمد نظام الدين بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود بن محمّد صدر الحقيقة بن منصور غياث الدين المذكور في سلسلة السند:

هذه الأخبار الخمسة من مسلسل الحديث بالآباء بسبعة وعشرين أباً، وقلّما اتّفق ذلك في أخبار الخاصّة حتّى قال شيخنا: الشيخ زين الدين الشهيد «قدّس سرّه»(٦) في شرح الدّراية بعد ايراد الحديث المسلسل المروي عن أبي محمد

---

(١) سورة العلق: الآية ١٧.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٩.

(٤) هو جارالله، أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، وكان متضلّعاً في التفسير والنحو واللغة، له تصانيف معروفة:

منها: أساس البلاغة، والأنموذج، والفائق، وربيع الأبرار، والمفصّل، والكشاف عن حقائق التنزيل وهو أشهر كتبه. ولد سنة (٤٦٧) هجريّة بزمخشر وتوفي سنة (٥٣٨) هجريّة بجرجانية خوارزم.

الكنىٰ والألقاب: ج٢ ص٢٦٧.

(٥) الكشاف للزمخشري: ج١ ص٥٨.

(٦) هو: الشيخ الشهيد زين الدين بن نورالدين علي بن أحمد العاملي، المعروف «بالشهيد الثاني» وكان والده من أكابر فضلاء عصره، وقد قرأ عليه ولده الشهيد جملة من الكتب العربيّة والفقه.

ولد الشيخ زين الدين سنة (٩١١) هجريّة في جُبع، واستشهد سنة (٩٦٥) هجريّة وقد قضىٰ عمره ←

الحسين بن علي بن أبي طالب البلخي بأربعة عشر أباً.

هذا أكثر ما اتّفق لنا روايته من الأحاديث المسلسلة بالآباء انتهى. ولله الحمد.

قال راقمه: واتّفق توضيح ما لعلّه يحتاج إلى التوضيح عجالة حال رقم الأخبار في هذه التذكرة، ولم أقف على شيء من ذلك لأحد من السلف فان أصبت فببركات أهل البيت عليهم السّلام والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. ورقّم ذلك عشيّة يوم السبت لخمس بقين من شهر ربيع الأوّل سنة تسع ومائة وألف. أحسن الله ختامها.

و لراقمه عفى الله عنه في مدح أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين صلوات الله وسلامه عليه وعلى ذريّته:

أمير المؤمنين فدتك نفسي ... لنا من شأنك العجب العجابُ

تولّاك الأُولى سعدوا ففازوا ... و ناواك الذين شقوا فخابوا

ولو علم الورى ما أنت أضحوا ... لوجهك ساجدين ولم يحابوا

يمين الله لو كشف المغطّى ... و وجه الله لو رفع الحجابُ

خفيتَ عن العيون وأنت شمسٌ ... سمت عن أن يجلّلها سحابُ

و ليس على الصباح إذا تجلّى ... و لم يبصره أعمى العين عابُ

لسرٍّ ما دعاك أبا تراب ... محمّد النبيّ المستطابُ

فكان لكلّ من هو من تراب ... إليك وأنت علّته انتساب

فلولا أنت لم تخلق سماء ... و لولا أنت لم يخلق تراب

الشريف المبارك في السفر والترحال، ومع ذلك استطاع أن يصل إلى درجات رفيعة في العلم والمعرفة، وقد نبغ في الفقه خاصة، وألّف كتباً كثيرة خلال عمره القصير تصل إلى مئتين رسالة أهمها: الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة، وروض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، ومسالك الافهام في شرح شرائع الإسلام، وتمهيد القواعد الأصوليّة والعربية، ومنية المريد.

و لسبب شهادته قصّة مفصّلة كما حكاها صاحب أعيان الشيّعة: ج٧ ص١٤٣، فراجع.

و فيك وفي ولائك يوم حشر يُعاقب من يُعاقب أو يُثابُ
بفضلك أفصحت توراة موسى و إنجيل ابن مريم والكتابُ
فيا عجباً لمن ناواك قد ماً و من قوم لدعوتهم أجابوا
أزاغوا اعن صراط الحق عمداً فضلّوا عنك أم خفي الصوابُ
أم ارتابوا بما لا ريب فيه و هل في الحقّ إذ صدع ارتيابُ
و هل لسواك بعد غدير خمّ نصيبٌ في الخلافةِ أو نصابُ
ألم يجعلك مولاهم فذلت على رغم هناك لك الرقابُ
فلم يطمح إليها هاشميّ و إن أضحى له الحسبُ اللُبابُ
فمن تيم ابن مرّة أو عديّ و هم سيّان إن حضروا وغابوا
لئن جحدوك حقّك عن شقاء فبالأشقين ما حلّ العقابُ
فكم سفهتْ عليكَ حلومُ قومٍ فكنتَ البدر تنبحه الكلابُ(١)

من الفصول القصار لراقمه علي صدر الحسيني:
طوبى لمن آمن بالله، ولم يكن عن ذكره مالاً.
السعيد: من اتّسم بالتقى، واعتصم العروة الوثقى.
الكبر: كبيرة لا تغفر.
والتواضع: نعمة لا تكفر.
الإحسان: أحسن شيم الإنسان.
حسن الصمت: من حسن السمت.
اقتران العلم بالعمل: كاقتران النجح بالأمل.
من صدقت لهجته: ظهرت بهجته.
من علت شيمته: غلت قيمته.
من المحال: بقاء الدهر على حال.

(١) الغدير: ج١١، ص ٣٤٦.

النجاة من خطوب الدهر: مستحيلة.

و الصبر: حيلة من ليس له حيلة.

كشف الايله المغطى: ثم ذهب إلى أهله يتمطّى.

فتح العين إلى الحسن أَلذّ من غمضها على الوسن.

الشريف: من شرف بسلامه الجمع، وشنف بكلامه السمع.

ما كلّ كلمة تقال، ولا كلّ عثرة نعال.

ما كلّ ثمرة حلوة المجتنىٰ، ولا كلّ درّة تدّخر وتقتنى.

ما كلّ ناظم مجيد، ولا كلّ منظوم يناط بالجيد.

ما كلّ نافخة ريّا، ولا كلّ عقدٍ عقد الثريا.

من كثرت عطاياه: غفرت خطاياه.

النذل لا يرجى منه البذل.

عذر الشحيح، ليس بالصحيح.

اتّفقت المذاهب على مدح المواهب.

الكريم: من إذا وهب، فضّ الفضّة، و أذهب الذهب.

منِ اتّسع صدره: ارتفع قدره.

قال ذلك بفمه ورقمه بقلمه: علي صدرالدين الحسيني تذكرة للسيّد الجليل الأيد المثيل، المتفرّع من دوحة العترة النبويّة، المترعرع من سرحة الأُسوة العلويّة الحسني وفقه الله تعالى لمراضيه وجعل حاله في مستقبله خيراً من ماضيه. في التاريخ المزبور آنفاً. والسلام خير ختام والحمدلله أوّلاً وآخراً.

* * *

شرح الصحيفة السجّاديّة الموسوم برياض السالكين

بســـم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنّا نحمدك حمداً تؤتينا به من صحائف الحسنات صحيفة كاملة. ونشكرك شكراً تولينا به من نعمك الحسنات نعمة شاملة. تصديقاً لوعدك السابق لعبادك الشاكرين. وتحقيقاً لرجاء فضلك السابغ على عُبّادك [طلّابك] الذاكرين. وإلّا فاقصىٰ الشكر. ولو كان البحر له مداداً. قاصر عن أن يكون لأدنى سوالف آلائك عداداً. لا سيّما ما هديت له من الإعتراف بوحدانيّتك التي شهدت بها السماء مزيّنة بالكواكب. والأرض حاملة أثقالها على المناكب. والصباح هاتكاً لستور الظلماء نهاره. مطّردة في حدائق الخضراء أنهاره. والمساء رافلة في حلل السواد أساهم ليله. راكضة في ميادين الظلام أداهم خيله. والماء بائحاً صفاؤه بأسراره. لائحاً حصباؤه في قراره. والنار لامعة سبائك ذهبها. نائسة ذوائب لهبها والهواء حاملاً للماء في بطون الغمام. سائراً بالجواري المنشآت في البحر كالأعلام. كلّها ألسنة ناطقة بوحدانيّتك. وأدلّة ثابتة على فردانيّتك. مرغمة بشهادتها أنف كلّ منكر وجاحد. بل في كلّ شيء لك آية تدلّ على أنّك واحد.

ثم ما وفّقت له من الإقرار بالنبوّة المحمديّة والإمامة الإثنى عشريّة الّذي اخذت به المواثيق والعهود من أوّل يوم إلى اليوم المشهود. ونصلّي ونسلّم على نبيّك الذي أرسلته رحمة للعالمين. وأنزلت على قلبه الروح الأمين. ليكون من المنذرين

بلسان عربيّ مبين. وعلى أخيه و وصيّه الذي جعلته ردءاً له وظهيراً.وسائر أهل بيته الذين أذهبت عنهم الرجس وطهّرتهم تطهيراً.

و بعد فيقول العبد الفقير الى ربّه الغني: علي صدرالدّين المدني ابن أحمد نظام الدّين الحسيني الحسني أنالهما الله تعالى من فضله السنيّ:

هذا شرح مفيد و صرح(١) مشيد علّقته على الصحيفة الكاملة: إنجيل أهل البيت، وزبور آل محمّد عليهم السّلام المنسوبة إلى سيّد العابدين وقدوة الزاهدين إمام الثقلين علي بن الحسين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه المجتبين. يفتح مقفلها، ويفصّل مجملها،ويظهر كنوزها،ويحلّ رموزها،على إنّي معترف والصدق منجاة بأنّ الباع قصير،والبضاعة مزجاة،وانّي لمرتعش الجناح تسنّم هذا المطار، ولمرتعد الجنان تقحّم هذه الأخطار. بَيْدَ أنّي بنفس مُنشئها أستمدّ وأستعين وببركات أهل البيت عليهم السّلام أرد هذا العذب المعين،ولا أعلم سابقاً سبقني إلى هذا الغرض والقيام بأداء هذا الحكم المفترض ـ سوى ما حرّره جماعة من أصحابنا المتأخرين شكرالله سعيهم وأحسن يوم الجزاء رعيهم، من تعليقات تتضمّن حلّ بعض ألفاظها وتفسير يسير من أغراضها وهي لا تبرد غليلاً ولا تبرء عليلاً.

و أمّا شرح شيخنا البهائي(٢) قدّس الله تعالىٰ روحه الزكيّة الذي سمّاه حدائق

---

(١) الصرح: بيت واحد يبنى مفرداً طويلاً ضخماً، وصرحة الدار: ساحتها. المصباح المنير: ص٤٦٠.

(٢) شيخ الاسلام والمسلمين بهاء الملة والدين محمد بن الحسين بن عبدالصمد الجبعي العاملي الحارثي. قال صاحب السلافة في حقّه ما ملخصه: هو علّامة البشر ومجدد دين الائمة عليهم السّلام على رأس القرن الحادي عشر.

ولد ببعلبك سنة ٩٥٣هـ، وانتقل مع والده الى اصفهان، وتتلمذ على يد والده وجهابذة العلم حتى صار في بلاد ايران شيخ الاسلام وفوضت إليه أُمور الشريعة.

له مصنفات فائقة مشهورة اكثرها مطبوعة منها: حبل المتين، ومشرق الشمسين، والأربعين، والجامع العباسي، والكشكول، والمخلاة، والعروة الوثقىٰ، ونان وحلوا، والزبدة، والصمدية، وخلاصة الحساب، وتشريح الأفلاك، والرسالة الهلالية، ومفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة، وكتب اخرىٰ تكشف عن ←

الصالحين وأشار إليه في الحديقة الهلاليّة فهو مجاز لا حقيقة، إذ لم تقع حدقة منه على غير تلك الحديقة،ولعمري لو أتّمه على ذلك المنوال،لكفى من بعده تجشّم الأهوال، ولكن عسى أن يثمر غرس الأمانيّ فأكون عرابة(٢) هذه الراية في زماني. وإذا كانت عمومات مواهب الواهب غير مدفوعة،وفيوضات فيضه الواسع لا مقطوعة ولا ممنوعة، فغير بدع أن تشرق أشعّة نور فضله العميم على مرآة من لا يرى نفسه أهلاً لهذا التكريم،وعليه سبحانه قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل. وإذا أشرق الله تعالى بدره المنير من افُق التمام، وتفتّق زهرة النضير من حجب الكمام.

سمّيته برياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، و إلى الله تعالى

تضلعه بمختلف العلوم والفنون. ومازالت بعض مخترعاته العلمية إلى اليوم سراً من الأسرار.

و نقل عن المولى الفاضل معزالدين محمد أقضى قضاة أصفهان أنّهٔ قال: رأيت ليلة من الليالي في المنام أحد ائمتنا عليه السّلام فقال لي: اكتب كتاب مفتاح الفلاح وداوم العمل بما فيه، فلما استيقظت ولم أسمع اسم الكتاب قط من أحد، فتصفحت من علماء اصفهان فقالوا: لم نسمع اسم هذا الكتاب. وفي هذا الوقت كان الشيخ البهائي (قدّس سرّه) في معسكر السلطان في بعض نواحي ايران. فلما قدم تصفحت منه أيضاً عن هذا الكتاب، فقال: صنّفت في هذا السفر كتاب دعاء سميته مفتاح الفلاح إلا اني لم اذكر اسمه لواحد من الاصحاب ولا اعطيت نسخته للانتساخ فذكرت للشيخ المنام فبكى الشيخ و ناولني النسخة التي بخطه وانا أول من أنتسخها. توفى قدّس سرّه سنة ١٠٣١هجريّة باصفهان وحمل جنازته الشريفة الى مشهد ودفن فيها قريباً من الحضرة الرضويّة على ساكنها آلاف التحية والسّلام. الكنى والالقاب ج٢ ص٨٩.

(٢) قوله: «فأكون عُرابة هذه الراية في زماني» تلميح الى قول الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

و عُرابة هذا: عُرابة بن أوس الأوسي. والبيت للشماخ يمدحه.

و روي انّه قيل لعرابة المذكور: أنت الذي يقول لك الشماخ:

رأيت عُرابة الأوسي يسعو الى الخيرات منقطع الوتين

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

فيم سدت قومك ؟

قال: والله ماأنا بأكرمهم حسباً. ولا بأفضلهم نسباً. ولكني أعرض عن جاهليهم،واسمع لسائليهم، فمن عمل عملي فهو مثلي، ومن زاد فهو أفضل منّي ،ومن قصر فانا أفضل منه.

أرفع أكفّ الدعاء، وأتشفّع إليه بأكرم الشّفعاء، أن يرفع حجب العوائق عن إتمامه، وأن يشفع حسن إبتدائه بحسن ختامه، وأن يسدّدني فيه للصواب، وأن يثيبني عليه جميل الذكر وجزيل الثّواب.

ثم لما أينعت ثمرات تمامه في رياض الوجود، وأكرمني باجتناء زهرات كمامه مفيض الكرم والجود. قدّمته -وهو الحريّ بالتقديم- على كلّ حديث من الشروح وقديم، إلى الحضرة التي هي مجمع الخلافة والإمامة، ومطلع الشرف المظلّل بالغمامة، ومشرق الأنوار المصطفويّة، ومعدن الأسرار الصفويّة ومرتع العدل، ومترع الفضل، ومشعر المجد، ومشرع البذل، ومستقى الجود والكرم، وملتقى شرفي طيبة والحرم.

حيث الخلافة مضروب سرادقها ... بين النقيضين من عفوٍ ومن نِقَمِ
وللإمامةِ أنوارٌ مقدّسة ... تجلو البغيضين من ظُلْم ومن ظُلَم
و للنبوّةِ آياتٌ تَنَصُّ لَنا ... على الخفيّين من حُكم ومن حِكَم
و للمكارم أعلام تعلّمنا ... مَدْحَ الجزيلين من بأسٍ ومن كَرَم
و لِلعلى ألسُن تثني محامدُها ... على الحميدين من فِعْلٍ ومن شِيَم
و رايةُ الشرَفِ البَذّاخِ(١) تَرفعُها ... يدُ الرفيعينِ من مجدٍ ومن هِمَم

حضرة سيّد سلاطين الأُمم، ومالك ملوك العرب والعجم، حامي حمى الإيمان، وماهد مهاد الأمان، صفوة الله التي خلع عليها خلع التشريف، وخيرته التي ملّكها أعنة التصريف، ونخبته التي جمع لها من شريف النسب بين التالد والطريف، وخلاصته التي مدّ عليه من كريم الحسب، مديد ظلّه الوريف(٢):

فخارٌ لو أنّ النجم أُعْطِيَ مثلَه ... ترفّعُ أنْ يأوي أديم سماءِ
مَغارِسُ طالت في رُبى المجد والتَفّتْ ... على أنبياءِ اللهِ والخلفاءِ

---

(١) شرف باذخ: أي عال.

(٢) ظل وارف: أي واسع.

أعظم ملك خفقت عليه الأعلام والبُنُود(١)، وأفخم سلطان حفّتْ به الكتائب والجنود، وأعدل إمام إتّسق به نظام الوجود، وأكرم هُمام تفجّرت من أنامله ينابيع الجود، وأسطى باسل تتّقي بأسه الأُسود، وأعطى باذل تنير بكرمه الليالي السود.

ملكٌ إذا ضاقَ الزمان بأهلِه ... بُخلاً توسّع في المكارم وانفسحْ

تكبو السحائب إذ تُجاري كفَّه ... فالغيثُ في وجناتها عَرق رَشح

تستحقرُ الأسيافُ عاتِقَ غَيره ... و تقول دونكَ والقلائد والسُبَح

و يكلّفُ الأسدَ الهَصُوَر بعدلِهِ ... في القَفرِ أن يَرعى الغزال إذاسَنح

كم من خَطيبٍ ذاكرٍ غيرَ اسمهِ ... لما تَنحنحَ قال مِنبرهُ تَنَح

الباسمة ثغور الثُغور عن شنب(٢) نصره، والناسمة قبول القبول للدّاعين بامتداد عصره، مقيم قسطاس العدل في العباد والبلاد،ومُنيم الأجفان في ليل الأمن بكسرها يوم الجِلاد،اماحي سطور الحيف بلسان السيف. ومعيد ليالي الخوف كليالي الخيف،فما للفتنة في عهده أثر سوى ما في سود المحاجر، ولا للظلم خبر سوى ما تفعله بالأُسود(٣)غزلان حاجر، مَنْ تشرّفت به ظهور المنابر والأسرّة، وأظهر الله به في الوجود حكمة اصطفائه له وسرّه، وأصبح الإسلام به منشرح الصدر، ويومه به يوم بدر، وليلته ليلة القدر(٤) وعاد روض الندى والبأس مخضلاً بعد إهتيافه، مخضرّاً بهواطل سماحه، وجداول أسيافه، وراح جبين الشرف(٥) مكلّلاً بتاج ذِكرِه، وجيدُ الكرم مقلَّداً بطوق حمده وشكره. وقامت سوق المفاخر به على ساقها، وثابت نفس المكارم بعد سياقها، واستأنف الملك به عمراً جديداً، وتفيّأ من روح

(١) البند: العلم الكبير.

(٢) الشنب: برد وعذوبة في الأسنان.

(٣) (ج): أُسود خفان، وخفّان كفعّال: مأسدة بين الثني وعُذيب، فيه غياض ونُزوز، وهو معروف. لسان العرب: ج١٣، ص١٤١.

(٤) (الف) و (ج): البدر.

(٥) (الف): الشوق.

اقباله ظلاًّ مديدًا، واشتملت منه ترائبه على العقد الثمين، وحلّ من كنفه المحوط بالحرم الأمين، وأنار بصبح حسامه الأبيض ليل قتامه الأسود، وجنى روض نصره الأخضر بأنامل وشيجه(١) الأسمر، وأجرى نهر النجيع(٢) الأحمر من وريد عدوّه الأزرق.

مَلِكٌ أفاضَ على البريّة جاهَه و أفادَ أملاكَ البسيطةِ جاهَها
فتطاولَت شَرفاً به لمّا ادّعَته مِليكها ودعته شاهنشاهَها
لو شآءَ أن يمشي على جبهاتها بسطت له فوق التراب جباهها
فرد تفرّد عن شَبيه في العُلى بصفات مجد لن ترى أشباهها
يستحقر الوفد البحارَ إذارأى جَدْوى يديه ويَستقل مياهَها
كرَمٍ إذا جَمدَ الغمامُ همَى لَه جود على السنة الجمادِ فَماهَها
وَجلَتْ لِسطوته النفوسُ وأنّه ما زالَ يوسعُ عدلُه ارفاهَها
تغضي(٣) العيون إذا تجلّى هيبة و تطيل ألِسنَةَ الرِّجالِ سُباهَها(٤)
و تخرّ للأذقان ساجدة له صِيد الملوكِ إذا رَأته تجاهَها
حتى إذالثِمت مواطىء نعلِه وسم الفخار بلثمهنّ شفاهها
يَتَأوّه الأعداءُ خِيفَةَ بَأسهِ و تراه أرباب التقى أوّاهها
شكر الإلهُ له إيالة خلقه فالخلقُ شاكرة عليه الاهَها

أمين الله وابن أمينه، مفيد اليُسر بيساره، واليُمن بيمينه، حائز مناقب الكمال وكمال المناقب، صاعد مراقب(٥) المعالي ومعالي المراقب، إنسان العين وعين الإنسان،القائم بوظيفتي: العدل والاحسان، سلطان العالم بالإرث والاستحقاق،نيّر سماء الملك المصون عن الكسوف والمحاق، وارث الخلافة النبويّة كابراً عن كابر،

---

(١) الوشيج: شجر الرماح و في (ج): **وشيحه الأعمر.**

(٢) النجيع من الدم ما كان بعد السواد.

(٣) (الف): تفضى.

(٤) السباه كغراب: سكتة تأخذ الانسان.

(٥) (الف) مراتب.

حائز الإمامة العلويّة عن آبائه الأكابر، المتفرّع من دوحة النبوّة والرّسالة،المترعرع من سرحة الفتوّة والبسالة، المتقلّب في الأنوار المقدّسة وآدم بين الماء والطين، المفتلذ من مهجة الزهراء البتول وحشاشة الأنزع البطين.

ما ضرّ من رقيت به أحسابه حتى بلغن إلى النبيّ محمّد
أن لا يمدّ إلى المكارم باعه وينال منقطع العلى والسؤدد
متطاولاً حتى ترى أذياله أبد الزمان عمائماً للفرقد

ظلّ الله الممدود في أرضه،وخليفته القائم بسنّته وفرضه،صفوة النوع البشري، وحامي حوزة المذهب الاثنى عشري،الذّاب عن ملّة جَدّه بجِدّه وجَدّه،والذائد عن دين آبائه بعزمه وإبائه، غرّة جبين الشرف المصطفوي: أبي الظفر شاه سلطان حسين الموسوي الحسيني الصفوي.

اللّهم أبسط يد ملكه في البسيطة وأهلها كافة، واجعل ملائكتك بنوده وجنوده حافّة، وافتح على يديه مشارق بلادك ومغاربها، وآمن بصولته مسارح عبادك ومساربها، واشكر عن الإيمانِ والمؤمنين سعيه. وأحسن عن الإسلام والمسلمين جزاءه ورعيه وأتمم نعمتك عليه كما أتممتها على آبائه المهتدين،وثبّت الملك فيه وفي عقبه إلى يوم الدّين.

وقبل الخوض في المطلوب فلنذكر سند روايتنا للصحيفة الشريفة تبرّكاً بالإتّصال في الرواية عن منشئها المعصوم (عليه السّلام).

فأنا أرويها عن شيخي الجليل الفاضل: الشيخ جعفر بن كمال الدّين البحراني، عن شيخه الفاضل زبدة المجتهدين الشيخ حسام الدّين الحلبي، عن الشيخ الأجلّ خاتمة المحقّقين وبحر العرفان واليقين بهاء الدّين محمّد العاملي، عن والده الشيخ البارع حسين بن عبدالصمد الحارثي الهمداني، عن شيخيه الإمامين عمادي الإسلام وفقيهي أهل البيت (عليهم السّلام) السيد الحسن بن جعفر بن الأعرج الحسيني الكركي، والشيخ زين الدّين بن علي بن أحمد العاملي (قدّس سرّهما)،عن شيخهما الجليل التّقي النبيل زين الدّين علي بن عبدالعال الميسي، عن شيخه الإمام

السّعيد ابن عمّ الشيخ الشهيد شمس الدين محمّد بن محمّد بن داود الشهير بابن المؤذّن الجزيني، عن الشيخ ضياءالدّين علي بن الشيخ السعيد الشهيد شمس الدّين محمّد بن مكّي، عن السيّد الإمام النسّابة تاج الدّين محمّد بن القاسم بن معيّة الحسني، عن السيّد كمال الدّين محمد بن محمد بن رضيّ الدّين الأوي [الاودي] الحسيني، عن الخواجا نصيرالدّين محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسي، عن والده محمّد بن الحسن،عن السيّد أبي الرضا فضل الله الراوندي الحسني(١)، عن السيّد أبي الصمصام محمّد بن معبد الحسيني، عن رئيس الطائفة أبي جعفر الطوسي.

وله (قدّس سرّه) في روايتها طريقان ذكرهما في الفهرست:

أحدهما: عن جماعة، عن أبي محمد هارون بن موسى بن التلعكبري، عن المعروف بابن أخي طاهر وهو أبو محمّد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السّلام)، عن محمد بن مطهّر، عن أبيه، عن عمير بن المتوكّل، عن أبيه، عن يحيى بن زيد.

و ثانيها: أبوعبدالله أحمد بن عبدالواحد البزّاز المعروف بابن عبدون، عن أبي بكر الدّوري، عن ابن أخي طاهر، عن محمّد بن مطهّر، عن أبيه، عن عمير بن المتوكّل، عن أبيه، عن يحيى بن زيد، عن أبيه زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السّلام)(٢).

و يوجد له في هوامش نسخ الصحيفة طريق ثالث و صورته:

حدّثنا الشيخ الأجلّ السيّد الإمام السعيد أبوعلي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي أدام الله تأييده في جمادي الآخرة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة قال: أخبرنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قال: أخبرنا الحسين بن

---

(١) (الف) و (ج): الحسيني، وهو الصحيح.

(٢) الفهرست للطوسي: ص٢٠٨.

عبيدالله الغضائري قال: حدّثنا أبو الفضل محمد بن عبيدالله بن المطّلب الشيباني في شهور سنة خمس وثمانين وثلا ثمأة. قال: حدّثنا الشريف أبو عبدالله جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن إلى آخر السند المذكور في المتن.

و اعلم: أنّ هذه الصحيفة الشريفة عليها مسحة(١) من العلم الإلٰهى، وفيها عبقة(٢) من الكلام النبوي، كيف لا وهي قبس من نور مشكاة الرّسالة ونفحة من شميم رياض الإمامة،حتّى قال بعض العارفين: إنّها تجري مجرى التنزيلات السماويّة،وتسير مسير الصحف اللوحيّة والعرشيّة،لما اشتملت عليه من أنوار حقائق المعرفة وثمار حدائق الحكمة. وكان أحبار(٣) العلماء وجهابذة القدماء من السّلف الصّالح يلقّبونها بزبور آل محمّد (صلّى الله عليه وآله)، وإنجيل أهل البيت (عليهم السّلام).

قال الشيخ الجليل محمّد بن على بن شهراشوب(٤) في معالم العلماء في ترجمة المتوكّل بن عمير: روى عن يحيى بن زيد بن علي (عليه السّلام) دعاء الصحيفة وتلقّب بزبور آل محمّد (عليهم السّلام)(٥) انتهى.

و أمّا بلاغة بيانها وبراعة تبيانها: فعندها تسجد سحرة الكلام،وتذعن بالعجز مداره الاعلام،وتعترف بأنّ النبوّة غير الكهانة ولا يستوي الحقّ والباطل في المكانة،

---

(١) مسحت الشيء بالماء مسحاً: أمررت اليد عليه. المصباح المنير: ص٧٨٤.

(٢) عبق به الطيب عبقاً: ظهرت ريحه بثوبه أو بدنه فهو عبق، قالوا: ولا يكون العبق الا الرائحة الطيّبة الزكيّة. المصباح المنير: ص٥٣٣.

(٣) (الف) و (ج): أخبار.

(٤) هو أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهراشوب السروى المازندراني فخر الشيعة ومروّج الشريعة.

له كتاب المعالم. والمناقب وغيرهما. عاش مائة سنة إلاّ عشرة أشهر وتوفّي في سنة ٥٨٨هجريّة. وقبره خارج حلب على جبل جوشن عند مشهد السقط. الكنى والالقاب ج١ ص٣٢٢

(٥) معالم العلماء: ص ١٢٥، رقم ٨٤٧ وفيه: «يلقب».

ومن حام حول سمائها بغاسق فكره الواقب رُمي من رجوم الخذلان بشهاب ثاقب.

حكى ابن شهراشوب في مناقب آل أبي طالب: أنّ بعض البلغاء بالبصرة ذكرت عنده الصحيفة الكاملة فقال: خذوا عنّي حتّى أُملي عليكم مثلها، فأخذ القلم وأطرق رأسه فما رفعه حتى مات(١).

و لعمري لقد رام شططاً فنال سخطاً وهذا حين أشرع في المقصود سائلاً من الله تعالى الإمداد وإلهام السداد عليه توكلت وإليه أُنيب.

* * *

(١) المناقب لابن شهراشوب: ج٤، ص١٣٦.

بســـم الله الرحمن الرحيم

حدّثنا السّيّد الأجلّ نجم الدين بهاء الشرف أبو الحسن محمّد بن الحسن بن أحمد بن علي بن محمّد بن عمر بن يحيى العلوي الحسيني رحمه الله.

يحيى: هو ابن الحسين النّسّابة ابن أحمد المحدّث ابن عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدّمعة بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب (عليهم السّلام).

قيل: القائل -حدّثنا في أوّل هذا السند- هو الشيخ الجليل علي بن السّكون من ثقاة علماء الإماميّة، نقل ذلك بعضهم عن شيخنا البهائي رحمه الله عن مشايخه.

و قيل: بل هو عميد الرؤساء هبة الله بن حامد وهو الصحيح كما دلّ عليه ما وجد بخطّ المحقّق الشهيد (قدّس سرّه) على نسخته المعارضة بنسخة ابن السّكون المرقوم عليها بخطّ عميد الرؤساء ماصورته: قرأها عليّ السيّد الأجلّ النّقيب الأوحد العالم جلال الدّين عماد الإسلام أبو جعفر القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن معيّة أدام الله تعالى علوّه، قراءة صحيحة مهذّبة.

و رويتها له عن السيّد بهاء الشرف أبي الحسن محمّد بن الحسن بن أحمد عن رجاله المسمّين في باطن هذه الورقة، وأجزته روايتها عنّي حسبما وقفته عليه وحدّدته له.

....

و كتب هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيّوب بن علي بن أيّوب في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستمائة والحمدلله.

و نسخة ابن السكون التي بخطه طريق الإسناد(١) على هذه الصورة:

أخبرنا أبو علي الحسن بن محمّد بن إسماعيل بن أشناس البزّاز،قرأته عليه فأقرّ به.

قال أخبرنا أبو الفضل محمّد بن عبدالله بن المطّلب الشيباني إلى آخر ما في الكتاب.

ثمّ المراد من قوله «حدّثنا» السماع من لفظ السيّد الأجلّ سواء كان إملاء من حفظه أم من كتابه وهو أرفع طرق التحمّل السّبعة عند جمهور المحدّثين.

و قد اصطلح علماء الحديث على أن يقول الرّاوي فيما سمعه وحده من لفظ الشيخ أو شك هل كان معه أحد (حدّثني) ومع غيره (حدّثنا). وفيما قرأ عليه (أخبرني) وفيما قرأ بحضرته (أخبرنا).

و لا يجوز عندهم إبدال كل من (حدّثنا) و (أخبرنا) بالآخر في الكتب المؤلّفة.

و أما (أنبأنا) فهم يطلقونه على الإجازة والمناولة والقراءة والسماع اصطلاحاً، والّا فلا فرق بين الإنباء والإخبار لغة.

و السيّد: الماجد الشريف. من ساد يسود سيادة.

والإسم: السُؤدد بالضمّ وهو المجد والشرف.

و اُختلف في وزنه فقيل: أصله سويد ككريم وشريف فإستثقلت الكسرة على الواو فحذفت فاجتمعت(٢) الواو وهي ساكنة والياء، فقلبت الواو ياء واُدغمت في

---

(١) (الف) و (ج): الاسناد فيها على هذه.

(٢) (الف): واجتمعت.

....

الياء.

و قيل: أصله فيْعِلْ بسكون الياء وكسر العين وهو مذهب البصريّين.

و قيل: بفتح العين وهو مذهب الكوفيّين،لأنه لا يوجد (فيعل) بكسر العين في الصحيح إلاّ (صيقل) اسم امرأة،والمعتلّ محمول على الصحيح فتعيّن الفتح قياساً على عيطل ونحوه.

و على كلا القولين: وقعت الواو عيناً واجتمعت مع ياء،وسكن السابق فقلبت ياء وأُدغمت في الياء فقيل: سيّد وقد شاع في العرف استعماله في الشرفاء أولاد الحسنين (عليهما السّلام).

و لعلّ أصله من قوله (صلّى الله عليه وآله): «إنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»(١).

و **الأجلّ**:أفعل تفضيل من جلّ يجلّ بالكسر أي عظم فهو جليل.

و**نجم الدين**: و**بهاء الشرف**:لقبان يتضمّنان مدحاً.

و في الكلام مخالفة لأصلين:

أحدهما: أنّ «السيّد الأجلّ» نعتان لـ(نجم الدّين) وما ذكر بعده فقدّما. والنعت لا يتقدّم على المنعوت.

و الثاني: أنّه متى اجتمع الاسم واللقب وجب على الأفصح تقديم الاسم، لكون اللقب أشهر لأنّ فيه العلميّة مع شيء من معنى النعت، فلو أتى به أوّلاً لأغنى عن الاسم وقد قدّم اللقب هنا على الاسم.

والجواب عن الأوّل: انّ النعت إذا تقدّم وكان صالحًا لمباشرة العامل فانّه يعرب بحسب ما يقتضيه العامل ويجعل المنعوت بدلاً، ويصير المتبوع تابعاً

---

(١) بحار الانوار: ج٤٣، ص٣١٦ من دون لفظ «إن».

....

واضمحلّت التبعيّة كقوله تعالى: «إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهِ»(١) في قراءة الخَفض.

و الجواب عن الثاني: انّ اللقب هنا مسوق للمدح فاذا جرى لفظ المدح أوّلاً تشوّقت النّفس إلى الممدوح فإذا ذكر الممدوح بعد ذلك كان أوقع في النّفس على أنّ ذلك لغة.

و قد اجتمع الأمران في قوله:

أنا ابن مُزيقَيا عمرو وجدّي أبوُهُ منذرٌ ماۤءُ السّماۤءِ(٢)

و أما الكنية: فلا ترتيب بينها و بين غيرها.

فائدة

قال الجلال السيوطي(٣) في الأوّليّات: أوّل ما حدث التلقيب بالإضافة إلى الدّين في القرن الرابع.

و سببه أنّ الترك لمّا تغلّبوا على الخلافة تسمّوا بشمس الدّولة وناصر الدّولة إلى غير ذلك. فتشوّقت نفوس بعض العوام إلى تلك الأسماء فلم يجدوا إليها سبيلاً

(١) سورة ابراهيم: الآية ١و٢.

(٢) و ماء السماء: لقب عامر بن حارثة الأزدي وهو أبو عمرو مُزيقيا الذي خرج من اليمن لما أحسّ بسيل العرم، فسّمي بذلك لأنه كان إذا أجدب قومه مائهم حتى يأتيهم الخصب فقالوا هو ماء السماء لأنه خلف منه، وقيل: لولده بنوماء السماء وهم ملوك الشام.

(٣) هو جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ولد بأسيوط في مصر سنة ٨٤٩هـ، وتوفي سنة ٩١١هـ. له مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير والحديث وعلوم العربية وغير ذلك ما يزيد على (٤١٥) مصنفاً، منها: الدر المنثور والجامع الصغير وغيرها. الكنى والألقاب: ج٢ ص٣٠٩.

....

فرجعوا إلى أمر الدّين ثم فشا ذلك حتّى أنس به الناس وتوطّنوا عليه(١).

قال الزمخشري: الذي دعا العرب إلى التكنية(٢): الإجلال عن التصريح بالاسم بالكناية عنه، ثم ترقّوا عن الكنى إلى الألقاب الحسنة الّتي هي أضداد ما يتنابزبه ممّا نهى الله عنه(٣) وسمّاه فسوقاً، فقلّ من المشاهير في الجاهليّة والإسلام من ليس له لقب، ولم تزل الأُمم كلّها من العرب والعجم تجري في المخاطبات والمكاتبات على ذلك من غير نكير.

غير أنّها كانت تطلق على حسب استحقاق الموسومين بها، و أمّا ما استحدث من تلقيب السّفلة بألقاب العليّة حتّى زال التّفاضل، وذهب التفاوت، وانقلب الضّعة والشرف والنقص والفضل شرعاً واحداً، فمنكر. وهب أنّ العذر مبسوط في ذلك، فما العذر في تلقيب من ليس من الدين في قبيل ولا دبير(٤) بجمال الدّين وشرف الإسلام؟ هي لعمري الغصّة الّتي لا تساغ. نسأل الله إعزاز دينه وإعلاء كلمته(٥) انتهى.

و منع بعض العلماء المالكيّة من الألقاب المضافة للدّين فقال: ممّا ينبغي التّحفّظ عنه من البدع: الأعلام المخالفة للشرع المضافة للدّين لما فيه من تزكية النفس المنهيّ عنها.

و أجاب بعضهم: بأنّ اللقب لم يضعه الإنسان لنفسه بل سمّاه به أبواه في صغره وعدم تكليفه.

---

(١) الأوليّات للسيوطي: لم نعثر عليه.

(٢) (الف) الكنية.

(٣) «وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ» سورة الحجرات: الآية ١١.

(٤) القبيل: ما أقبلت به إلى صدرك، والدبير: ما أدبرت به عن صدرك، ويقال: ما يعرف قبيلاً من دبير.

(٥) ربيع الابرار: (مخطوط) باب الكنى والاسماء والألقاب ص٩٨.

قـال: أخبرنا الشيخ السعـيد أبو عبدالله محمّـد بن أحمد بن شهريار،

و كونه تزكيـة لنفسه غير صحيح. لأنّ الاضافة قد تـكون لأدنى ملا بسـة، فـهو مضاف للسبب تفاؤلاً.

فـ «عزّ الدّين» بمعنى من يعـزّ الله بالدّين وكذا «محـي الدّين» بمعنى محي لنفسه بالدّين. ولو صحّ هذامنع (أحمد) و (محمّد) و (حسن) وهو محمود.

و قال المحدّثون: إذا اشتهر اللقب جاز،وإن كان ذمّا كـ«أعرج» و «أعمش»، فما ذكر حرج وتضييق في الدّين. انتهىٰ.

تنبيهٌ

السيّد نجم الدّين بهاء الشرف المذكور: لـيس له ذكر في كتـب الرّجال. ولمّا كانت نسبة الصحيـفة الشريفة إلى صاحبها (عـليه السّلام) ثابتة بـالإستفاضة ـالّتي كادت تبلغ حـدّ التواتر- لم يقـدح في صحّتها الجهل بـأحوال بعض رجال أسانـيدها وذكرهـم لهؤلاء المشايخ انّما هـو لأجـل التيـمّن بالإ تّصـال في الإسـناد بـالمعصوم (عليه السّلام) *.

الشـيخ أبوعبدالله المذكـور، ذكره الشيخ أبو الحسن علي بن عـبيدالله بن بابويه في كتاب فهرستَ مشايخ الشيعة،وأثنى عليه بالفقه والصّلاح فقال: الشيخ محمّد بن أحمد بن شهريار الخازن بمشهد الغري على ساكنه السلام، فقيه صالح(١)

و شهـريار: اسم عجمـيٌّ مركّـب من (شهر) و (يار) ومـعناه: عظيم البلد، على قاعدة لغة الفرس في تقديم المضاف إليه على المضاف.

و كان الشيخ أبو عـبدالله المذكور صهـر شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن

---

(١) فهرست أسماء علماء الشيعة ومصنفيهم: ص١٧٢ الرقم ٤٢٠.

الخازن لخزانة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) في شهر ربيع الأوّل من سنة ست عشرة وخمسمائة قراءة عليه وأنا أسمع.

الطوسي «قدّس الله روحه» على ابنته وهي أمّ ولده الشيخ الموفّق: أبي طالب حمزة بن محمّد بن أحمد بن شهريار كما يستفاد من كتاب اليقين للسيّد علي بن طاووس نوّرالله مرقده(١) *.

و قوله (عليه السّلام): «شهر ربيع الأوّل» بتنوين ربيع،وجعل الأوّل صفة له تابعاً في الإعراب لشهر أو ربيع، وكذا القول في شهر ربيع الآخر.

و قال ابن درستويه:(٢) لا يكونان صفة لربيع وان كان معرفة، لأنه ليس هناك ربيعان وانّما هناك ربيع واحد، وشهر الربيع فهما صفة لشهر لاغير(٣). انتهى.

و تجوز الإضافة فيهما وهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظين نحو: حبّ الحصيد.

و قال صاحب كتاب الأزمنة(٤): كان الحكم أن يقال: شهر ربيع الأوّل وشهر ربيع الآخر، إلاّ أنّه أضيف فيه المنعوت إلى النّعت مثل دار الآخرة وحقّ

---

(١) اليقين لابن طاووس: ص٥٦.

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي، كان عالماً فاضلاً أخذ الأدب عن ابن قتيبة والمبرّد ببغداد وغيره. له تصانيف منها: كتاب خبر قيس بن ساعدة، وشرح الفصيح، وغريب الحديث، وغيره. توفّى سنة ٣٤١ هجريّة. الكنى والألقاب: ج١ ص٢٧٣.

(٣) الكتاب لابن درستويه: ص٩٣.

(٤) هو أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن الاصبهاني المرزوقي،كان فاضلاً شاعراً، وعدّه ابن شهراشوب من شعراء أهل البيت (عليهم السّلام). وقد صنّف شرح الحماسة، وشرح الفصيح، وشرح المفضليّات. وغيرها. توفّي في سنة ٤٢١هجريّة.

الكنى والألقاب: ج٢ ص٤٨.

....

اليقين حكى ذلك الكسائي(١) واللحياني(٢)(٣).

و سمّي الأوّل منهما: بشهر ربيع الأوّل لأنّه صادف نقله أوّل الرّبيع، والثاني بشهر ربيع الآخر لأنه صادف نقله آخر الربيع.

و يثنّى لفظ الشهر فيهما و يجمع مضافا إلى الجزء الثاني على قاعدة تثنية المتضائفين وجمعهما فيقال: شهرا ربيع وشهور ربيع.

و حكى بعضهم أنه يقال: في جمعهما الأربعة الأوائل و الأربعة الأواخر، وفيه دلالة على أن علم الشهر ربيع بدون شهر.

وقال التفتازاني:(٤) أجمعوا على أنّ العلم في ثلاثة أشهر هو مجموع المضاف والمضاف إليه: شهر رمضان وشهر ربيع الأوّل وشهر ربيع الآخر(٥).

و منع ذلك أبوحيان(٦) وقال: أنّه غير معروف(٧)

---

(١) هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي النحوي اللغوي، أحد القراء السبعة، مؤدب محمد الأمين بن هارون الرشيد، مات بالرى سنة ١٨٩هجرية.

و قيل: انه أخذ القراءة عن حمزة بن حبيب الزيات وجاء إليه وهو ملتف بكساء فقال حمزه: من يقرأ؟ فقيل: الكسائي، فبقي علماً له. الكنىٰ والألقاب: ج٣ ص٩١.

(٢) هو علي بن المبارك و قيل:ابن حازم أبو الحسن اللحياني من بني لحيان، وقيل سُمّي به لعظم لحيته، أخذ عن الكسائي وأبي زيد والأصمعي. له كتاب النوادر المشهورة. كتاب بغية الوعاة: ص٣٤٦.

(٣) كتاب الأزمنة والأمكنة لابي علي المرزوقي: ج١، ص٢٨٤.

(٤) هو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، صاحب التهذيب في المنطق والمقاصد في الكلام والشروح علىٰ الشمسيّة، وعلى العقائد النسفيّة، وعلى تلخيص المفتاح، توفي سنة (٧٩٢)هجرية وتفتازان من بلاد خراسان.

الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص١٠٨

(٥) (٧) لم نعثر عليهما.

(٦) هو أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الجياني الأندلسي النحوي له شرح التسهيل، ←

قال: سمعتها على الشيخ الصدوق أبي منصور محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبدالعزيز العكبري المعدّل رحمه الله.

و سيأتي الكلام على ذلك في شرح دعاء دخول شهر رمضان إنشاءالله تعالى(١).

و هذا النوع من تحمّل الحديث ـ وهو القراءة على الشيخ ـ يسمّى العرض لأنّك تعرضه على الشيخ، سواء قرأت أو قرأ غيرك وأنت تسمع.

و هل هو في مرتبة السّماع أو دونه؟

خلاف الأشهر: أنّ السماع أعلى والعبارة عن هذا الطريق أن يقول الرّاوى: قرأت على فلان، أو قُرىء عليه وأنا أسمع فأقرّ به.

ثم «حدّثنا» و «أخبرنا» مقيّداً بقوله: قرأت عليه كما وقع هنا، لا مطلقا على الأظهر في «حدّثنا» دون «أخبرنا» فقد أجاز إطلاقه المتأخّرون وفاقاً لجمهور المتقدّمين.

الضمير في «سمعتها» للصحيفة الكاملة لدلالة السياق عليها، فأضمر ثقة بفهم السامع نحو «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ»(٢) عدّى السماع بـ(على) لتضمينه معنى العرض أي: سمعتها معروضة على الشيخ.

و حقيقة التضمين أن يقصد بالفعل: معناه الحقيقي مع ملاحظة معنى فعل آخر في ضمنه يناسبه وإعماله عمله بهذه الملاحظة. ولإبرازه في مقام التفسير طريقان:

أحدهما: جعل الأصل ثابتاً، والمضمّن حالاً فيقال في قولهم: «يقلّب كفّيه على

ومختصر المنهاج، والارتشاف وهو مخطوط، والتفسير المحيط وغير ذلك، وكان ثبتاً صدوقاً، مال إلى محبّة أميرالمؤمنين (عليه السّلام)، توفّي سنة (٧٤٥) هجريّة. الكنى والألقاب: ج١ ص٥٦.

(١) في الروضة الرابعة والاربعون.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٢٦.

....

كذا» أي: نادماً على كذا.

و ثانيهما: عكس هذا أي: يندم مقلّباً كفّيه على كذا ولابدّ من إعتبار الحال وإلّا كان مجازاً محضاً لا تضميناً.

و مذهب البصريين: أنّ التضمين لا ينقاس وانّما يصار إليه عند الضرورة قاله أبوحيّان، والصحيح إطّراده لكثرته في كلام العرب حتّى قال ابن جنّي(١): لو جمعت تضمينات العرب لاجتمعت مجلّدات.

و العُكْبَرِيّ: بضمّ العين المهملة وسكون الكاف وفتح الباء الموحّدة وبعدها راء نسبة الى عكبرا بالقصر والمدّ وهي بُلَيْدةٌ على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ، خرج منها جماعة من العلماء.

و قد يقال في النسبة إليها: عكبراوي، بالألف بعد الراء.

و المعدّل: اسم مفعول، من عدّل الشاهد تعديلاً إذا نسبه إلى العدالة ووصفه بها، وعرّفت بأنّها: ملكة راسخة في النفس تبعث على ملازمة التّقوى والمروّة.

و قيل: بل هي كون الشخص متظاهراً بالصلاح مستور الحال غير ظاهر

---

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي المولد، البغدادي المسكن، كان أبوه مملوكاً رومياً، والى هذا أشار بقوله:

فــان أصـبـح بـلا نسـب فـعـلـمـي في الـورى نسبي

و كان من جملة مشايخ، السيّد الرضي، وقد أثنى عليه علماء الأدب وقالوا في حقه: كان من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل.

له مؤلفات في النحو والادب منها: سرّ الصناعة، والخصائص، والمقتضب، واللمع، والتبصرة، وشرح ديوان المتنبّي وغيرها.

توفي سنة ٣٩٢هجرية، ودُفن في مقابر بغداد عند قبر استاذه أبي علي الفارسي.

لكنى والألقاب: ج١ ص٢٣٦.

....

الفسق. إذا سئل عنه خلطاؤه قالوا: لا نعلم منه إلاّ خيراً.

هذا في الشاهد و إمام الجماعة، وأمّا في الرّاوي فهي كونه: متحرّجاً عن الكذب، ضابطاً لما ينقله.

و اشتهر الوصف بالمعدّل لمن عدّل و زكى وقبلت شهادته عند القضاة.

و العكبري المعدّل المذكور: لم أجد له ذكراً فيما وقفت عليه من كتب الرّجال لأصحابنا.

و ذكره ابن السمعاني(١) في كتاب الأنساب فقال: هو أبو منصور محمّد بن محمّد بن أحمد بن الحسين بن عبدالعزيز العكبريّ كتب عن جماعة من المحدّثين بعكبريّ وغيرها، حدّثنا عنه جماعة من الشيوخ ببغداد وإصبهان، مات سنة اثنتين وسبعين و أربعمائة. وأبوه أبو نصر محمّد حدّث عن أحمد بن يوسف بن خلاّد وأبي علي بن الصوّاف وأبيه أحمد بن الحسين العكبري، عن ابنه أبو منصور محمّد وأبو عبدالله محمّد بن علي بن محمّد الصوري، وأبو طاهر عبدالعزيز بن أحمد الكناني، ومات بعكبرى في شهر ربيع الأوّل سنة عشرين وأربعمائة، وكان صدوقاً. وعمّه أبوالحسن عبدالواحد بن أحمد بن الحسين بن عبدالعزيز العكبري المعدّل(٢) روى عنه ابن أخيه أبو منصور وكان صدوقاً متشيّعاً ومات في رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة بعكبريّ(٣). انتهى كلام السمعاني.

---

(١) هو أبو سعيد عبدالكريم بن أبي بكر محمد بن أبي المظفر التميمي السمعاني المروزي، له مصنّفات منها: كتاب الانساب، وفضائل الصحابة، وتذييل تاريخ بغداد. كانت ولادته في **شعبان** سنة ٥٠٤ هجريّة، وتوفي بمرو غرّة ليلة ربيع الأول سنة ٥٦٢ هجريّة. الكنى والألقاب: ج١ ص٢٩٠.

(٢) هكذا في الأصل ولكن في النسخة المطبوعة من الانساب: «حدّث عن أبي بكر أحمد بن سلمان البجاد وجعفر بن محمد الخلدي وأبي بكر الجعابي وأبي القاسم الحسن بن محمد السكوني الكوفي».

(٣) الأنساب للسمعاني: ص٣٩٦.

عن أبي المفضّل: محمّد بن عبدالله بن المطّلب الشيباني رحمه الله.

هو: أبو المفضّل محمّد بن عبدالله بن محمّد بن عبيدالله بن البهلول بن همّام بن المطلب بن همّام بن بحر بن مطر بن مرّة الصغرى بن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان.

قال النجاشي(١): كان سافر في طلب الحديث عمره،وكان في أوّل أمره ثبتاً ثم خلط. ورأيت جلّ أصحابنا يغمزونه ويضعّفونه،له كتب كثيرة منها: كتاب شرف التربة، كتاب مزار أميرالمؤمنين (عليه السّلام)، كتاب مزار الحسين (عليه السّلام)، كتاب فضائل العباس، كتاب الدّعاء، كتاب من روى حديث غدير خمّ،كتاب رسالة في التقيّة والإذاعة، كتاب من روى عن زيد بن علي بن الحسين (عليهم السّلام)، كتاب فضائل زيد، كتاب الشافي في علوم الزيديّة، كتاب أخبار أبي حنيفة، كتاب القلم،رأيت هذا الشيخ وسمعت منه كثيراً ثم توقّفت عن الرواية عنه إلّا بواسطة بيني وبينه(٢) انتهى.

و قال شيخ الطائفة(٣) في الفهرست: محمّد بن عبدالله بن المطلب الشيباني

---

(١) هو الشيخ الثقة الجليل أبوالعباس أحمد بن علي النجاشي صاحب كتاب الرجال المعروف الذي اتكل عليه علماء الإمامية قدّس الله أرواحهم. وكان رحمه الله من أعظم أركان الجرح والتعديل. ولد سنة ٣٧٢هـ. وتوفي في سر من رأى سنة ٤٥٠هـ. الكنى والألقاب: ج٣ ص١٩٩.

(٢) رجال النجاشي: ص٢٨١ و ٢٨٢.

(٣) هو ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي عماد الشيعة ورافع اعلام الشريعة، يلقب بشيخ الطائفة. ولد في شهر رمضان سنة (٣٨٥)هجريّة، بلغ عدد تلامذته إلى ثلا ثمائة مجتهد من الخاصة ومن العامة ما لا يحصى. هبط إلى النجف الأشرف سنة ٤٤٨هجريّة وأسّس الحوزة العلمية بها، له مصنّفات كثيرة في الفقه، والتفسير، والأحاديث، والرجال تبلغ اكثر من خمسين كتاباً وتوفّي ليلة الأثنين ٢٢محرم الحرام سنة (٤٦٠)هجريّة، ودفن في داره التي حوّلت مسجداً حسب وصيته، وقبره اليوم مزار في النجف الأشرف.

الكنى والألقاب: ج٢، ص٣٥٧

....

يكنّى أبا المفضل، كثير الرّواية حسن الحفظ غير انّه ضعّفه جماعة من أصحابنا. له كتاب الولادات الطيّبة، وله كتاب الفرائض، وله كتاب المزار وغير ذلك. أخبرنا بجميع رواياته عنه جماعة من أصحابنا(١) انتهى.

و قال ابن الغضائرى(٢) فيه: انّه وضّاع كثير المناكير،رأيت كتبه وفيه الأسانيد من دون المتون، والمتون من دون الأسانيد،وأرى ترك ما ينفرد به(٣) إنتهى.

و ذكره العلّامة(٤) في الخلاصة(٥) مرتين ،مرّة كما ذكره النجاشي،ومرّة كما ذكره ابن الغضائرى.

و ذكره ابن داود(٦) في رجاله ثلاث مرّات، مرّة في الموثّقين ومرّتين في المجروحين(٧)، والله أعلم.

---

(١) فهرست الشيخ الطوسى: ص١٤٠ الرقم ٦٠٠.

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن الحسين بن عبدالله الغضائري مصنّف كتاب الرجال، وكان معاصراً للشيخ الطوسي، والنجاشي. ويُعدّ من المشايخ الأجلة والثقات الذين لا يحتاجون إلى التنصيص. والغضائري نسبة الى الغضائر وهي الآنية المصنوعة من الخزف.
الكنىٰ والألقاب: ج١، ص٣٦٠

(٣) رجال ابن الغضائرى مخطوط نقل عنه مجمع الرجال للقهپائى: ج٥ ص٢٤٧.

(٤) هو آية الله جمال الدين حسن بن يوسف بن علي بن المطهر علامة العالم،وفخر نوع بنى آدم أعظم العلماء شأناً وأعلاهم برهاناً،ولد في الحلّة سنة (٦٤٨) هجريّة ونشأ فيها، وتوفّي سنة (٧٢٦) هجريّة ويعتبر مجدّد القرن الثامن الهجري. وله مصنّفات فقهيّة شامخة وهو أول من كتب في الفقه المقارن، ومن كتبه التحرير والقواعد. راجع الكنىٰ والألقاب ج١ ص٤٣٦.

(٥) رجال العلامة: ص٢٥٢ الرقم ٢٧ وص ٢٥٦ الرقم ٥٣.

(٦) هو الشيخ أبو محمد تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي. ولد (رحمه الله) خامس جمادي الآخرة سنة (٦٤٧) هجريّة. له مؤلفات تنيف على الثلاثين، من جملتها (كتاب الرجال) المعروف، ونظم التبصرة، وقيل انّه توفّي سنة نيّف و(٧٤٠) هجريّة. وكان معاصراً للعلّامة الحلي، وتتلمذ على المحقّق الحلي. الكنىٰ والألقاب: ج١ ص٢٧١.

(٧) كتاب الرجال لابن داود: ص١٧٧ الرقم ١٤٣٦ وص٣٠٠ الرقم١٤ وص٣٠٢ الرقم٧.

قال: حدّثنا الشريف أبو عبدالله جعفر بن محمّد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام).

قال: حدّثنا عبدالله بن عمر بن الخطّاب الزيّات سنة خمس وستين

ذكر النجاشي: الشريف المذكور فقال: بعد أن سرد نسبه هو والد أبي قيراط، وابنه يحيى بن جعفر روى الحديث وكان وجهاً في الطالبيّين متقدماً،وكان ثقة في أصحابنا سمع وأكثر وعمّر وعلا إسناده. له كتاب التاريخ العلوي،وكتاب الصخرة والبئر. أخبرنا شيخنا محمّد بن محمّد قال: حدّثنا محمّد بن عمر بن محمّد الجعابي قال: حدّثنا جعفر بكتبه. ومات في ذي القعدة سنة ثمان وثلا ثمائة، وله نيّف وتسعون سنة. وذكر عنه أنّه قال: ولدت بسرّ من رأى سنة أربع وعشرين ومأتين(١).

و لا يخفى أنّ تاريخ ولادته و وفاته لا يوافق ما ذكره من أنّه مات وله نيّف وتسعون سنة.

و أرّخ العلاّمة في الخلاصة وفاته سنة ثمانين وثلا ثمائة(٢)،وهو لا يوافق ذلك أيضاً، والظاهر انّه سبق قلم والله أعلم.

قال الفيومي(٣): خطب إلى القوم: إذا طلب أن يتزوّج منهم،والاسم الخطبة بالكسر فهو خاطب، وخطّاب مبالغة، وبه سمّي(٤).

---

(١) رجال النجاشي: ص٨٨ - ٨٩. وفيه: «أخبرنا شيخنا محمد قال:».

(٢) رجال العلامة: ص٣٣ الرقم ١٧.

(٣) هو أبو العبّاس. شهاب الدين أحمد بن الشيخ كمال الدين محمد بن أبي الحسن علي الحموي الفيومي. أديب لغوي، صاحب كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، توفي في نيّف وسبعين وسبعمائة هجريّة، وفيوم كقيوم اسم ناحية في مصر.

الكنى والألقاب: ج٣ ص٣٤.

(٤) المصباح المنير ص٢٣٦

ومأتين. قال: حدّثنى خالي عليّ بن النعمان الأعلم.

وهذا الرجل ليس له ذكر في رجال أصحابنا مطلقا.

قال بعضهم: لمّا كان أخبار السعيد أبي عبدالله الخازن سنة ست عشرة وخمسمائة، وتحديث عبدالله بن عمر المذكور سنة خمس وستين ومأتين، وكانت عدّة الرواة المتخللّة بينها في هذا الإسناد ثلاثة مع انّ الزّمان المتوسّط بين الإخبارين يرتقى إلى مأتين وإحدى وخمسين سنة، وكان الظاهر لقاء هؤلاء الرواة الثلاثة بعضهم بعضا كما ينصّ عليه

قوله: «حدّثنا» و كما تشعر به العنعنة و مقدار هذا الزمن بالنسبة إلى عدّة هذا السند رحب واسع طويل،استبان أنّ هذا السند عال بالمعنى المستفيض عن المحدّثين حيث قالوا: (العالي السند) هو: القليل الواسطة مع اتّصاله، وقد امتدحوه ورجّحوه على ما خالفه حتّى كان طلبه سنّة عند أكثر السلف. وقد كانوا يشدّون الرّحال إلى المشايخ إلى أقصى البلاد لأجله لأن يعلو السّند ويبعد الحديث عن الخلل المتطرّق إلى كلّ راوٍ،إذ ما من راو من رجال السّند إلّا والخطأ جائز عليه، فكلّما كثرت الوسائط وطال السند كثرت مظانّ التجويز،وكلّما قلّت، قلّت.

نكتة

أخبرني بعض الأصحاب بمكة المشرفة قال: لقى بعض النّواصب في المسجد الحرام رجلاً عجمياً من الشيعة في يده الصحيفة الكاملة فانتزعها من يده قهراً ونظر في أوّلها فوقع نظره على عبدالله بن عمر بن الخطّاب المذكور فظنّه عبدالله بن عمر بن الخطّاب فأعادها عليه وشكره وقال: ما رأيت عجمياً سنياً غيرك *.

النّعمان بالضمّ: علم منقول وهو من أسماء الدّم.

و الأعلم: مشقوق الشفة العليا، وقد عَلِمَ عَلَماً محرّكة من باب تعب فهو أعلم وهي علماء كأحمر وحمراء.

قال: حدّثني عمير بن المتوكّل الثقفي البلخي. عن أبيه متوكّل بن هارون.

فإن كان الشقّ في الشفة السفلى فهو: الفَلَحُ بالفاء والحاء المهملة محرّكة وهو أفلَحُ وهي فَلْحَاء.

قال النجاشي: علي بن النعمان الأعلم النخعي: أبو الحسن مولاهم كوفي، روى عن الرضا (عليه السّلام)، وأخوه داود أعلى منه،وابنه الحسن بن علي،وابنه أحمد رويا الحديث.

و كان علي ثقة وجهاً ثبتاً صحيحاً واضح الطريقة. له كتاب يرويه جماعة، أخبرنا على بن أحمد بن محمّد قال: حدّثنا محمّد بن الحسن قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار وعبدالله بن جعفر وسعد قالوا: حدّثنا ابن أبى الخطّاب،عن علي بن النّعمان(١)، انتهى.

و ليس في كتب الرّجال عليّ بن النّعمان سواه *.

الثقفي بفتح الثاء المثلّثة والقاف والفاء: نسبة إلى ثقيف كأمير وهي قبيلة مشهورة بالطّائف.

و البلخي بفتح الباء الموحّدة وسكون اللام وبعدها خاءٌ معجمة: نسبة إلى بلخ وهي مدينة عظيمة من بلاد خراسان فتحها الأحنف بن قيس التميمي المضروب به المثل في الحلم في خلافة عثمان بن عفّان.

قال النجاشي: المتوكّل بن عمير بن المتوكّل، روى عن يحيى بن زيد دعاء الصحيفة. أخبرنا الحسين بن عبيدالله، عن ابن أخي طاهر(٢)، عن أبيه، عن عمير بن المتوكّل، عن أبيه متوكّل، عن يحيى بن زيد بالدّعاء (٣) انتهى.

---

(١) رجال النجاشي: ص١٩٥-١٩٦

(٢) هكذا في الأصل ولكن في النسخة المطبوعة من النجاشي: «عن محمّد بن مطهّر».

(٣) رجال النجاشي: ص٣٠١.

قال: لقيت يحيىٰ بن زيد بن عليّ (عليه السّلام) وهو متوجّه إلىٰ خراسان فسلّمت عليه.

و لا يخفى: انّ أوّل كلامه ظاهر في أنّ الرّاوي عن يحيى بن زيد دعاء الصحيفة هو: المتوكّل بن عمير ويظهر من سنده انّه المتوكّل جدّه كما في المتن.

و يمكن التوفيق بنوع عناية ولم ينصّ أحدٌ من الأصحاب على توثيق المتوكّل المذكور غير انّ الحسن بن داود ذكر سبطه متوكّل بن عمير في قسم الموثّقين من كتابه(١). وهو لا يجدي كما توهّم بعضهم *.

هو: يحيى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن على بن أبي طالب (عليهم السّلام)، أمّه: ريطة بنت أبي هاشم عبدالله بن محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه.

و لمّا قتل أبوه زيد بن عليّ، خرج يحيى حتّى نزل بالمدائن، فبعث يوسف بن عمر في طلبه، فخرج إلى الريّ ثمّ إلى نيسابور من خراسان، فسألوه المقام بها فقال: بلدة لم ترفع فيها(٢) لعلي وآله راية لا حاجة لي في المقام بها، ثم خرج إلى سرخس وأقام بها عند يزيد بن عمر التميمي ستّة أشهر،حتّى مضى هشام بن عبدالملك لسبيله،وولّى بعده الوليد بن يزيد فكتب إلى نصر بن سيّار في طلبه فأخذه ببلخ وقيّده وحبسه،فقال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، لما بلغه ذلك:

أليس بعين الله ما تفعلونه ... عشيّة يحيى موثق بالسلاسل
كلاب عوت لا قدّس الله سرها ... فجئن بصيد لا يحلّ لآكل

و كتب نصر بن سيّار إلى يوسف بن عمر يخبره بحبسه وكتب يوسف إلى الوليد، فكتب الوليد إليه بأن يحذّره الفتنة ويخلّي سبيله فخلّى سبيله وأعطاه ألفي

---

(١) كتاب الرجال لابن داود: ص١٥٧ الرقم ١٢٥٦.

(٢) (الف): بها.

فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من الحجّ، فسألني عن أهله وبني عمّه بالمدينة، وأحفى السؤال عن جعفر بن محمّد (عليهما السّلام).

درهم وبغلين، فخرج حتّى نزل الجوزجان(١) فلحق به قوم من أهلها ومن الطالقان، زهاء خمسمائة رجل، فبعث إليه نصرُ بن سيّار، سالم بن أحور، فاقتتلوا أشدّ قتال ثلاثة أيّام حتّى قتل جميع أصحاب يحيى وبقي وحده فقتل عصر يوم الجمعة سنة خمس وعشرين ومائة، وله ثماني عشرة سنة، وبعث برأسه إلى الوليد، فبعث به الوليد إلى المدينة، فوضع في حجر اُمّه ريطة فنظرت إليه وقالت: شرّدتموه عنّي طويلاً وأهديتموه إليّ قتيلاً، صلوات الله عليه وعلى آبائه بكرة وأصيلاً.

فلمّا قتل عبدالله بن علي بن عبدالله بن العبّاس، مروان بن محمّد بن مروان، بعث برأسه حتّى وضع في حجر اُمّه فارتاعت. فقال: هذا بيحيى بن زيد، وكان الّذي احتزّ رأس يحيى بن زيد، سورة بن أبجر، وأخذ العنبري سلبه، وهذان أخذهما أبو مسلم المروزي فقطع أيديهما وأرجلهما وصلبهما. ولا عقب ليحيى بن زيد*.

أحفى بالحاء المهملة: أي ألحف وبالغ في السؤال من قولهم: أحفى الرجل شاربه: اذا بالغ في قصّه.

قال الزمخشري في الأساس: أحفى شاربه: ألزق جزّه، وأحفى القوم المرعى: لم يتركوا منه شيئاً، ومن المجاز: أحفى في السؤال: ألحف(٢).

و جعفر بن محمّد: هو الإمام أبو عبدالله جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، اُمّه: اُمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، واُمّها: أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان الصادق

---

(١) الجوزجان بزاى بين الجيمين المفتوحتين: كورة واسعة من كور بلخ بخراسان.

(٢) اساس البلاغة: ص١٣٤ وفيه: «احتفى».

....

(عليه السّلام) يقول: ولدني أبوبكر مرّتين، ولد بالمدينة سنة ثلاث وثمانين من الهجرة وقبض بها في شوّال سنة ثمان وأربعين ومائة، وله خمس وستّون سنة.

و قيل: ثمان وستّون على انّ مولده سنة ثمانين،ودفن بالبقيع مع أبيه (عليه السّلام).

قال الشيخ المفيد:(١) لم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته مثل مانقل عنه من العلوم والآثار، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرّواة عنه من الثّقاة على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل(٢).

و قال الشيخ كمال الدّين بن طلحة الشّافعيّ: **(٣)** أمّا مناقبه وصفاته فتكاد تفوت

---

(١) هو عبدالله محمد بن محمد النعمان بن عبدالسلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن حبير. أُشتهر بالمفيد ويقال: بان الامام المهدي (عليه السّلام) هو الذي لقبة بذلك.

كان من أجلّاء مشايخ الشيعة ورئيسهم واستاذهم، وقد إنتهت رئاسة الطائفة الإماميّة إليه في زمانه. ولد في سنة (٣٣٨) هجرية في عكبراء ناحية الدجيل، وتوفي في سنة (٤١٣) هجريّة، ودفن بداره ثم نقل إلى مقابر قريش ودفن ممايلي الإمامين الجواد والكاظم عليهما السّلام.

و رثاه صاحب الامر (عليه السّلام) حيث وجد مكتوباً على قبره:

لا صوّت الناعي بفقدك انّه ... يوم على آل الرسول عظيم
ان كنت قدغيّبت في جدث الثرىٰ ... فالعدل والتوحيد فيك مقيم
والقائم المهدي يفرح كلما ... تليت عليك من الدروس علوم

و قد صدرت رسائل إليه من الناحية المقدّسة مما يُشعر بعظمة هذه الشخصيّة، له مؤلفات تبلغ مائتين في الفقه والحديث والكلام ومن أهمها: المقنعة، والأمالي، والإرشاد.

الكنىٰ والألقاب ج٣ ص١٦٤.

(٢) الإرشاد للمفيد: ص٢٧٠ و ٢٧١. نقلاً بالمضمون.

(٣) هو كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي المعروف بـ(ابن طلحة)، له مطالب السؤول في مناقب آل الرسول،والعقد الفريد للملك السعيد، توفيّ بحلب سنة ٦٥٢هجريّة.

الكنىٰ والألقاب: ج١، ص ٣٣٢.

....

عدد الحاصر ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر،حتّى انّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى صارت الأحكام الّتي لا تدرك عللها، والعلوم الّتي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها تضاف إليه وتروى عنه(١).

و قال الذهبي في الكاشف:(٢) قال أبو حنيفة:(٣) ما رأيت أفقه منه، وقد دخلني له من الهيبة ما لم يدخلني من المنصور(٤).

و عن عمرو بن أبي المقدام(٥) قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت انّه من سلالة النبيّين(٦).

و عن صالح بن الأسود(٧)قال: سمعت جعفر بن محمّد يقول: سلوني قبل أن

(١) كشف الغمة: ج٢، ص ١٥٥.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ولد بدمشق سنة ٦٧٣هجريّة وطلب الحديث ورحل في طلبه إلى مصر حتى رجع أُستاذاً فيه،واكثر من التصنيف في تاريخ الرجال منها: تذكرة الحفاظ،وميزان الاعتدال،وتجريد أسماء الصحابة. توفي سنة ٧٤٨هجريّة.
الكنى والألقاب: ج٢، ص٢٣٨.

(٣) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه مولى تيم الله بن ثعلبة الكوفي، أحد أصحاب المذاهب الأربعة. وصاحب الرأي والقياس والفتاوى المعروفة في الفقه. ولد في سنة (٨٠)هجريّة، وتوفّي في سنة (١٥٠)هجريّة في بغداد. وتتلمذ على يد الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السّلام) حيث قال عنها: لو لا السنتان لهلك النعمان. الكنى والألقاب: ج١، ص٦٠.

(٤) الكاشف: ج١، ص ١٨٦.

(٥) عمرو بن أبي المقدام ثابت بن هرمز العجلي من أصحاب الامام الصادق (عليه السّلام)، روى عن علي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبدالله (عليهم السّلام). تنقيح المقال: ج٢، ص ٣٢٣.

(٦) المناقب لابن شهراشوب: ج٤ ، ص ٢٤٩.

(٧) صالح بن أبي الأسود الحنّاط الليثي من أصحاب الصادق (عليه السّلام)، ذكره ابن النديم في فهرسته وقال: هؤلاء مشايخ الشيعة الذين رووا الفقه عن الائمة (عليهم السّلام)، وله كتاب.
تنقيح المقال: ج٢ ، ص ٩٠.

فأخبرته بخبره و خبرهم و حزنهم على أبيه زيد بن عليّ (عليه السّلام).

تفقدوني فانّه لا يحدّثكم أحد بعدي بمثل حديثي(١).

هو: أبو الحسن زيد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السّلام)، اُمّه: اُمّ ولد كان جمّ الفضائل عظيم المناقب وكان يقال له حليف القرآن.

روى أبو نصر البخاري عن ابن الجارود قال: قدمت المدينة فجعلت كلّ ما سألت عن زيد بن علي، قيل لى: ذاك حليف القرآن، ذاك اُسطوانة المسجد من كثرة صلا ته(٢).

قال الشيخ المفيد في كتاب الارشاد: كان زيد بن علي عين اخوته بعد أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) وأفضلهم وكان ورعاً، عابداً فقيهاً سخيّاً شجاعاً وظهر بالسّيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين (عليه السّلام) واعتقد كثير من الشّيعة فيه الإمامة وكان سبب اعتقادهم فيه ذلك خروجه بالسيف، يدعو إلى الرّضا من آل محمّد (عليهم السّلام) وظنّوه يريد بذلك لنفسه، ولم يكن يريده لنفسه لمعرفته باستحقاق أخيه الإمامة من قبله ووصيّتة إلى أبي عبدالله (عليه السّلام)، انتهى(٣).

و قال أهل التّاريخ: كان السّبب في خروجه وخلعه طاعة بني مروان انّه وفد على هشام بن عبدالملك شاكياً من خالد بن عبدالملك بن الحرث بن الحكم، أمير المدينة فجعل هشام لا يأذن له،وزيد يرفع إليه القصص،وكلّما رفع إليه قصّة كتب هشام في أسفلها ارجع إلى أرضك فيقول زيد: والله لا أرجع إلى ابن الحرث أبداً.

---

(١) كشف الغمة: ج٢، ص١٦٢.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص٨٨، ذكر شطراً منه.

(٣) الارشاد للشيخ المفيد: ص٢٦٨.

....

ثم أذن له بعد حبس طويل، فلمّا قعد بين يديه قال له هشام: بلغني انّك تذكر الخلافة وتتمنّاها ولست هناك لأنّك ابن أمة، فقال زيد: إنّ لك جواباً، قال: تكلّم قال: إنّه ليس أحد أولى بالله من نبيّ بعثه وهو إسماعيل بن إبراهيم وهو ابن أمة قد اختاره الله لنبوّته وأخرج منه خير البشر، فقال هشام: فما يصنع أخوك البقرة! فغضب زيد حتّى كاد يخرج من إهابه.

ثمّ قال: سمّاه رسول الله الباقر وتسمّيه أنت البقرة لشدّ ما اختلفتما،ولتخالفنّه في الآخرة كما خالفته في الدّنيا فيرد الجنّة وترد النّار. فقال هشام: خذوا بيد هذا الأحمق المائق(١)، فأخرجوه،فأُخرج زيد واُشخص إلى المدينة ومعه نفر يسير حتّى طردوه عن حدود الشّام، فلّما فارقوه عدل إلى العراق ودخل الكوفة فبايعه أكثر أهلها، والعامل عليها وعلى العراق يوسف بن عمر الثقفي فكان بينهما من الحرب ما هو مذكور في كتب التواريخ.

و خذل أهل الكوفة زيداً وثبت معه ممّن بايعه نفر يسير، وأبلى بنفسه بلاءً حسناً وجاهد جهاداً عظيما حتّى أتاه سهم غرب (٢) فأصاب جانب جبهته اليسرى فثبت في دماغه فحين نزع عنه مات.وكان مقتله يوم الا ثنين لليلتين خلتا من صفر سنة إحدى وعشرين ومائة، وله إثنان وأربعون سنة، ثمّ صلب جسده الشّريف بكناسة الكوفة أربعة أعوام، فسدّت العنكبوت على عورته،وبُعث برأسه إلى المدينة ونصب عند قبر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يوماً وليلة.

و عن جرير بن أبي حازم قال: رأيت النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في المنام كان مستنداً إلى خشبة زيد بن علي وهو يقول: هكذا، تفعلون بولدي ؟(٣)

---

(١) المَأَقة بالتحريك: شدّة الغيظ والغضب، لسان العرب: ج١٠، ص٣٣٥.

(٢) الغَرْب: الحِدّة، لسان العرب: ج١، ص٦٤١.

(٣) مقاتل الطالبيين: ص ٩٨.

....

و لمّا هلك هشام، وولّي بعده الوليد بن يزيد كتب إلى يوسف بن عمر اما بعد: فإذا أتاك كتابي فأعمد إلى عجل أهل العراق فحرّقه ثم انسفه في اليمّ نسفاً، فأنْزَلَه وحرّقه ثم ذراه في الهواء.

و لمّا قال الحكم بن عبّاس الكلبي:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم أرَ مهديّاً على الجذع يُصلَبُ

فبلغ قوله الصادق (عليه السّلام)، رفع يديه إلى السماء وهما ترعشان فقال: «اللّهم إن كان عبدك كاذباً فسلّط عليه كلبك».

فبعثه بنو اُميّة إلى الكوفة فافترسه الأسد واتّصل خبره بالصادق (عليه السّلام) فخرّ ساجداً وقال: «الحمد لله الذي أنجزنا ما وعدنا»(١).

و روى ابن بابويه(٢) في كتاب عيون أخبار الرّضا (عليه السّلام) بإسناده إلى عبدالله بن سيابة قال: خرجنا ونحن سبعة نفر فأتينا المدينة فدخلنا على أبي عبدالله (عليه السّلام) فقال: أعندكم خبر عمّي زيد؟ فقلنا: قد خرج أو هو خارج، قال: فإن أتاكم خبر فأخبروني، فمكثنا أيّاما فأتى رسول السام الصيرفي بكتاب فيه أمّا بعد: فإنّ زيد بن علي خرج يوم الأربعاء غرّة صفر فمكث الأربعاء

(١) بحار الأنوار: ج٤٦، ص١٩٢.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي رئيس المحدثين والصدوق فيما يرويه عن الائمة الطاهرين عليهم السّلام، أحد أعلام الدين في القرن الرابع الهجري، ولد بدعاء صاحب الزمان (عليه السّلام)، وصدر فيه من ناحيته المقدّسة بأنّه فقيه خيّر مبارك.

له مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير، والأحاديث، وغير ذلك تبلغ ثلاثمائة مصنّف كما نصّ عليه شيخ الطائفة في الفهرست، وعدّ منها أربعين كتاباً.

توفي (رحمه الله) بالريّ سنة (٣٨١) هجريّة في العقد الثامن من عمره الشريف، وقبره الآن قرب ضريح شاه عبدالعظيم الحسني -رضوان الله عليه- في الري وهو اليوم مشهور يزار.

لكنى والألقاب: ج ١، ص ٢١٢.

....

والخميس وقتل يوم الجمعة وقتل معه فلان وفلان، فدخلنا على الصادق (عليه السّلام) ودفعنا إليه الكتاب فقرأه وبكى ثم قال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، عندالله أحتسب عميّ إنّه كان نعم العمّ، إنّ عمّي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى والله عمّي شهيداً، مضى والله عمّي شهيداً، كشهداء استشهدوا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم»(١).

و باسناده عن الفضيل بن يسار: قال: انتهيت إلى زيد بن علي صبيحة خرج بالكوفة فسمعته يقول: مَن يعينني منكم على قتال أنباط(٢) أهل الشّام فوالّذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً لا يعينني منكم على قتالهم أحد إلاّ أخذت بيده يوم القيامة فأدخلته الجنّة بإذن الله تعالى.

فلمّا قتل اكتريت راحلة وتوجّهت نحو المدينة فدخلت على أبي عبدالله (عليه السّلام) فقلت في نفسي: والله لا أخبرته بقتل زيد بن علي فيجزع عليه، فلمّا دخلت عليه قال: ما فعل عمي زيد؟ فخنقتني العبرة، فقال: قتلوه؟ قلت: أي والله قتلوه، قال: وصلبوه؟ قلت: أي والله صلبوه، قال: فأقبل يبكي ودموعه تتحدّر على جانبي خدّه كأنّهما الجمان(٣)، ثم قال: يا فضيل شهدت مع عمّي قتال أهل الشام؟ قلت: نعم، قال: فكم قتلت منهم؟ قلت: ستّة، قال: فلعلّك شاكّ في دمائهم؟ فقلت: لو كنت شاكّاً ما قتلتهم، فسمعته وهو يقول: أشركني الله في تلك الدّماء، مضى والله زيد عمّي شهيداً مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٥٢ ح٦. وفيه «بسّام الصيرفي».

(٢) النبط: جيل من النّاس كانوا ينزلون سواد العراق ثم استعمل في أخلاط النّاس وعوامهم، والجمع أنباط. المصباح المنير: ص٨١٠.

(٣) الجمانة: حبّة تعمل من الفضة كالدرة، وجمعها جمان. الصحاح للجوهري: ج٥، ص٢٠٩٢.

....

(عليه السّلام) وأصحابه(١) ـأخذنا من الحديث موضع الحاجه ـ.

و روى أبوخالدالواسطي (٢)قال: سلّم إليّ أبو عبدالله (عليه السّلام) ألف دينار و أمرني أن أُقسّمها في عيال من أصيب مع زيد، فأصاب عبدالله بن الزبير، أخي فضيل منها أربعة دنانير(٣).

و روى ثقة الإسلام(٤) بإسناده إلى سليمان بن خالد قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السّلام): كيف صنعتم بعميّ زيد؟ قلت: انّهم كانوا يحرسونه، فلمّا شفّ(٥) الناس أخذنا خشبته فدفنّاه في جرف على شاطي الفرات، فلمّا أصبحوا جالت الخيل يطلبونه فوجدوه فأحرقوه فقال: أفلا أو قرتموه حديداً وألقيتموه في الفرات؟ صلّى الله عليه ولعن الله قاتله (٦).

و بإسناده عن الحسن بن عليّ الوشّا، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: «إنّ الله عزّ ذكره أذن في هلاك بني أُميّة بعد إحراقهم زيداً

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٥٢، ح٧.

(٢) هو عمرو بن خالدهأبو خالد الواسطي، من أصحاب الباقر (عليه السّلام)، له كتاب كبير، رواه عن نصر بن مزاحم، وكان من رؤساء الزيديّة. تنقيح المقال: ج٢، ص ٣٣٠.

(٣) الارشاد للمفيد، ص٢٦٩.

(٤) هو أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي، الملقب: ثقة الإسلام صنّف كتاب الكافي في عشرين سنة وهو أجلّ الكتب الإسلامية ويعتقد بعض علمائنا انّه عرض على القائم ـصلوات الله عليهـ فاستحسنه وقال: كافٍ لشيعتنا. ولد في كلين احدى قرى الري، وتوفّي في بغداد سنة ٣٢٩هجريّة، والمشهور ان قبره ببغداد في الجانب الشرقي على شاطىء دجلة عند باب الجسر العتيق، تزوره العامة والخاصة. الكنى والألقاب: ج٣، ص٩٨.

(٥) شفّ أي نقص. المصباح المنير للفيومي: ص٤٣٣.

(٦) الكافي: ج٨، ص١٤٢، ح١٦٤.

....

بسبعة أيّام»(١).

و روى الكشّي(٢) باسناده عن فضيل الرسّان قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السّلام) بعد ما قتل زيد بن عليّ، فأُدخلت بيتاً جوف بيت فقال لي: «يا فضيل قتل عميّ زيد؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: رحمه الله أما انه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً صدوقاً، أما انّه لوظفر لوفى، أما إنّه لو ملك لعرف كيف يضعها» (٣).

و عن أبي ولّاد الكاهلي قال: قال لي الصادق (عليه السّلام): «أرأيت عمّي زيداً؟ قلت: نعم رأيته مصلوباً ورأيت النّاس بين شامت حنق وبين محزون محترق، فقال: أمّا الباكي فمعه في الجنّة وأمّا الشّامت فشريك في دمه(٤).

و روى الصّدوق باسناده عن أبي الجارود زياد بن المنذر قال: انّي لجالس عند أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر (عليهما السّلام)، اذ أقبل زيد بن عليّ فلما نظر إليه أبو جعفر وهو مقبل قال: هذا سيّد من أهل بيته والطالب باوتارهم لقد أنجبت أمّ ولدتك يا زيد(٥).

و بإسناده إلى جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر (عليه السّلام) عن آبائه عن علي (عليهم السّلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله

---

(١) الكافي: ج٨ ص١٤٢ ح١٦٥.

(٢) هو الشيخ ابو عمرو محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي، كان من علماء القرن الرابع الهجري، ولم تذكر المصادر التي بأيدينا تاريخ ولادته ووفاته. وهو ثقة بصير بالأخبار والرجال، كثير العلم، كانت داره مرتعاً للشيعة وأهل العلم، له كتاب الرجال المشهور. الكنى والألقاب: ج٣ ص٩٤.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ص ٢٨٥ رقم ٥٠٥ (المعروف برجال الكشي).

(٤) بحار الأنوار: ج٤٦ ص١٩٣، ح٦٣.

(٥) أمالي الصدوق: ص٢٧٥ ح١١.

....

عليه وآله وسلّم) للحسين (عليه السّلام): يـا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يتـخطّى هو وأصحـابه يوم القيامة رقـاب النّاس غرّاً محجّلين يدخـلون الجنّة بلا حساب(١).

و بإسناده إلى ابن أبي عبدون قـال: لما حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون وكان قد خرج بالبصرة وأحرق دور ولد العبّاس، وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرّضا (عليهما السّلام) وقـال له: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل فـقد خرج قبله زيـد بن علي فقتل، ولولا مكـانك منّي لقتلـته فليس ما أتاه بصغير فـقال الرّضا (عليـه السّـلام): يـا أميرالمؤمنين لا تـقس أخي زيداً إلى زيد بن عليّ (عليه السّلام) فـانّه كان من علماء آل محـمّد غضب لله عزّوجلّ فجاهد أعدائه حتّى قتل في سبيـله،ولقد حدّثني أبي مـوسى بن جعفر(عليهما السّلام) انـه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي (عليهم السّـلام) يقول: رحم الله عمّي زيداً إنّـه دعا إلى الرّضا من آل محمّد ولو ظفـر لوفى بما دعا إلـيه،ولقد استشـارني في خروجه فقلت له: يا عمّ إن رضيت أن تكـون المقتـول المصلوب بالكناسـة فشأنك ، فلمّا ولّى قال جعفـر بن محمّد (عليهما السّلام): ويـل لمن سمع داعيـته ولم يجبه، فقال المأمون: يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمامة بغير حقّها ما جاء؟ فقال الرّضا (عليه السّلام): إنّ زيد بن عليّ لم يدّع ما ليس له بحقّ،وانّه كان اتّقى الله(٢) من ذلك،انّه قال: أدعوكم إلى الرّضا من آل محمّد (عليهـم السّلام) وانّما جاء ماجاء فيمن يدّعي انّ الله نصّ عليه، ثم يدعو إلى غير ديـن الله ويضلّ عن سبـيله بـغير علم وكان زيـد والله ممّن خـوطب بهذه الآية: «وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ»(٣).

ثـمّ الـروايات في فصل زيد بن عـليّ عليهما السّلام كثـيـرة ولجماعة من علماء

(١) عيون أخبار الرضا: ج١ ص٢٤٩ ح٢.

(٢) (الف): اتّقى لله.

(٣) عيون أخبار الرّضا: ج ، ص٢٤٨، ح١.

فقال لي: قد كان عمّي محمّد بن عليّ الباقر (عليه السّلام) أشار علىٰ أبي بترك الخروج وعرّفه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره.

الشّيعة مؤلّفات مكثورة على ذلك فلنكتف منها بهذا المقدار روماً للاختصار والله أعلم *.

هو: أبو جعفر محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام) ولقّب بالباقر لما رواه جابر بن عبدالله الأنصاري عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) انّه قال له: يا جابر انّك ستعيش حتّى تدرك رجلاً من أولادي اسمه اسمي يبقر العلم بقراً فإذا رأيته فاقرأه منّي السلام فلمّا دخل محمّد الباقر على جابر وسأله عن نسبه فأخبره قام إليه فاعتنقه وقال له: جدّك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقرأ عليك السّلام، وأمّه: امّ الحسن فاطمة بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام) وهو أوّل من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين (عليهما السّلام) وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى ... و خير من لبّى على الأجبل(١)

و كانت ولادته سنه تسع وخمسين بالمدينة في حياة جدّه الحسين (عليه السّلام) وتوفّي في شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائة وهو ابن خمس وخمسين سنة.

وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع.

عن عطاء المكّي قال: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين (عليهم السّلام) ولقد رأيت الحكم بن عتيبة(٢) مع جلالته في

---

(١) المناقب لابن شهراشوب: ج٤ ص١٩٧. وفيه: «انّك ستبقى حتى تلقى رجلاً».

(٢) هو أبو محمّد الكندي الكوفي، قال ابن حجر العسقلاني في التهذيب: ثقة ثبت فقيه إلا أنه ربما دلس. وقال الذهبي في الكاشف: الحكم بن عتيبة الكندي مولاهم فقيه الكوفة عابد قانت ثقة صاحب سنة، توفي سنة ١١٥ (منه عفا الله عنه).

....

القوم بين يديه كأنّه صبّي بين يدي معلّمه(۱).

و كان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عن محمّد بن عليّ (عليهما السّلام) شيئاً قال: حدّثني وصيّ الأوصياء و وارث علم الأنبياء محمّد بن عليّ بن الحسين (عليهم السّلام)(۲).

و أمّا ما تضمّنته رواية المتن: مِن أنّ الباقر (عليه السّلام) أشار علىٰ زيد بن عليّ بترك الخروج وعرّفه مصير أمره إن هو خرج، فيدلّ عليه أيضاً ما رواه الحسن بن راشد قال: ذكرت زيد بن عليّ فتنقّصته عند أبي عبدالله (عليه السّلام) فقال: لا تفعل رحم الله عمي زيداً فانّه أتى أبي فقال: انّي أريد الخروج على هذه الطاغية(۳) فقال: لا تفعل يا زيد فانّي أخاف أن تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفة أما علمت يا زيد انّه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السّلاطين قبل خروج السّفياني الّا قتل، ثمّ قال: يا حسن انّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها على النار، وفيهم نزل «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ». فالظالم لنفسه: الّذى لا يعرف الإمام، والمقتصد: العارف بحقّ الإمام، والسّابق بالخيرات: هو الإمام ثمّ قال: يا حسن إنّا أهل بيت لا نخرج من الدّنيا حتّى نقرّ لكلّ ذي فضل فضله(٤).

وورد بذلك روايات أُخرى.

---

(۱) بحار الأنوار: ج٤٦، ص٢٨٦، ح٢.

(۲) تنقيح المقال: ج۱، ص ۲۰۲، تحت رقم ۱٦۲۱.

(۳) (الف): الطايفة.

(٤) بحار الأنوار: ج٤٦، ص١٨٥، ح٥١.

فهل لقيت ابن عميّ جعفر بن محمّد؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعته يذكر من أمري شيئا؟ قلت: نعم.

هل: حرف إستفهام يطلب به التّصديق الايجابي دون التصوّر والتصديق السّلبي.

و قول ابن سيدة(١): «لا يكون الفعل معها الّا مستقبلاً»(٢).

سهوٌ،قال الله تعالى:«فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا»(٣). ومثله عبارة المتن *.

و لقيه يلقاه: من باب تعب، لُقياً ولُقىً -بالضمّ مع القصر- وَلِقاء- بالكسر مع المدّ والقصر- : اجتمع به وصادفه، وكلّ شيء استقبل شيئًا أو صادفه فقد لقيه ولاقاه.

و نَعَمْ: -بفتح النون والعين- وكنانة: تكسر العين، وبها قرأ الكسائي(٤). وهي هنا للإعلام لوقوعها بعد الإستفهام،وحيث وقعت بعده فهي حرف إعلام فإن وقعت بعد الخبر فهي حرف تصديق أو بعد أمر أو نهي فهي حرف وعد.

و يذكر: على وزن يكتب أي يجري على لسانه من الذّكر (بالكسر والضمّ) بمعنى إجراء الشيء على اللّسان، ويكون بمعنى الحفظ للشيء.

و أنكر الفرّاء(٥) الكسر في معنى الحفظ وقال: اجعلني على ذكر منك (بالضمّ)

---

(١) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (المعروف بابن سِيْدَه)، كان إماماً في اللغة والعربيّة، وحافظا لهما، وله كتابان:المخصّص، والمحكم في اللغة وكان ضريراً وأبوه ضريراً أيضاً، ولد بـ(مريسية) بالاندلس سنه ٣٩٨هجريّة، توفّي سنة ٤٥٨هجريّة. الكنىٰ والألقاب، ج١، ص٣٠٧.

(٢) مغني اللبيب: ص٤٥٧.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٤٤

(٤) مغني اللبيب لابن هشام: ص٤٥١.

(٥) هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبدالله بن منظور الفراء الأسلمي الديلمي الكوفي،عالم في اللغة والنحو، وكان صاحب حظوة عند المأمون. وقد عهد إليه تعليم ابنيه النحو. توفّي سنة (٢٠٧)هجريّة في طريق مكة. صنّف كتاب الحدود. الكنى والألقاب، ج٣، ص١٤.

قال: بم ذكرني؟

لاغير، ولهذا اقتصر عليه جماعة(١).

لكن نصّ أبو عبيدة(٢) وابن قتيبة(٣) وجماعة: على جواز الضمّ والكسر في الذكر باللسان والقلب معا(٤).

و الأمر: الحال، ومنه أمره مستقيم و يجمع على أُمور، وأمّا الأمر بمعنى طلب الشيء فيجمع على أوامر فرقاً بين المعنيين *.

و قوله: «بم ذكرني» أي بأيّ شيء، و«ما»: استفهاميّة تحذف ألفها وجوباً إذا جُرّت،وتبقى الفتحة دليلاً عليها نحو: فيمَ و بمَ والإمَ وعلامَ، وربّما تبعت الفتحة الألف في الحذف وهو مختصّ بالشعر كقوله: يا أبا الأسود لم خلّفتني،وعلّة الحذف للألف منها: الفرق بين الإستفهام والخبر فلهذا حذفت في نحو: «فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ»(٥) «فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا»(٦) «لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ»(٧) وثبتت في

---

(١) المصباح المنير: ص ٢٨٤.

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن مثنى البصري النحوي اللغوي كان متبحراً في علم اللغة وأيّام العرب وأخبارها، له مصنّفات حِسان في أيّام العرب وغيرها منها: كتاب المثالب. توفي سنة ٢١١هجريّة وله من العمر مائة سنة. الكنى والألقاب: ج١، ص١١٤.

(٣) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي الدينوري اللغوي النحوي،صاحب كتاب المعارف في التاريخ،وأدب الكاتب،والإمامة والسياسة،وعيون الأخبار،وغريب القرآن،وغيرذلك وتوفّى ابن قتيبة في رجب سنة ٢٧٦هجريّة.

الكنى والألقاب: ج١، ص٣٧٠.

(٤) المصباح المنير: ص٢٨٤.

(٥) سورة النمل: الآية ٣٥.

(٦) سورة النازعات: الآية ٤٣.

(٧) سورة الصف: الآية ٢.

قلت: جعلت فداك

نحو: «لَمَسَّكُمْ في ما أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ»(١) «يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ»(٢) «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ»(٣).

و كما لا تحذف الألف في الخبر، لا تثبت في الإستفهام.

و أمّا قراءة عكرمة و عيسى: «عمّا يتساءلون» بالألف،فنادر(٤).

و أمّا قول حسّان:(٥)

علىٰ ما قامَ يَشتُمنى لَئيمٌ...(٦) فضرورة*.

قوله: «جعلت فداك» أي: عوضك من المكاره.

قال في القاموس: فداه، يفديه، فداءً،وفدى ـ ويفتح ـ وافتدا به وفاداه: أعطاه شيئاً فأنقذه، والفداء: ككساء وكعلى وإلى وكفيته ذلك المعطى، وفدّاه تفدية: قال له:

---

(١) سورة النور: الآية ١٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤.

(٣) سورة ص: الآية ٧٥.

(٤) مجمع البيان: ج٩ - ١٠ ص ٤٢٠.

(٥) هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري،شاعر رسول الله (صلّى الله عليه وآله). يُحكىٰ أنّه عاش مائة وعشرين سنة، ستين سنه في الجاهلية. وستين سنه في الاسلام.

و من شعره المتواتر عنه ما قاله يوم غدير خم:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم و أكرم بالنبيّ مناديا

يقول فمن مولاكم و وليكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاديا

إلهك مولانا وأنت ولينا ... ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا

فقال له قم يا علي فانني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

هناك دعا اللهم وال وليّه ... وكن للذي عادى علياً معاديا

توفى في عهد معاوية بعد أن عمي في اواخر أيامه. الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص٢١٤.

(٦) مجمع البيان: ج٩ - ١٠، ص٤٢٠، وتكملة البيت هكذا: ... كخنزير تمرّغ في رماد.

مـا أحبّ أن استقبلك بما سمعته منه.

جعلت فداك (١)، انتهى.

و قال بعض أهل اللّغة: الفدى مقصورة بفتح الفاء وكسرها: مصدر فداه وأمّا الفداء بالكسر والمدّ: فمصدر فاداه مفاداة وفداء مثل: قاتله مقاتلةً وقتالاً.

قال المبرّد:(٢) المفاداة أن تدفع رجلاً وتأخذ رجلاً، والفدى أن تشتريه، وقيل: هما واحد(٣)*.

قوله: «ما أحبّ» أحببت الشيء بالألف فهو محبّ وحبّبته، أحبّه من باب ضرب فهو محبوب والقياس: أحبّه (بالضمّ) لكنّه غير مستعمل، وحببته، أحبّه من باب تعب لغة وأحببت بالألف أكثر من حببت وان جرى عليها محبوب كثيراً حتّى استغنى بها عن محبّ، فلا تكاد تجده إلّا في قول عنترة:(٤)

و لقد نزلت فلا تظنّي غيره　　　منّي بمنزلة المحبّ المكرم(٥)

و نظيره: محسوس، من حسّ والأكثر أحسّ ولا تكاد تجد محسّاً.

قوله: «أن استقبلك بما سمعته منه» أي أواجهك بالذي سمعته منه في أمرك فتكون (ما): موصولة، أو بشيء سمعته منه فتكون نكرة موصوفة وانّما كره الرّوي أن يستقبله بما سمعه منه في أمره لأنه أشفق عليه أن يحزن خوفا من القتل، ففهم

---

(١) القاموس: ج٤، ص٣٧٥، وفيه: «أعطى شيئاً».

(٢) وهو أبو العبّاس محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر الازدي المبرّد الثمالي البصري النحوي اللغوي، صاحب مصنفات كثيرة منها: كتاب الكامل المعروف، والروضة، والمقتضب، ومعاني القرآن، وغيرها توفي سنه ٢٨٥هجريّة ببغداد، ودفن في مقبرة باب الكوفة في داره. الكنى والألقاب: ج٣، ص١١٠.

(٣) المصباح المنير للفيومي: ص٦٣٦.

(٤) هو عنترة بن شداد العبسي، وأمّه حبشيّة، كان أبوه قد استعبده على عادة العرب في استعباد أبناء الإماء. انظر شرح المعلّقات للزوزني: ص١٩٠.

(٥) شرح المعلّقات السبع للزوزني: ص١٩٣.

فقـال: أبالموت تخوّفني؟ هات ما سمـعته.

يحيى ذلك فقال:

أبـالموت تخوّفني؟ الهـمزة: للإنـكـار التوبـيخي ويـعبّر عنـه بالتـقريع وإن كان أصلها الاسـتفهـام إلا أنّها انسلخت عن مـعنى الاستفهام الحقيقي هـنا فوردت لمعنى التوبيخ وهـو يقتضي انّ ما بعد الهمزة واقع وأنّ فاعله ملوم ومثله: «أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ»(١) «أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ»(٢).

و قوله: «(بالموت) متعلّق بتخوّفني وقدّم للعناية والإهتمام بانكار التخويف به.

قوله: «هات ما سـمعته» هات: فعل أمر بكسر التّاء إلاّ مع الواو فبالضمّ لأنّه بمنزلة إرم ناقص مبني على حذف الياء.

قال الخليل(٣) أصل هات من أتى يؤتي إيتاء فقلبت الهمزة هاء(٤)

و قيل: الهاء أصليّة غير منقلبة عن الهمزة وإنّما حكم بفعليّته لدلالته على الطلب وتصرّفه تصرّف الأفـعـال إفراداً وتثنيـة وجمعاً، تقول: هـات، هاتيا، هاتـوا، هاتي، هاتين، وإن قال الجوهري(٥): لا يقال مـنه هاتَيْتَ ولا ينهى منه(٦). فهذا لا يقدح في فعليّته وقصاراه أن يكـون تصـرّفـه ليس تامّاً، على أنّ بعضـهـم حكى أنّه يقال:

(١) سورة الصافات: الآية ٨٦.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٤٠.

(٣) هو أبو عبدالرحمن الخليل بـن أحمد بن عمرو بـن تميم الفراهيدي البصري، نحوي لغوي وأول من استـخـرج العروض وحصّـن بـه أشعـار الـعرب، له مـن الـكتب المصنّفة: العَـروض، الشواهد، الـنقط والشكل، العين، الايقاع، الجمل، ولدسنه ١٠٠هـ، توفي بالبصرة سنة ١٧٠هـ. الكنى والألقاب: ج١ص ٤١٠

(٤) لسان العرب: ج٢، ص١٠٧، والصحاح: ج١، ص٢٧١.

(٥) هو أبو نصر إسماعيـل بن حماد الجوهري، من علماء الـعربيّة، صنّف كتـاباً في العروض، ومقدمة في النحو، والصحـاح في اللغة، وهو مـتداول بأيدي النـاس. ولد بفاراب سنة (٣٣٢)هـجريّة، وتوفّى سنة (٣٩٣)هجريّة بنيسابور. الكنى والألقاب: ج٢ ص١٤٤.

(٦) الصحاح للجوهري: ج١ص٢٧١ وفيه: «لاينهى بها».

فقلت: سمعته يقول: إنّك تقتل وتصلب كما قتِل أبوك وصلب. فتغيّر وجهه وقال: «يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ».

هات لا هاتيت وهات إن كانت بك مهاتاة وما أهاتيك كما أعاطيك.

و ذهب بعضهم إلى أنّه اسم فعل لأعط مقابلة لها بمعنى خذ، واعتذر عن لحوق الضمائر له بقوّة مشابهته للأفعال لفظاً فعومل معاملتها في ذلك،وقال في نحو هاتيت ومهاتاة: انّه مشتقّ من هات كاحاشي من حاشا،وبسمل من بسم الله *.

قوله: «تقتل وتصلب كما قتل أبوك وصلب» ما: مصدريّة أي:كقتله وصلبه، ومثله: «آمنُوا كَما آمَنَ النّاسُ»(١) وكذا حيث اقترنت بكاف التشبيه بين فعلين متماثلين.

قوله: «فتغيّر وجهه» الفاء: عاطفة سببيّة مثلها في قوله تعالى: «فَتَلَقّىٰ آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ»(٢). وكثيراً ما تأتي الفاء للسببيّة إذا كانت عاطفة جملة كما ذكر أو صفة كقوله تعالى: «لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمالِؤُن مِنْهَا الْبُطُونَ»(٣) وقد تجيء في ذلك لمجرد الترتيب نحو: «فَراغَ إلىٰ أَهْلِهِ، فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ»(٤)، «فَالزّاجِراتِ زَجْراً * فَالتّالِياتِ ذِكْراً»(٥).

وتغيّر الوجه: عبارة عن امتقاع اللّون، يقال: تغيّر وجهه وامتقع لونه: إذا تحولّ عمّا كان عليه من فزع أو حزن.

قوله: «و قال: يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ»(٦) المحو: إذهاب

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٥٢ و٥٣.

(٤) سورة الذاريات: الآية ٢٦.

(٥) سورة الصافات: الآية ٢ و٣.

(٦) سورة الرعد: الآية ٣٩.

....

أثر الكتابة ونحوها، وانّما تلا هذه الآية رجاء أن يكون ما أخبر بـه الصادق (عليه السّلام) من قتله وصلبـه كما قتل أبوه وصلب من الأمور الموقوفة عندالله عزّوجلّ التي يمحو منها مـا يشـاء ويثبت ما يشـاء، لا مـن الأُمـور المحتومة التي حتـمـها الله تعالى قـبل أوان وجودها فهو يوجدها في أوقاتها لا محالة ولا يمحوها.

فـقد ورد عن الباقر (عـليه السّلام): «إنّ من الأُمور أُموراً مـوقـوفة عندالله يقدّم منها ما يشاء ويؤخّـر مـايشـاء»(١) وفي هذا المعنى روايات اخر، وهذا مـعنى الـبداء الّذي ذهبت الفرقة الإماميّة إلى القول به.

و قـد استدلّ الصـادق (عليـه السّلام) على وقوعه بـالآية المذكـورة فقال: «هل يمحي إلّا ما كان ثابتاً؟ وهل يثبت إلّا ما لم يكن»(٢).

و بيان الاستدلال: انّ قوله تـعالى: (يَمْحُو) يستدعى كوناً ثابتاً أوّلاً، لأن المحو ليس سلباً صـرفاً،ولهذا لا يـقال لمـا لم يوجد قطّ انّـه يمحى،وكذلك قوله: «يـثبت» يستدعي عدماً سابقاً.

فتحقّق انّ كلّاً من المحـو والإ ثبـات يقتضي سنـوح(٣) أمر وزوال آخر في بعض الصحف العلويّة.

قال بعض المحقّقين: فعلى هذا عندالله تعالى كتابان:

أحدهما: اللّوح المحفوظ المثبت، فيه أحوال جميع الخلق إلى يوم القيامة وهو المعبّر عنه بأمّ الكتاب،وهذا لا يتغيّر ما أُثبت فيه.

و ثانيهما: كتاب المحو و الإ ثبات الذي يمحو الله منه مايشاء ويثبت فيه مايشاء،

---

(١) الكافي: ج١، ص١٤٧، ح٧. وفيه: «من الأمور... ويؤخّر منها مايشاء».

(٢) الكافي: ج١، ص١٤٦، ح٢.

(٣) سنوح: جمع سنح بمعنى ظهر. المصباح المنير: ص٣٩٥.

....

وفي المقام كلام طويل طوينـاه على غِرَّة(١)، فانّ مسألة البـداء من غوامض المسائل الإلٰهيّة وعويصات(٢) المعارف الرّبّانيّة.

فـان قلـت: مـا قـرّرتـه مـن رجـاء يحيـى لأن يـكـون مـا أخبر بـه الصـادق (عليه السّلام) مـن أمره من الأمور الموقوفة عندالله التي يمحو منها مايشاء ويثبت مايشاء،ينـافيه ما رواه ثقة الاسلام في الكافي بإسنـاده إلى الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر (عليه السّلام) يقول: «العلم علمان: فعلم عندالله مخزون لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علّمه ملائكته ورسله فما علّمه ملائكته ورسله فانّه سيكون لا يكذّب نفسه وملائكته ورسله»(٣).

و ما رواه أيضاً باسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: إنّ لله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلاّ هو، من ذلك يكون البداء، وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبيائه فنحن نعلمه(٤).

فعلى هذا يكون ما أخبر به الصادق (عليه السّلام) من أمر يحيى من العلم الذي علّمه الله تعالى ملائكته ورسله وعلّمه الأئمة (عليهم السّلام) وقد حكم بأنّه سيكون على وفق ما علّمهم من غير تغيير ولا تبديل، حذراً من التكذيب، وإنّ البداء إنّما يكون في العلم المخزون المكنون الّذي لا يعلمه إلاّ الله سبحانه وتعالى فكيف يرجو يحيى أن يكون ما أخبر به الصّادق (عليه السّلام) من العلم الّذي يكون فيه البداء بعد علم الصادق (عليه السّلام) له بتعليم الله تعالى.

قلت: لا شك انّ ما أخبر به الصادق (عليه السّلام) من العلم الّذي لم يجز فيه

---

(١) الغِرّة بالكسر:الغفلة، والغُرّة بالضم:من الشهر. المصباح المنير: ص٦٠٨.

(٢) كلام عويص: اي يعسر فهم معناه، المصباح المنير: ص٥٨٩.

(٣) الكافي: ج١، ص١٤٧، ح٦ مع زيادات.

(٤) الكافي: ج١، ص١٤٧، ح٨.

....

بداء ولذلك وقع كما أخبر به (عليه السّلام)، ولكن قبل وقوعه لا ينافيه رجاء يحيى، فانّ المراد بالتعليم في الرواية المذكورة: التعليم المقرون بما يفيد القطع بوقوع متعلّقه،فانّه لابدّ من وقوعه لامرّ، وأمّا التعليم المجرّد عن ذلك فيجوز أن لا يقع متعلّقه لجواز أن يكون متعلّقه مقيّداً بشرط في علم الله تعالى كما في حديث وفاة الملك الّذي رواه الصدوق في كتاب العيون باسناده عن أبي الحسن الرّضا (عليه السّلام) لإثبات البداء، انّه قال (عليه السّلام): لقد أخبرني أبي عن آبائه انّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: إنّ الله عزّوجل أوحى إلى نبيّ من أنبيائه أن أخبر فلانا الملك إنّي متوفّيه إلى كذا وكذا، فأتاه ذلك النبيّ فأخبره، فدعا الله الملك وهو على سريره حتّى سقط من السّرير،وقال: يا ربّ أجّلني حتّى يشبّ طفلي وأقضي أمري، فأوحى الله إلى ذلك النبيّ أن إئت فلاناً الملك فأعلمه انّي قد أنسيت أجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة فقال ذلك النبيّ: يا ربّ إنّك تعلم إنّي لم أكذب قطّ، فأوحى الله تعالى إليه: إنّما انت عبد مأمور فأبلغه ذلك والله لا يُسئل عمّا يفعل»(١).

فانّ وفاة الملك كانت مقيّدة في علم الله تعالى بترك الدّعاء والتضرّع، فلما وجدا لم تقع لانتفاء الشرط.

و إخبار النبيّ ذلك الملك عن الله تعالى بأنّه متوفّيه لم يكن كذباً في نفس الأمر، فانّ قوله: «متوفّيه» من كلامه تعالى وهو مقيّد في علمه سبحانه بما ذكر وعدم علم النبيّ بذلك القيد لاينافي صدق ذلك الكلام المقيد في نفس الأمر،ولا يكون الإخبار به كذباً، وانّما يكون كذباً لو لم يُؤمَر بالإخبار فأخبره. وقد وردت أحاديث اُخر تضاهي الحديث المذكور،وفيها دلالة على أن الأنبياء (عليهم السّلام)

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السّلام): ج١ ص١٨١ مع اختلاف يسير في العبارة.

يا متوكل: إنّ الله عزّوجل أيّد هذا الأمر بنا، و جعل لنا العلم والسيف فجمعا لنا، وخصّ بنو عمّنا بالعلم وحده.

لا يعلمون جميع أسرار القدر ولعلّ العرض من تبليغهم أمثال ذلك، أن يظهر للخلق أن لله تعالى علوماً لا يعلمها إلّا هو، فعلم انّ رجاء يحيى لا ينافيه ما ذكر من الحديث السّابق وإن ظهر بعد ذلك أنّ ما أخبر به الصّادق (عليه السّلام): من أمره، كان من الأُمور المحتومة التي لم يقع فيها تغيير ولا تبديل فتأمّل.

أيّده تأييداً: قوّاه، من آد، يئيد، أيداً، إذا قوّى واشتدّ، والمراد بهذا الأمر: الدّين الحقّ،والشريعة المحمّديّة *.

و قوله: (بنا) أي أهل البيت (عليهم السّلام)،وهذا الكلام منه تمهيد للعذر في إصراره على الخروج المفهوم من قوله: أبالموت تخوّفني؟ مع علمه بصدق الخبر،بما يصير إليه أمره من القتل والصلب.

لا يقال: هذا يدلّ على إعتقاده مذهب الزيديّة الّذين ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة (عليها السّلام) ولم يجوّزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، وقالوا: إنّ كل فاطمّي يكون عالماً، زاهداً،سخيّاً، شجاعاً، خرج بالسيف يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين (عليهم السّلام)،ومن هذا قالت طائفة منهم: بإمامة محمّد، وابراهيم ابني عبدالله بن الحسن المثنّى الذين خرجا في زمن المنصور، وقتلا على ذلك، وجوّزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال،ويكون كلّ واحد منهما واجب الطاعة.

لانّا نقول: يجوز أن يكون مراده انّه جعل لنا السيف لتأييد الدّين بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، حتّى يرجع الحقّ إلى أهله ويصل إلى صاحبه من الأئمّة المعصومين.

كما يحكى عن زيد انّه لمّا خفقت الرّاية على رأسه قال: الحمدلله الذي أكمل لي ديني، والله انّي كنت أستحي من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، أن أرد عليه

....

الحوض غداً ولم آمر بين أُمّته بمعروف ولم أنه عن منكر(١).

و روى جابر الجعفي(٢) عنه أنّه قال: شهدت هشاماً و رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يُسبّ عنده فلم ينكر ذلك ولم يغيّره، فوالله لو لم يكن إلاّ أنا وابني لخرجت عليه(٣).

و أمّا الإمامة: فلا شكّ انّه كان عارفاً بصاحبها. فقد روى الصدوق بإسناده عن عمرو بن خالد قال: قال زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام): في كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتجّ الله به على خلقه، وحجّة زماننا ابن أخي جعفر بن محمّد (عليهما السّلام)، لا يضلّ من تبعه ولا يهتدي من خالفه(٤).

و روى النجاشي: بإسناده عن عمّار الساباطي قال: كان سليمان بن خالد الهلالي خرج مع زيد بن عليّ حين خرج فقال له رجل ـ ونحن وقوف في ناحية

---

(١) تنقيح المقال: ج١، ص٤٦٩.

(٢) جابر بن يزيد الجعفي الكوفي، كان من خواص الباقر عليه السّلام، قال:

دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السّلام وأنا شاب فقال: من أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: ممن؟ قلت: من جعفي. قال: ما أقدمك إلىٰ هاهنا؟ قلت: طلب العلم. قال: ممن؟ قلت: منك. قال: فاذا سألك أحدٌ من أين أنت فقل من اهل المدينة. قال: قلت أسئلك قبل كل شيء عن هذا أيحل لي أن أكذب؟ قال: ليس هذا بكذب من كان في المدينة فهو من أهلها حتىٰ يخرج. قال: ودفع اليّ كتاباً وقال لي: إن أنت حدّثت به حتى يهلك بنو أمية فعليك لعنتي واعنة آبائي،وان أنت كتمت منه شيئاً بعد هلاك بني أميّة فعليك لعنتي ولعنة آبائي، ثم دفع اليّ كتاباً آخر ثم قال: وهاك هذا فان حدّثت بشيء منه أبداً فعليك لعنتي ولعنة آبائي. توفى سنة ١٢٨هجريّة.

تنقيح المقال: ج١، ص ٢٠١.

(٣) الكافي: ج٨ ص٣٢٣، ح٥٩٣.

(٤) امالي الصدوق: ص٤٣٦.

فقلت: جعلت فداك انّي رأيت النّاس إلىٰ ابن عمّك جعفر (عليه السّلام) أميل منهم إليك وإلىٰ أبيك، فقال: إنّ عميّ محمّد بن عليّ وابنه جعفراً (عليهما السّلام) دعوا النّاس إلىٰ الحياة، ونحن دعوناهم إلى الموت.

وزيد واقف في ناحية ـ: ما تقول في زيد؟ هو خير أم جعفر؟ قال سليمان: قلت: والله ليوم من جعفر خير من زيد أيّام الدّنيا، قال: فحرّك دابّته وأتى زيداً وقصّ عليه القصّة قال: فمضيت نحوه وانتهيت إلى زيد وهو يقول: جعفر، إمامنا في الحلال والحرام(١)، انتهى.

هذا إلى ما تقدّم من الأحاديث عن الصادق والرّضا (عليهما السّلام) في صحّة إعتقاده وبراءة ساحته ممّا ترميه الزيديّة به *.

أميل منهم إليك: أي أشدّ حبّاً له، من مال إليه، أي: أحبّه كما نصّ عليه الزمخشري في الأساس(٢).

و هو مفعول ثان لرأيت لأنّها قلبيّة، أي علمت و وجدت النّاس، وصحّ تفضيل النّاس على أنفسهم لكونه باعتبارين: فهم باعتبار ميلهم إلى ابن عمّه فاضلون، وباعتبار ميلهم إليه وإلى أبيه مفضولون.

و منهم: متعلّق بأميل وكذا (إلى) في الموضعين من قوله: (إلى ابن عمّك) و (إليك).

و عدم جواز تعلّق حرفين متّحدين لفظاً ومعنى بعامل واحد، بلا عطف ولا بدليّة، انّما هو فيما عدا أفعل التفضيل من العوامل لإتّحاد حيثيّة عملها.

و امّا أفعل التفضيل: فحيث دلّ علىٰ أصل الفعل وزيادة، جرى مجرى عاملين

---

(١) لم نعثر عليه في رجال النجاشي بل عثرناه في رجال الكشي: ص٣٠٨ رقم ٢٠٥ في آخره.

(٢) اساس البلاغة: ص٦١٠.

....

كأنّه قيل: ميلهم إلى ابن عمّك **زائد** على ميلهم إليك.

و قيل: تعلّق الجارّين به لشبههما بالظرفين ولذلك جاز تقديم الجارّ الأوّل على أفعل التفضيل لإ تّساعهم في الظروف ـ كما جاز كلّ يوم لك ثوب ـ بالا تّفاق، ولا حاجة إلى تكلّف القول بتعلّقه بمحذوف دلّ عليه هذا الظاهر، وهو أميل بناء على أنّ صلة أفعل لا تتقدّم عليه، لأنّ الظرف و أخاه يكفيهما رائحة الفعل كما نصّ عليه **الرّضيّ(١) وغيره.**

و دعوا الناس إلى الحياة: **أي أمراهم** بالكفّ عن الجهاد والقتال،ونحن دعوناهم إلى الخروج معنا،وحبّ الحياة وكراهيّة الموت من لوازم الطّباع، أمّا دعاؤهما الناس إلى الحياة فقد كان من مذهبهما ومذهب أبنائهما الطاهرين (عليهم السّلام أجمعين) عدم الخروج والصّمت والتقيّة،وكانوا يأمرون شيعتهم بذلك حتّى يقوم القائم من آل محمّد (عليهم السّلام).

و دلّت على ذلك روايات كثيرة.

منها: ما روي عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: كفّوا ألسنتكم وألزموا بيوتكم فانّه لا يصيبكم أمر تخصّون به أبداً، ولا تزال الزيديّة لكم وقاء(٢).

و عن سدير(٣) قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السّلام): يا سدير، ألزم بيتك وكن

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص١١٢.

(٢) الكافي: ج٢. ص٢٢٥، ح١٣.

(٣) سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي، من أصحاب السجاد والباقر والصادق (عليهم السّلام) وفي رواية زيد الشحّام عن الصادق (عليه السّلام) قال: ياشحّام انّي طلبت إلى إلهي في سدير وعبدالسلام بن عبدالرحمن وكانا في السجن فوهبهما لي وخلّى سبيلهما.

تنقيح المقال: ج٢، ص ٨.

فقلت: يابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أهم أعلم أم أنتم؟ فأطرق إلى الأرض مليّا ثم رفع رأسه وقال: كلّنا له علم، غير انّهم يعلمون كلّ ما نعلم ولا نعلم كلّ ما يعلمون.

حلساً(١) من أحلاسه، واسكن ما سكن اللّيل والنّهار، فاذا بلغك أنّ السفيانيّ قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك(٢).

و عنهم عليهم السّلام: عليكم بهذا البيت فحجوّه أما يرضى أحدكم أن يكون في بيته ينفق على عياله من طوله، ينتظر أمرنا فإن أدركه كان كمن شهد مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بدرًا، وإن مات منتظراً لأمرنا كان كمن كان مع قائمنا **صلوات الله عليه**(٣)، **الحديث طويل** أخذنا منه موضع الحاجة والأخبار في هذا المعنى مستفيضة جداً*.

أطرق الرّجل: سكت ولم يتكلّم وعدّاه بـ(إلى) لتضمينه معنى نظر أي أطرق ناظراً إلى الأرض.

و المليّ: كعليّ، الطائفة من الزّمان لا حدّ لها، يقال: مضى مليّ من الزّمان، ومليّ من النهار، ومليّ من الدّهر، أي طائفة منه وهو من الملاوة مثلّثة، وهي البرهة من الدّهر وأمّا الملئ بالهمزة بمعنى الغني المتموّل من الملاءة: بمعنى الغنى والثروة.

و عن أبي عليّ الفارسي(٤): «الملي» المتّسع، يقال: انتظرته مليّاً من الدّهر أي

---

(١) الحلس: كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله. والجمع: أحلاس مثل حمل وأحمال، والحلس بساط يبسط في البيت. المصباح المنير: ص٢٠١.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٠، ص٣٦، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٠، ص٣٣، ح٥.

(٤) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي ولد بمدينة فسا سنة ٢٨٨هجريّة، وتوفّى سنة ٣٧٧هجريّة ببغداد. له مصنّفات منها: الإيضاح في النحو، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب الحجّة في علل القراءات وغيرها. وكان متّهماً بالإعتزال! الكنى والألقاب: ج٣، ص٤.

....

متّسعاً منه، قال: وهو صفة استعملت إستعمال الأسماء(١).

و قيل: في قوله تعالى: «وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا»(٢) أي: دهراً طويلاً عن الحسن، ومجاهد،وسعيد بن جبير(٣).

و قيل: أي مليّاً بالذهاب إلى الهجران، أي مطيقاً له قويّاً عليه.

قال بعضهم: لعلّه انّما أطرق للتقيّة أو للتفكّر في أنّ مراد المتوكّل بالعلم هل هي العلوم النظريّة أو الحكمة العمليّة المعبّر عنها بالسّياسات المدنيّة؟ أو لأجل إبانة أنّه ليس بينه وبين هؤلاء الّذين هم من أصحاب العصمة، نسبة لعدم المجانسة. وحمل كلام يحيى على الحميّة البشريّة بعيد، انتهى.

قلت: بل الظاهر انّ إطراقه انّما هو للتفكّر، هل استفهام المتوكّل من باب تجاهل العارف، ليعلم حقيقة إعتقاد يحيى في جعفر وأبيه(عليهما السّلام)؟أو هو على صرافته استفهام حقيقي؟أو هو للانكار التوبيخي،مثل قوله تعالى: «قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ»(٤) ثم رجّح الوجه الثاني لعلمه بمقام السّائل فقال: كلّنا له علم أي: كلّ فرد منّا له علم.

قيل: و كلّ محتمل لقسمي الإستغراق الإفرادي أعني الحقيقي،وهو أن يراد كلّ فرد ممّا يتناوله اللّفظ بحسب اللغة، والعرفي: وهو أن يراد كلّ فرد ممّا يتناوله اللفظ بحسب متفاهم العرف.

قلت: هذا هو الأظهر لأنّ المراد كلّ فرد ترشّح للرّياسة وهداية الخلق لا مطلقاً.

---

(١) المخصص لابن سيده: ج٤ السفر الخامس عشر، ص١٣٣، نقلاً بالمضمون.

(٢) سورة مريم: الآية ٤٦.

(٣) مجمع البيان: ج٥ - ٦، ص٥١٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٤٠.

ثمّ قال لي: أكتبت من ابن عميّ شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أرنيه فأخرجت إليه وجوهاً من العلم.

و لا شكّ أن زيداً (رضي الله عنه) كان له علم كما يدلّ عليه صريحاً قول الرّضا (عليه السّلام): انّه كان من علماء آل محمّد، وقد تقدّم الحديث(١)، وقول زيد لمؤمن الطّاق حين دعاه إلى الخروج معه فامتنع: إنّ عندي **لصحيفة قتلي وصلبي**(٢) لكن ليس هذا العلم كعلم الأئمة المعصومين (عليهم السّلام) فانّ علمهم على وجوه:

منها: ما هو وراثة من رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

و منها: ما هو إلهام من الله تعالى.

و منها: ما هو سماع من الملك كما وردت به الآثار المستفيضة عنهم (عليهم السّلام)، وأمّا علم غيرهم من أهل البيت فبتعليم منهم (عليهم السّلام) لا غير، وقد اعترف بذلك يحيى حيث قال: غير انّهم يعلمون كلّ مانعلم ولا نعلم كلّ ما يعلمون، وانّما لم يقل في الجواب: هم أعلم لاحتماله التفضيل في كيفيّة العلم دون كميّته،فعدل إلى هذه العبارة الصّريحة في الدّلالة على المطلوب *.

كتبت من ابن عمّي: أي مستملياً منه،ففيه تضمين.

و من: إبتدائيّة،والغالب في نونها إبتدائيّة كانت أو غيرها أنّها تفتح مع حرف التعريف وتكسر مع غيره نحو: من النّاس من الّذين فرّقوا (بالفتح) من ابنك من ابن عمّي (بالكسر).

و قلّ عكسه،أي الكسر مع حرف التعريف والفتح مع غيره كما وقع في نسخة هنا مضبوطة بفتح النّون لكنّ الفتح مع غير حرف التعريف وإن كان قليلاً أكثر من الكسر معه.

قوله:«فأخرجت إليه وجوهاً من العلم» أي أبواباً مأخوذ من الوجه وهو ما يتوجّه

---

(١) ص ٧٩.

(٢) بحارالأنوار: ج٤٦ ص١٨٠ ح٤٢.

وأخرجت إليـه دعاءً أملاه عليّ أبو عبدالله (عليه السّلام) و حدّثني أنّ أباه محمّد بن عليّ (عليهما السّلام) أملاه عليه.

إليه الإنسان من عمل وغيره، ويحتمل أن يكون من قولهم: وجوه القوم: أي ساداتهم والمراد مسائل شريفة من العلم*.

قوله: «أملاه عليّ» أي ألقاه،من أمليت الكتاب إملاءً، ويقال: أمللته إملالاً، والأُولى لغة تميم وقيس،والأُخرى لغة الحجاز وبني أسد،وجاء الكتاب العزيز بهما قال تعالى: «فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً»(١) وقال عزّوجلّ «وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ»(٢).

و قيل: الثّانية أصل للأُولى، فالإملاء أصله: إملال أُبدلت اللّام ياءً،كما في تمطّى وتظّنى أي: تمطّط وتظّنن،وكذلك تفعل العرب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد جعلوا بدل الثاني من غيرذلك الجنس،وعليه قوله تعالى: «وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيٰهَا»(٣) أي دسّسها

و قيل: بل كلّ منهما أصل برأسه، فليس جعل أحدهما أصلاً والآخر فرعاً أولى من العكس.

وقال أبوالطيّب اللّغوي(٤): ليس المراد بالابدال: انّ العرب تتعمّد تعويض حرف من حرف، وإنّما هي لغات مختلفة لمعان متّفقة تتقاوت اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتّى لا يختلفا إلّا في حرف واحد، والدليل على ذلك: إنّ قبيلة واحدة

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٣) سورة الشمس: الآية ١٠.

(٤) عبدالواحد بن علي أبو الطيب اللغوي الحلبي، صاحب تصانيف منها: لطيف الاتباع والابدال وشجر الدر. توفي بعد الخمسين وثلثمائة.

بغية الوعاة: ص ٣١٧.

وأخبره أنّه من دعاء أبيه عليّ بن الحسين (عليهم السّلام) من دعاء الصّحيفة الكاملة.

لا تتكلّم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة مثلاً: انّما يقول: هذا قوم وذاك آخرون *

قوله: «و أخبره انّه من دعاء أبيه» من فيه: ابتدائيّة،أو للتبعيض لإمكان سدّ بعض مسدّها أي بعض دعاء أبيه.

قوله: «من دعاء الصحيفة الكاملة» بدل من قوله: من دعاء أبيه كقوله تعالى: «أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ»(١)وان أعرب الزّمخشرى من وجدكم عطف بيان لقوله: من حيث سكنتم وتفسير له، قال: ومن تبعيضيّة حذف مبعّضها أي أسكنوهن سكاناً من مسكنكم ممّا تطيقون انتهى(٢).

فانّما أراد البدل لأنّ الخافض لا يعاد الّا معه،وانّما عبّر عن البدل بعطف البيان لتآخيهما، وهذا إمام الصّناعة سيبويه(٣) يسمّي التّوكيد صفة وعطف البيان صفة، قاله ابن هشام(٤) في المغني(٥).

و الصحيفه: قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيها، والجمع صحف وصحائف

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٦.

(٢) الكشّاف: ج٤، ص٥٥٨.

(٣) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه،وهي كلمة فارسيّة مؤلّفة من (سيب) وهو التفاح و (بوي) وهو الرائحة اشتهر بهذا اللقب لأنّه كان يعتاد شمّ التفاح، وقيل لجماله ولد بالبيضاء من قرى شيراز سنة ١٤٨هجريّة، وتوفّي سنة ١٨٠هجريّة على اصح الأقوال في مسقط رأسه حيث مدفنه هناك . له كتاب في النحو مشهور في الآفاق.

الكنى والألقاب: ج٢ ص٢٩٦.

(٤) هو أبو محمّد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام. ولد بالقاهرة عام (٧٠٨)هجريّة . وتوفّي سنة (٧٦١) هجريّة . وهو صاحب مغني اللبيب، وشذرات الذهب، وقطر الندى. وأوضح المسالك وغيرها يربو على الثلاثين مصنّفاً في النحو.

الكنى والألقاب: ج١ ص٤٣٦.

(٥) مغني اللبيب: ص٧٤٢.

فنظر فيه يحيىٰ حتّىٰ أتىٰ علىٰ آخره، وقال لي: أتأذن في نسخه؟

وإذا نسب إلى الصحيفة قيل: صحفي(١) (بفتحتين) يقال: هذا رجل صحفي(٢). يأخذ العلم من الصحيفة دون المشائخ، كما ينسب إلى حنيفة وبجيلة، حنفي وبجلي وما أشبه ذلك، وسميّ الدّعاء بالصحيفة مجازاً من تسمية الظرف باسم المظروف، والصحيفة الكاملة هي الملقّبة بانجيل أهل البيت وزبور آل محمّد (عليهم السّلام).

قال ابن شهراشوب في معالم العلماء في ترجمة يحيى بن علي بن محمّد الحسيني الرّقي: يروي عن الصادق (عليه السّلام) الدّعاء المعروف بانجيل أهل البيت(٣) وقال: دعاء الصحيفة يلقّب بزبور آل محمّد (عليهم السّلام)، ووصفها بالكاملة لكمالها فيما أُلّفت له، أو لكمال مؤلّفها على حدّ كلّ شيء من الجميل جميل.

قال ابن شهراشوب في معالم العلماء: قال الغزالي: أوّل كتاب صنّف في الإسلام كتاب ابن جريح في الآثار، وحروف التفاسير، عن مجاهد وعطاء بمكّة، ثمّ كتاب معمّر بن راشد الصّنعاني باليمن، ثمّ كتاب الموطّأ بالمدينة لمالك بن أنس، ثم جامع سفيان الثّوري، بل الصحيح انّ أوّل من صنّف فيه أمير المؤمنين (عليه السّلام)، جمع كتاب الله جلّ جلاله، ثمّ سلمان الفارسيّ (رضي الله عنه)، ثمّ أبوذر الغفاريّ (رحمه الله) ثمّ الأصبغ بن نباتة، ثم عبيدالله بن رافع، ثمّ الصّحيفة الكاملة عن زين العابدين (عليه السّلام)(٤)*.

قوله: «حتّى أتى على آخره» أي أنهاه، نظراً من قولهم: أتى عليهم الدهر: أي أفناهم.

قوله: «أتأذن في نسخه» أذنت له في كذا: أطلقت له فعله. ونسخت الكتاب

---

(١) و(٢) (الف): صحيفي.

(٣) معالم العلماء لابن شهراشوب: ص١٣١، الرقم ٨٨٦ وفيه: علي بن محمّد بن الحسين الرقي.

(٤) معالم العلماء لابن شهراشوب: ص٢.

فقلت: يابن رسول الله أتستأذن فيما هو عنكم.

فقال: أما انّي لأخرجنّ إليك صحيفة من الدعاء الكامل

نسخاً من باب نفع: نقلته وانتسخته.

كذلك قال ابن فارس (١): وكل شيء خلف شيئا فقد انتسخه(٢). وكتاب منسوخ ومنتسخ أي: منقول، والنّسخه: الكتاب المنقول، والجمع: نسخ، مثل غرفة وغرف *.

قوله: «فيا هوعنكم» أي مأخوذ عنكم أو منقول عنكم، وفي نسخة عندكم بدل عنكم، أي موجود عندكم.

أما بفتح الهمزة وتخفيف الميم: حرف إستفتاح بمنزلة (ألا) ويكثر وقوعه قبل القسم كما وقع هنا.

و اللام في قوله: «لأخرجنّ» لجواب القسم، والقسم محذوف لدلالة الجواب عليه والتقدير: والله لأخرجنّ، وكثيراً ما يحذف القسم إستغناءً عنه بجوابه، وذلك حيث قيل: لأفعلنّ، أو لقد فعل أو لئن فعل نحو: «لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً»(٣) الآية «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ»(٤) و«لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرِجُونَ مَعَهُمْ»(٥)، ففي كلّ جملة قسمٌ مقدّرة.

---

(١) [illegible] بن زكريا بن حبيب [illegible]. [illegible] لغوي. [illegible] في [illegible] قطن بقزوين وقيل بغيرها. توفي سنة (٣٩٥) هجرية في الري ودفن فيها.

صنّف كتباً في اللغة وقد عدّ له خمس وأربعون كتاباً منها: كتاب المجمل، وكتاب المقاييس.

الكنى والألقاب: ج١، ص٣٦٠

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ج٥، ص٤٢٤.

(٣) سورة النمل: الآية ٢١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

(٥) سورة الحشر: الآية ١٢.

مِمّا حفظه أبي عن أبيه، وإن أبي أوصاني بصونها ومنعها عن غير أهلها.

قال عمير: قال أبي: فقمت إليه فقبّلت رأسه وقلت له: والله يابن

قوله: «ممّا حفظه أبي» الحفظ يقال تارة: لقوّة النّفس التي تثبت ما يؤدّي إليها الفهم، وتارة: لاستعمال تلك القوّة، وتارةً لضبط الشيء في النّفس، وهو المراد هنا. وعدّاه بـ«عَنْ» لتضمينه معنى النقل أي: ناقلاً عن أبيه.

قوله: «و أنّ أبي أوصاني بصونها» أي: أمرني به من قولهم: أوصيته بالصلاة، أي: أمرته بها، وعليه قوله تعالى: «يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ»(١) أي: يأمركم.

و في حديث خطب رسول الله (صلّى الله عليه وآله): فأوصى بتقوى الله (٢) أي: أمر، والصّون: المنع من الضّياع والإبتذال، صنته صوناً وصياناً وصيانة فهو مصون علىٰ النّقص.

و وزنه مفول ـ ناقص العين ـ ومصوون على التمام، ووزنه مفعول وصوان(٣) الثوب وصيانه (مثلّثين) ما يصان فيه.

قوله: «و منعها عن غير أهلها» هم الظالمون والمنافقون والسّفهاء من النّساء والصّبيان ونحوهم. كما ورد عن الباقر (عليه السّلام) في دعاء السمات: لا تبدوه للسفهاء والنّساء والصّبيان والظالمين والمنافقين(٤).

و إنّما أمر بمنعها هؤلاء لئلّا يستعملون الدّعاء بها فيما لا يحلّ سفهاً أو ظلماً.

فقمت إليه: ضَمَّنَ قام معنى توجّه أو بادر، فعدّاه بـ(إلى) أي: فقمت متوجّهاً إليه أو مبادراً إليه.

قوله: «فقبلت رأسه» أي: لثمته من التقبيل بمعنى اللّثم، والقُبلة بالضمّ: اللثمة، والبَوس بالفتح: بهذا المعنى فارسيّ معرّب من بُوس بالضمّ.

---

(١) سورة النساء: الآية ١١. (٢) تحف العقول: ص٢٩. (٣) (الف): صون.

(٤) بحار الأنوار: ج٩٠، ص١٠٢، وفيه: «لا تبذلوه للنساء السفهاء».

رسول الله انّي لأدين الله بحبّكم وطاعتكم، وانّي لأرجو أن يسعدني في حياتي ومماتي بولايتكم.

قال بعض المولّدين مورّيا:

أدّ زكاة الجمال بوساً فإنّني البائس الفقير*.

قوله: «لأدين الله بحبّكم» أي: أتعبّده به.

يقال: دان بالاسلام دِينا (بالكسر): تعبّد به وتديّن به كذلك فهو ديّن، مثل ساد فهو سيّد، والباء: للملابسة أي: ملتبساً بحبّكم، والحبّ: ميل القلب إلى ما يوافقه، والطّاعة: اسم من أطاعه إطاعة إذا إنقاد له، وطاعه طوعاً من باب قال، وبعضهم يعدّيه بالحرف فيقول: طاع له،وفي لغة من باب باع، قالوا: ولا تكون الطاعة إلاّ عن أمر، كما انّ الجواب لا يكون إلّا عن قول، يقال: أمره فأطاع.

قال ابن فارس: إذا مضى لأمره فقد أطاعه،وإذا وافقه فقد طاعه(١).

قوله: «وانّي لأرجو» أي أُؤمّل، رجوته أرجوه رجواً على فعول،والاسم: الرّجاء، ورجيته من باب رمى لغة.

قوله: «يسعدني» يقال: سعد فلان في دين أودنيا، يسعد: من باب تعب فهو سعيد، والجمع: سعداء،والسعادة: اسم منه، ويعدّى بالحركة في لغة،فيقال: سَعَدهُ الله يسْعَده -بفتحتين- فهو مسعود، وقُرِئَ في السّبعة بهذه اللّغة في قوله تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا»(٢) بالبناء للمفعول، والأكثر أنْ يتعدّى بالهمزة فيقال: أسعده الله فهو مسعود أيضا، ولا يقال: مسعد.

وعرفت السّعادة:بأنّها نيل ما تشتهيه النّفس مع الشعور به.

قوله: «في حياتي ومماتي» السعادة في الحياة قسمان: دنيويّة وأُخرويّة.

و الدنيويّة قسمان: بدنيّة كالصحّة والجمال،و وفور القوّة ونحو ذلك،وخارجيّة

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ج٣، ص٤٣١.

(٢) سورة هود: الآية ١٠٨.

فرمىٰ صحيفتي التي دفعتها إليه إلىٰ غلام كان معه وقال: اُكتب هذا الدّعاء بخطّ بيّن حسن واعرضه عليّ لعلّي أحفظه، فانّي كنت أطلبه من جعفر حفظ الله فيمنعنيه.

كالأهل والأولاد والأموال،وترتّب أسباب المعيشة.

و الأُخرويّة قسمان: علميّة وهي: العلم المعبّر عنه بالإيمان الحقيقي وعمليّة: كالطاعات والخيرات، والسّعادة في الممات هي غاية السّعادة الأُخرويّة،وهي البقاء الّذي لا فناء له،واللّذة التي لا ألم فيها،والعلم الّذي لا جهل معه،والغنى الّذي لا فقر معه،وتسمّى سعادة الآخرة.

قوله: «بولايتكم» الباء: للسببيّة، والولاية -بالفتح والكسر- النّصرة والمحبّة، وإضافتها إلى ضمير المخاطب من باب إضافة المصدر إلى المفعول *.

رماها: أي ألقاها من يده.

و الغلام: الابن الصّغير، ويطلق على الرّجل مجازاً باسم ما كان عليه، كما يقال للصغير: شيخ مجازاً باسم ما يؤول إليه.

و كتب كتباً: من باب قتل و أصل الكتب: الجمع،و منه الكتيبة.

والخطّ في العرف. تصوير اللّفظ بحروف هجائه.

و البيّن: كسيّد الواضح من بان يَبينُ: إذا وضح.

قوله: «و أعرضه عليّ» أي: أرنيه، يقال: عرضت عليه الشيء من باب ضرب:إذا أريته ايّاه.

قوله: «لعلّي أحفظه» لعلّ هنا: للترجّي أو للتعليل عند من أثبته،أي لأحفظه عن ظهر قلبي،يقال: حفظ القرآن إذا وعاه عن ظهر قلبه.

قوله: «كنت أطلبه» أي: اُحاول أخذه.

وحفظه الله: أي حرسه ورعاه.

قوله: «فيمنَعُنيه» يقال: منعه الشيء، ومنعه منه: إذا لم يعطه إيّاه.

قال المتوكّل: فندمت علىٰ ما فعلت، و لم أدر ما أصنع، ولم يكن أبو عبدالله (عليه السّلام) تقدّم إليّ ألّا أدفعه إلىٰ أحد.

ثم دعا بعيبة فاستخرج منها صحيفة مقفّلة مختومة، فنظر إلىٰ الخاتم

ندم على ما فعل: كفرح،ندماً و ندامة إذا حزن وأسف أو فعل شيئاً ثمّ كرهه.

قوله: «على ما فعلت» أي على إخراجي له الدّعاء وإذني له في نسخه.

و تقدّم إليه في كذا: أمره و أوصاه به.

و دفعت إليه الشيء: أسلمته ايّاه.

دعا بعيبة: أي استحضرها كقوله تعالى: «يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ»(١) والباء: للتعدية، والعيبة: زنبيل من أدم وما يجعل فيه الثياب،ومن المستعار هو: عيبة فلان إذا كان موضع سرّه، ومقفلة: اسم مفعول من أقفله إذا وضع عليه القفل.

و حكى الزّمخشري في الأساس: تعدّيه بنفسه أيضاً فقال: أقفلت الباب وقفلته(٢).

و ختمت الكتاب ونحوه ختماً وختمت عليه من باب ضرب: طبعت،ومنه الخاتم ـبفتح التاء وكسرهاـ والكسر أشهر،قالوا: والخاتم حلقة ذات فصّ من غيرها فان لم يكن لها فصّ فهي فتخة بفاء وتاء مثنّاة من فوق،وخاء معجمة على وزن قصبة.

وقال الأزهري(٣): الخاتم بالكسر: الفاعل،و بالفتح: ما يوضع على الطينة،والختام

---

(١) سورة ص: الآية ٥١.

(٢) أساس البلاغة: ص ٥١٧.

(٣) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر طلحة بن نوح الأزهرى اللغوي. ولد سنة (٢٨٢) هجريّة وتوفّي سنة (٣٧٠) هجريّة، ورد بغداد،وأسرته القرامطة دهراً. له مصنّفات منها: التهذيب في اللغة، والتقريب في التفسير، وشرح شعر أبي تمام، وغيرها.

الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص٢٠

وقبّله وبكىٰ، ثمّ فضّه وفتح القفل، ثمّ نشر الصحيفة ووضعها علىٰ عينيه وأمرّها علىٰ وجهه وقال: والله يا متوكّل لولا ما ذكرت من قول ابن عمّي:

الّذي يختم به على الكتاب(١).

وفضّ الخاتم: من باب قتل: كسره.

ونشر الثوب والكتاب: من باب كتب: خلاف طواه.

وأمرّها على وجهه: من المرور بمعنى الجواز يقال: أمرّ عليه يده وأمرّ عليه القلم وأمرّ الموسى على رأس الأقرع، وانّما فعل ذلك تعظيماً لها وتبرّكاً بها.

جواب القسم قوله: «لولا ما ذكرت» وهي جملة لا محلّ لها من الإعراب، و«لولا» حرف يدخل على جملة اسميّة أو فعليّة لربط امتناع الثّانية بوجود الاولى كما وقع هنا، وهي كلمة برأسها لا مركّبة من (لو) و (لا) على الصحيح، وهو مذهب البصريّين.

و (ما) في قوله: «ما ذكرت» موصول وهو مرفوع بالإبتداء وخبره كون مطلق محذوف وجوباً عند الأكثر.

وقول ابن الطّراوة(٢): إنّ جواب لولا أبداً هو خبر المبتدأ، يردّه انّه لا رابط بينهما(٣).

---

(١) التهذيب في اللغة للازهري: ج٧، ص٣١٣.

(٢) هو سليمان بن محمّد السبائي المالقي أبو الحسين بن الطراوة، بفتح الطاء والراء المهملتين. كان نحويّاً ماهراً وأديباً بارعاً، يقرض الشعر وينشىء الرسائل. وله آراء في النحو تفرّد بها وخالف فيها جمهور النحاة. ألّف الترشيح في النحو وهو مختصر، والمقدّمات على كتاب سيبويه، ومقالة في الاسم والمسمّى. توفّي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عن سنّ عالية.

بغية الوعاة: ص٢٦٣.

(٣) مغني اللبيب: ص ٣٦٠.

إنّي أُقتل وأُصلب لما دفعتها إليك ولكنت بها ضنينا.

قوله: «إنّي أُقتل وأُصلب» إنْ كسرت انّ،فالجملة في محلّ نصب محكيّة بالقول، والأصل:إنّه يقتل ويصلب،ثمّ عدل إلى التكلّم لأنّه تكلّم عن نفسه كقوله تعالى: «فَحَقَّ عَلَيْنا قَولُ رَبِّنا إنّا لَذائقُونَ»(١) الأصل: إنّكم لذائقون عذابي ثمّ عدلوا إلى التكلّم لتعبيرهم عن أنفسهم كما قال:

ألم ترَ أنّي يوم جوّ سويقة بكيت فنادتني هنيدة ماليا

و إن فتحتها فالجملة مفعول لذكرت، ولذلك ضبطت في النّسخ كلّها ـ بالفتح والكسر ـ.

و (من) في قوله: «من قول ابن عمّي» بيانيّة.

و النّون في قوله: «انّني» للوقاية، ويجوز حذفها. فيقال: إنّي كما وقع في نسخة ابن إدريس.

قوله: «ولكنت بها ضنيناً» الضّنين: البخيل،ضنّ يضنّ من باب تعب ضنّاً وضِنّة ـ بالكسر ـ وضَنانة ـ بالفتح ـ فهو ضنين،ومن باب ضرب لغة.

قال بعضهم: ولـمّا كانت الضنّة صفة غير محمودة،فالمقصود منها الضنّة بها على غير أهلها كما يشعر به قوله سابقا: «ومنعها من غير أهلها» أو الضنّة بها عن المتوكّل لاحتمال كونه غير مستجمع للصّفات والشّرائط التي ينبغي أنْ يتحلّى بها الدّاعي كما **هومشروح في مظنّته(٢) فكانت** الضّنّة بها بالنسبة إليه محمودة،فلمّا علم أنّه يقتل وخاف عليها أنْ تقع في أيدى بني أُميّة،وكان المتوكّل لحسن عقيدته ومعرفته أحقّ بها منهم، دفعها إليه بعد ضنّته بها.

قلت: بل المراد ضنّته بهذه الصّحيفة التي هي بخطّ أبيه زيد وإملاء جدّه عليّ

---

(١) سورة الصافات: الآية ٣١.

(٢) (ج): في مظانّه.

و لكنّي أعلم أنّ قوله حقّ، أخذه عن آبائه، وانّه سيصحّ.

بن الحسين (عليهما السّلام) بعينها، فكان بها ضنيناً أن تخرج من يده لكونها بهذه المثابة،وهي ضنّة في محلّها وانّما كان يحتاج إلى العذر عن الضنّة بها لوظنّ بالاستفادة منها قراءةً،وحفظاً،وانتساخاً،وليس في الكلام ما يدلّ عليه،بل هو صريح في ما ذكرناه *.

يعني انّه أخذ قوله عن أبيه و أبوه،عن أبيه إلى أن ينتهي إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وهو عن جبرئيل،عن الله عزّوجلّ. فلا ريب في حقّيته وصدقه وصحّة وقوعه.

قال بعض المحقّقين: إعلم أنّه ليس المراد بأخذه عن آبائه حتّى ينتهي إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مايفهمه الظاهريّون من النّاس، انّ من شأنهم حفظ الأقوال خلفاً عن سلف حتّى يكون فضلهم على سائر النّاس بقوّة الحفظ للمسموعات أو بكثرة المحفوظات، بل المراد انّ نفوسهم القدسيّة قد استكملت بنورالعلم وقوّة العرفان بسبب إتّباع الرّسول (صلّى الله عليه وآله) بالمجاهدة والرّياضة، مع زيادة إستعداد أصليّ وصفاء وطهارة في الغريزة فصارت كمرآة مجلوّة يحاذى بها شطر الحقّ بواسطة مرآة أُخرى أو بغير واسطة.

ألا ترى انّ المرائي المتعدّدة المتحاذية،أو المحاذية لمرآة أُخرى هي بحذآء الشّمس ينعكس ضوء الشّمس إلى جميعها، فهكذا حال من اتّبع الرّسول حقّ المتابعة يصير محبوب الحقّ كما قال تعالى: «قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ»(١) ومن أحبّه الله تعالى أفاض الله عليه كما أفاض على حبيبه صلوات الله عليه، لكنّ الفرق ثابت بين المتبوع والتّابع.

و بالجملة: يجب أن يعلم انّ علوم الأئمّة (عليهم السّلام) ليست إجتهاديّة ولا

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١.

....

سمعيّة من طرق الحواسّ، بل علومهم كشفيّة لدنيّة تفيض على قلوبهم أنوار العلم والعرفان عن الله سبحانه،لا بواسطة أمر مباين من سماع،أو كتابة محسوسة،أو رواية ، أوشيء من هذا القبيل.

و ممّا يدلّ على ما بيّناه و أوضحناه: قول أميرالمؤمنين (عليه السّلام) «علّمني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ألف باب من العلم فانفتح لي من كلّ باب ألف باب»(١).

و قول الرّسول (صلّى الله عليه وآله): «أُعطيت جوامع الكلم»(٢). «وأُعطي عليٌّ جوامع العلم»(٣) ومعنى تعليم الرسول له (عليه السّلام) هو: إعداد نفسه الشّريفة القابلة لأنوار الهداية على طول الصحبة ودوام الملازمة بتعليمه وإرشاده إلى كيفيّة السلوك إلى الله تعالى،بتطويع النّفس الحيوانيّة وقواها لما أمرها به واستخدمها فيه الرّوح العقلي الالهي،وإشارته (صلّى الله عليه وآله) إلى أسباب التّطويع والرّياضة حتّى استعدّ (عليه السّلام) للانتقاش بالأُمور الغيبيّة والإخبار عن المغيّبات.

و ليس التعليم البشري، سواء كان المعلّم رسولاً أو غيره هو إيجاد العلم،وإن كان أمراً يلزمه الايجاد والإفاضة من الله تعالى.

و في قوله (صلّى الله عليه وآله): «و أُعطي عليّ جوامع العلم»(٤) بصيغة البناء للمفعول دليل ظاهر على أنّ المعطي لعليّ جوامع العلم ليس هو النبيّ (صلّى الله

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة محمد باقر المحمودي، ج٢، ص٤٨٣، ومنتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند احمد بن حنبل: ج٥، ص٤٣.

(٢) مسند احمد بن حنبل: ج٢، ص٤١٢، وسنن الترمذي: ج٤ ص١٢٣، ح١٥٥٣.

(٣) الأنوار النعمانية: ج١، ص٣٢.

(٤) الأنوار النعمانية: ج١، ص٣٢.

....

عليه وآله) بل الّذي أعطاه ذلك هو المعطي للنبيّ جوامع الكلم،وهو الحقّ سبحانه وتعالى، فافهم هذا المقام فانّه من مزالّ الأقدام، انتهى.(١)

تنبيه

لا ينافي هذا التحقيق ما ورد عنهم (عليهم السّلام) إنّ عندهم الجفر والجامعة ومصحف فاطمة (عليها السّلام)(٢) وإنّ في كلّ منها من العلوم ما لا يعلمه الّا هم، وفيها علم ما يحتاج إليه وعلم ما كان وما يكون، لأنّ علومهم (عليهم السّلام) لم تكن مقصورة عليها ولا منحصرة فيها، بل علومهم اللدنيّة الكشفيّة غير ما تضمنّته هذه الكتب من العلوم.

كما يدلّ عليه: ما رواه ثقة الاسلام بإسناده عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السّلام) فقلت: جعلت فداك إنّي أُريد أن أسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي، قال: فرفع أبو عبدالله (عليه السّلام) ستراً بينه وبين بيت آخر فاطّلع فيه، ثمّ قال: يا أبا محمد سلْ عمّا بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدّثون إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علّم عليّاً (عليه السّلام) باباً يفتح له ألف باب، قال فقال: يا أبا محمّد علّم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السّلام) ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب، قال: فقلت: هذا والله العلم، قال:فنكت ساعة في الأرض ثمّ قال: إنّه لعلم وما هو بذاك ؟ قال: ثم قال: يا أبا محمّد وانّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك و

---

(١) أي كلام بعض المحقّقين.

(٢) كما يستفاد من اصول الكافي: ج١، ص٢٣٨، ح١.

....

ما الجامعه؟ قـال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وإملائه من فلق فيه وخطّ عليّ بيمينه فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج إليه النّاس حتّى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليّ وقال: تأذن لي يا بامحمّد، قال: قلت: جعلت فداك انّما أنالك فاصنع ما شئت، قـال: فغمزني بيـده وقال: حتّى أرش هـذا! كأنّه مغضب، قـال: قلـت: هذا والله الـعلم، قـال: إنّه لـعلـم وليس بذاك ، ثمّ سكت ساعة ثمّ قال: وانّ عندنا الجفر و مايدريهم ما الجفر؟ قال: قلت: وما الجفر؟ قال: وعـاء من أدم فيه علم النبيّين والوصيّين وعلم العلماء الّذين مضوا من بني إسرائيل، قال: قلت: إنّ هـذا هو العلم، قال: إنّـه لعلم وليس بذاك ، ثمّ سكت ساعة، ثـمّ قال: وإنّ عندنا لمصحف فاطمة (عليها السّلام)، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟. قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله مافيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنّه لعلم وماهو بذاك ، ثمّ سكت ساعة، ثمّ قال: إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم السّاعة، قال: قلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال: إنّه لعلم وليس بذاك ، قال: قلت: جعلت فداك فأيّ شيء هو العلم، قال: ما يحدث باللّيل والنّهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة، إنتهى(١).

قال بعض العلماء: قوله (عليه السّلام): «ليس بذاك» يعني: ليس بالعلم الخاصّ الّذي هو أشرف علومنا فانّما يحصل بالسّماع وقراءة الكتب وحفظها تقليد وليس بعلم،ولكنّ العلم ما يفيض من عند الله سبحانه على قلب العارف يوماً فيوماً وساعة فساعة فينكشف به من الحقائق ما تطمئنّ به النّفس وينشرح به الصّدر

---

(١) الكافي: ج١، ص٢٣٨، ح١.

....

ويشرق به القلب ويتحقّقه العالم كأنّه ينظر إليه ويشاهده.والله أعلم.

تتمّة

قال المحقّق الشريف (١) في شرح المواقف في مبحث تعلّق العلم الواحد بمعلومين: إنّ الجفر والجامعة كتابان لعلّي كرّم الله وجهه، قد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف، الحوادث التي تحدث إلى إنقراض العالم وكان الائمة المعروفون من أولاده يعرفونهما ويحكمون بهما.

و في كتاب قبول العهد الّذي كتبه عليّ بن موسى الرّضا (رضى الله عنهما) إلى المأمون: إنّك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباؤك فقبلت منك عهدك إلّا انّ الجفر والجامعة يدلّان على أنّه لايتمّ، ولمشائخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه إلى أهل البيت، ورأيت بالشّام نظماً أُشير فيه بالرّموز إلى أحوال ملوك مصر، وسمعت انّه مستخرج من ذينك الكتابين، إلى هنا كلام الشّريف(٢).

و بعض العامّة ينسب الجفر إلى الصّادق (عليه السّلام) قال ابن قتيبة في كتاب أدب الكاتب:وكتاب الجفر جلد جفر كتب فيه الإمام جعفر بن محمّد الصادق (رضى الله عنهما) لأهل البيت كلّما يحتاجون إلى علمه وكلّ ما يكون إلى

---

(١) هو المير سيد علي بن محمد بن علي الحسيني الاسترآبادي، كان متكلّماً بارعاً، ماهراً في الحكمة والمعربية، صاحب المصنّفات والحواشي والشروح المعروفة، كشروحه على الكشّاف والكافية والشمسية وعلى شرح المطالع وله شرح على مواقف القاضي عضد الايجي في علم اصول الكلام. توفّي بشيراز سنة ٨١٦هجريّة.

الكنى والألقاب: ج٢، ص ٣٢٥.

(٢) شرح المواقف للسيد الجرجاني: ج٢، ص١٩٠.

فخفت أن يقع مثل هذا العلم .

يوم القيامة(١)، انتهى*.

أي: فخشيت وقوع مثل هذا العلم إلى بني أُميّة وهو أمر منتظر مظنون، فصحّ إستعمال الخوف بمعنى الخشية فيه، وقد يستعمل الخوف بمعنى العلم.

قال الواحدي:(٢) لأنّ في الخوف طرفاً من العلم، وذلك إنّ القائل إذا قال: أخاف أن يقع كذا، كأنّه يقول: أعلم، وانّما يخاف لعلمه بوقوعه، فاستعمل الخوف في العلم، قال تعالى: «فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا»(٣) وقال: «إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ»(٤)(٥).

و قال غيره: إنّما استعمل الخوف والخشية مقام العلم، لأنّ الخوف منشأه ظنّ محدود(٦)، وبين العلم والظنّ مشابهة من وجوه كثيرة فصحّ إطلاق أحدهما على الآخر استعمالاً شائعاً، من ذلك قولهم: أخاف أن ترسل السّماء، يريدون التّوقع والظنّ الغالب الجاري مجرى العلم(٧)، إنتهى.

و لا يخفى صحّة إرادة هذا المعنى هنا.

قوله: «مثل هذا العلم» مثل مقحمة أي: هذا العلم كقولهم: مثلك لا يبخل،

---

(١) لم نعثر عليه في مواضعه في النسخة المطبوعة في ليدن بالمانيا.

(٢) هو ابو الحسن على بن احمد النيسابوري الواحدي المفسّر النحوي استاذ عصره و واحد دهره له من المصنّفات البسيط والوسيط والوجيز في التفسير، ومنه أخذ الغزالي أسماء كتبه الثلاثة في الفقه، وأسباب النزول، وشرح ديوان المتنبي. وشرح أسماءالله الحسنى، توفّي بنيسابور سنة ٤٦٨ هجريّة.

الكنى والألقاب: ج٣ ص٢٢٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

(٥) مجمع البيان: ج (١ - ٢) ص ٢٦٩ من دون النسبة الى الواحدي.

(٦) (الف): مخصوص.

(٧) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٥، ص٦٦.

إلىٰ بني أُميّة فيكتموه ويدّ خروه في خزائنهم لأنفسهم.

ومثل الأمير حمل على الأدهم،أي: أنت لا تبخل والأمير حمل على الأدهم، وانّما أقحموا لفظ مثل لأنّهم سلكوا طريق الكناية قصداً إلى المبالغة لأنّهم إذا اثبتوا الفعل لمن يماثله ولمن يكون على أخصّ أوصافه أو نفوه عنه وأرادوا انّ من كان على هذه الصّفة التي هو عليها، كان من مقتضى القياس وموجب العرف أن يفعل كذا أ و أن لا يفعل كذا لزم الثبوت لذاته أو النفي عنها بالطريق الأولى،وهكذا الكلام في عبارة المتن،فإنّه إذا خاف وقوع ما يماثل هذا العلم فخوفه من وقوع ذات هذا العلم بطريق أولى *.

قوله: «إلى بني أميّة» متعلّق بيقع أي: يصير إليهم أو يحصل من قولهم وقع الصيّد في الشرك ،أي: حصل وعدّاه بـ(إلى) لتضمينة معنى يؤول أو يصير.

قوله: «فيكتموه ويدّخروه» بحذف النّون فيهما نيابة عن الفتحة لنصبهما بالعطف علىٰ يقع المنصوب بـ(أن).

و في نسخة ابن إدريس: فيكتمونه ويدّ خرونه باثبات النّون فيهما، ووجهه: إنّ المعتمد بالعطف هو الجملة لا الفعل، أي: فهم يكتمونه ويدّخرونه حينئذ.

و كتم الشيء، يكتمه من باب قتل:أخفاه.

فقوله:« فيكتموه» بضمّ التاء، وفي نسخة ابن إدريس فيكتمونه بكسرها، والأصل فيها الضمّ،إلّا أنّه أُوثر الكسر للمزاوجة بينه وبين الفعل الّذي بعده، كما قالوا: أخذه ما قدّم،وماحدث بضمّ دال حدث،لمزاوجة الفعل الأوّل وأصله الفتح، وأصل يدّخروه: يذتخروه على يفتعلوه من الذخر بالذال المعجمة فقلبت التّاء دالاً لموافقتها لها في الجهر،وأُدغمت الذّال في الدّال بعد قلبها إليها لتقاربهما.

و الإدّخار: إعداد الشيء لوقت الحاجة إليه، يقال: ذخرته ذخراً من باب نفع، والاسم: الذّخر ـبالضمّـ ومثله اذّخرت على افتعلت.

قوله: «في خزائنهم» جمع خزانة ـبالكسرـ وهو ما يخزن فيه الشيء كالمخزن،

فاقبضها و اكفنيها و تربّص بها، فاذا قضىٰ الله من أمري وأمر هؤلاء القوم ما هو قاض، فهي أمانة لي عندك حتّى توصّلها إلىٰ ابنَيْ

والضّابط في هذا الجمع وأمثاله إنّ حرف العلّة الواقع بعد الألف التي لم يكن قبلها واو أو ياء إن كانت أصليّة،كما في مقاوم ومعايش جمع مقامة ومعيشة،تبقى على حالها وإن كانت زائدة كما في خزائن ورسائل وعجائز وصحائف تقلب همزة فرقاً بين الأصليّة والزائدة، والزائدة أولى بالتغيير، وجاء معائش بالهمزة وهو ضعيف، والتزم همزة مصائب تنبيهاً على وروده على خلاف الأصل كما سيأتي بيانه.

أمّا إذا كان قبل الألف واو أو ياء بأن اكتنفها واوان كأوائل جمع أوّل أو ياءان كخيائر جمع خيّر، أو كان قبل الألف واو وبعدها ياء كبوائع، أو كان قبلها ياء وبعدها واو كسيائق جمع سيقة،وهو ما استاقه العدوّ من الدّواب،فيقلب حرف العلّة همزة سواء كانت أصليّة أو زائدة، وأمّا ضياؤن جمع ضَيْوَن وهو السنّور الذكر فشاذّ*.

قبض الشيء: من باب ضرب: أخذه، واكفنيها: أي قم مقامي في حفظها من قولهم: كفاه الأمر: أي قام مقامه فيه.

و التّربص: المكث والانتظار.

و قضى يقضي قضاءً: إذا حكم و فصل، وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه.

و القوم: جماعة الرّجال ليس فيهم إمرأة، الواحد: رجل من غير لفظه،والجمع: أقوام،سمّوا بذلك لقيامهم بالعظائم والمهمّات، ويذكّر القوم ويؤنّث فيقال: قام القوم وقامت القوم،وكذلك كلّ اسم جمع لا واحد له من لفظه نحو: رهط ونفر.

و الأمانة في الأصل: مصدر أمن الخائف ـ بالكسر ـ أمانة ثمّ استعمل المصدر في الأعيان مجازاً فقيل للوديعة: أمانة.

قوله: «حتّى توصلها» يحتمل أن تكون حتّى للغاية بمعنى إلى وهو الظاهر نحو:

عمّيّ محمّد وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ عليهما السّلام، فانّهما القائمان في هذا الأمر بعدي.

«حَتّٰى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسٰى»(١)، ويحتمل أن تكون للتعليل بمعنى كي نحو: «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّٰى تَفِيءَ إِلٰى أَمْرِ اللهِ»(٢) والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة على الصحيح كما هومذهب البصريّين لا بـ«حتّى» نفسها خلافاً للكوفيّين، وأنْ المضمرة والفعل في تأويل مصدر مخفوض بـ«حتّى» لأنّه قد ثبت أنّها تخفض الأسماء الصّريحة، ومايعمل في الأسماء لا يعمل في الأفعال و بالعكس(٣)*.

ومحمّد وإبراهيم: إبنا عبدالله المذكوران هما الخارجان على أبي جعفر المنصور.

قال الشّهرستاني(٤) في كتاب الملل والنحل: كان يحيى بن زيد قد فوّض الأمر إليهما فخرجا بالمدينة،ومضى إبراهيم إلى البصرة واجتمع النّاس عليهما فقتلا(٥)، انتهى.

أمّا محمّد: فيلقّب بالنّفس الزّكيّة لما سيأتي،ويكنّى أبا عبدالله وقيل: أبا القاسم،وكان تمتاماً، أحول، بين كتفيه خال أسود كالبيضة،ولقّب بالمهدي للحديث المشهور عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : إنّ المهديّ من ولدي، اسمه:

---

(١) سورة طه: الآية ٩١.

(٢) سورة الحجرات: الآية ٩.

(٣) مغني اللبيب: ص١٦٨.

(٤) هو أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني المتكلم الفيلسوف الأشعري صاحب كتاب الملل والنحل المشهور.

ولد ببلدة شهرستان الواقعة في شمال خراسان سنة (٤٧٩)هجريّة وتوفّي سنة (٥٤٨)هجريّة. له مؤلفات كثيرة منها: المصارعة، ونهاية الإقدام في علم الكلام وغيرها. الكنى والألقاب: ج٢ ص٣٣٨.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني: ج١ ص١٥٦

..............................١..............................

اسمي واسم أبيه اسم أبي(١).

حُكي: إنّ المنصور أخذ بركابه ذات يوم فقيل له: من هذا الّذي تفعل به هذا فقال للسائل: ويحك هذا مهدينا أهل البيت، هذا محمّد بن عبدالله، وتطلّعت إليه نفوس بني هاشم وعظّموه.

و كان المنصور قد بايع له ولأخيه إبراهيم في جماعة من بني هاشم فلمّا بويع لبني العبّاس واستبدّوا بالأمر،اختفى محمّد وإبراهيم مدّة خلافة السّفاح،فلمّا ملك المنصور علم انّهما على عزم الخروج فجدّ في طلبهما وقبض على أبيهما وجماعة من أهلهما، فيحكى انّهما أتيا أباهما وهو في الحبس في زيّ بدويين، فقالا له: يقتل رجلان من آل محمّد خير من أن يقتل ثمانية، فقال لهما: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين.

روى ثقة الاسلام في كتاب الرّوضة:عن معلّى بن خنيس قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السّلام) إذ اقبل محمّد بن عبدالله فرقّ له أبو عبدالله (عليه السّلام) ودمعت عيناه فقلت له: لقد رأيتك صنعت به ما لم تكن تصنع، فقال: رققت له لأنّه ينسب لأمر ليس له، لم أجده في كتاب عليّ (عليه السّلام) من خلفاء هذه الأمّة ولا من ملوكها(٢).

و كان أقبح ما صنعه محمّد لمّا ظهر بالمدينة أن دعا الصّادق (عليه السّلام) إلى بيعته،فأبى عليه إباءً شديداً،فأمر بحبسه واصطفى ماله وما كان له ولقومه ممّن لم يخرج معه،فلم يمهله الله حتّى قتل صاغراً.

و روي من جملة حديث عن الباقر (عليه السّلام) انّه قال في صفته «الأحول

---

(١) بحار الأنوار: ج٥١ ص١٠٢.

(٢) الكافي: ج٨ ص٣٩٥، ح٥٩٤ مع اختلاف يسير جداً في العبارة.

....

مشؤوم قومه من آل الحسن يدعو إلى نفسه قد تسمّى بغير اسمه»(١) انتهى.

و لمّا عزم على الخروج واعد أخاه إبراهيم على الخروج في يوم واحد فذهب إبراهيم إلى البصرة، واتّفق انّه مرض فخرج محمّد بالمدينة، فلما أبل(٢) إبراهيم من مرضه أتاه خبر أخيه أنّه قُتل، وكان المنصور قد أرسل لقتال محمد، عيسى بن موسى بن علي بن عبدالله بن العبّاس في جيش كثيف، فحاربهم محمّد خارج المدينة وتفرّق أصحابه عنه حتّى بقي وحده، فلما أحسّ الخذلان دخل داره وأمر بالتنور فسجّر،ثم عمد إلى الدفتر الذي أثبت فيه أسماء من بايعه فألقاه في التنور فاحترق، ثم خرج فقاتل حتّى قُتل بأحجار الزيت(٣). وكان ذلك على ما يزعمون مصداق تلقيبه بالنفس الزكيّة، لما روي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) انّه قال: «يُقتل بأحجار الزيت من ولدي نفس زكيّة»(٤).

و كان قتله سنة خمس وأربعين ومائة في شهر رمضان.

و قيل: في الخامس والعشرين من رجب،وهو ابن خمس وأربعين سنة،وهذا أشهر، لأنّه ولد سنة مائة بلا خلاف.

و أمّا إبراهيم،فيكنّى أبا الحسن كان شديد الأيد والقوّة، **وكان متفنّناً** في كثير من العلوم.

قيل: كان يرى مذهب الإعتزال، و كان ظهوره بالبصرة ليلة الا ثنين غرّة شهر رمضان،سنة خمس وأربعين ومائة، وبايعه وجوه النّاس،وتلقّب بأمير المؤمنين، وعظم

---

(١) الكافي: ج١، ص٣٦٤. وفيه زيادة فراجع.

(٢)أي برئ.

(٣) أسم موضع بالمدينة. النهاية: ج١، ص٣٤٣.

(٤) مقاتل الطالبيين: ص١٥٧. وفيه: وكان علماء آل أبي طالب يرون فيه أنّه النفس الزكية، وانّه المقتول بأحجار الزيت.

قال المتوكّل: فقبضت الصّحيفة، فلمّا قتل يحيى بن زيد صرت إلى المدينة، فلقيت أبا عبدالله (عليه السّلام) فحدّثته الحديث عن يحيى فبكى واشتدّ وجده به.

شأنه،وأحبّ النّاس ولايته وارتضوا سيرته، وكان أبو حنيفة قد أفتى النّاس بالخروج معه وكتب إليه:

أمّا بعد: فانى جهّزت إليك أربعة آلاف درهم ولم يكن عندي غيرها،ولو لا أمانات للنّاس عندي للحقت بك،فاذا لقيت القوم وظفرت بهم فافعل كما فعل أبوك في أهل صفّين،اُقتل مدبرهم،وأجهز على جريحهم، ولا تفعل كما فعل في أهل الجمل،فانّ القوم لهم فئة.

و يقال: إنّ هذا الكتاب وقع(١) إلى المنصور فكان سبب تغيّره على أبي حنيفة، ولمّا بلغ المنصور خروج إبراهيم ندب عيسى بن موسى من المدينة إلى قتاله،وسار إبراهيم من البصرة حتّى التقيا بباخمرى قرية قريبة من الكوفة،فنشبت الحرب بينهم، وانهزم عسكر عيسى بن موسى،فنادى إبراهيم:لا يتبعنّ أحد منهزماً،فعاد أصحابه فظنّ أصحاب عيسى إنّهم انهزموا،فكرّوا عليهم فقتلوه وقتلوا أصحابه الّا قليلاً، ولمّا اتّصل بالمنصور إنهزام عسكره قلق قلقاً عظيماً،ثمّ جاءه بعد ذلك خبر الظفر وجيئ برأس إبراهيم فوضع في طست بين يديه فلمّا نظر إليه قال: وددت انّه فاء إلى طاعتي، وكان قتله لخمس بقين من ذي القعدة وقيل: في ذي الحجّة سنة خمس وأربعين ومائة،وهو ابن ثمان وأربعين سنة والله أعلم*.

صرت إلى المدينة: أي رجعت إليها، و (ال) في الحديث عهديّة ومعهودها خارجيّ، أي الحديث المذكور سابقاً.

و بكى يبكى،بُكىً و بكاءً بالقصر والمدّ، وقيل: القصر مع خروج الدّموع،

---

(١) (الف)و(ج): دفع

وقـال: رحم الله ابـن عمـيّ.

والمد: مع خروج الصّوت، وقد جمع الشّاعر اللّغتين في قوله:

بكت عيني و حقّ لها بكاها و ما يغني البكاء ولا العويل

والوجد بالفتح لا غير: الحُزْنْ، يقال: وجدت به بالكسر أي حزنت عليه فإن أردت معنى أحببته قلت: وجدت به بفتح العين وجداً بالفتح لاغير، وأمّا مصدر وجدت المطلوب فيفتح ويضمّ، والوجد: بمعنى الغنى مثلث *.

قوله: «رحم الله ابن عمّي» الجملة في محلّ نصب واقعة مفعولاً لِقالَ، وهل هي مفعول به أو مفعول مطلق نوعي كالقرفصاء من قعد القرفصاء إذ هي دالّة على نوع خاصّ من القول؟ فيه مذهبان:

الأوّل: قول الجمهور.

والثّاني: إختيار ابن الحاجب(١)، قال: والّذي غرّ الأكثرين إنّهم ظنّوا إن تعلّق الجملة بالقول كتعلّقها بعلم في «علمت لزيد منطلق»، وليس كذلك لأنّ الجملة نفس القول،والعلم غير المعلوم فافترقا(٢).

قال ابن هشام: والصّواب قول الجمهور: إذ يصحّ أن يخبر عن الجملة بأنّها مقولة كما يصحّ أن يخبر عن زيد من ضربت زيداً بأنّه مضروب بخلاف القرفصاء في المثال،فلا يصحّ أن يخبر عنها بأنّها مقعودة لأنّها نفس القعود.

و أمّا تسمية النحويّين الكلام قولاً،فكتسميتهم إيّاه لفظاً،وإنّما الحقيقة انّه مقول وملفوظ(٣).

---

(١) هو أبو عمر بن عثمان بن أبي بكر (ابن الحاجب) النحوي الأُصولي صاحب الكتب الممتعة منها: الأمالي،والكافية في النحو، والشافية في الصرف، ومختصر الأُصول، وشرح المفصّل، ولد في سنة (٥٧٠)هجريّة وتوفّي بالاسكندريّة سنة (٦٤٦)هجريّة.

الكنى والألقاب: ج١، ص٢٤٤.

(٢) مغني اللبيب: ص ٥٣٨.

(٣) مغني اللبيب: ص ٥٣٩.

وألحقه بآبائه وأجداده.

قوله: «و ألحقه بآبائه وأجداده» أي: جعله لاحقاً بهم في دخول الجنّة أو في الدّرجة،لما روي أنّه (عليه السّلام) قال: «إنّه تعالى يرفع ذريّة المؤمن في درجته وإن كانوا دونهم لتقرّبهم عينه» ثمّ تلا قوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ»(١) وعن أهل البيت (عليهم السّلام) في تفسير هذه الآية:انّه قصرت الأبناء عن عمل الآباء فأُلحق الأبناء بالآباء لتقرّ بذلك أعينهم(٢).

قال المفسّرون: قوله تعالى:«بِإِيمَانٍ»(٣) متعلّق بالاتّباع،أي إتّبعتهم ذريّتهم بايمان في الجملة،قاصر عن رتبة إيمان الآباء، لا يؤهّلهم لدرجة الآباء.

و قيل: متعلّق بما بعده أي بسبب إيمان عظيم، رفيع المحلّ وهو إيمان الآباء، ألحقنا بدرجاتهم ذرّيّتهم وإن كانوا لايستأهلون تفضّلاً عليهم وعلى آبائهم ليتمّ سرورهم، ويكمل نعيمهم.

و قوله تعالى: «وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ»(٤) أي: وما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق من ثواب عملهم شيئاً بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبنائهم، فتنقص مثوبتهم وتنحطّ درجتهم، وإنّما رفعناهم إلى درجتهم بمحض التفضّل والإحسان.

قوله: «وأجداده» عطف الأجداد على الآباء مع دخولهم فيهم،لفائدة التأكيد المعتبرة في الاطناب كعطف الشّيء على مرادفه.

* * *

(١) الدر المنثور: ج٦ ص ١١٩.

(٢) التوحيد: ص ٣٩٤، ح٧ (باب الاطفال).

(٣) سورة الطور: الآية ٢١.

(٤) سورة الطور: الآية ٢١

....

تنبيـــه

في بكائه (عليه السّلام) على يحيى بن زيد، وشدّة وجده به،ودعائه له دليل على أنّ يحيى كان عارفاً بالحقّ معتقداً له، وانّ حالـه في الخروج كحال أبيه رضي الله عنه.

و يدلّ على ذلك أيضاً ما رواه الحافظ العـلّامة ابن الخزّاز القميّ(١) في كـفاية الأثر: قال: حـدثنا علي بن الحسين(٢) قـال: حدّثنا عامر بن عـيسى،عن أبي عامر السّـيرافي بمكّة في ذي الحجّة،سـنة إحدى وثمانين وثلا ثمـائة، قال: حدّثني أبو محمّد الحسن بن محمّد بـن يحيى بن الحسن بـن جعفر بن عـبيدالله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عـليهم السّلام) قال: حدّثنا محـمّد بن مطهّر، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنـا عمير بن المتوكّل بن هـارون البلخيّ، عن أبيـه المتوكل بن هارون قـال: لقيـت يحيى بن زيد بـعد قتل أبيـه وهو متوجّه إلى خـراسان،فما رأيت رجلاً في عقله وفضله،فسألته عن أبيه فقال: إنّه قتل وصلب بالكناسة(٣)، ثمّ بكى

(١) هو أبو القـاسـم علي بن محمد بـن علي الخزّاز القميّ الـرازي، مـن أهل أواسط القرن الرابع من تلامذة الشيخ الصدوق.

له مصنـفات كـثيرة: منهـا. كفاية الأثر في الـنصّ على الائمة الا ثني عشـر، والأحكام الشرعيّـة على مذهب الإماميّة، والإيضاح في أُصول الدين. انظر مقدمة كتاب كفاية الأثر: ص٦.

(٢) في كفاية الأثر: علي بن الحسن.

(٣) الكنُاسة بـالضم، والكنس: كسح مـا على وجه الأرض من القمـام، والكناسة ملقى ذلك،وهي محلة بالكوفة عندها أوقع يوسف بن عمر الثقفي زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام وفيهم يقول الشاعر:

يـا أيهـا الـراكـب الـغـادي لطـيَّـتـه ... يـومُ بـالـقـوم أهـل الـبـلـدة الـحَـرَم

←

....

وبكيت حتّى غشي عليه فلمّا سكن قلت: يا ابن رسول الله وما الّذي أخرجه إلى قتال هذا الطّاغية وقد علم من أهل الكوفة ما علم؟ قال: نعم لقد سألته عن ذلك فقال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه الحسين بن عليّ (عليهما السّلام) قال: وضع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يده على صلبي، فقال: يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يقتل شهيداً، إذا كان يوم القيامة يتخطّى هو وأصحابه رقاب النّاس ويدخل الجنّة، فأحببت أن أكون كما وصفني رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ثمّ قال: رحم الله أبي زيداً كان والله أحد المتعبّدين، قائم ليله، صائم نهاره، جاهد في سبيل الله حقّ جهاده، فقلت: يا ابن رسول الله هكذا يكون الإمام بهذه الصّفة؟ فقال: يا عبدالله إنّ أبي لم يكن بإمام، ولكن كان من السّادات الكرام وزهّادهم، وكان من المجاهدين في سبيل الله، فقلت: يابن رسول الله أما إنّ أباك قد ادّعى الإمامة، وقد جاء عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فيمن ادّعى الإمامة كاذباً؟ فقال: مَهْ، مَهْ يا عبدالله إنّ أبي كان أعقل من أن يدّعي ما ليس له بحقّ، إنّما قال: أدعوكم إلى الرّضا من آل محمّد، عنى بذلك إبن عمّي جعفراً، قلت: فهو اليوم صاحب الأمر؟ قال: نعم هو أفقه بني هاشم، ثم قال: يا عبدالله إنّي أُخبرك عن أبي (عليه السّلام) وزهده وعبادته إنّه كان يصلّي (عليه السّلام) في نهاره ماشاءالله،فإذا جنّ عليه اللّيل نام نومة خفيفة،ثمّ يقوم فيصلّي في جوف اللّيل ماشاءالله، ثمّ يقوم قائماً على قدميه يدعو الله تعالى إلى الفجر، ويتضرّع له

أبلغ قبائل عمرو ان أتيتهم ... أو كنت من دارهم يوماً على أمم
انّا وجدنا قفيراً في بلادكم ... أهل الكناسة أهل اللوُم والعدم
أرض تغيّر أحسابُ الرجال بها ... كما رسمت بياض الريط بالحمم

معجم البلدان: ج٤، ص٤٨١ بيروت

و الله يا متوكّل: ما منعني من دفع الدّعاء إليه إلّا الذي خافه علىٰ صحيفة أبيه، وأين الصحيفة؟ فقلت: هاهي، ففتحها وقال: هذا والله خطّ عميّ زيد، ودعاء جدّي عليّ بن الحسين (عليهماالسّلام).

ويبكي بدموع جارية حتّى يطلع الفجر،فاذا طلع الفجر سجد سجدة، ثمّ يقوم فيصلّي الغداة اذا وضح الفجر، فاذا فرغ من صلاته قعد في التعقيب إلى أنْ يتعالى النّهار، ثمّ يقوم في حاجته ساعة فاذا كان في قرب الزّوال قعد في مصلّاه فسبّح الله ومجّده إلى وقت الصّلاة، وقام فصلّى الأُولى وجلس هنيئة وصلّى العصر، وقعد في تعقيبه ساعة، ثمّ سجد سجدة، فاذا غابت الشّمس صلّى المغرب والعتمة، قلت: كان يصوم دهره؟ قال: لا ولكنّه كان يصوم في السّنة ثلاثة أشهر، وفي الشهر ثلاثة أيّام، قلت: أوَكان يفتي النّاس؟ قال: ما أذكر ذلك عنه، ثمّ أخرج إليّ صحيفة كاملة فيها أدعية عليّ بن الحسين (عليهماالسّلام)(١)، انتهى.

فهذا الحديث صريح في أنّه كان عارفاً بالحقّ، معتقداً له رحمه الله تعالى *.

الواو من قوله (عليه السّلام): «وأين» إبتدائيّة،ويعبّر عنها بواو الإستيناف، وأين: اسم إستفهام عن المكان،مبنيّ على الفتح خبر للصّحيفة قُدّم على المبتدأ وجوباً لتضمّنه معنى الإستفهام، وها في قوله (عليه السّلام): «هاهي» للتنبيه،وإذا كانت له فهي تدخل على واحد من أربعة:

أحدها: اسم الاشارة غير المختصّة بالبعيد نحو: هذا،بخلاف ثمّ ونحوه.

الثّاني: ضمير الرّفع المخبر عنه باسم الإشارة نحو: هؤلاء.

الثالث: نعت أيّ في النّداء نحو: يا أيّها الرّجل، وهي في هذا واجبة للتنبيه على أنّه المقصود بالنداء.

---

(١) كفاية الأثر لابن الخزّاز القمّي ص٣٠٢ الى ٣٠٥. مع اختلاف يسير في بعض الفاظ الحديث فراجع.

....

الرّابع: اسم الله تعالى في القسم عند حذف الحرف نحو: ها الله، بقطع الهمزة و وصلها وكلاهما مع إثبات ألف «ها» وحذفها.

و حكى الزّمخشري في المفصّل: أنّه يُقال: هاإنّ زيداً منطلق وها إفعل كذا(١).

قيل: ولا شاهد له.

قلت: قد وقع في دعاء الصّحيفة: «ها نحن عبادك بين يديك»، وكفى به شاهداً.

فإن قلت: مدخول «ها» في عبارة المتن ليس شيئاً من المذكورات، بل هو ضمير رفع مؤنّث فقط.

قلت: مدخول «ها» محذوف، وهو اسم إشارة إلى مؤنّث قريب، وهو المبتدأ المخبر عنه بـ«هي»، والتقدير هذه هي، فـ«هي» خبر للمحذوف المقدّر وإنّما حذف لدلالة الخبر عليه كقوله تعالى: «لَمْ يَلْبَثُوا إلّا سَاعَةً مِنْ نَهارٍ بَلاغٌ»(٢) أي: هذا بلاغ، وقد صرّح به في «هٰذا بَلاغٌ لِلنّاسِ» ولك أنْ تجعل المحذوف هو الخبر، وهو اسم إشارة أيضاً كما مرّ فتكون هي مبتدأ والتقدير: ها هي ذي فمدخول «ها» على الوجه الأوّل من الأوّل، وعلى الثّاني من الثّاني، فلم يخرج عن المذكورات.

و ترجيح أحد الوجهين على الآخر يبتني على خلافهم في أنّه إذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ وكونه خبراً فأيّهما أولى؟

فقيل: كونه المبتدأ لأنّ الخبر محطّ الفائدة، ولأنّ جذفه أكثر، فالحمل عليه أولى.

و قيل: الأولى كونه الخبر، لأنّ التّجوّز في أواخر الجمل أسهل.

قوله: «عمّي زيد» زيد: عطف بيان على عمّي ويجوز إعرابه بدل كلّ من كلّ لما فيه من البيان، وكذا الكلام في جدّي عليّ بن الحسين (عليهما السّلام).

---

(١) المفصّل للزمخشري: ص ٣٠٧.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.

ثمّ قال لابنه: قم يا إسماعيل فأتني بالدّعاء الذي أمرتك بحفظه وصونه، فقام إسماعيل فأخرج صحيفة كأنّها الصحيفة الّتي دفعها إليّ يحيىٰ بن زيد فقبّلها أبو عبدالله ووضعها علىٰ عينه وقال: هذا خطّ أبي

إسماعيل بن جعفر الصّادق (عليه السّلام): هو الّذي ذهبت فرقة من الشّيعة إلى القول بإمامته، ويعرفون بالاسماعيليّة،يكنّى أبا محمّد ويُعرف بالأعرج، وأُمّه: فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهما السّلام).

وكان أكبر ولد أبيه، كان (عليه السّلام) يحبّه حبّاً شديداً ويكرمه إكراماً عظيماً، حتّى كان يتوهّم من يراه أنّه الإمام بعده.

مات في حياة أبيه بالعريض قرب المدينة،وحمل على أعناق الرّجال، حتّى دفن بالبقيع.

روي انّ أبا عبدالله (عليه السّلام) جزع عليه جزعاً شديداً، ووجد به وجداً عظيماً، وتقدّم سريره بغير حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظّانّين خلافته له من بعده وإزالة الشّبهة عنهم في حياته(١).

وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين **ومائة** قبل وفاة الصّادق (عليه السّلام) بعشرين سنة، ومع ذلك فقد قالت فرقة من الاسماعيليّة: إنّه لم يمت إلاّ أنّه أظهر موته تقيّة من خلفاء بني العبّاس، وعقد محضراً وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة خوفاً عليه من أن يقصد بالقتل.

قالوا: ومن الدّليل على ذلك: انّ محمّداً وهو أخوه لأُمّه كان صغيراً، فمضى إلى السّرير الّذي كان إسماعيل نائماً عليه، ورفع الملاءة وأبصره، وقد فتح عينه، فعدا إلى أبيه فزعاً وقال: عاش أخي، عاش أخي، فقال والده: إنّ أولاد الرّسول كذا

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٧، ص٢٤٢.

....

تكون حالهم في الآخرة.

قالوا: و قد(١) ظهر سرّ الإشهاد على موته، و كتب المحضر عليه، ولم نعهد(٢) ميّتاً سجّل على موته، وذلك انّه لمّا رفع إلى المنصور أنّ إسماعيل بن جعفر رئي بالبصرة واقفاً على رجل مقعدٍ فدعا له فبرأ بإذن الله، بعث المنصور إلى الصّادق (عليه السّلام) إنّ ابنك إسماعيل في الأحياء وإنّه رئي بالبصرة فأنفذ السّجلّ إليه وعليه شهادة عامله بالمدينة فسكت.

و قالت فرقه منهم: إنّ موته صحيح،و لكن أباه نصّ عليه بالإمامة، والنصّ لا يرجع القهقرى،والفائدة في النّصّ: بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره، فالإمام بعد إسماعيل محمّد بن إسماعيل، فنهم من وقف عليه وقال: برجعته بعد غيبته، ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم،ثمّ في القائمين الظاهرين من بعدهم،وهؤلاء يقال لهم: الباطنيّة، وإنّما ألزمهم هذا اللّقب لحكمهم، لأنّ لكلّ ظاهر باطناً،ولكلّ تنزيل تأويلاً،ويقال لهم: التعليميّة والملحدة.

فائدة

روي عن الصّادق (عليه السّلام): أنّه قال: ما بدا لله أمر كما بدا له في إسماعيل(٣)، فتوهّم بعضهم انّ معناه أنّه جعله أوّلاً قائماً بعده مقامه، فلمّا توفّي نصب الكاظم (عليه السّلام) بدله،وهذا وهم باطل وخطأ محض، كيف وقد ثبت

---

(١) (الف)و(ج): فقد.

(٢) (الف)و(ج): لم تعهد.

(٣) التوحيد للصّدوق: ص٣٣٦ ح١٠ و١١ وفيهما: «بداء» بدل أمر.

وإملاء جدّي (عليهما السّلام) بمشهد منّي.

فقلت: يا بن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، إن رأيت أنْ أعرضها مع صحيفة زيد ويحيىٰ، فأذن لي* وقال: قد رأيتك لذلك أهلاً.

وصحّ من طرق الإماميّة، ورواياتهم أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قد أنبأ بأئمة أمّته، وأوصيائه من عترته وانّه سمّاهم بأعيانهم (عليهم السّلام)، وان جبرئيل (عليه السّلام) نزل بصحيفة من السّماء فيها أسماؤهم وكناهم،كما شحنت بالرّوايات في ذلك كتب الحديث سيّما كتاب الحجّة من الكافي(١)، وإنّما معنى الحديث المذكور إن صحّ وثبت ما قاله الصّدوق قدّس سرّه في كتاب التوحيد انّه يقول: ما ظهر لله أمركما ظهر له في إسماعيل إذ اخترمه(٢) قبلي ليعلم أنّه ليس بإمام بعدي(٣)، والله أعلم *.

قوله (عليه السّلام): «بمشهد منّي» متعلّق بقوله: و إملاء جدّي، والمشهد: يجوز أن يكون مصدراً ميميّاً من شهد يشهد بمعنى حضر، والباء: للمصاحبة أي: بحضور منّي. وأن يكون اسم زمان أو مكان، و الباء: ظرفيّة أي: في زمان حضوري أو مكانه.

«إن رأيت»: من الرأي، يقال: رأى في الأمر رأياً أي: إن اقتضى رأيك أن أعرضها، وجملة جواب الشّرط محذوفة أي: فاذن لي، بدليل فاذن لي، وكثيراً ما يحذف جواب الشّرط في السّعة إذا كان فعل الشّرط ماضياً كقوله تعالى: «فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ»(٤) أي: فافعل، وقوله تعالى: «أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ

---

(١) الكافي: ج١، ص١٦٨

(٢) المُخْتَرَم: الهالك. مجمع البحرين ج٦، ص٥٦.

(٣) التوحيد للصدوق: ص٣٣٦،ح١٠.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٣٥.

....

أَتيٰكُمْ عَذابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلّاَ الْقَوْمُ الظّالِمُونَ»(١) أي: فأخبروني هل يهلك إلّا القوم الظالمون؟ ومثله في القرآن المجيد كثير.

قوله:«أعرضها مع صحيفة زيد» أي: اقرأها، يقال: عرضت الكتاب عرضاً: أي قرأته، ومقصوده: معارضتها بصحيفة زيد أي: مقابلتها بها، يقال: عارضت كتابي بكتابه أي: قابلته به.

قوله: «قد رأيتك لذلك أهلاً» أي: علمتك لأنّ الرؤية بمعنى العلم، والظّنّ هي التي تتعدّى إلى مفعولين.

و إمّا بمعنى الإبصار وهي رؤية العين، فـانّها تتعدّى إلى مفعول واحد لأنّ أفعال الحواسّ لا تتعدّى إلّا إلى واحد.

و أمّا نحو: رأيته قائماً أي: أبصرته، فقائماً: منصوب على الحال لا مفعول ثان.

قوله: «أهلاً» أي: مستحقّاً ومستوجباً يقال: فلان أهل للإكرام أي: مستحقّ له. وأهّله لذلك تأهيلاً: **رآه له أهلاً**.

و أمّا استأهله بمعنى إستحقّه فقال الزّمخشري في الأساس: يقال: فلان أهل لذلك، وقد استأهل ذلك، وهو مستأهل له، سمعت أهل الحجاز يستعملونه إستعمالاً واسعاً(٢).

و قال الفيروز ابادي**(٣)** في القاموس: إستأهله: إستوجبه لغة جيّدة، وإنكار

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٤٧.

(٢) أساس البلاغة: ص٢٥.

(٣) و هو أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الصديقي الشيرازيّ الشافعي (الفيروزابادي)، ولد بكازرين سنة ٧٢٩هجريّة، وتوفي قاضياً بزبيد في بلاد اليمن سنة ٨١٦ أو ٨١٧هجريّة، وله تصانيف تزيد على أربعين مصنّفاً، وأجلّ مصنّفاته: القاموس المحيط.

الكنى والألقاب: ج٣، ص٣٠.

فنظرت وإذا هما أمرٌ واحد، ولم أجد حرفاً منها يخالف ما في الصحيفة الأُخرىٰ.

الجوهريّ باطل(١)، إنتهى.

و عبارته في الصّحاح: تقول: فلان أهل لكذا ولا تقل مستأهل، والعامّة تقوله(٢).

و وافقه القاضي نشوان الحميريّ(٣) في شمس العلوم: فقال: إستأهل الرّجل: إذا أكل الإهالة وهي: الودك ، قال الشّاعر:

لا بَلْ كُلي يا أمُّ و استأهِلي إنّ الّذي أنفقت من ماليه

و لا يقال: فلان مستأهل لكذا، و إنّما يقال: فلان أهل لكذا(٤)، إنتهى *.

قوله: «فنظرت و إذا هما شيء واحد» هكذا وقع في جميع النّسخ بالواو قبل (إذا)، والصواب: فاذاهما شيء واحد ـ بالفاء ـ لأنّ إذا للمفاجأة هنا، والفاء لازمة لها داخلة عليها نحو: خرجت فإذا الأسد بالباب، نصّ على ذلك جميع النحويّين.

و هل هي زائدة، أو جزائيّة، أو عاطفة؟ خلاف، ثمّ وقفت عليه بالفاء في نسخة قديمة كما هو الصّواب ولله الحمد.

قوله: «و لم أجد حرفاً» المراد بالحرف هنا: ما يتركّب منه الكلم من الحروف المبسوطة، وقد يطلق على الكلمة أيضا تجوّزاً.

و حمله على هذا المعنى هنا صحيح ظاهر، و إن كان الأوّل أبلغ.

---

(١) القاموس المحيط: ج٣، ص٣٤٢.

(٢) الصحاح: ج٤، ص١٦٢٩.

(٣) هو نشوان بن سعيد الحميري اليمني المتوفّى سنة ٥٧٣هجريّة. له كتاب في اللغة باسم شمس العلوم في ثمانية أجزاء، سلك فيه مسلكاً غريباً، يذكر فيه الكلمة من اللغة، فان كان لها نفع من جهة ذكره، وذكر في كل مادة أبواب الكلمة ومستعملاته. كشف الظنون: ج٢، ص١٠٦١.

(٤) نشوان الحميرى: مخطوط. لا يوجد لدينا هذا الكتاب، نعم وجدنا جزء العبارة وبيت الشعر في الصحاح: ج٤، ص١٦٢٩.

ثمّ استأذنت أبا عبدالله (عليه السّلام) في دفع الصحيفة إلى ابني عبدالله بن الحسن.

هو عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السّلام) يكنّى: أبا محمّد، ويدعى بالمحض، لأنّ أباه الحسن بن الحسن، وأمّه فاطمة بنت الحسين، وهو أوّل من جمع ولادة الحسنين من آل الحسن، وأوّل من جمعها من آل الحسين الباقر (عليه السّلام).

و كان عبدالله شيخاً من شيوخ الطّالبيّين، وربما قال من الشّعر شيئاً فمنه قوله:

بيض حرائر ما هممن بريبة   كظباء مكّة صيدهنّ حرام

يحسبن من لين الكلام فواسقاً   و يصدّهنّ عن الخنا الإسلام

روى ثقة الإسلام في الرّوضة: بإسناده عن عليّ بن جعفر قال: حدّثني معتب أو غيره قال: بعث عبدالله بن الحسن إلى أبي عبدالله (عليه السّلام) يقول لك: أبو محمّد أنا أشجع منك، وأنا أسخى منك، وأنا أعلم منك. فقال: أما الشّجاعة فوالله ما كان لك موقف يعرف به جبنك من شجاعتك، وأمّا السّخاء فهو الّذي يأخذ الشّيء من جهته فيضعه في حقّه، وأمّا العلم فقد أعتق أبوك عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) ألف مملوك فسمّ لنا خمسة منهم وأنت عالم. فعاد إليه الرّسول فأعلمه ثمّ أعاد إليه فقال: يقول: إنّك رجل صحفي. فقال له أبو عبدالله (عليه السّلام): قُلْ له إنّها والله صحف إبراهيم وموسى وعيسى ورثتها عن آبائي (عليهم السّلام)(١).

و كان أبو جعفر المنصور يسمّي عبدالله بن الحسن أبا قحافة تهكّماً به لأنّ ابنه محمّداً إدّعى الخلافة، وأبوه عبدالله حيّ ولم يل الخلافة من أبوه حيّ قبله سوى أبي بكر بن أبي قحافة (٢)

---

(١) الكافي: ج٨ ص٣٦٣-٣٦٤، ح٥٥٣.

(٢) لم نعثر عليه.

فقال: إنّ الله يـأمركم أن تؤدّوا الأمـانات إلىٰ أهلها.

و كان أبو العبّـاس السّفّاح يكرم عـبدالله بن الحسن إكراماً تامّاً، فيحـكى انّ عبدالله قال له يـوماً: لم أرمائة ألف قطّ مجتمعة، فقال له أبوالعبّاس: ستَراها الآن،ثمّ أمر له بمائة ألـف درهم،ولم يتعرّض لـه ولا لأحد من أهل بيـته بمكروه مدّة خـلافته حتّى مضى بسبيله،وقـام من بعـده أخوه المنصور فـقلب لـلطالبـيّين ظهر المجنّ(١) وخاف خروجهـم عـليه،وقد بـلـغه ذلك عنهم فـحجّ سنة أربعين ومـائـة،ورجع على طريـق المدينة فقـبض على عبـدالله بن الحسن وأخيه إبـراهيم وسائر إخوته وأولادهم وسيّرهـم معه في الحديـد إلى الكوفـة فحبسهـم هناك ، ثـمّ أمر المنصور بـقتل عبدالله فقتل،وهو ابن خمس وسبعين سنة وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة.

روى خلاّد بن عمير(٢)قال: دخلت على أبي عـبدالله (عليه السّلام) فـقـال: هل لكـم علم بآل الحسـن الذيـن خرج بهم مـمّا قبلنا؟ وكان قد إتّصل بنـاعنهم خبر فلم نحبّ أن نبدأه به.فقلنا : نرجو أن يعافيهم الله، فقال: وأين هم من العافية؟ ثمّ بكى حتّى علا صوتـه و بكينا ثمّ قال: حدّثني أبي عن فاطمة بنت الحسين (عليه السّلام) قالت: سمعت أبي صلوات الله عليـه يـقول: يقتـل منك أو يصاب منـك نـفر بشطّ الفرات ما سبقهم الأوّلون ولا يدركهم الآخرون،وإنّه لم يبق من ولدها غيرهم(٣)*.

ذكر المفسّرون: إنّ هـذه الآية نزلـت يوم الـفتـح في شأن عثمان بن طلحة بن عبـدالدّار،سادن الكعـبة المـعظّمة، وذلك : انّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حين دخل مكّـة يوم الفتـح أغلق عـثمان الكـعبة فطـلب رسول الله (صلّـى الله عليه وآله)

---

(١) المِجَنّ: التُّرس (اي الدرع) القاموس: ج٤، ص٢٧٠.

(٢) خلاّد بن عمير الكنـدي، عدّه الشيـخ الطوسى رحمه الله في رجالـه من أصحـاب الصادق (عليه السّلام)، وزاد علىٰ ما في العنوان قوله: مولاهم الكوفي.

تنقيح المقال: ج١، ص ٤٠٠.

(٣) إقبال الاعمال للسيد ابن طاووس: ص٥٨١، (في اعمال عاشورا).

....

المفتـاح فقيل: إنّـه مع عثـمان، فقيـل لعثـمان: إن رسول الله (صلّـى الله عليه وآله) طلب المفتاح فأبىٰ وقال: لو علمت أنّه رسول الله ما منعته، فلوىٰ علي بن أبي طالب يده وأخـذ منه المـفتـاح وفتح البـاب فدخل رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه) البيت وصلّـى ركعتين فلمّا خرج سـأله العبّاس أن يـعطيه المفِتاح ويجمع لـه بين السّقاية والسّدانة، فأنزل الله تعالى: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلىٰ أَهْلِهَا»(١) فأمر رسول الله (صلّـى الله عـليه وآله) عليّـاً (عليه السّـلام) أن يـردّ المفتاح على عـثـمان ويـعتذر إلـيه، ففـعـل ذلك علـيّ (عليـه السّلام) فقال لـه عثـمـان: يا علي أكرهت وآذيت ثمّ جئت تـرفق؟ فقال: لقـد أنزل الله في شأنك قرآنـاً فقرأ عليه هذه الآية، فقـال عثمان: أشهـد أن لا إله إلا الله وأشْـهد أنّ محمّداً رسول الله، فـهبط جـبرئيل وقال للنبـيّ (صلّى الله عليه وآله): مادام هذا البيت كان المفتاح والسّدانة في أولاد عثمان فقال (صلّـى الله عليه وآله): خذوها يـا بني طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم إلّا ظالم، ثمّ إنّ عثمان هاجر ودفع المفتاح إلى أخيه شيبة وهو إلى اليوم في أيديهم(٢)

و في تـفسير أهـل الـبيـت (عـليهـم السّـلام): إنّ الخطـاب في الآيـة لـلأئـمّـة (عليهم السّلام)، أُمر كلّ منهم أن يؤدّي للإمام الّذي بعده ويوصي إليه(٣).

و على كـلّ تقدير فالعـبـرة بعموم اللفظ، لا بـخصـوص السّبب، فالخطاب عام لكلّ أحد، في كلّ أمانة.

و في تصدير الآية بكلمـة التّأكيد و إظهار الاسم الجليل و إيراد الأمر على صورة الإخبار من الفخامـة وتأكيد وجوب الإمتثال لمضمونها والدّلالة على الإعتناء بشأنها ما لا مزيد عليه.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢) الكشاف: ج ١، ص ٥٢٣.

(٣) مجمع البيان للطبرسي: ج ٣ - ٤، ص ٦٣.

نعـم فادفعها إليهما.

و قد عظّم الله تعالى أمـر الأمانة في مواضع من كتابه العزيز فقال: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ»(١) الآية وقال: «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ»(٢).

و قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «لا إيمان لمن لا أمانة له»(٣).

و عن أبي عبدالله عـليه السّـلام قال: «إنّ الله عزّوجلّ لم يـبعث نـبيًّا إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة»(٤).

و عنه (عليـه السّلام): «أدّ الأمانة لمن إئـتمنك وأراد منـك النّصيحة ولـو إلىٰ قاتل الحسين (عليه السّلام)»(٥).

و عن يونس بن عبـدالرحمن قال: سألـت موسى بن جعـفر (عليهما السّلام) عن قول الله عزّوجلّ: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» فقال: هذه مخاطبة لنـا خاصّة، أمر الله كلّ إمـام منّا أنْ يؤدّي إلى الامام الّذي بعـده ويوصي إليه، ثمّ هـي جاريـة في سائـر الأمانـات، ولـقد حـدّثني أبي،عن أبـيه: إنّ عـليّ بن الحسين (عليهما السّلام) قال لأصحـابه: «عـليكم بأداء الأمـانات فلو أنّ قاتل أبي الحسين ابن عليّ (عليهما السّلام) إئتمنني على السّيف الذي قتله به لأدّيته إليه»(٦).

و الرّوايات في هذا المعنى كثيرة جدًّا*.

قولـه: «نعم فادفعـها إليهما» نعـم: للاعلام بأنّه قـــد أذن، أي نعم قد أذنت لك فادفعها إليهما.

---

(١) سورة الاحزاب: الآية ٧٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٨.

(٣) نهج الفصاحة: ص ٥١٢، ح٢٤٢٨، الجامع الصغير: ج٢، ص١٩٨.

(٤) الكافي: ج٢، ص١٠٤، ح١.

(٥) وسائل الشيعة: ج١٣، ص٢٢٢، ح٤، روضة الكافي: ص٢٩٣، ح٤٤٨.

(٦) معاني الأخبار للصدوق: ص١٠٧، ح١.

فلمّا نهضت للقائهما قال لي: مكانك، ثمّ وجّه إلىٰ محمّد و إبراهيم فجاءا.

نهض ينهض، كمنع يمنع، نهضاً و نهوضاً: قام، و أنهضته للأمر -بالألف-: أقمته.

قوله: «مكانك» اسم فعل منقول من الظّرف بمعنى أثبت، وهو مبنيّ على الفتح لمشابهته مبني الأصل وهو هنا فعل الأمر وليس هو بظرف منصوب بفعل مقدّر تقديره: الزم مكانك كما ذهب إليه الزّجاج(١) وجماعة، ولا يستعمل هووأخواته من أسماء الأفعال المنقولة عن الظرف والجار والمجرور كدونك وعليك إلا بكاف الخطاب فلا يقال: مكانه بمعنى ليثبت، ومحلّ الضّمير المتّصل به قيل: رفع، وقيل: نصب،وقيل: جرّ وهو الأصحّ.

و قال ابن بابشاذ:(٢) الكاف: حرف خطاب(٣). لا محلّ له من الإعراب.

قوله: «ثمّ وجّه» أي: أرسل إليهما رسولاً يقال: وجّهه إليه توجيهاً أي: أرسله.

قال بعضهم: الظاهر إنّ مقصوده (عليه السّلام) من التوجيه إليهما تعظيم الصّحيفة لئلّا تحمل إليهما، بل وجّه إليهما ليتشرّفا ويتبرّكا بلقائها وإستقبالها.

قلت: بل الظاهر إنّه إنّما وجّه إليهما ليشترط عليهما عدم الخروج بالصّحيفة من المدينة كما يدلّ عليه تتمة الكلام.

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزّجّاج. كان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه. توفّي سنة (٣١١) هجريّة. له كتاب معاني القرآن، والأمالي، ومصنفات في الأدب.
الكنى والألقاب: ج٢ ص٢٦٢.

(٢) هو أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ، وهي كلمة فارسية معرّبة بمعنى سرور الأب. من علماء النحو له المقدمة المشهورة، وشرحها، وشرح الجمل للزجاجي. توفي سنة (٤٦٩) هجريّة.
الكنى والألقاب: ج١، ص٢١١.

(٣) شرح الكافية في النحو للرضي: ج٢، ص٦٩.

فقال: هـذا ميـراث ابن عـمّكما يحيىٰ من أبـيه قـد خصّكما به دون إخوته.

الميراث: اسم لما يورث،وأصله موراث إنقلبت الواو ياءً لإنكسار ما قبلها.

و خصّه بالشيء،من بـاب قعـد جعله له دون غـيره،والأصـل في لفظ الخصوص وما يتفرّع منه أن يستعمل بإدخال الباء على المقصورعليه أعني ماله الخاصّة فيقال: خصّ المـال بزيد أي المـال له دون غيـره، لكنّ الشّايـع في الاستعـمال إدخالها على المقصور أعني:الخاصّة كما وقع هنـا، ومثله قوله تعالى: «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ»(١) وهو إمّا بناء على تضـمين مـعنى التّمـيز والإفراد، أو على جعل التّخصـيص مجـازاً عن التّـميز، مشهوراً في العـرف، والجـمـلة في محلّ رفع على إنّهـا خـبرثان لهذا إن جعل الظرف قبلها حالاً، وخبر ثالث إن جعل خبراً ثانياً.

أو في محلّ نصب على الحال من الميراث، والعامل: معنى الاشارة.

قـولـه: «دون إخـوتـه» مـعنى دون في الأصـل أدنى مـكـان مـن شـيء يـقال: هـذا دون ذلك: أي أحطّ منه قليـلاً ثمّ استعير للتفـاوت في الأحوال والرتب فقيل: زيد دون عـمرو أي:في العلم والشّـرف،ثمّ اتّسع فيه فاستـعمل في كلّ تجاوز حدّ إلى حدّ، وتخطى حـكم إلى حـكم مـن غير ملاحظة إنحطـاط أحدهمـا من الآخـر فجرى مجرى أداة الإستثنـاء،وهو ظرف لغو لـتعلّقه بـخصّكما، والمعنى: خصّكما به مـتجاوزاً إخوتـه، وقد يستعمـل بمنْ كقوله تعـالى: «وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ»(٢) أي: ادعوهم متجاوزين الله.

و الاخوة: جمع أخ ولامه محذوفة وهي واو، وتردّ في التّثنية على الأشهر، فـيقال: أخوان،ويجمع على إخوان أيضاً.

---

(١) سورة البقرة: الآية١٠٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣.

....

و قيل: الاخوة في النّسب، والاخوان في الصّداقة.

و هو غلط، بل يقال في الأنسباء والأصدقاء: إخوة وإخوان، قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»(١) لم يَعْنِ النسب وقال: «وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ»(٢) إلى قوله: «أَوْ إِخْوَانِهِنَّ» وهذا في النّسب.

قال الزّجاج: أصل الأخ في اللّغة: من التوخّي وهو القصد والطلب، فالأخ نسبيّاً كان أو صديقاً مقصده مقصد أخيه، وكسر الهمزة من إخوة وإخوان وضمّها لغتان(٣)

وإخوة يحيى هم الحسين وعيسى ومحمّد أبناء زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ (عليهم السّلام).

أمّا الحسين بن زيد: فيكنّى أبا عبدالله، ويقال له: ذوالدّمعة وذو العبرة، لكثرة بكائه، قتل أبوه وهو صغير فربّاه الصادق (عليه السّلام) وعلّمه، مات سنة خمس وثلاثين ومائة. و قيل: سنة أربعين.

و أمّا عيسى بن زيد: فيكنّى أبا يحيى، و أُمّه أُم ولد نوبية اسمها «سكن»، ولد في المحرّم سنة تسع ومائة، ومات بالكوفة وله ستّون سنة، واستتر خوفاً من بني العبّاس نصف عمره، وكان قد قتل أسداً له أشبال فسمّي موتم الأشبال، خرج مع إبراهيم بن عبدالله بن الحسن قتيل باخمرىٰ وكان صاحب رايته، وكان إبراهيم قد جعل الأمر له من بعده فلم يتمّ له الخروج، وإستتر أيّام المنصور وأيّام المهدي و بعضاً من أيّام الهادي، وصلّى عليه الحسن بن صالح سرّاً ودفنه.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٢) سورة النور: الآية ٣١.

(٣) تهذيب الاسماء واللغات للنووي: الجزء الاول من القسم الثاني ص٥.

....

و أمّا محمّد بن زيد: فيكنّى أبا جعفر، و أُمّه أمّ ولد سنديّة، وهو أصغر ولد أبيه وكان في غاية الفضل ونهاية النبل. فحكى انّ المنصور عرض عليه جوهر فاخر وهو بمكّة فعرفه وقال: هذا جوهر كان لهشام بن عبدالملك وقد بلغني انّه عند ابنه محمّد ولم يبق منهم غيره. ثمّ قال للربيع: إذا كان غد وصلّيت بالنّاس في المسجد الحرام فأغلق الأبواب كلّها ووكّل بها ثقاتك. ثمّ افتح باباً واحداً وقف عليه ولا يخرج إلاّ من تعرفه، ففعل الربيع ذلك وعرف محمّد بن هشام انّه المطلوب، فتحيّر وأقبل محمّد بن زيد المذكور فرآه متحيّراً وهو لا يعرفه فقال له: يا هذا أراك متحيّراً، فمن أنت؟ قال: ولي الأمان؟ قال: ولك الأمان، وأنت في ذمّتي حتى أُخلّصك. قال: أنا محمّد بن هشام بن عبدالملك، فمن أنت؟ قال: أنا محمّد بن زيد. فقال: عند الله أحتسب نفسي إذاً، فقال: لا بأس عليك. فانّك لست بقاتل زيد، ولا في قتلك درك بثاره، الآن خلاصك أولى من إسلامك، ولكن تعذرني في مكروه أتناولك به، وقبيح أُخاطبك به يكون فيه خلاصك؟ قال: أنت وذاك، فطرح بردائه على رأسه ووجهه وأقبل يجرّه، فلمّا أقبل على الربيع لطمه لطمات وقال: يا أباالفضل إنّ هذا الخبيث جمّال من أهل الكوفة أكراني جماله ذهاباً وإياباً وقد هرب منّي في هذا الوقت وأكرى قوّاد الخراسانيّة ولي عليه بذلك بيّنة، فضمّ إليّ حارسين لئلّا يفلت منّي، فضمّ إليه حارسين فمضيا معه فلمّا بعد من المسجد قال له: يا خبيث تؤدّي إليّ حقّي؟ قال: نعم يا ابن رسول الله فقال للحرسين: إنطلقا، ثمّ أطلقه فقبّل محمّد بن هشام رأسه وقال: بأبي أنت وأُمّي، الله أعلم حيث يجعل رسالته، ثمّ أخرج له جوهراً له قَدْر(١) فدفعه إليه وقال: تشرّفني بقبول هذا، فقال: إنّا أهل بيت لا نقبل على المعروف ثمناً، وقد تركت لك أعظم من هذا، دم زيد بن عليّ،

---

(١) أي له قيمة.

و نحن مشترطون عليكما فيه شرطاً، فقالا: رحمك الله قُل فقولك المقبول، فقال: لا تخرجا بهذه الصحيفة من المدينة.

إنصرف راشدا و وار شخصك حتّى يرجع هذا الرّجل فانّه مجدّ في طلبك.

فعُدّت هذه الفعلة من مكارم شيمه وعظيم همّته.

قال الشارح عفا الله عنه: و نسبي ينتهي إلى محمّد،بن زيد المذكور. فأنا عليّ،بن أحمد،بن محمّد معصوم،بن أحمد،بن إبراهيم، بن سلام الله، بن مسعود، بن محمّد،بن منصور،بن محمّد،بن إبراهيم، بن محمّد،بن إسحاق، بن عليّ،بن عرب شاه، بن أمير أنبه بن أميري،بن حسن،بن حسين، بن عليّ، بن زيد الأعشم، بن عليّ، بن محمّد، بن عليّ أبي الحسن نقيب نصيبين، بن جعفر،بن أحمد السّكّين، بن جعفر،بن محمّد، بن زيد الشّهيد،بن عليّ،بن الحسين، بن عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جَمَعَتْنا يا جرير المجامعُ *.

الشرط: إلزام الشّيء و إلتزامه في البيع ونحوه، والجمع شروط، وفي المثل الشرط أملك: عليك أم لك، شرط عليه كذا يشترط ويشرط من بابي ضرب وقتل، وإشترط عليه: إذا ألزمه، والشُّرطة -بالضمّ- ما اشترطت، يقال: خذ شرطتك.

و الفاء في قوله: «فقولك المقبول» للسّببيّة كقوله تعالى: «فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ»(١) فهي داخلة على ما هو الشّرط في المعنى كما تقول: أكرم زيداً فانّه فاضل، فإن عكست وقلت: زيد فاضل فأكرمه، كانت داخلة على ما هو الجزاء في المعنى.

قوله: «لا تخرجا بهذه الصّحيفة» الباء: للتّعدية وتسمّى باء النّقل أيضاً. وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً، تقول في ذهب زيد: ذهبت بزيد، وأذهبته،

---

(١) سورة الحجر: الآية ٣٤.

....

ومنه: «ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ»(١) وقرىء «أذْهَبَ اللهُ نُورَهُمْ».

و قال المبرّد، والسّهيلي:(٢) إنّ بين التعديتين فرقاً، وإنّك إذا قلت: ذهبت بزيد كنت مصاحباً له في الذّهاب. بخلاف أذهبته(٣).

قال ابن هشام: و هو مردود بالآية(٤).

و أُجيب بأنّه يجوز أن يكون تعالى وصف نفسه بالذّهاب على معنى يليق به كما وصف نفسه بالمجيء في قوله: «وَجَاءَ رَبُّكَ»(٥) وهو ظاهر البعد.

و وافق الزّمخشري، المبرّد، والسّهيلي في القول بالفرق.

فقال في الكشّاف: الفرق بين أذهبه وذهب به أنّ معنى أذهبه: أزاله وجعله ذاهباً، ويقال: ذهب به: إذا إستصحبه ومضى به معه، وذهب السّلطان بماله: أخذه، ومنه: ذهبت به الخيلاء، ومعنى «ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ» أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسكه الله فلا مرسل له(٦)، إنتهى.

و لا يخفى ما فيه من الإشارة إلى الجواب عن الآية،وهو انّ هذا معنى آخر لِذَهَبَ مع الباء لا محذور في نسبته إلى الله تعالى.

إذا عرفت ذلك فقوله عليه السّلام: «لا تخرجا بهذه الصحيفة» معناه، على قول

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧.

(٢) هو أبو القاسم عبدالرحمن بن الخطيب أبي محمد عبدالله بن الخطيب أحمد السّهيلي الاندلسي النحوي اللغوي المحدّث المفسّر صاحب شرح الجمل، والأعلام بما كان في القرآن من الاسماء والأعلام، والروض الآنف شرح سيرة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

ولد السهيلي سّنة (٥٠٨) هجريّة في قرية سهيل قرب مدينة مالقا بالاندلس، وتوفى بمراكش سنة (٥٨١) هجريّة وكان مكفوفاً. الكنى والألقاب: ج٢ ص٢٩٤

(٣) و (٤) مغني اللبيب: ص ١٣٨.

(٥) سورة الفجر: الآية ٢٢.

(٦) تفسير الكشاف للزمخشري، ج١، ص٧٤.

قالا: و لم ذاك ؟ قال: إنّ ابن عمّكما خاف عليها أمراً أخافه أنا عليكما. قالا: إنّما خاف عليها حين علم أنّه يقتل.

القائلين بالفرق بين التعديتين: لا تستصحباها ولا تمضيا بها معكما في الخروج من المدينة.

و هو الظاهر من سوق الكلام وفحوى المقام، وعلى القول بعدم الفرق معناه: لا تخرجاها كما وقع في نسخة ابن إدريس: لا تخرجا هذه الصّحيفة.

أي: أخاف سببه عليكما، لأنّ الأمر الّذي خافه يحيى على الصّحيفة هو: أن تقع إلى بني أُميّة فيكتموها ويدّخروها في خزائنهم لأنفسهم كما قاله سابقاً، وهذا لا يخافه عليهما وانّما يخاف عليهما القتل الذي بسببه خاف يحيى وقوع الصّحيفة إلى بني أُمية، والمضاف كثيراً ما يحذف من الكلام و يقام المضاف إليه مقامه، وقد وقع في القرآن المجيد في غير موضع كقوله تعالى: «لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ»(١) أي: رحمته، «يَخَافُونَ رَبَّهُمْ»(٢) أي: عذابه، بدليل ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، وقوله: «فَذٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ»(٣) أي: في حبّه، أو في مراودته.

قوله: «حين علم» أي: وقت علمه، فالجملة مضاف إليها، وهي في تأويل المفرد ومحلّها الجرّ.

قال أبو حاتم:(٤) وغلط كثير من العلماء فجعلوا (حين) بمعنى: حيث،

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ٦.

(٢) سورة النحل: الآية ٥٠.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣٢.

(٤) هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني النحوي اللغوي نزيل البصرة وعالمها، أخذ عنه ابن دريد والمبرّد وغيرهما، حكي إنه كان صالحاً عفيفاً يتصدّق كلّ يوم بدينار، ويختم القرآن في كلّ أسبوع، له من المصنّفات: كتاب إعراب القرآن، وكتاب اختلاف المصاحف، وغير ذلك، توفّي بالبصرة سنة ٢٤٨هجريّة.

الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص٢٧٧

فقال أبو عبدالله (عليه السّلام) و أنتما فلا تأمنا.

والصّواب أن يقال: (حيث) بالمثلّثة ظرف مكان، و(حين) بالنّون: ظرف زمان فيقال: قمت حيث قمت أي: في الموضع الّذي قمت فيه، واذهب حيث شئت أي: إلى أيّ موضع شئت، وأمّا (حين) بالنّون، فيقال: قمت حين قمت: أي في ذلك الوقت، ولا يقال: حيث خرج الحاجّ -بالمثلّثة- وضابطه: إنّ كلّ موضع حسن فيه (أين) و(أيّ) اختصّ به حيث -بالمثلّثة- وكلّ موضع حسن فيه (إذا) و(لمّا) و(يوم) و(وقت) إختص به (حين) -بالنّون»-(١)*.

قوله: «و أنتما فلا تأمنا» الفاء: زائدة عند من أجاز زيادتها في الخبر، فأجازها الأخفش(٢) مطلقا، وحكى أخوك فوجد(٣).

وقيّد الفرّاء والأعلم(٤)، وجماعة، جوازها بكون الخبر أمراً أو نهياً، فالأمر كقوله:

---

(١) المصباح المنير للفيومي: ص٢١٩ و ٢٢٠.

(٢) الاخفش يطلق على ثلاثة من علماء النحو.

الأول: أبو الخطاب عبدالحميد بن عبدالمجيدالهجري استاذ سيبويه، والكسائي، وأبي عبيدة، وهو الأخفش الأكبر.

و الثاني: أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي صاحب المصنفات تلميذ الخليل وهو الأوسط.

و الثالث: أبو الحسن علي بن سليمان وهو الأصغر وهو أفضل الثلاثة، زاد بحر الخبب في العروض توفّي سنة ٢١٥هجريّة.

الكنى والألقاب: ج٢، ص١٣

(٣)مغني اللبيب لابن هشام: ص٢١٩.

(٤) هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم الاندلسي، رحل إلى قرطبة سنة ٤٣٣هجريّة وأقام بها مدّة وأخذ من علمائها، وكان عالماً بالعربية، واللغة، ومعاني الأشعار، وقد أخذ عنه النسائي وغيره، وكفّ بصره في آخر عمره، له شرح الجمل للزجاجي وغيره. توفّي سنة ٤٧٦هجريّة. والأعلم: مشقوق الشفة العليا.

الكنى والألقاب: ج٢، ص ٣٨.

فوالله إنّي لأعلم انكما ستخرجان كما خرج وستقتلان كما قتل.

أنت فانظر لأيّ ذلك تصير،والنّهي نحو: زيد فلا تضربه(١)، ومثله عبارة المتن: «وأنتما فلا تأمنا».

و تأوّل المانعون (أنت فانظر) على أنّ التقدير: أُنظر فانظر، فحذف أُنظر الأوّل وحده فبرز ضميره.

فقيل: (أنت فانظر) فالفاء للعطف لا زائدة، وتأوّلوا نحو: زيد فلا تضربه بتقدير «امّا».

و يمكن تأويل عبارة المتن على حذف المعطوف عليه فيكون التقدير: وأنتما خفتما فلا تأمنا، بدليل قولهما: إنّما خاف عليها حين علم أنّه يقتل، ولك تأويلها بتقدير «امّا» أيضاً .

فإن قيل: بلزوم التفصيل فيها كما هو مذهب بعضهم، كان تكرارها متروكاً إستغناء عنه بذكر القسم الآخر فيكون التقدير: أمّا هو فقتل،وأمّا أنتما فلا تأمنا.

و من أنكر لزوم التّفصيل لم يحتج إلى هذا التّقدير*.

قوله: «فوالله انّى لأعلم» قيل: هذا يدلّ على أنّ الإمام عليه السّلام يجوز له أن يحلف على ما يعلمه من المغيّبات وإن لم يعلمه بالحواسّ الظاهرة، وهذا لاينافي أن تكون التّكاليف الشّرعيّة بالنسبة إليهم موقوفة مقصورة على ما يعلمونه بالعلوم الظاهريّة لا تتعدّى إلى معلوماتهم بالعلوم الإلهاميّة الغيبيّة كحال علي (عليه السّلام) مع ابن ملجم اللعين،وحال الحسين (عليه السّلام) في خروجه إلى الكوفة مع علمهما بحقيقة المآل، إنتهى(٢).

فتأمّل. وقد مرّ ذكر خروجهما وقتلهما كما أخبر به (عليه السّلام).

---

(١) مغنى اللبيب لابن هشام: ص ٢١٩

(٢) انتهى قول القائل.

فقاما وهما يقولان: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

قوله: «فقاما وهما يقولان: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم» وهما يقولان جملة في محلّ النّصب على الحال أي: فقاما قائلين،ولك في الاسمين من لاحول ولا قوّة خمسة أوجه من الإعراب: فتحهما، ورفعهما، وفتح الأوّل ونصب الثّاني، وفتح الأوّل ورفع الثّاني، ورفع الأوّل وفتح الثاني.

و استشكل الاستثناء على الوجه الأوّل من جهة انّه راجع في المعنى إلى الجملتين،ولا يصحّ لفظاً لأنّ إلّا الواحدة لا يستثنى بها من شيئين.

قال ابن الحاجب: والأشبه أن يقال: إنّ الحول والقوّة لمّا كانا بمعنى صحّ رجوع الاستثناء إليهما لتنزّلهما منزلة شيء واحد(١).

و قال غيره: هو من باب الحذف مثل: ما قام وقعد إلّا زيد أي: لا حول إلّا بالله ولا قوّة إلّا بالله.

و ما قاله ابن الحاجب هو تفسير بعض اللغويّين: أنّ الحول: هو القوّة،والقوّة: هي الحول،كلاهما مترادفان.

و روى ابن بابويه في كتاب معاني الأخبار: باسناده إلى جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال: سألته عن معنى لاحول ولا قوّة إلّا بالله فقال: معناه لا حول لنا عن معصية الله إلّا بعون الله،ولا قوّة لنا على طاعة الله إلّا بتوفيق الله(٢).

فالحول على هذا بمعنى التحوّل، فيكون وجه تقديم الحول على القوّة: إنّ التخلية مقدّمة على التحلية، كما اشتهر بين أرباب العرفان، فتخلية النّفس وتحويلها من المعاصى إلى الطاعات وإعدادها لها مقدّمة على تحليتها بالطاعات.

---

(١) لم نعثر عليه في مظانّه.

(٢) معاني الاخبار: ص٢١، ح١.

....

و إلى هذا المعنى أشار بعض المشايخ وقد سأله مريد له،أستغفر الله أم أُسبّحه؟ فقال: الثّوب الوسخ أحوج إلى الصّابون من البخور.

و في نهج البلاغة: إنّ أميرالمؤمنين (عليه السّلام) قال: وقد سُئل عن معنى لاحول ولا قوّة إلا بالله: إنّا لا نملك مع الله شيئًا ولا نملك إلّا ما ملّكنا، فمتى ملكنا(١) ما هو أملك به منّا كلّفنا،ومتى أخذه منّا وضع تكليفه عنّا(٢).

قال شارحوا كلامه: معنى هذا الكلام إنّه (عليه السّلام) جعل الحول عبارة عن الملكيّة والتّصرّف، وجعل القوّة عبارة عن التكليف كأنّه يقول: لا تملّك ولا تصرّف إلّا بالله،ولا تكليف لأمر من الأُمور إلّا بالله، فنحن لا نملك مع الله شيئاً لأنّه لو لا إقداره إيّانا وخلقه لنا أحياء لم نكن مالكين ولا متصرّفين، فإذا ملّكنا شيئا هو أملك به منّا أي أقدر عليه منّا، صرنا مالكين له كالمال مثلاً حقيقة وكالعقل والجوارح والأعضاء مجازاً، وحينئذ يكون مكلّفاً لنا أمراً يتعلّق بما ملّكنا إيّاه نحو أن يكلّفنا الزّكاة عند تمليكنا المال،ويكلّفنا النّظر عند تمليكنا العقل،ويكلّفنا الجهاد والصّلاة والحجّ عند تمليكنا الأعضاء والجوارح، ومتى أخذ منّا المال وضع عنّا تكليف الزّكاة، ومتى أخذ العقل سقط تكليف النّظر، ومتى أخذ الأعضاء والجوارح سقط تكليف الجهاد وما يجري مجراه(٣).

هذا هو تفسير قوله عليه السّلام.

و في هذه الكلمة الشّريفة تسليم للقضاء والقدر،وإظهار للفقر(٤) إلى الله تعالى

---

(١) (الف) ملكناه.

(٢) نهج البلاغة صبحي الصالح: قصارالحكم: ٤٠٤، ص٥٤٧.

(٣) منهاج البراعه للخوئي: ج٢١، ص٤٨٥، وشرح نهج البلاغة للبحراني: ج٥، ص٤٤٠.

(٤) (الف) الفقر.

فلمّا خرجا قال لي أبو عبدالله (عليه السّلام): يا متوكل كيف قال لك يحيىٰ: إنّ عميّ محمّد بن عليّ وابنه جعفراً دعوا النّاس إلىٰ الحياة ودعوناهم إلىٰ الموت؟ قلت: نعم أصلحك الله قد قال لي ابن عمّك يحيىٰ ذلك.

بطلب المعونة منه في جميع الأمور، وإبراز لعجز البشر لسلب القوّة والحركة في الخيرات والطاعات عنهم، وإثباتها للملك العلّام توقيراً وتعظيماً له،ودلالة على التّوحيد الخفيّ لأنّه إذا نفى الحيلة والحركة والقوّة والاستطاعة عن غيره سبحانه، وأثبتها له على الحصر الحقيقي وبيّن أنّها بايجاده وإعانته وتوفيقه لزمه القول بأنّه لم يخرج شيء من ملكه وملكوته وأنّه لا شريك له تحقيقاً لمعنى الحصر*.

قوله: «كيف قال لك يحيى» كيف: اسم مبنّي على الفتح لتضمّنه معنى حرف الشّرط، أو الاستفهام فترد شرطاً: نحو كيف تصنع أصنع، وإستفهاماً: وهو الغالب إمّا حقيقيّاً نحو:كيف زيدٌ؟ أو غيره نحو:كيف تكفرون بالله؟ فانّه أخرج مخرج التّعجّب، فان جاء بعدها ما لا يستغنى به نحو كيف زيد؟ فهي في محلّ رفع على انّها خبر المبتدأ فتقول في جوابها: صحيح أوسقيم، وفي البدل منه أصحيح أم سقيم، فان دخلت على نواسخ الإبتداء فكيف في محلّ النّصب جزءاً ثانياً لمطلوبي ذلك النّاسخ نحو: كيف أصبحت؟ وكيف ظننت زيداً؟

و إن جاء بعدها قول يستغنى به نحو كيف يقوم زيد؟ فهي منصوبة المحلّ على الحال، فجوابها والبدل منها منصوبان،تقول في الجواب:متّكئاً على آخر أو معتمداً عليه، وفي البدل: كيف يقوم زيد أمتكئاً أم معتمداً؟(١).

إذا عرفت ذلك، فكيف في عبارة المتن في محلّ النّصب على الحال لأنّ الواقع بعدها قول يستغنى به، وصاحب الحال يحيى، والعامل فيها قال، أي: على أيّ حالة

---

(١) (الف) أمعتمداً أم متكئا؟

فقال: يرحم الله يحيى، إنّ أبي حدّثني عن أبيه عن جدّه عن عليّ:

قال لك يحيى ذلك، معبرّا بهذه العبارة أم بغيرها، فكان الجواب: نعم قال ذلك، أي بهذه العبارة *.

قوله: «يرحم الله يحيى» تعريض بخطائه وجنايته في هذا القول، والأصل أخطأ، وبئس ما قال، لكنّه عدل إلى الترحّم عليه تحفّياً به وتحنناً عليه.

قال صاحب الكشف: إنّ الدّعاء قد يستعمل للتعريض بالاستقصار كقوله عليه الصّلاة والسّلام: «يرحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد»(١).

و قال صاحب الكشّاف: في قوله تعالى: «عفى الله عنك لم أذنت لهم» كناية عن الجناية لأنّ العفو رادف لها ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت(٢)، وتعقّبه بعضهم فقال: لقد أخطأو أساء الأدب وبئس ما قال وكتب: هب إنّه كناية أليس إيثارها على التصّريح بالجناية للتلطّف في الخطاب والتخفيف للعتاب؟ وهَبْ إنّ العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح وإستتباع اللائمة بحيث يصحّح هذه المرتبة من المشافهة بالسّوء أو يسوّغ إنشاء الاستقباح بكلمة بئس ما المنبئة عن بلوغ القبح إلى رتبة يتعجّب منها، إنتهى(٣).

و أجاب عنه بعضهم بأنّه أراد أنّ الأصل ذلك، وأبدل بالعفو تعظيماً لشأنه (صلّى الله عليه وآله) وتنبيهاً على لطف مكانه ولذلك قدّم العفو على ما يوجب الجناية وليس تفسيره.

هذا بناءً على أنّ العدول إلى عفا الله لا للتعظيم حتّى يخطأ، وأمّا المستعمل لمجرّد التعظيم فهو إذا كان دعاءً لا خبراً على انّ الدّعاء قد يستعمل للتعريض كقوله

---

(١) سنن ابن ماجة: ج٢، ص١٣٣٥، ح٤٠٢٦،وفي مسند أحمد بن حنبل: ج٢، ص٣٢٦.
(٢) تفسير الكشاف: ج٢، ص٢٧٤.
(٣) انتهى كلام البعض.

إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أخذته نعسة

(عليه السّلام): «يرحم الله أخي لوطا»(١) الحديث.

و تحقيقه انّه لا يخلو من حفاوة بشأن المخاطب أو الغائب حسب اختلاف الصّيغة، وأمّا التعظيم والتعريض فقد وقد(٢) إنتهى(٣).

و وجه خطأ(٤) يحيى إنّ ظاهر قوله: «دَعَوْا النّاس إلى الحياة ودعوناهم إلى الموت» يفهم عنه رغبتهما عن الجهاد والقيام بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وتثبيط النّاس عن ذلك حبّاً للحياة وتفادياً عن الموت، وهذا معنى لا يليق بشأنهما (عليهما السّلام)، والقول به خطأ محض وجهل صريح لاشك في هلاك القائل به معتقداً له، إلّا أنّ تداركه الرحمة فيرجع عنه قبل موته كما هو الظّن بيحيى، بل إنّما دَعَوْا النّاس إلى الحياة بسبب آخر لم يعلمه يحيى ولو علمه ما عبّر بتلك العبارة، وهو ما بيّنه (عليه السّلام) بقوله: «إنّ أبي حدّثني» إلى آخر الحديث *.

قوله: «أخذته نعسة» التّاء: للوحدة كالضربة،والنعاس: أوّل النّوم، ثمّ الوسن: وهو ثقل النعاس، ثمّ الترنيق: وهو مخالطة النّعاس العين، ثمّ الكرى والغمض: وهو أن يكون الانسان بين النّائم واليقضان، ثمّ التغفيق بالغين المعجمة وبعدها فاء وهو:النّوم وأنت تسمع كلام القوم، ثمّ الهجوع والهجود وهو:النّوم الغرِق، ثمّ النشيج وهو: أشدّ النّوم.

قال الأزهري: حقيقة النعاس: الوسن من غير نوم(٥).

---

(١) سنن ابن ماجة: ج٢، ص١٣٣٥، ح٤٠٢٦.

(٢) (الف): فقد.

(٣) اى جواب البعض.

(٤) (الف): خطاب.

(٥) التهذيب في اللغة للأزهري: ج٢، ص١٠٥.

وهو علىٰ منبره، فرأىٰ في منامه رجالاً ينزون علىٰ منبره نزو القردة، يردّون النّاس علىٰ أعقابهم القهقرى.

و على هذا فقوله (عليه السّلام): فرأى في منامه من إطلاق الشيء على ما يقاربه *.

قوله: «و هو على منبره» المنبر: مفعل من نبر الشيء إذا رفعه، سمّي بذلك لارتفاعه، وكُسرت ميمه على التشبيه باسم الآلة.

قوله: «ينزون» أي يَثِبُون، يقال: نزا الفحل نزواً، من باب قتل، ونزواناً بالتحريك: إذا وثب، والاسم: النزاء، مثل: كتاب وغراب.

قوله: «نزو القِرَدَة» الأصل: نزواً مثل نزو القردة، فحذف الموصوف وهو نزواً ثمّ المضاف وهو مثل وأقيم المضاف إليه مقامه وهو مفعول مطلق مبيّن لنوع عامله، والقردة: كعنبة جمع قِرْد بالكسر والسّكون: وهو حيوان خبيث معروف.

و لمّا كانت الصّورة في عالم الملكوت تابعة للمعنى والصّفة، لاجرم يرى المعنى الحسن كالملك في صورة حسنة جميلة، ويرى المعنى القبيح كالشيطان في صورة قبيحة، وتكون تلك الصّورة عنوان المعاني، ولذلك يدلّ القرد والخنزير في المنام على إنسان خبيث الباطن، وتدلّ الشّاة على إنسان سليم الجانب، وهكذا جميع أبواب التعبير والتأويل.

قوله: «يردّون النّاس على أعقابهم القهقرى» أي: يرجعونهم إلى الكفر من قولهم: رجع فلان على عقبه أي: على طريق عقبه وهي التي كانت خلفه وجاء منها.

و العَقِب بكسر القاف: مؤخّر القدم، وهي مؤنّثة وتسكن للتخفيف، والجمع: اعقاب.

و القهقرى: مفعول مطلق، والأصل: يردّونهم ردّ القهقرى، فحذف المصدر وأنيب عنه لفظ دالّ على نوع منه، لأنّ القهقرى نوع من الرجوع وهو أن يمشي إلى

فاستوىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جالساً والحزن يعرف في وجهه.

خلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه.

و فيه تنبيه على انّ ردّهم عن الاسلام بنحو خاصّ، وهو إخراجهم منه مع إدّعائهم له وعدم صرف وجوههم عنه بالمرّة *.

قوله: «فاستوى جالساً» أي: إستقرّ، وجالساً: حال مبنيّة لهيئة الفاعل، والجلوس غير القعود، فانّ الجلوس: هو الانتقال من سفل إلى علوّ، و القعود بعكسه.

فعلى الأوّل: يقال لمن هونائم أو ساجد: إجلس.

و على الثّاني: يقال لمن هو قائم: اقعد.

و قال الفارابي(١) وجماعة: الجلوس نقيض القيام فهو أعمّ من القعود، وقد يستعملان بمعنى الكون والحصول فيكونان بمعنى واحد، ومنه يقال: جلس متربّعاً وقعد متربّعاً أي: حصل وتمكّن(٢).

قوله: «والحزن يعرف في وجهه» الجملة في محلّ نصب على الحال من الضمير في قوله: فاستوى.

و الحُزْن بالضمّ والسكون،والحَزَن ـ محرّكة ـ : الهمّ،حزن هو من باب تعب،

---

(١) و هو أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي الحكيم المشهور، صاحب التصانيف في المنطق والموسيقىٰ وكان من كبار الفلاسفة، ويقال انه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه مكتوب بخط الفارابي: إنّي قرأت هذا الكتاب مائة مرة، وله كتاب ديوان الأدب وهو أوّل معجم في اللغة العربية.

ولد بفاراب (وهي مدينة في بعض ثغور أهل الترك) سنة ٢٥٩هجريّة تقريباً، ومات في دمشق سنة ٣٣٩هجريّة وقد ناهز الثمانين من عمره.

الكنىٰ والألقاب: ج٣، ص٢.

(٢) المصباح المنير: ص١٤٤.

....

وقريش تعدّيه بالحركة فتقول: حزنه الأمر من باب قتل، وتميم تعدّيه بالهمزة فتقول: أحزنه،وعرّفه الحكماء: بانفعال النّفس عن توارد المكروهات أو تخيّلها.

قالوا: وهذا الانفعال كيفيّة تتبعها حركة الروح إلى الداخل قليلاً قليلاً هرباً ممّا ذكر، وفرّقوا بينه وبين الهمّ،فقالوا: الهمّ ما تتبعه حركة الروح إلى الداخل والخارج لحدوث أمر يتصوّر فيه خير متوقّع وشرّ منتظر، فهو مركّب من رجاء وخوف، فأيّهما غلب على الفكر تركن الرّوح إلى جهته، فللخير المتوقّع إلى الخارج وللشرّ المنتظر إلى الداخل، فلذلك قيل: إنّه جهاد فكري.

و قيل: الحزن أَسَفُكَ على ما فات،و يرادفه الغمّ والهمّ على ما لم يأت، ويرادفه الخوف.

فائدة
في حقيقة النوم والرؤيا

إعلم: أنّ الرّوح الحيواني وهو الجوهر البخاري اللطيف الحاصل من لطيف الأغذية المنتشر في الأعضاء والعروق، وبسببه يحصل للأعضاء قوّة الحسّ والحركة، وهو مركّب الروح الانساني إذا إنتشر في جميع أعضاء البدن باطنه وظاهره حصل الحسّ والحركة وهذا هو اليقضة، وإن بقي في الباطن ولم يتّصل إلى الظاهر تعطّلت الحواسّ الظاهرة وهذا هو النوم. وبقاؤه في الباطن يكون لأسباب:

منها: طلب الاستراحة عن كثرة الحركة.

و منها: تحلّله بسبب الأفعال الكثيرة الصادرة من الحواسّ فتشتغل الطبيعة بنضج الغذاء ليستمدّ الروح من لطيفه.

و منها: إنسداد المجاري، فانّ الانسان إذا شرب الشراب مثلاً تصاعدت أبخرته

....

من المعدة إلى الدّماغ ونزلت إلى الأعصاب فامتلأت المجاري وانسدّت فلا يقدر الرّوح على النّفوذ كما ينبغي، وربّما كان أكل الطّعام موجباً للنّوم لهذا السبب، فاذا بقي الرّوح في الباطن وركدت الحواسّ بقيت النفس فارغة من شغل الحواسّ لأنّها لا تزال مشغولة بالتفكّر فيما تورده الحواسّ عليها فاذا وجدت فرصة الفراغ وارتفعت عنها الموانع، إتّصلت بالجواهر الروحانيّة الشريفة من عالم الملكوت التي فيها نقوش جميع الموجودات كلّيّة وجزئيّة ما كان وما يكون وما هو كائن وهي المسمّاة بالكتاب المبين، وأمّ الكتاب، واللوح المحفوظ، فانتقشت بحسب إستعدادها بما فيها من صور الأشياء لا سيّما ما ناسب أغراضها وكان مهمّاً لها، فانّ النّفس بمنزلة مرآة ينطبع فيها كلّ ما قابلها من مرآة أخرى عند حصول الأسباب وإرتفاع الحجاب بينهما. والحجاب هنا: إشتغال النّفس بما تورده الحواسّ، فاذا إرتفع ظهر فيها من تلك المرائي ما يناسبها ويحاذيها.

فهذا هو سبب الرّؤيا الصّادقة وهي إمّا صريحة، فتستغني عن التأويل، وهي التي لم تتصرّف فيها المتخيّلة الحاكية للأشياء بتمثيلها.

و إمّا خفيّة: وهي ما حكته المتخيّلة بصورة مناسبة له، فانّ النّفس إذا انتقش فيها معنى ركّبت المتخيّلة صورة لذلك المعنى تناسبه فترسلها إلى الحسّ المشترك فتصير مشاهدة، وهذه الرّؤيا هي المفتقرة إلى التّأويل، ونظر المعبّر في الاستدلال بتلك الصّورة على ذلك المعنى، وكثيراً ما تحكى المتخيّلة عن تلك الصّورة حكاية أخرى وتنقلها إلى صور كثيرة حتّى يعجز المعبّر عن إدراك تلك الانتقالات وسببه إستيلاء قوّة التخيّل وتعوّدها للتركيبات التي لا أصل لها، ولهذا لا يعتمد على رؤيا الكذوب والشاعر؛ لأنّ مخيّلتهما إعتادت تخيّل الصور التي لاوجود لها وإختراعها.

وقد تكون للرّؤيا أسباب أخر:

أحدها: إنّ الصور المحفوظة في خزانة الخيال تظهر وقت النوم في لوح الحسّ

....

المشترك لفراغه حينئذ؛ لأنّه وقت اليقظة مشغول بالصور التي تؤدّيها إليه الحواسّ.

الثاني: إنّ القوّة المفكّرة ربّما ركّبت صوراً حال اليقظة إمّا بسبب إشتياقها إلى شيء، أو لغمّها لفوات شيء، أو توقّع مكروه، فتظهر تلك الصّور في حالة النّوم في الحسّ المشترك .

الثّالث: إنّ مزاج روح القوّة المتخيّلة إذا تغيّر تخيّل أفعالاً بحسب ذلك التغيّر مثلاً إذا استولت عليه الحرارة فانّه يرى النيران، وإذا استولت البرودة رأى الثّلج، وإذا استولت الرّطوبة رأى الأمطار ونحوها، وإذا استولت اليبوسة رأى كأنّه يطير في الهواء، وإذا استولى عليه البخار السوداوي رأى الظلمة.

و كلّ رؤيا يكون سببها أحد هذه الأشياء فهي أضغاث الأحلام التي لا يلتفت إليها والله أعلم.

هداية

إعلم: انّ النّفوس القدسيّة النبويّة مخالفة بماهيّتها لسائر النفوس صفاءً ونوراً وانجذاباً إلى عالم الأنوار،فلا جرم تجري عليها الأنوار الفائضة من المبادي العالية أتمّ من سائر النفوس وأكمل، ولهذا بعثت مكمّلة للنّاقصين ومعلّمة للجاهلين ومرشدة للطّالبين ومصطفاة على العالمين.

و لمّا كان صفاء جوهر نفس نبيّنا (صلّى الله عليه وآله) أكمل تلك النّفوس القدسيّة وأقواها وأشدّها اتّصالاً بالعقل الفعّال المسمّى بالعلم الأعلى والمعلّم الشّديد القوى،وهو المفيض للعلوم بإذن الحيّ القيّوم على ألواح النّفوس العقليّة، فلا يبعد أن يكون المراد بمنامه (صلّى الله عليه وآله): النّشأة الباطنيّة وبرؤياه: الرّؤيا العقليّة العلميّة، لا ما هو الظاهر من معنى هذين اللفظين فانّ منامه (صلّى الله

فأتاه جبرئيل (عليه السّلام) بهذه الآية: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً» يعني بني أُميّة.

عليه وآله) ليس كمنام غيره ألا ترى إلى قوله المجمع عليه من الخاصّة والعامّة: «إنّ عيني تنام وقلبي لاينام»(١) وإنّما عبّر عن ذلك بالمنام والرؤيا لقصد التفهيم والتعليم فانّ أكثر النّاس يعجز عن إدراك الأُمور العقليّة إلّا بصفةالأُمور الحسّيّة، والله أعلم*.

جبرئيل فيه لغات: فتح الجيم والرّاء وهمزة بعدها، وكسر الجيم والرّاء وبعدها ياء ساكنة، والثالثة كذلك إلّا أنّ الجيم مفتوحة، وفيه لغات أُخرى قيل: هو اسم مركّب من جبر وهو العبد، وإيل وهو اسم الله تعالى بالسريانيّة وهو المسمّى بروح القدس والمؤيّد بإلقاء الوحي إلى الأنبياء وهو الرّوح الأمين والرّسول الكريم المنعوت بقوله تعالى: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ»(٢) وهو في ذاته جوهر عقليّ روحاني قدسي مالم ينزل عن سماء تجرّده وقربه فاذا نزل عنها تمثّل وتصوّر بصورة تناسب المُنزل عليه، وهو معنى نزوله على الرّسول كما في قوله تعالى: «فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً»(٣) أي: في أكمل صورة وأجملها وإن لم يتمثّل ويتصوّر بل كلّم الرّسول في باطن السرّ والعقل كان كلامه وحديثه كلاماً عقليّاً وحديثاً روحانيّاً، ولعلّ إتيانه الرّسول (صلّى الله عليه وآله) بهذه الآية كان من هذا القبيل حيث قال: «فأتاه»، ولم يقل فنزل.

---

(١) مفاتيح الغيب: ص ٣٦. وصحيح البخاري: ج٥، ص٢٣١، باب ٢٤، ح١ - ومسند أحمد بن حنبل: ج٢، ص٢١٥ وص٤٣٨.

(٢) سورة التكوير: الآية ١٩ و٢٠ و٢١.

(٣) سورة مريم: الآية ١٧.

....

إكمال

اختلفت الآراء في حقيقة نزول الملك بالوحي على الرسول (صلّى الله عليه وآله).

فقال جمهور الحكماء من الفلاسفة: إنّ نفس النبيّ إذا فاض عليها معنى عقلي إرتسم في خياله وحسّه صورة مناسبة له فيبصره ويسمع كلامه، وهذا في الحقيقة إنكار لملك مجسّم موجود في الخارج وإنكار كلام خارجي، وإنّما هو تقرير أمور وصور ذهنيّة وظاهر الشرع يأباه.

و قال جمهور المليّين: إنّ الملك شخص سماويّ متكوّن من جنس العناصر التي تكوّنت منها السماوات العنصريّة فهو حيّ ناطق متحرّك بالارادة مأمور تابع للأوامر الإلهيّة فجبرئيل (عليه السّلام) ملك كريم عليم، والعبارة التي ينزل بها وحي يسمعه في السماء العنصريّة أو يراها منقوشة في لوح سماويّ عنصريّ فيقرأها ويأمره الله تعالى أن ينزل بها على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فيأتيه ويخاطبه بها.

هذا ما دلّت عليه ظواهر الشرع.

و قال جدّنا الأمير نظام الدّين أحمد(١) (قدّس سرّه): الأشبه عندي انّ نزول الوحي والملك على الأنبياء (عليهم السّلام) إنّما هو بأن تتلّقى نفس النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أوّلاً ما يوحى إليه من الملك الموحي أو من الله تعالى تلقّياً روحانياً، ثمّ

---

(١) هو السيّد نظام الدين أحمد بن ابراهيم بن سلام الله الحسيني، كان يلقّب سلطان الحكماء وسيّد العلماء. كان عالماً فاضلاً، له كتاب إثبات الواجب كبير وصغير ومتوسط، وغير ذلك. توفّى سنة ١٠١٥هجريّة.

رياض العلماء: ج١، ص ٢٩.

....

يتمثّل ويتصوّر ما يوحىٰ إليه فقط، أو مع الملك الموحي في حسّه المشترك، ثمّ في حسّه الظّاهر، ثمّ في الخارج، ثمّ في الهواء المجاور له، بعكس ما يرى الشيء الموجود في الخارج أوّلاً، فانّه يتمثّل أوّلاً في الحسّ الظاهر، ثمّ في الحسّ المشترك، ثمّ في القوّة العقليّة؛ لأنّه لو كان الوحي نزول ملك جسماني يتكلّم معه في الخارج فقط من غير تلقّ روحاني لما عرض للنبيّ الموحىٰ إليه حين نزول الوحي شبه غشي، ولحواسه الظاهرة شبه دهشة على ما هو المشهور المنقول من حال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) حين نزول الوحي عليه، بل كان ينبغي أن يكون توجّه نفسه الكاملة على هذا التّقدير إلى الظاهر أتمّ وأكمل،وتكون حواسّه الظاهرة أصحّ وأسلم.

و ممّا يدلّ على ما قلناه ما نقله القاضي(١) في تفسير قوله تعالى: «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ» حيث قال قيل لمّانودي: قال من المتكلّم، قال: «إِنِّي أَنَا اللهُ» فوسوس إليه إبليس لعلّك تسمع كلام شيطان فقال: إنّي عرفت أنّه كلام الله بأنّي أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء(٢).

قال القاضي: و هو إشارة إلى أنّه (عليه السّلام) تلقّى من ربّه كلامه تلقّياً روحانيّاً ثم تمثّل ذلك الكلام لبدنه(٣) وانتقل إلى الحسّ المشترك فانتقش به من غير إختصاص بعضو وجهة(٤) إنتهى.

---

(١) هو القاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الفارسي البيضاوي صاحب مصنّفات عديدة منها: تفسيره المسمّىٰ بأنوار التنزيل، ولب الألباب، والطوالع، والمنهاج، وشرح المصابيح، وغيرذلك توفّى بتبريز سنة ٧٩١هجريّة.

الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص١٠٠.

(٢) و (٤) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي: ج٢، ص٤٦.

(٣) أي حصل لكل عضو من أعضائه خاصيّة الصماخ المدرك لكيفية الصوت إبتداء، ونظير ذلك ما هو المشهور من أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) كان يبصر ما خلفه كما يبصر ما قدّامه.

....

و لو كان بالتلقّي الرّوحاني وبالتمثّل في الحسّ المشترك فقط من غير أن يكون في الخارج شيء على ما هو المشهور من رأي الفلاسفة لما رأى غير النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أحياناً الملك النازل بالوحي كما يروى من حديث الإيمان، و من حكاية السّامري على ما يدل عليه قوله تعالى: «قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ»(١). ولما تمثّل ما يوحى إليه في الخارج أيضا، كما يروى في نزول التوراة المنقوشة في الألواح، فالقول بأنّ الموحي وصورة الملك من عمل المتخيّلة بأنّ تحدثهما في الحسّ المشترك كما هو المشهور عن الفلاسفة، مستبعد مستنكر جدّاً، وكذا كون الكلام المعجز من عملها.

بل الحقّ إن المحدث لذلك كلّه هو الواجب الحقّ جلّ شأنه يحدثه في الحسّ المشترك أوّلاً، ثمّ في الخارج ولا إستبعاد في ذلك أصلا، ولا يبعد أن يكون للقوّة المتخيّلة التي للنبيّ مدخل ما في هذين الاحداثين بأن تكون معدّة فقط على أنّ ظاهر قوله تعالى في سورة البقرة: «قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيل فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ»(٢).

و قوله في الشعراء: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ»(٣).

يدلّ على ما اخترناه من كيفيّة نزول الوحي،والتّأويل خلاف الظاهر،فما قاله بعض المفسّرين: إنّ أكثر الأُمّة على أنّ القرآن نزل على محمّد (صلّى الله عليه وآله) لا على قلبه، لكن خصّ القلب بالذكر؛ لأنّ السبب في تمكّنه من الأداء إثباته في قلبه، فمعنى على قلبك: حفظك إيّاه وفهمك له.

---

(١) سورة طه: الآية ٩٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٣) سورة الشعراء: الآية ١٩٣و١٩٤.

....

و قيل: أي جعل قلبك متصفًا بأخلاق القرآن ومتأدّباً بآدابه كما في حديث عائشة كان خلقه القرآن(١)،(٢)، إنتهى.

وهو صرف لظاهر الآية،وهو خلاف الظاهر.

و يؤيّد ما اخترناه أيضا ما قاله القاضي في تفسير آية الشعراء المذكورة، والقلب: إن أراد به الرّوح فذاك،وإن أراد به العضو المخصوص فتخصيصه لأنّ المعاني الرّوحانيّة إنّما تنزل أوّلاً على الرّوح ثم تنتقل منه إلى القلب لمابينهما من التعلّق ثمّ تصعد منه إلى الدماغ فينتقش بها لوح المخيّلة(٣)، إنتهى.

و اعلم أنّ ما اخترناه ليس مخالفاً في الحقيقة لقول أكثر الأُمّة بل هو قول بما قالوه مع زيادة لم يصرّحوا بها، إنتهى كلام الجد قدّس الله سرّه، وضاعف يوم الجزاء برّه.

و قد وافقه على هذا التّحقيق بعض المتألّهين من علمائنا المتأخّرين وهومولانا صدر الدّين الشّيرازي(٤) قدّس الله سرّه فقال في معنى مشاهدة الرّسول لجبرئيل وسماع كلامه بسمعه الحسّي: إنّ المعرفة العقليّة إذا قويت واشتدّت تصوّرت

---

(١) يمكن أن يكون المراد من الحديث خُلقه (صلّى الله عليه وآله) كالقرآن في الاعجاز كما يقال: جوده بحر زخّار،وحبّه نار محرق،وأمثالها، و بالجملة تشبيه الصفة بالذات وحمل المشبّه به على المشبّه غير عزيز في فصيح الكلام.

(٢) احياء علوم الدين للغزالي: ج٢، ص٣٥٨.

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي: ج٢، ص١٦٦.

(٤) هو محمد بن إبراهيم الشيرازي الحكيم المتألّه المعروف بملاصدرا مجدّد الفلسفة الإسلاميّة. له مؤلّفات كثيرة جلّها في الفلسفة منها: الأسفار الأربعة، وشرح الهداية، وشرح حكمة الاشراق،ورسالة في حدوث العالم، والواردات القلبيه، والحكمة العرشية، والمشاعر، وشرح الكافي، وتفسير عدّة من السور القرآنية، وغيرها. توفى في البصرة وهو متوجه إلى الحج سنة (١٠٥٠)هجريّة،ودفن فيها.
الكنى والألقاب: ج٢، ص٣٧٢.

....

بصورة مطابقة لها،وربّما تعدّت من معدن الخيال إلى مظهر خارجيّ كالهواء الصّافي فيكون الهواء كالمرآة لها فيراها النبيّ يكلّمه معاينة ومشاهدة ويسمع كلامها بجارحته السّامعة، إنتهى.

قوله: «بهذه الآية» قال الجعبري:(١) حدّ الآية قرآن مركّب من جمل ولو تقديراً، ومبدء ومقطع مندرج في صورة وأصلها العلامة.

و منه إنّ آية ملكه لأنّها علامة للفصل والصدق،أو الجماعة لأنّها جماعة كلم.

و قال غيره: الآية طائفة من القرآن منقطعة عمّا قبلها و مابعدها.

و قيل: هي الواحدة من المعدودات في السّور، سمّيت آية لأنّها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدّى بها.

و قيل: لأنّها علامة على إنقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه ممّا بعدها.

قال الواحدي: و بعض أصحابنا يجوّز على هذاالقول تسمية أقلّ من الآية آية لولا إنّ التّوقيف ورد بما هي عليه الآن.

قال بعضهم: الصحيح إنّ الآية إنّما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السّورة.

و قال الزمخشري: الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه.

و اختلف في وزنها فقال الفرّاء: وزنها: فعلة بسكون العين وأصلها ايّة بالتّشديد فاستثقلوا التّشديد فحذفوه وأشبعوا الفتحة الّتي قبله(٢).

و قال الخليل رحمه الله وأصحابه: وزنها فعلة بفتح العين والأصل أييه قلبت

---

(١) هو أبو العباس الخليلي ابراهيم بن عمر بن خليل المشهور بالجعبري، وهو شيخ الخليل، له تصانيف في القرآات،والحديث،والأصول،والعربية،والتاريخ،منها: شرح الشاطبية والرائية والتعجيز، ولّي مشيخة الخليل، توفى سنة ٧٣٣هجريّة وقد جاوز الثمانين.

بغية الوعاة: ص ١٨٤.

(٢) لسان العرب: ج١٤، ص ٦٢.

....

الياء ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها(١).

و قال الكسائي: أصلها آيية فاعلة(٢) كضاربة، وكان يلزم اليائين الإدغام على نحو دابّة وخاصّة ويكون مستثقلاً فحذفوا إحدى اليائين.

قوله: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ»(٣) إتّفق المسلمون على أنّ الرّؤيا الّتي يراها النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بعد النبوّة نوع من أنواع الوحي.

قيل: وهي أربعة عشر:

الأوّل: الرّؤيا و منه قول ابن إبراهيم (عليه السّلام): «يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ»(٤) في جواب قوله: «يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ»(٥).

الثّاني: النفث في الرّوع و منه قوله (صلّى الله عليه وآله): إنّ روح القدس نفث في روعي، إنّ نفساً لن تموت حتّى تستكمل أجلها ورزقها فاتّقوا الله واجملوا في الطّلب(٦).

الثّالث: ما يأتيه كصلصلة الجرس وهو أشدّ عليه وكان كذلك ليستجمع عند تلك الحالة فيكون أوعى(٧) لما يسمع(٨).

الرّابع: أن يتمثّل له الملك رجلاً كما كان يأتيه في صورة دحية الكلبي، وكان

---

(١) و (٢) تفسير روح المعاني للالوسي: ج١، ص ٢٤٠.

(٣) سورة الاسراء: الآية ٦٠.

(٤)و(٥) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

(٦) الكافي: ج٥، ص٨٣، ح١١، مع إختلاف يسير في العبارة.

(٧) (الف)، و(ج): أدعى.

(٨) صحيح البخاري: ج١، ص٢، ونص الحديث: سُئل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كيف يأتيك الوحي؟فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «أحياناً يأتيني مثل صلصة الجرس، وهو أشدّهُ عليَّ، فَيُفصم عنّي وقد وعيت عنه ما قال».

....

دحية حسن الهيئة والجمال(١).

الخامس: أن يَتَراى له جبرئيل في صورته(٢) التي خلق عليها، له ستمائة جناح ينتثر(٣) منها اللؤلؤ والياقوت(٤).

السّادس: أن يأتيه بمثال أحياناً يسمع الصّوت ويرى الضوء.

السّابع: أن يكشف له عن حقيقة من الحقائق فيشاهدها بروحه.

الثّامن: أن يسمع كلام الملك ولا يرى شيئاً.

التّاسع: أن يكلّمه الله من وراء حجاب في اليقظة كما وقع في ليلة الإسراء(٥).

العاشر: أن يلقى في قلبه معنى من المعاني كما قال تعالى: «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»(٦) أي إلهام.

الحادي عشر: أن يسمع كدويّ النّحل كما جاء في الروايه(٧) ويفهم المراد منه.

الثاني عشر: أن يكون على سبيل الإستنشاق وهو تنسّم النفحات الإلهيّة وتنشّق روائح الرّبوبيّة ومنه قوله (عليه السّلام): «إنّي لأجد نفس الرّحمن من قبل

---

(١) البحار: ج١٨، ص٢٦٧، ح٢٩. وسيرة ابن هشام: ج١، ص٢٢٠.

(٢) (الف) صورة.

(٣) (ج) ينتثر.

(٤) سيرة ابن هشام: ج١، ص٢٢٠. وفيه ينتشر.

(٥) سيرة ابن هشام: ج١، ص٢٢٠

(٦) سورة النجم: الآية ٤.

(٧) سنن الترمذي: ج٥، ص٣٢٦، كتاب تفسير القرآن، باب (٢٤)، ح ٣١٧٣: «كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا أُنزل عليه الوحي سُمِعَ عند وجهه كدويّ النحل».

....

اليمن»(١).

الثّالث عشر: أن يكون على سبيل الملامسة وهو بالاتّصال بين النّورين، كما روى عن ابن عبّاس إنّه قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «وضع الله كفّه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السّماوات وما في الأرض ثمّ تلاهذه الآية: «وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»(٢) (٣).

الرّابع عشر: ما نقل انه (عليه السّلام) كان وكّل به إسرافيل ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثمّ وكّل به جبرئيل فجاءه بالقرآن(٤).

و هذا الحصر إستقرائي، قال بعضهم: يحتمل أن تكون طرق الوحي سبعين ممّا وقفنا عليه وممّا لم نقف، ويحمل عليه الحديث المشهور: «الرّؤيا الصادقة [الصالحة] جزء من سبعين جزءاً من النبوّة»(٥) فتكون الرّؤيا جزءاً من ذلك العدد من أجزاء الوحي.

قوله: «إِلّٰا فِتْنَةً لِلنّٰاسِ»(٦) الفتنة: المحنة والإبتلاء وأصلها من فتنت الذّهب والفضّة: إذا أحرقتها بالنّار ليتبيّن الجيّد من الرديئ، وتأتي بمعنى الضلال والعذاب واختلاف النّاس والكفر والفضيحة.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٢، ص٥٤١ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) سورة الانعام: الآية ٧٥.

(٣) سنن الدارمي، ج٢، ص١٢٦.ومسند احمد بن حنبل، ج٤، ص٦٦.وج٥، ص٣٧٨، وفي الجميع: «عبدالرحمن بن عائش» بدل ابن عبّاس.

(٤) سيرة ابن هشام: ج١، ص٢٢٠.

(٥) سنن ابن ماجة، ج٢، ص١٢٨٣، ح٣٨٩٧.

(٦) سورة الاسراء: الآية ٦٠.

....

قوله: «وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ»(١) فيه تقديم وتأخير والتقدير: وما جعلنا الرّؤيا الّتي أريناك والشّجرة الملعونة في القرآن إلّا فتنة للنّاس.

و اللّعن: الطرّد والإبعاد، لعنه فهو لعين وملعون أي: المطرودة المبعدة عن رحمة الله تعالى.

قال الأزهري: و الشّجرة الملعونة هي الّتي كلّ مَن ذاقها كرهها ولعنها(٢).

قال الواحدي: والعرب تقول لكلّ طعام ضارّ: ملعون(٣).

و قرئ الشّجرة الملعونة بالرّفع على حذف الخبر كأنّه قيل: والشّجرة الملعونة في القرآن كذلك أي فتنة للنّاس، فلا يكون فيه تقديم وتأخير، والمراد بجعلها فتنة للنّاس إختبارهم بها هل يؤمنون بهذه الرّؤيا فيخافون ويجتنبون هذه الشجرة أم لا؟ قوله «وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلا طُغْياناً كبيراً»أي: نخوّفهم بأنواع التخويف من الفتنة وغيرها.

و الطغيان: مجاوزة الحدّ، والغلوّ والارتفاع في الكفر والاسراف في المعاصي والظلم.

و كبيرًا: أي متمادياً متجاوزاً للحدّ.

قوله: «يعني بنى أُميّة» تفسير للشجرة الملعونة.

و على هذا فلا يخفى ما في قوله تعالى: «فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاّ طُغْيَاناً كَبِيرًا»(٤) من اللطف.

---

(١) سورة الاسراء: الآية ٦٠

(٢) لم نعثرعليه في التهذيب بل وجدناه في مصباح المنير نقلاً عن الزمخشرى، ص٧٦١.

(٣) المصباح المنير: ص٧٦١.

(٤) سورة الاسراء: الآية ٦٠.

....

و اعلـم: أنّ هذا الحديث ثابـت الصـحّـة متواتر النـقـل بين الفريقين، أمّا من طريق أهل البيت (عليهم السّلام) فقد ثبت عند الخاصّة من طرق كثيرة(١).

و أمّا من طريق الجمهور فقال الفخر الرازي(٢) في تفسيره الكبير: قال سعيد بن المسيّـب: رأى رسول الله (صلّـى الله عـليه وآلـه) بني أُميّة يـنـزون على منبـره نزو القردة فساءه ذلك(٣).

و قال البيضاوي في تـفسير الرّؤيا: قـيل رأى قوماً من بني أُمـيّة يرقون منـبره، وينزون عليه نزو الـقردة، فقال: هذا حظّهم من الدنيا يعطونه باسلامهم، وعلى هذا كان المراد بقوله: إلّا فتنة للنّاس ماحدث في أيّامهم(٤) انتهى.

و روى الحاكم(٥) في المستدرك : عن مسلم الرّبعي، عن العلا، عن أبيه، عن

(١) الكافي: ج٤ ص١٥٩ ح١٠.

(٢) هو ابو عبدالله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني المعروف بفخرالدين الرازي والملقّب بـابـن الخطيب. ولد في سنة أربـع وأربعين وخمسمائة في مديـنـة الري تلقّى العلم على يـد أبـيه ضياءالدين خطيب الري حتى مات، ثم قصد السمعاني واشتغل عليه مدة، ثم اشتغل بالعلوم الحكمية على مجد الدين الجيلي، فبرع بها وتميّز حتى لم يوجد في زمانه أحد يضاهيه. يقول ابن خلكان: كان لـه في الوعظ اليد البيضاء، وكان يعظ باللسانين العربي والعجمي.

و نقل عنه انه كـان يقول: يا ليتني لم اشتغل بعلم الكلام، ويقول: رأيت أصحّ الطرق طريقة القرآن، أقرأ في التنزيـه:(والله هو الغني وأنتم الـفـقراء) و(قل هـوالله أحد). وأقرأ في الإثبـات:(الرحمن على الـعرش استوى).وأقرأ في انّ الكلّ من الله قوله:(قل كلّ من عندالله).

له تصانيف كثيرةتربو على السبعين مصنّفاً في الحكمة والتفسير والفقه والطب؛ واشهرها التفسير الكبير في اثنين وثلاثين جزءاً.

مقدمة كتاب التفسير الكبير: ج١

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي، ج٢٠، ص٢٣٦.

(٤) انوار التنزيل للبيضاوي، ج١، ص٥٩٠.

(٥) هو أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري. حكي عنه قال شربت

....

أبي هريرة قال: إن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال: «أُريت في منامي كأنّ بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة فما رؤي النبيّ (صلّى الله عليه وآله) مستجمعاً ضاحكاً حتّى مات(١).

ثمّ قال صحيح الإسناد على شرط مسلم ذكر ذلك الدميري(٢) في حياة الحيوان(٣).

و قال الرازي: في تفسير الشجرة الملعونة: قال ابن عبّاس: الشجرة الملعونة في القران المراد بها: بنو أُميّة الحكم بن أبي العاص و ولده، قال: رأى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في المنام أنّ ولد مروان يتداولون منبره فقصّ رؤياه على أبي بكر وعمر وقد خلا في بيته معهما فلمّا تفرّقوا سمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الحكم يخبر برؤيا رسول الله فاشتدّ عليه ذلك فاتّهم عمر في إفشاء سرّه، ثمّ ظهر أنّ الحكم كان يتسمّع إليهم فنفاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، قال: وممّا يؤكّد هذا التأويل قول عائشة لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه، فأنت بعض من لعن الله.(٤)

من ماء زمزم وسألت الله تعالىٰ أن يرزقني حسن التصنيف، وهو من اهل العلم والفضل والمعرفة، وله في علوم الحديث مصنّفات منها: المستدرك على الصحيحين، وتاريخ علماء نيسابور، وكتاب فضائل فاطمة صلوات الله عليها، و لد سنة (٣٢١)هجريّة وتوفّي في سنة (٤٠٥)هجريّة بنيسابور.

الكنىٰ والألقاب: ج٢ ص١٥٢.

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري: ج٤، ص٤٨٠ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٢) و هو كمال الدين محمد بن موسىٰ بن عيسىٰ المصري الدميري نسبة الى دميرة قرية بمصر، صاحب كتاب حياة الحيوان، وشرح سنن ابن ماجة، ومنهاج النووي، وغيرذلك، توفّى بالقاهره سنة ٨٠٨هجريّة.

الكنىٰ والألقاب: ج٢ ص٢٠٦.

(٣) حياة الحيوان للدميري: ج٢، ص٢٤٥.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٢٠، ص٢٣٧.

قال: يا جبرئيل أعلىٰ عهدي يكونون و في زمني؟ قال: لا، ولكن

وقال النيسابوري(١)، عن ابن عبّاس: الشجرة الملعونة: بنواُميّة(٢).

و في الكتاب الّذي كتبه المعتضد بالله العبّاسي حين عزم على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر في سنة أربع وثمانين ومأتين وذكر فيه بني اُميّة فقال: ثمّ أنزل الله كتاباً فيما أنزله على رسوله (صلّى الله عليه وآله) يذكر فيه شأنهم وهو قوله تعالى «والشَّجَرَةَ المَلعُونَةَ فِي القُرآنِ» ولا خلاف بين أحد أنّه تبارك وتعالى أراد بها بني اُميّة(٣)، إنتهى*.

العهد: الوقت و الزمان.

قال الزمخشري في الأساس: كان ذلك على عهد فلان وهذا حين ذاك، وعهْدانُه أي: وقته(٤).

و«على» بمعنى: «في» فهي ظرفيّة كقوله تعالى: «وَ دَخَلَ المَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ»(٥) أي: في حين غفلة.

وقوله: «وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ»(٦) اي في زمن ملكه.

قوله: «و في زمني» من باب عطف الشيء على مرادفه تأكيداً وهو شائع في كلامهم.

---

(١) هو الحسن بن محمد بن الحسين النظام الأعرج النيسابوري، العالم المفسّر صاحب التفسير الكبير الشهير، وشرح الشافية المعروف بشرح النظام، وشرح التذكرة النصيرية وغيرها. أصله وموطنه مدينة قم، وكان منشأه وموطنه نيسابور، كان من علماء رأس المائة التاسعة.

الكنىٰ والألقاب: ج٣، ص ٢١٢.

(٢) غرائب القرآن للنيسابوري: ج٢، ص٤٥٩.

(٣) تاريخ الطبري: ج٨ ص١٨٥.

(٤) اساس البلاغة للزمخشري: ص٤٤١.

(٥) سورة القصص: الآية ١٥.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

تدور رحىٰ الإسلام من مهاجرك ، فتلبث بذلك عشراً

قوله: «تدور رحى الاسلام» الرحى مقصورة مؤنّثة: الطاحونة والألف منقلبة عن ياء تقول: هما رحيان وكلّ مَن مدّ قال: رحآء ورحاءان وأرحية،مثل غطاء وغطاءان وأعطية.

قال الجوهري: ولا أدري ما حجّته وما صحّته؟(١).

يقال: دارت رحى الحرب إذا قامت على ساقها،وهو كناية عن الالتحام والاشتداد.والمراد قوام أمر الاسلام وثباته على سنن الاستقامة والبعد عن إحداثات الظلمة.وهو من باب الاستعارة التحقيقيّة المرشّحة، شبّه امرالاسلام القائم بصاحبه بالرحى القائمة على قطبها بجامع الإستقامة فاستعار له الرحى.وقرنها بمايلائم المستعار منه وهو الدوران وهذا هو الترشيح.

قوله: «من مهاجرك » بفتح الجيم على صيغة اسم المفعول: اسم زمان أي: وقت هجرتك،ويرد بمعنى اسم المكان أيضاً،لكن الأوّل هو المراد هنا.

و من: إبتدائيّة أي من إبتداء وقت هجرتك .

قال ابن عبدالبرّ(٢) في الاستيعاب: أذن الله له في الهجرة إلى المدينة يوم الا ثنين،وكانت هجرته في ربيع الأوّل وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.وقدم المدينة يوم الا ثنين قريباً من نصف النّهار في الضحى الأعلى لا ثنتى عشرة خلت من ربيع الأوّل(٣) وقيل: غيرذلك .

قوله: «فتلبث بذلك عشراً» لبث يلبث كسمع يسمع أي: مكث ومصدره

---

(١) الصحاح للجوهري: ج٦، ص٢٣٥٣.

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبرّ القرطبي المالكي، المتولّد سنة ٣٦٣هجريّة، المتوفّى سنة ٤٦٣هجريّة وله كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب.

الكنىٰ والألقاب: ج١، ص٣٣٩.

(٣) الاستيعاب لابن عبدالبرّ: ج١، ص٤١.

ثمّ تدور رحىٰ الإسلام

اللبث بالضمّ والسكون،وهو نادر لأنّ المصدر من فعل بالكسر قياسه إذا لم يتعدّ أن يكون بالتحريك كتعب تعباً، والاشارة بذلك إلى الدوران المفهوم من قوله: تدور رحى الاسلام.

والباء: للملابسة أي: متلبّسة بذلك عشراً أي: عشر سنين هي مدّة حياته صلّى الله عليه وآله بعد هجرته من مكة إلى المدينة وزمان نبوّته في المدينة.

روى أبو محمّد عبدالله بن الخشّاب(١) في كتاب تاريخ مواليد أهل البيت (عليهم السّلام) ووفياتهم: باسناده عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) قال: «قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو ابن ثلاث وستّين سنة في سنة عشر من الهجرة فكان مقامه بمكّة أربعين سنة ثمّ نزل عليه الوحي في تمام الأربعين،وكان بمكّة ثلاث عشرة سنة، ثمّ هاجر إلى المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وقبض صلّى الله عليه وآله في شهر ربيع الأوّل يوم الا ثنين لليلتين خلتا منه، إنتهى (٢).

و لا شك إنّ رحى الاسلام لم تزل تدور في زمانه ومدّة حياته في دار هجرته ولم يحدث في الإسلام حدث بل أظهره الله على الدّين كلّه ولو كره المشركون*.

قوله: «ثم تدور رحى الإسلام» المعطوف عليه محذوف والتقدير: فتقف ثمّ تدور، وحَذْفُ المعطوف علبه ليس بعزيز، فقد قيل في قوله تعالى: «فقُلْنَا اضْرِبِ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانفَجَرَت» (٣) ان التقدير: فضرب فانفجرت، بل جوّزوا حذف

---

(١) هوأبومحمدعبدالله بن أحمدالخشاب البغدادي اللغوي النحوى الأديب صاحب تاريخ مواليد و وفيات أهل بيت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، توفّي ببغداد سنة (٥٦٧)هجرية.

الكنى والألقاب: ج١، ص٢٦٦.

(٢) مواليد الائمة (عليهم السّلام) ضمن مجموعة من الكتب: ص٢و٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦٠

علىٰ رأس خمس وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً.

أكثر من ذلك فقالوا في قوله تعالى: «فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ»(١) أنّ التقدير: فضربوه فحيي، فقلنا: كذلك، وفي قوله تعالى «فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ»(٢) أنّ تقديره: فأتياهم فابلغاهم الرسالة فكذّبوهما فدمّرناهم*.

قوله: «على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك» أي: خمس وثلاثين سنة هي مدّة كونه صلّى الله عليه وآله بالمدينة وهي عشر سنين كمامرّ، ومدّة المتغلّبين على الخلافة وهي خمس وعشرون سنة فتلك خمس وثلاثون فانّ مدّة خلافة الأوّل كانت سنتين وسبعة أشهر،ومدّة خلافة الثاني عشر سنين وستّة أشهر،ومدّة خلافة الثّالث إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً، فهذه خمس وعشرون سنة تعطّلت فيه رحى الاسلام إذ لم يكن لها قطب تدور عليه، وإلى ذلك أشار أميرالمؤمنين (عليه السّلام) بقوله في الخطبة الشّقشقيّة: «والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وانّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى»(٣).

قوله: «فتلبّث بذلك خمساً» هي مدّة خلافة أميرالمؤمنين صلوات الله عليه حيث رجع الحقّ إلى نصابه واستقرّ الأمر في مستقرّه واستوت رحى الاسلام على قطبها.

و في معنى هذا الحديث ما رواه ثقة الاسلام باسناده عن أبي عبدالله (عليه السّلام) في قوله تعالى: «وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ» قال: حيث كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بين أظهرهم فَعَمُوا وَصَمُّوا حيث قبض (صلّى الله

---

(١) سورة البقرة: الآية ٧٣.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٣٦.

(٣) نهج البلاغة صبحي الصالح الخطبة الثالثة، ص٤٨.

ثمّ لا بدّ من رحىٰ ضلالة هي قائمة علىٰ قطبها ثمّ مُلك الفراعنة.

عليه وآله) ثمّ تاب الله عليهم حيث قام أميرالمؤمنين (عليه السّلام) قال: ثمّ عموا وصموا إلى الساعة(١)*.

قوله: «ثمّ لابدّ» أي: لا محيد ولا محالة،ولا يعرف إستعماله إلّا مقروناً بالنّفي.

قال الزمخشري: هو فعل من التبديد وهو التفريق(٢) ومعنى لابدّ إنّك تفعل كذا: لا بُعدَ لك من فعله.

قوله: «من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها» قطب الرحى على وزن قفل. مسمارها الذي عليه تدور.

و هذا إشارة إلى ملك بني أُميّة الّذين أوّلهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان بن محمّد بن مروان المنبوز بالحمار،وكانوا أربعة عشر رجلاً، وإليهم أشار أميرالمؤمنين (عليه السّلام) بقوله في نهج البلاغة: «والله لا يزالون حتّى لا يدعوا لله محرّماً إلاّ استحلّوه ولا عقداً إلّا حلّوه وحتّى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلّا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم وحتّى يقوم الباكيان: باكٍ يبكي لدينه وباكٍ يبكي لدنياه»(٣).

قوله: «ثمّ ملك الفراعنة» جمع فرعون،وهو أعجميّ قيل: وزنه فعلون،وقيل: فعلول،وهو اسم التمساح بلغة القبط، ولقّب به ثلاثة من ملوك مصر،وهم: فرعون الخليل واسمه سنان، وفرعون يوسف واسمه الريّان بن الوليد، وفرعون موسى واسمه: الوليد بن مصعب.

---

(١) الكافي، ج٨، ص١٩٩، ح٢٣٩.

(٢) أساس البلاغة: ص٣٢ نقلا بالمعنى.

(٣) نهج البلاغة صبحي الصالح. ص١٤٣ الخطبة: ٩٨. وفيه: «حتّى يقوم الباكيان يبكيان».

قال: و أنزل الله تعالىٰ في ذلك «إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

و قيل: هو لقب كلّ من ملك مصر، و يلقّب به كلّ عات متمرّد، و يقال منه. (تفرعن) إذا تخلّق بأخلاق الفراعنة، وملك مرفوع على أنه فاعل لفعل محذوف، أي ثم يكون ملك الفراعنة،أو على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أيْ ثم ملك الفراعنة كائن، وهذا إشارة إلى ملك بني العبّاس الذين أوّلهم عبدالله السفّاح بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس،وآخرهم أبو أحمد عبدالله المستعصم بن أبي جعفر منصور المستنصر، وكانت عدّتهم سبعة وثلا ثين رجلاً،ومدّتهم خمسمائة وأربعاً وعشرين سنة. وكان إنقضاء دولتهم سنة ست وخمسين وستمائة، وإنّما لقّبهم بالفراعنة لما كانوا عليه من العتوّ والتمرّد والتفرعن.

روي: انّ سفيان الثّوري قال يومًا لجعفربن يحيى وزير الرّشيد: يا هامان فسمعها الرّشيد فقال لجعفر: والله ما جعلك هامان حتّى جعلني فرعون(١) *.

مضمون هذا الحديث(٢) ورد من طريق العامّة أيضاً.

قال الفخر الرّازي في تفسيره الكبير:روى القاسم بن الفضل،عن عيسى بن ماذرة(٣) قال: قلت للحسن يامسودّ وجوه المؤمنين عمدت إلى هذا الرّجل فبايعته يعني معاوية فقال: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أُري في منامه بني أُميّة يطأون منبره واحداً بعد واحد، وفي رواية ينزون على منبره نزو القردة،فشقّ ذلك عليه فأنزل الله تعالى: «إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» إلى قوله «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» يعني: ملك بني أُميّة، قال القاسم: فحسبنا ملك بني أُميّة فاذا هو ألف شهر لا يزيد ولا ينقص(٤)، إنتهى.

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) أي المذكور في المتن.

(٣) (ألف) مازرة، وفي (ج) ماردة، وفي التفسير الكبير: ج ٣٢، ص ٣١: عن مازن.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ٣٢، ص ٣١.

....

و قال ابن الأثير(١) في جامع الأصول: قد جاء في متن الحديث إنّ مدّة ولاية بني أُميّة كانت ألف شهر و إنّما هي التي أراد الله تعالى بقوله: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» وألف شهر: هي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، وكان أوّل إستقلال بني أُميّة وإنفرادهم بالأمر منذ بيعة الحسن بن عليّ (عليهما السّلام) لمعاوية بن أبي سفيان،وذلك على رأس أربعين سنة من الهجرة وكان إنقضاء دولتهم على يد أبي مسلم الخراساني في سنة إثنين وثلاثين ومائة،وذلك إثنتان وتسعون سنة تسقط منها خلافة عبدالله بن الزبير،وهي ثمان سنين وثمانية أشهر تبقى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر وهي ألف شهر، وكذلك قال في الحديث: فحسبناها فلم تزد ولم تنقص(٢)، إنتهى.

قال الفخر الرّازي: طعن القاضي في هذا الوجه فقال: ما ذكر من ألف شهر ليس في أيّام بنى أميّة لأنّه تعالى لا يذكر فضلها بذكر ألف شهر مذمومة وأيّام بني أُميّة مذمومة،قال: وهذا الطعن باطل لأنّ أيّام بني أُميّة كانت أيّاماً عظيمة بحسب السعادات الدّنيويّة فلا يمتنع أن يقول الله تعالى إنّي أعطيتك ليلة هي في السعادات الدّينيّة أفضل من تلك الأيّام في السعادات الدنيويّة(٣)، إنتهى.

قوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»(٤) الضمير في أنزلناه: للقرآن نوّه بشأنه

---

(١) هو المبارك بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ابو السعادات المشهور بابن الاثير صاحب كتاب جامع الاصول، و النهاية في غريب الحديث والاثر، ولد سنه ٥٤٤هجريّة، وتوفّي سنة ٦٠٦هجريّة في الموصل. الكنى والألقاب، ج١، ص١٩٨.

(٢) جامع الاصول لابن الاثير، ج١٠، ص٤٧٤.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي، ج٣٢، ص٣١ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٤) سورة القدر: الآية ١.

وَما أَدْراٰكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»

باضماره من غير ذكر شهادة له بغاية شهرته ونباهته المغنية عن التصريح حتّى كأنّه حاضر في جميع الأذهان كما عظّمه باسناد إنزاله إلى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وفخم الوقت الذي أنزل فيه بقوله: وما أدريك ما ليلة القدر، لما فيه من الدّلالة على أنّ علوّ قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها إلّا علّام الغيوب، والمراد إنزاله كلّه فيها إلى السّماء الدنيا على السّفرة أو إلى اللوح المحفوظ،ثمّ نزل به الرّوح الأمين إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) نجوماً في مدّة ثلاث وعشرين سنة *.

قوله: «وَما أَدْراٰكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ»(١) (ما) الأُولى: مبتدأ، وأدريك :خبره قدّم للزومه الصدر بتضمّنه(٢) الاستفهام،وليلة القدر: مبتدأ لا بالعكس كما هو رأي سيبويه، لأنّ مناط الافادة بيان أنّ ليلة القدر أمر بديع -كما يفيده كون (ما) خبراً،لا انّ أمراً بديعاً ليلة القدر كما يفيده كونها مبتدأ وكون ليلة القدر خبراً، والأصل ماهي فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل في التفهيم والمعنى: أيّ شيء أعلمك، ماليلة القدر؟ تعجيباً للسّامع من شأنها في الفخامة والشّرف ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقين على معنى إنّ عظم شأنها ومدى(٣) شرفها لا تكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه. والجملة في محلّ نصب بنزع الخافض لأنّ أدرى يتعدّى إلى المفعول الثاني بالباء كقوله تعالى: «وَلاٰ أَدْراٰكُمْ بِهِ»(٤) فلمّا وقعت جملة الاستفهام معلّقة له كانت في موضع المفعول الثاني والله أعلم.

قوله: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» أظهر ليلة القدر هنا أيضاً ولم يضمرها

(١) سورة القدر: الآية ٢

(٢) (الف): بتضمينه.

(٣) (الف): وهذا.

(٤) سورة يونس: الآية ١٦

يملكها بنو أميّة ليس فيها ليلة القدر.

تأكيداً للتفخيم، وتحقيقاً للتعظيم، والجملة إستيناف مسوق لبيان فضلها وشرفها وقع جواباً عن إستفهام نشأ عمّا قبله كأنّه قيل: ماهي؟ أي: أيّ شيء هي في حالتها وصفتها فانّ (ما) وإن كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم لكنّها قد يطلب بها الصّفة والحال نقول: ما زيد؟ فيقال: كاتب أو شاعر، فقيل: ليلة القدر خير من ألف شهر، فبيَن فضلها وشرفها.

و سنستوفي الكلام على ما يتعلّق بليلة القدر في دعاء دخول شهر رمضان إنشاءالله تعالى(١).

قوله: «لَيْسَ فِيهاٰ لَيْلَةِ الْقَدْرِ» جملة نعتيّة لألف شهر، أو حاليّة أي: خير من ألف شهر حال كونها خالية من ليلة القدر.

قال بعضهم: يحتمل انّ المراد أنّه ليس في تلك الشهور ليلة القدر وانّ الله تعالى رفعها، أو أنّها خير منها ما عدا ليلة القدر.

و الأوّل: أقرب إلى اللفظ.

و الثاني: أقرب باعتبار ما دلّ من الأحاديث على وجودها فى زمن كلّ إمام، إنتهى.

و قيل: معناه ليس لبني أُميّة فيها ليلة القدر لاختصاصها برسول الله (صلّى الله عليه وآله) و بأهل بيته من بعده بنزول الأمر لهم فيها و بشيعتهم بتضاعف حسناتهم فيها، إنتهى.

قلت: و يؤيّده ما روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) أنّه قال: «وأيم الله من صدّق بليلة القدر ليعلم أنّها لنا خاصّة»(٢).

---

(١) في الروضة الرابعة والاربعون.

(٢) تفسير البرهان: ج٤، ص٤٨٥.

قال: فاطلع الله تعالى نبيّه (عليه السّلام) انّ بني أُميّة تملك سلطان هذه الأُمّة، وملكها طول هذه المدّة. فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها

قوله: «تملك سلطان هذه الأُمّة وملكها» السّلطان هنا: بمعنى الولاية والسّلطنة، ويطلق على الشخص صاحب الولاية، واشتقاقه من السليط بمعنى الدهن، لاضاءته وظهوره، والأُمّة: أتباع النبيّ، والجمع: أُمم، مثل غرفة وغرف.

و الملك بالضمّ: اسم من ملك على النّاس أمرهم إذا تولّى السلطنة عليهم فهو ملك بكسر اللام، ويخفّف بالسكون.

وَ المُدّة بالضمّ: البُرهة من الزمان تقع على القليل والكثير(١).

الفاء: سببيّة أي: فبسبب ذلك لو طاولتهم الجبال إلى آخره، لطالوا عليها.

و المطاولة: مفاعلة من الطول بالضمّ وهو الإمتداد، ولمّا كانت الجبال يضرب بها المثل في الطّول كما قال تعالى: «إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً»(٢).

وقال أميرالمؤمنين (عليه السّلام) في وصفها: «والجبال ذات الطّول المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها، ولو إمتنع شيء بطول أو عرض أو قوّة أو عزّ لا متنعن»(٣).

جعل طولهم عليها لو طاولتهم: كناية عن كمال إقتدارهم وشدّة تسلّطهم وغلبتهم على من يغالبهم في تلك المدّة، وعدّى (طالوا) بـ(على) مع أنّ المعروف طاولني فطلته لتضمينه معنى ظهروا أو قدروا أي: لطالوها ظاهرين أو قادرين عليها.

و أمّا ما قاله بعض طلبة العجم: إنّ المطاولة هنا من الطول بالفتح وهو الغنى

---

(١) المصباح المنير للفيومي: ص٧٧٧.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٣٧.

(٣) نهج البلاغة صبحي الصالح، الخطبة ١٩٩، ص٣١٧.

حتىٰ يأذن الله تعالىٰ بزوال ملكهم. و هم في ذلك يستشعرون عداوتنا

والثّروة والسّعة يعني: إنّ ثروة بني أُميّة وغناهم بحسب الدّنيا كان أكثر من ثروة الجبال وغناها أي: من الثّروة والغنى الّذين يحصلان لأصحاب المعادن النفيسة الواقعة في الجبال من الفلزّات والجواهر، إنتهى.

فلا يخفى بُعده وسخافته*.

قوله: «حتّى يأذن الله بزوال ملكهم» أي: حتّي يريده، أو حتى يأمر به على تفسير الإذن بالإرادة، أو بالأمر، وصدق هذا الكلام ظاهر فانّه لم يخرج عليهم خارج ولا قام لإزالة ملكهم قائم إلّا وظفروا عليه وقهروه حتّى أراد الله زوال ملكهم،فاختلفت كلمتهم وتضعضع أمرهم فزالت دولتهم وذهبت كرماد إشتدّت به الرّيح في يوم عاصف.

و من كلام أميرالمؤمنين (عليه السّلام):

«إنّ لبني أُميّة مروداً يجرون فيه ولو قد إختلفوا بينهم، ثم كادتهم الضباع لغلبتهم»(١).

و المرود هنا: مفعل من الإرواد وهو الإمهال والإنظار. شبّه المهلة الّتي هم فيها بالمضمار الّذي يجرون فيه إلى الغاية فاذا بلغوا منقطعها إنقطع نظامهم.

في ذلك: أي في المذكور من مدّة ملكهم.

يستشعرون عداوتنا: أي يجعلونها شعاراً لهم، وهو مايلي الجسد ويلاصقه من الثياب الّذي لا ينزع إذا نزع مافوقه من الدّثار كأنّهم جعلوا عداوتهم لاصقة بهم ولازمة لهم.

أو هو من الشّعار بمعنى العلامة أي: يجعلونها علامة لهم، أو بمعنى يضمرون

(١) شرح نهج البلاغة للهاشمي الخوئي: ج ٢، ص٥٢٨ قصارالحكم ٤٤٠.

أهل البيت و بغضنا، أخبر الله نبيّه بما يلقى أهل بيت محمّد وأهل مودّتهم وشيعتهم منهم في أيّامهم وملكهم.

عداوتنا من قولهم: استشعر فلان خوفاً أي: أضمره *.

قوله: «أهل البيت» منصوب على الاختصاص وهو مفعول به وناصبه لفظ أخصّ محذوفاً وجوباً حملاً له على المنادى لشبهه له في الجملة.

قوله: «وشيعتهم» شيعة الرجل بالكسر: أتباعه وأنصاره، وكلّ قوم إجتمعوا على أمر فهم شيعة، وتطلق على الواحد والاثنين والجمع والمذكّر،وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى عليّاً وأهل بيته (عليهم السّلام) حتّى صار اسماً لهم خاصّاً، فاذا قيل: فلان من الشّيعة، عرف انّه منهم. وفي مذهب الشيعة أي: مذهبهم.

و مصداق هذا الخبر ما روي عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر (عليهما السّلام) إنّه قال من جملة حديث:لم نزل أهل البيت نستذلّ ونستضام ونقصى ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، و وجد الكاذبون الجاحدون، لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السّوء وعمّال السوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنّا ما لم نقله ولم نفعله ليبغّضونا إلى النّاس، وكان عظم ذلك وكبره في زمن معاوية بعد موت الحسن (عليه السّلام) فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة وقطّعت الأيدي والأرجل على الظنّة، من ذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيدالله بن زياد قاتل الحسين (عليه السّلام)، ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم كلّ قتلة وأخذهم بكلّ ظنّة حتّى انّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال له: شيعة علي(١)، إنتهى.

و روى أبو الحسن بن محمّد بن يوسف المدائني في كتاب الأحداث: قال:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١١، ص٤٣.

....

كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذّمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون عليّاً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ النّاس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة فاستعمل عليهم زياد بن سميّة وهو بهم عارف لأنّه كان منهم أيّام عليّ (عليه السّلام) فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وشرّدهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم، ثمّ كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان اُنظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه وشفّع ذلك بنسخة اُخرى من اتّهمتموه لموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به وأهدموا داره فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ولاسيّما بالكوفة حتّى إنّ الرّجل من الشّيعة ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدّثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن عليّ (عليهما السّلام) فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلاّ خائف على دمه أو طريد في الأرض، ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين (عليه السّلام)، وولّي عبد الملك بن مروان فاشتدّ على الشّيعة، وولّى عليهم الحجّاج بن يوسف ففعل الفواقر والدّواهي وتقرّب إليه أهل النسك والصلاح ببغض عليّ وأهل بيته (عليهم السّلام) وموالاة أعدائهم، حتّى إنّ إنساناً وقف له ويقال: إنّه جدّ الأصمعي عبدالملك بن قريب فصاح به أيّها الأمير: إنّ أهلي عقوني فسمّوني عليّاً، وإنّي فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج فتضاحك له الحجّاج وقال للطف ما توسّلت به قد ولّيتك موضع كذا(١)، إنتهى ملخّصاً.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١١، ص٤٤.

قال: و أنزل الله تعالى فيهم: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بِئْسَ الْقَرَارُ».

ألم تر: الهمزة للتقرير، ومعناه حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد إستقرّ عنده ثبوته أو نفيه وهوهنا تقرير لمن سمع بقصّتهم من أهل الكتاب وأرباب الأخبار وتعجيب(١) من حالهم وشأنهم البديع فانّ سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظريّة أو العلميّة أو لكلّ أحد ممّن له حظّ في الخطاب إيذاناً بأنّ قصّتهم من الشهرة والشياع بحيث يحقّ لكلّ أحد أن يحمل على الإقرار برؤيتهم وسماع قصّتهم ويعجب بها وإن لم يكن ممّن رآهم أو سمع بقصّتهم فانّ هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجّب لما أنّه شبّه حال غير الرائي بشيء عجيب بحال الرائي له بناء على إدّعاء ظهور أمره وجلائه بحيث إستوى في إدراكه الشاهد والغائب ثمّ أجرى الكلام معه كما يجري مع الرائي قصداً إلى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجّب وتعدية الرؤية بـ(إلى) على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها بمعنى العلم لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى: ألم ينته علمك إليهم.

و على هذا يجوز أن يكون النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لم يعرف هذه القصّة إلّا بهذه الآية ويجوز أن يقال: كان العلم بها سابقًا على نزول الآية، ثمّ إنّه تعالى أنزل الآية على وفق ذلك.

قوله تعالى: «بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْراً»(٢) أي: شكر نعمته بأن وضعوا موضعه كفراً عظيماً لأنّ التنكير للتعظيم أو بدّلوا نفس النعمة كفراً فانّهم لمّا كفروا بها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفراً.

و أحلّوا أي: أنزلوا قومهم الّذين شايعوهم على الكفر بحملهم عليه، وعدم

---

(١) (الف): تعجب.

(٢) سورة ابراهيم: الآية ٢٨.

و نعمة الله محمّـد و أهل بيته،حبّهم إيمان يدخل الجنّة،و بغضهم كفر ونفاق يدخل النّار.

التعرّض لحلولهم لـدلالة الاحلال عليه إذ هو فـرع الحلول كقوله تعـالى: «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النّارَ»(١)

و البوار: الهلاك الّذى لا هلاك وراءه.

و جهنّم: عطف بيان «لدارالبوار» وفي الابهام، ثمّ البيان ما لا يخفى من التهويل ويصلونها :حال منها أو مـن قومهم أي: داخلين فيها مقـاسين لحرّها، يقال: صلى النار وبهـا صليًا، مـن باب تعب: إذا وجد حرّها، أو هـي إستيـناف لبيـان كيفيّة الحـلول، أو مفسّرة لفعـل يـقدّر ناصباً لجهـنّم، وبئس القرار: على حذف المخصوص بالذّم أي: وبئس المقرّ جهنّم،فيكون القرار مصدراً سـمّي به،أو بئس القرار قرارهم فيها، وفيه بيان أنّ حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار*.

هـذا تفسير للنّعمـة المـذكورة في الآية، والنعمـة بـالكسر في الأصل: الحالة الّتي يستلّذ بهـا الانسـان من النعمـة بالفتح وهـي اللين،ثمّ أُطلقـت لغة: على ما يستـلذّه الانسان من طيّبات الدّنيا،وعرفاً: على المنفعة المقصود بها الاحسان.

و اعلم أنّ نعم الله تعالى و إن كـان إحصاؤها مستحيلاً كما قال الله تعالى: «وَ إنْ تَعُدّوا نِعْمَةَ اللهِ لاٰ تُحْصُوهٰا»(٢) تنحصر في جنسين: دنيويّ وأُخرويّ.

و الأوّل: قسمان: وهبيّ وكسبي.

و الوهبي أيضـاً قسمان: روحـانيّ كنفخ الرّوح فيه و إمداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانّها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في أنفسها.

و جسمانّي: كـتخليـق البدن والـقوى الحالّـة فـيه والهيـئات العـارضة له من

---

(١) سورة هود: الآية ٩٨.

(٢) سورة ابراهيم: الآية ٣٤.

....

الصحّة وسلامة الأعضاء.

و الكسبي: كتخلية النّفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل من الأخلاق السّنيّة والملكات البهيّة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المرضيّة وحصول الجاه والمال.

و الثّاني: مغفرة ما فرّط منه والرضا عنه وتبويئه في أعلا علّيّين مع الملائكة المقرّبين أبدالآبدين.

و لكلّ من الجنسين أعني: الدنيوي والاُخروي أصل، فأصل الدنيوي الوجود والحياة المستتبعة لكلّ المنافع.

و أصل الاُخروي: الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسّعادات.

إذا عرفت ذلك فمحمّد وأهل بيته (عليهم السّلام) سبب لكلّ واحد من هذين الأصلين.

أمّا الاُخروي الّذى هو الإيمان فظاهر.

و أمّا الدنيوي الّذي هو الوجود فلأنّهم السّبب في وجود الخلق لأنّ الأرض وما فيها إنّما خلقت لأجلهم وهم غاية ذاتيّة لخلقها كما ورد عنه عليه الصّلاة والسّلام أنّه قال: «لو لا أنا وأنت يا عليّ ما خلق الله الخلق»(١).

و بيان ذلك إجمالا: إنّه تعالى جعل كلّ ما هو أشرف وأعلى في الموجودات سبباً كماليّاً وعلّة غائيّة لما هو أخسّ وأدنى، فخلق الأرض للنبات والنبات للحيوان، والحيوان للانسان كما قال تعالى مخاطباً للانسان: «خَلَقَ لَكُمْ مٰا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً»(٢).

---

(١) البحار: ج٢٥، ص١٩، نقلاً بالمعنىٰ.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٩.

....

و آخر درجة الانسان الّذي هو غاية هذه الأكوان هو الانسان الكامل الّذي هو سلطان العالم الأرضي وخليفة الله في الأرض وهو محمّد (صلّى الله عليه وآله) و بعده أهل بيته من الأئمّة المعصومين (عليهم السّلام) واحداً بعد واحد، ولذلك ورد عنهم (عليهم السّلام): «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»(١) لأنّها إنّما خلقت لأجله وكلّما خلق لأجله شيء فمتى لم يكن لم يكن ذلك الشّيء.

فظهر إنّ محمّداً و أهل بيته صلوات الله عليهم نعمة الله الّتي لا يوازيها شيء من نعمه لأنّها أصل كلّ نعمة وسبب كلّ إحسان.

قوله: «حبّهم إيمان» الحبّ: ميل القلب إلى مايلائمه،وهو إمّا لحسنه في الظاهر كالصّور الجميلة، أو في الباطن كحسن بواطن الصالحين وشرافة نفوسهم، أو لإحسانه بجلب نفع أو دفع ضرّ كاحسان النّاس بعضهم إلى بعض، أو لاعظامه كإعظام الولد والده، أو للإشفاق عليه بحسب الجبلّة والمشاكلة كإشفاق الوالد على ولده، وقد إجتمع جميع هذه الأسباب فيهم (عليهم السّلام) لما فيهم من جمال الظاهر والباطن وإحسانهم بالهداية والشّفاعة وعظمة شأنهم وإنافة قدرهم على كلّ محسن و والد و ولد فكان حبّهم على أكمل وجوه المحبّة وأتمّها، ومن أحبّهم على هذا الوجه كان مؤمناً حقّاً،لأنّ الايمان هو التصديق بما جاء به الرّسول (صلّى الله عليه وآله) من معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله وخلافة الائمّة من أهل بيته واليوم الآخر وحبّهم يستلزم الإيمان بجميع ذلك فكان إيماناً بل فوق الإيمان لأنّ من محبّتهم التمسّك بطريقتهم والاقتداء بأخلاقهم وأفعالهم والوقوف عند حدودهم ونصرة شريعتهم والذبّ عن سنّتهم وبذل النفس والمال دون مهجهم وإعانة أهل ملّتهم.

و بالجملة فالحسنات كلّها منوطة بحبّهم والولاية لهم والسّيئات جميعا ترجع إلى

---

(١) الكافي: ج١، ص١٧٩، ح١٠، وعلل الشرايع: ج١، ص١٩٥ باب ١٥٣.

....

بغضهم وإنكار ولايتهم.

قوله: «يدخل الجنّة» جملة خبريّة من باب تعدّد الأخبار على رأي من يجوّز كون الخبر الثّاني جملة كما في قوله تعالى: «فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ»(١) فالضمير في يدخل: راجع إلى حبّهم، أو نعتيّة للإيمان فيكون وصفه بذلك مع العلم بأنّ الايمان يدخل الجنّة لقصد المدح،أو لبيان أنّه الإيمان الّذي يدخل الجنّة لا أنّه طاعة من الطاعات على ما ذهب إليه بعضهم من أنّ كلّ طاعة إيمان، أو إستينافيّة لبيان الإيمان،وإسناد الادخال إلى حبّهم،أو إلى الإيمان مجاز حكمي من باب الاسناد إلى السّبب وكذا قوله:(يدخل النار).

قوله: «و بغضهم كفر و نفاق» البُغض بالضمّ: اسم من أبغضته إبغاضاً ضدّ أحببته.

و الكفر: عدم الاعتقاد بجميع ما جاء به الرسول (عليه السّلام) أو بغضه مأخوذ من كفر الشيء إذاغطّاه وستره لأنّه تغطية للحقّ وستر له.

والنّفاق: إظهار الاسلام و إضمار خلافه ،و هو اسم إسلامي لم تكن العرب تعرفه بهذا المعنى قبل الإسلام واشتقاقه إمّا من نفقت الدابّة نفوقاً من باب قعد إذا ماتت لأنّ المنافق بنفاقه بمنزلة الميّت الهالك ، أو من نفقت السّلعة إذا راجت وكثر طلّابها لأنّ المنافق يروّج إسلامه ظاهراً، ويخفي كفره باطناً، أو من النفق بفتحتين: وهو سرب في الأرض يكون له مخرج من موضع آخر،لأنّ المنافق يستر كفره كما يستر السّائر في السّرب نفسه، أو من النافقاء وهي إحدى حجرتي اليربوع يكتمها ويظهر غيرها، وذلك أنّ له حجرتين يقال لأحدهما النافقاء وللأُخرى القاصعاء، فاذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه وخرج منها.

---

(١) سورة طه: الآية ٢٠.

....

و نافق اليربوع: أخذ في نافقائه، وفيه تشبيه للمنافق باليربوع لأنّه يخرج من الإسلام من غير الوجه الّذي دخل فيه،وإنّما حكم بأنّ بغضهم كفر ونفاق،لأنّه إن أظهره وأعلن به كان كفراً،وإن أضمره كان نفاقاً.

و يحتمل أن يكون الكفر راجعاً إلى بغض محمّد (صلّى الله عليه وآله) لأنّ من أبغضه فقد أنكر رسالته ومن أنكرها فلا إسلام له فضلاً عن الإيمان، والنفاق راجعاً إلى بغض أهل بيته لأنّ من أبغضهم فقد أضمر الكفر،وإن اظهر الاسلام وجرى عليه أحكام المسلمين لأنّ الاسلام يجامع النّفاق.

فما نقل عن السيّد المرتضى(١) رضي الله عنه: انّه حكم بكفر ماسوى الشيعة الا ثنى عشريّة(٢) ليس بذاك إلاّ أن يأوّل كلامه بأنّه أراد بالكفر كفر الباطن، أو منشأ الخلود في النار،والحكم بأنّ بغضهم (عليهم السّلام) نفاق حكم به النبيّ (صلّى الله عليه وآله).

أخرج مسلم(٣) في صحيحه عن عليّ (عليه السّلام) قال: «والّذي فلق الحبّة

---

(١) هو سيد علماء الأمّة أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمّد بن موسىٰ بن إبراهيم بن الإمام موسىٰ الكاظم (عليه السّلام) المشهور بالسيّد المرتضىٰ والملقّب بعلم الهدىٰ. مقدّم في علوم كثيرة مثل علم الكلام والفقه واُصوله والأدب والنحو والشعر واللغة له تصانيف مشهورة منها: الشافي في الإمامة، والذخيرة، وجمل العلم والعمل، والذريعة. ولد رضوان الله عليه سنة (٣٥٥)هجـ وتوفّى سنة (٤٣٦)هجـ ودفن في داره ثم نقل الى جوار قبر جده أبي عبدالله الحسين (عليه السّلام).

الكنىٰ والألقاب، ج٢، ص٤٣٩.

(٢) بحار الأنوار، ج٢٧، ص ٣٣٣.

(٣) هو ابو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري النيسابوري، صاحب مصنّفات في علم الحديث منها:الكتاب الصحيح وهو احد الصحاح الستة المتداولة. والمسند الكبير على اسماء الرجال وغيرها. ولد سنه ٢٠٦هـ، توفّى سنة ٢٦١هجريّة.

راجع مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي، ج١.

....

و برأ النسمة إنّه لعهد النبيّ الأميّ إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق»(١).

و اخرج الترمذي(٢) عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا نعرف المنافقين ببغضهم عليّاً (عليه السّلام)(٣).

قوله: «يدخل النار» لأنّ مبغضهم لا إيمان له ومن لا إيمان له فمأواه النّار.

و بيانه: إنّ بغضهم إنكار للنبوّة والإمامة، والإيمان إنّما يتحقّق باعتقادهما ومن أنكرهما أو إحديهما فلا إيمان له ومن لا إيمان له فهو كافر ظاهراً أو باطناً، والكافر في النار.

تتمّة

ما ذكره (عليه السّلام) من أنّ الآية المذكورة اُنزلت في بني اُميّة وردت به روايات اُخرى من طريق العامّة والخاصّة.

أمّا من طريق العامّة فأخرج البخاري(٤) في تاريخه، وابن جرير، وابن المنذر،

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي: ج٢، ص٦٤. وفي الغدير: ج٣، ص١٨٣.

(٢) هو أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي الضرير، المحدّث المشهور، لقي الصدر الأول وأخذ عن المشاهير، له: (الشمائل المحمّدية)،و (كتاب السنن) أحد الصحاح الست. ولد سنة (٢٠٩)هـ في قرية بُوغ وتوفّى سنة (٢٧٩)هـ في بلدة ترمذ.

الكنى والألقاب: ج٢، ص١٠٥.

(٣) سنن الترمذي: ج٥، ص٦٣٥ مع اختلاف يسير في العبارة، بحار الأنوار، ج٢٧، ص٢٣٨، ح٥٧.

(٤) أبو عبدالله محمّد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري صاحب كتاب التاريخ وكتاب الصحيح المشهور. ولد ببخارى سنة (١٩٤)هجريّة، وتوفى سنة (٢٥٦)هجريّة في سمرقند وقد تولّى امارة بخارى وسكنها وله فيها آثار مشهوده.

الكنى والألقاب: ج٢، ص٦٣.

....

وابن مردويه، عن عمر بن الخطّاب في قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً» قال: هما الأفجران من قريش، بنو المغيرة و بنو أُميّة فأمّا بنو المغيرة فقد كفيتموهم في يوم بدر، وأمّا بنوأُميّة فمتّعوا حتّى حين(١).

و أخرج ابن جرير(٢) وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والحاكم وصحّحه،وابن مردويه من طريق عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) في قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَإِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً» قال هما الأفجران من قريش بنو أُميّة و بنو المغيرة فأمّا بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر وأمّا بنو أُميّة فمتّعوا إلى حين(٣).

و أخرج ابن مردويه(٤) عن عليّ (عليه السّلام) أنّه سئل عن «الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً» قال: بنو أُميّة، و بنو مخزوم، رهط أبي جهل ذكر ذلك كلّه الحافظ السيوطي في الدّر المنثور(٥).

و أمّا من طريق الخاصّة: فروى على بن إبراهيم(٦) عن أبيه، عن محمّد بن أبي

---

(١) الدر المنثور: ج٤، ص٨٤.

(٢) هو محمد بن جرير بن يريد بن خالد بن كثير،أبو جعفر الطبري الاملي الأصل، البغدادي المولد والوفاة، ولد سنة ٢٢٤هجريّة وتوفى سنة ٣١٠هجريّة صنّف من الكتب: تاريخ الأمم والملوك، تاريخ الرجال، جامع البيان في تفسير القرآن، البسيط في الفقه، إختلاف الفقهاء، وغيرها.

كشف الظنون: ج٦، ص ٢٦.

(٣) الدر المنثور: ج٤، ص٨٤.

(٤) هو أحمد بن موسى الاصبهاني، المحدّث المفسّر المشهور، من كبار علماء الجمهور، توفي باسكاف سنة ٣٥٢هجريّة.

الكنى والألقاب: ج١، ص ٣٩٣.

(٥) الدر المنثور للسيوطي: ج٤، ص ٨٤.

(٦) و هو ابو الحسن علي بن ابراهيم بن هشام القمي ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب سمع فاكثر وصنّف كتباً،وهو من اجلّ الرواة كان في عصر الامام العسكري (عليه السّلام)، وقد أكثر ثقة

فأسرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك إلىٰ عليّ وأهل بيته.

عمير، عن عثمان بن عيسى، عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً» قال: نزلت في الأفجرين بني أُميّة، وبني المغيرة، فأمّا بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر، وأمّا بنو أُميّة فمتّعوا إلى حين، ثمّ قال: ونحن والله نعمة الله الّتي أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز(١)*.

أسرّ إليه: أي أخبره سرّاً،يقال: أسررت الحديث إسراراً يتعدّى بنفسه لأنّه بمعنى أخفية(٢).

و أمّا قوله تعالى: «تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ»(٣) فالمفعول محذوف والتّقدير: تسرّون إليهم أخبار رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بسبب المودّة الّتي بينكم وبينهمْ مثل قوله تعالى: «تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ»(٤).

و يجوز أن تكون الباء زائدة للتّأكيد مثل: أخذت الحطام وأخذت به. ويقال: أسررته بمعنى أظهرته فهو من الأضداد.

و روي عن أميرالمؤمنين (عليه السّلام) أنّه قال: والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة انّه لعهد النبيّ الأمّي إليّ أنّ الأُمّة ستغدربك من بعدي(٥).

الاسلام الكليني رحمه الله الرواية عنه في الكافي،ومما يدل على جلالته ان الادعية والاعمال الشائعة في مسجد السهله ينتهي سندها اليه، وله عدّة مصنّفات منها: تفسير القمي، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب قرب الاسناد، وكتاب الشرائع، وكتاب فضائل اميرالمؤمنين (عليه السّلام)، وغيرذلك عاش رضوان الله عليه في القرن الثالث والرابع الهجري.

الكنىٰ والألقاب: ج٣، ص ٦٨.

(١) تفسير القمي: ج١، ص ٣٧١.

(٢) المصباح المنير للفيومي: ص ٣٧٢.

(٣) و (٤) سورةالممتحنة: الآية ١.

(٥) علم اليقين للفيض الكاشاني: ج٢، ص٦٢٧، وراجع كتاب ترجمة الامام علي بن أبي طالب عليه السّلام من تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٣، ص١٤٩، ح١١٦٨.

قال: ثمّ قال أبو عبدالله (عليه السّلام): ما خرج ولا يخرج منّا أهل البيت إلىٰ قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً.

قوله: «ما خرج ولا يخرج» المراد بالخروج هنا: القيام بالسيف وسمّي خروجاً لأنّ صاحبه يخرُج عن مكانه للحرب.

و أهل البيت: منصوب على الاختصاص كمامرّ.

قوله: «إلى قيام قائمنا» أجمع جمهور الأُمّة:على قيام قائم من أهل البيت من أولاد فاطمة (عليها السّلام) يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً،وهو مهديّ آخرالزمان لما تواترت به الأخبار عن النبيّ المختار وأهل بيته الأطهار من طريق الخاصّة والعامّة، وهي من الكثرة من كلّ من الطريقين بحيث لا تكاد تحصى، ولم يخالف في ذلك إلّا شرذمة قليلون وهم فرقتان:

فرقة أنكرت ذلك جملة و لم يلتفت إلى قولها أحد من العلماء.

و فرقة زعمت انّ المهديّ (عليه السّلام): هو عيسى بن مريم (عليهما السّلام) لحديث رواه محمّد بن خالد الجندي،عن أبان بن أبي عيّاش،عن الحسن،عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: «لا مهديّ إلاّ عيسى بن مريم»(١).

قال المحدّثون من العامّة: إنّه حديث منكر، و ممّن صرّح بكونه منكر الإمام أبو عبدالرحمن النّسائي(٢).

---

(١) سنن ابن ماجة، ج٢، ص١٣٤٠، ح٤٠٣٩ وفيه: [صالح] بدل أبي عيّاش.

(٢) هو أبو عبدالرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي،كان من كبراء عصره في الحديث، ولد بـ(نسا) مدينة بخراسان وسكن مصر، وكان كثير التهجّد والعبادة، يصوم يومًا ويفطر يوماً، له كتاب السنن أحد الصحاح الست، حُكي انّه لمّا أتىٰ دمشق وصنّف كتاب الخصائص في مناقب أمير المؤمنين (عليه السّلام) انكر عليه ذلك،وقيل له: لم ما صنّفت في فضائل الشيخين؟ فقال: دخلت دمشق والمنحرف فيها عن علي (عليه السّلام) كثير فصنّفت كتاب الخصائص رجاء أن يهديهم الله تعالى به، فاخرجوه من المسجد ثم ما زالوا به حتّى أخرجوه من دمشق إلى الرملة فمات بها سنة ٣٠٣هجريّة. وقال ←

....

وحكى الحافظ أبو بكر البيهقي(١) عن شيخه الحاكم النيسابوري أنّه قال: الجندي مجهول، وابن أبي عيّاش متروك ، وهذا الحديث بهذا الاسناد منقطع(٢)، إنتهى.

أمّا الكربيّة(٣) والكيسانيّة(٤) القائلون بأنّه محمّد بن الحنفيّة(٥)فبطلان قولهم

ابن خلكان: ان النسائي عند ما كان في دمشق سئل عن فضائل معاوية فقال: لا أعرف له فضلاً الاّ «لا أشبع الله بطنك» وهو دعاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عليه.

الكنىٰ والألقاب: ج٣، ص٢٠٥.

(١) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الحافظ الفقيه المشهور، صاحب السنن الكبير،والسنن الصغير،ودلائل النبوة،وشعب الإيمان،وغيرها، وكان زاهداً قانعاً من دنياه بالقليل، ومن كلماته بنقل صاحب الكامل البهائي مقابل قول من قال: إنّ معاوية خرج من الإيمان بمحاربة علي (عليه السّلام) قال: إنّ معاوية لم يدخل في الإيمان حتّى يخرج منه، بل خرج من الكفر الىٰ النفاق في زمان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثم رجع إلى كفره الأصلي بعد وفاته (صلّى الله عليه وآله). توفى البيهقي سنة ٤٥٨هجريّة بنيسابور،ونقل الىٰ بيهق موضع بالقرب من سبزوار.

الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص ١٠٢.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٩، ص١٤٤.

(٣) الكربيّة: هم أصحاب أبي كرب الضرير: القائلين بأنّ محمد بن الحنفية حيّ لم يمت، وأنّه في جبل رَضوىَ وعنده عين من الماء وعين من العَسَل يأخذ منهما رزقه. وعن يمينه أسد، وعن يساره نمر، يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه، وهو المهدي المنتظر.

الفرق بين الفرق: ص ٣٩.

(٤) الكيسانيّة: هم أتباع المختار بن أبي عبيدة الثقفي الذي أخذ بثارات سيدالشهداء (عليه الصلاة السّلام) وقتل فيها ابن مرجانه، وكثير ممّن اشترك في قتال الامام الحسين (عليه السّلام) وكَيْسَان: لقب يقال للمختار، وقيل: إنه أخذ مقالته عن مولىٰ لعلي (عليه السّلام) كان اسمه كيسان.

الفرق بين الفرق: ص ٣٨.

(٥) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، وأُمه خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة، من بني حنيفة، وقد كان محمّد عالماً فاضلاً شجاعاً، وتوفى سنة ٨١هجريّة. في هامش الفرق بين الفرق: ص٣٨.

....

واضح، وكفى شاهداً على بطلانه إنقراضهم منذ العصر الأوّل حتّى لم يبق في الدّنيا من يقول بقولهم ولو كان حقّاً لما جاز إنقراضه.

و اختلف الجمهور القائلون بأنّه فاطميّ، فقالت الأشاعرة(١) والمعتزلة(٢): إنّه رجل من أولاد فاطمة سيوجد في آخر الزّمان وإنّه غير موجود الآن.

وقالت الإماميّة الا ثنى عشريّة(٣): إنّه محمّد بن الحسن، بن عليّ بن محمّد بن علي بن موسى، بن جعفر بن محمّد، بن عليّ، بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام) لما ثبت عندهم من نقل ثقاتهم عن أئمّتهم (عليهم السّلام).

قال الشيخ المفيد في كتابه الارشاد: كان الامام بعد أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري (عليه السّلام) ابنه المسمّى باسم رسول الله المكنّى بكنيته، ولم يخلّف أبوه ولداً ظاهراً ولا باطناً غيره، وخلّفه أبوه غائباً مستتراً، وكان مولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومأتين، وأُمّه أم ولد يقال لها: نرجس وكان سنّه عند وفاة أبيه خمس سنين آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب وجعله آية للعالمين،وآتاه الحكمة كما آتاها يحيى صبيّاً وجعله إماماً فى حال الطفوليّة الظاهرة كما جعل عيسى بن

---

(١) الأشاعرة:نسبة إلى أبي الحسن الاشعري، وأصبح علماً للفرقة التي تعتنق مذهبه الكلامي في مقابل مذهب المعتزلة. والعقل عندهم لا يوجب شيئاً من المعارف، ولا يقتضي تحسيناً وتقبيحاً، ولا يوجب على الله رعاية لمصالح العباد.

راجع الملل والنحل: ج١، ص ٩٤.

(٢) المعتزلة: فرقة اسلامية كلامية، ظهرت في أُخريات القرن الأول الهجري. ويرجع اسمها إلى اعتزال إمامها (واصل بن عطاء) عن مجلس الحسن البصري، وينقسمون الى اثنى عشر فرقة.

راجع الملل والنحل: ج١، ص ٤٣.

(٣) الاثنى عشريّة:هم القائلون بامامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ومن بعده الحسن والحسين ثم التسعة المعصومين من ذرية الحسين (عليهم السّلام)، واحداً بعد واحد والامامة عندهم بالنص والتعيين كما تواترت عليه الأخبار من العامة والخاصة.

أو ينعش حقّا إلّا اصطلمته البليّة.

مريم (عليهما السّلام) في المهد نبيّاً، وقد سبق النصّ عليه في ملّة الاسلام من نبيّ الهدى (عليه السّلام)، ثمّ من أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) ونصّ عليه الائمّة (عليهم السّلام) واحداً بعد واحد إلى أبيه الحسن،ونصّ عليه أبوه عند ثقاته وخاصّة شيعته،وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده،وبدولته مستفيضاً قبل غيبته وهو صاحب السيف من أئمّة الهدى والقائم بالحقّ المنتظر لدولة الإيمان، وله قبل قيامه غيبتان إحداهما أطول من الأُخرى كما جاءت بذلك الأخبار، أمّا القصرىٰ فمنذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة، وأمّا الطولى فهي بعد الأُولى وفي آخرها يقوم بالسيف(١)، إنتهى.

قلت: و انقطعت السفارة بموت أبي الحسن عليّ بن محمّد السمّري، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وقيل: في النصف من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة رحمه الله تعالى، ووافق الإماميّة الاثنى عشريّة،من الأشاعرة على ذلك: الشيخ كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي،وكان من أعيانهم ورؤسائهم، والشيخ أبو عبدالله محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي، والشيخ نورالدين عليّ بن محمّد بن الصبّاغ المكّي المالكي.

و من الصوفيّة: الشيخ محي الدين بن العربي، والشيخ عبدالوهّاب الشعراني، فقد نصّ عليه في المنن الكبرى باسمه ونسبه المذكور*.

قوله: «أو ينعش حقّا» أي: يقيمه،يقال: نعشه الله كمنعه،وأنعشه أي: أقامه. وأنكر الجوهري أنعش(٢) وصحّحه غيره.

والمراد بدفع الظلم ونعش الحق: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله. «اصطلمته البليّة» الاصطلام: إفتعال من الصّلم وهو القطع المستأصل،

(١) الارشاد للمفيد: ص ٣٤٦ (٢) الصحاح: ج٣، ص ١٠٢٢.

وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا.

يقال: صلم أُذنه وإصطلمها: إذا إستأصلها قطعاً، وأصل إصطلم: إصتلم ـ بالتاء ـ فقلبت طاءً إذ لو بقيت لأدّى إمّا إلى إدغامها، والصّاد لا تدغم في التاء، لما فيها من الاطباق الّذى يفوت بالادغام.

و إمّا إلى إظهارها فيعسر النطق بها، وهذا مطّرد في تاء إفتعل إذا كانت فاؤه إحدى الحروف المطبقة، وقد يقلب الثاني إلى الأوّل فيدغم فيه فيقال: اصّلم واصّبر وهو شاذّ، والحروف المطبقة الصاد إلى الظّاء.

و البليّة: المحنة*.

قوله: «وشيعتنا» بالخفض على ضمير المتكلّم مع غيره المخفوض بالاضافة في مكروهنا، وفيه شاهد على جواز العطف على الضمير المخفوض من دون إعادة الخافض وهو مذهب الكوفيّين قاطبة، ويونس والأخفش من البصريّين، خلافا لسائرهم وصحّحه ابن مالك وأبو حيّان لثبوته في فصيح الكلام.

و في عدم إعادة الخافض هنا نكتة لطيفة وهي الاشعار بأنّ مكروهم (عليهم السّلام) ومكروه شيعتهم واحد، وأنّ المكروه مشترك بينهما.

ألا ترى انّ أئمّة العربيّة نصّوا على إنّ الخافض إذا كان اسماً لا يعاد على المعطوف على ضمير مجرور إلّا إذا لم يشكّ أنّه لم يعد إلّا لهذا الغرض من العطف وأنّه لا معنى له غير ذلك نحو: بينك وبين زيد إذ لا يمكن أن يكون هناك بينان، وأمّا إذا البس نحو: جائني غلامك وغلام زيد وأنت تريد غلاماً واحداً مشتركاً بينهما لم يجز.

و ورد في معنى هذا الخبر أخبار أُخرى فروى ثقة الاسلام في كتاب الروضة باسناده عن عليّ بن الحسين (عليهما السّلام) إنّه قال: «والله لا يخرج منّا واحد قبل خروج القائم إلّا كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به(١).

---

(١) الكافي: ج٨: ص٢٦٤، ح ٣٨٢

....

تنبيــه

دلّ كلامه (عليه السّلام) من رواية رؤيا النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى هنا أنّه إنّما كفّ هو وأبوه (عليهما السّلام) عن الخروج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنعا الناس عنه لتخلّف أقوى شرائطه وهو التمكّن، وأن لا يكون على الآمر والناهي ولا على أحدٍ من المؤمنين بسببه مفسدة،فلو ظنّ توجّه الضرر إليه أو إلى أحد من المؤمنين بسببه سقط الوجوب بالاجماع،فبيّن انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أخبر بأنّ بني أُميّة يملكون سلطان هذه الأمّة هذه المدّة، ثم ملك الفراعنة وإخباره (عليه السّلام) لا خلف فيه.

فتحقّق عدم التمكّن و توجّه الضرر إليهما و إلى شيعتهما لوقاما بذلك، فهذا وجه دعوتهما الناس إلى الحياة لاما توهّمه يحيى بن زيد كما سبقت الاشارة إليه وهذا بعينه جواب الحسن بن عليّ (عليهما السّلام) لمن لامه على صلح معاوية ونزوله عن الخلافة له كما تقدّم.

و روى أبوالفرج الاصبهاني(١) باسناده إلى سفيان بن أبي ليلى قال: أتيت الحسن بن عليّ (عليهما السّلام) حين بايع معاوية فوجدته بفناء داره وعنده رهط فقلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، قال: وعليك السلام يا سفيان، فنزلت وعقلت

---

(١) هو علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم بن عبدالرحمن بن مروان القرشي الاصبهاني، ولد باصبهان سنة ٢٨٤هجريّة، توفى سنة ٣٥٦هجريّة في بغداد، له مصنّفات منها: كتاب الاغاني، وكتاب مقاتل الطالبيين.

راجع الكنى والألقاب: ج ١، ص ١٣٢.

....

راحلتي وأتيته فجلست إليه فقال: كيف قلت يا سفيان؟ قال: قلت: السّلام عليك يا مذل المؤمنين فقال: ماجرّ هذا منك إلينا، قلت: أنت والله بأبي وأُميّ أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد، ومعك مائة الف كلّهم يموتون دونك، وقد جمع الله عليك أمر الناس، فقال: يا سفيان إنّا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسّكنا به فإنّي سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: لا تذهب الأيّام واللّيالي حتّى يجتمع أمر هذه الأُمّة على رجل واسع البلعوم يأكل ولا يشبع لا ينظر الله إليه ولا يموت حتّى لا يكون له في السّماء عاذر ولا في الأرض ناصر وإنّه لمعاوية وإنّي عرفت أنّ الله بالغ أمره»(١).

قال بعضهم: قوله: «ولا في الأرض ناصر» أي: ناصر ديني يعني إنّه لا يمكّنَ أحداً أن ينتصر له بتأويل ديني، أي: يتكلّف به عذراً لأفعاله، إنتهى(٢)، فتأمّل.

فان قلت: فقد كان الحسين (عليه السّلام) عالماً بذلك فكيف ساغ له الخروج حتّى تمّ عليه ما تمّ.

قلت: عن ذلك جوابان:

أحدهما: إنّه كان معهوداً إليه بذلك، مأموراً بالخروج مع العلم، فانّ أفعالهم (عليهم السّلام) كلّها معهودة من الله تعالى، كما دلّت عليه الروايات عنهم (عليهم السّلام):

منها: حديث الوصيّة، وهو ما رواه ثقة الاسلام باسناده عن معاذ بن كثير، عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: «إنّ الوصيّة نزلت من السماء على محمّد (صلّى الله عليه وآله) كتاباً لم ينزل على محمّد (صلّى الله عليه وآله) كتاب مختوم إلّا الوصيّة، فقال جبرئيل: يا محمّد هذه وصيّتك في أُمّتك عند أهل بيتك، فقال رسول الله

(١) مقاتل الطالبيّين للاصفهاني: ص ٤٤. (٢) أي كلام البعض.

....

(صلّى الله عليه وآله): أيّ أهل بيتي يا جبرئيل؟ قال: نجيب الله منهم وذريّته ليرثك علم النبوّة كما ورثه إبراهيم (عليه السّلام)، وميراثه لعليّ وذرّيّتك من صلبه، قال: وكان عليها خواتيم قال: ففتح عليّ (عليه السّلام) الخاتم الأوّل ومضى لما فيها ثمّ فتح الحسن (عليه السّلام) الخاتم الثاني ومضى لما أُمر به فيها، فلمّا توفّي الحسن (عليه السّلام) ومضى، فتح الحسين (عليه السّلام) الخاتم الثالث فوجد فيها أنْ قاتل فاقتل وتقتل واخرج بأقوام للشهادة لا شهادة لهم إلّا معك، قال: ففعل فلمّا مضى دفعها إلى عليّ بن الحسين (عليه السّلام) قبل ذلك ففتح الخاتم الرابع فوجد فيها أنْ اصمت وأطرق لما حجب العلم، فلمّا توفّي ومضى دفعها إلى محمّد بن عليّ (عليهما السّلام) قبل ذلك ففتح الخاتم الخامس فوجد فيها أن فسّر كتاب الله، وصدّق أباك وورّث ابنك واصطنع الأُمّة، وقُمْ بحقّ الله وقُل الحقّ في الخوف والأمن ولا تخش إلّا الله، ففعل ثمّ دفعها إلى الّذي يليه، قال: قلت له: جعلت فداك فأنت هو؟ قال فقال: ما بي إلّا أن تذهب يا معاذ فتروي عليّ»(١).

فهذا الحديث صريح النصّ بأنّهم (عليهم السّلام) لم يفعلوا أمراً إلّا بعهد من الله تعالى، فسقط الاعتراض.

الجواب الثاني: إنّ التكاليف الشرعيّة بالنسبة إليهم مقصورة على ما يعلمونه بالعلوم الظاهريّة دون العلوم الغيبيّة، فالحسين (عليه السّلام) لمّا ظهر له بذل الطاعة من أهل الكوفة وكاتبه وجوههم وأشرافهم وقراؤهم مرّة بعد أُخرى طائعين غير مكرهين، ومبتدئين غير مجيبين، لم يسعه في الظاهر إلّا الخروج والقيام في إعلاء دين الله وكلمته، ألا تراه (عليه السّلام) لمّا بلغه قتل مسلم بن عقيل وخذلان أهل الكوفة همّ بالرجوع فلم يُمَكَّنْ.

---

(١) الكافي: ج ١، ص ٢٧٩، ح ١.

....

و كذلك كـان حال الحسن (عليه السَّلام) فانّه نهد(١) أوّلاً إلى حرب مـعاوية في شيعته وسار إلى لقائه مع علمه في الباطن بمصير الأمر إليه لكن لم يَثْنِ ذلك من عزمه حتّى ظهر له خذلان أصحابه وتفرّق أهوائهـم، وميل أكثرهم إلى معـاوية طمعاً في دنياه، وتفاقـم الأمر إلى أن جلس له بعضـهم في ساباط مظلم، وطعنه بمعول أصاب فخذه وشقّه حتّى وصل العظم فـلمّا علم بـالعلم الظاهـر عدم تمكّنه وتوجّه الضرر إليه وإلى المؤمنين من شيعته نزع إلى الصلح وكفّ عن الجهاد.

و هكذا حـال سائر الائـمّـة (عليهم السّـلام) فانّهـم لـو وجدوا من الأنصـار من يتمكّنون بهم مـن الخروج لم يسعهم إلاّ الخروج والقيام مع علمهم في الباطن بحقيقة الحال،يدلّ على ذلك ما رواه ثقة الاسلام باسناده إلى سدير الصيرفي قال: «دخلت على أبي عـبـدالله (علـيه السّـلام) فـقلـت له: والله مـا يسعـك الـقعـود، فقـال: ولمَ ياسدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك ، والله لو كان لأميرالمؤمنين مالَكَ من الشـيعة والأنصار والموالي مـا طمـع فيه تيم ولا عديّ، فقـال: يا سديروكم عسى أن يكـون؟ قلـت: مائة ألـف، قال: مـائة ألف؟ قلت: نـعم ومـائتي ألـف، فقـال: مائتي ألف؟ قلت: نـعم ونصف الدنيا قال: فسكت عنّي ثمّ قال: يخِفّ عليك أن تبلغ معـنا إلى ينبُع(٢)؟ قـلت: نعم، فأمـر بحمار وبغل أن يسـرجا فبادرت فركـبت الحمار، فقال: ياسديرأترى أن تؤثـرني بالحمار؟ قلت: البغل أزين وأنبل(٣)، قال: الحمار أرفق بي، فنزلت فـركب الحمار وركبت البغل فمضينا فحانت الصلاة فقال: يا سدير إنزل بنا نصلّي، ثمّ قال: هذه أرض سبخـة(٤) لا تجوز الصّلاة فيها، فسرنا

(١) نهد: أي نهض. النهاية: ج٥، ص ١٣٤.

(٢) ينبُع، كينصر: حصن له عيون و نخيل و زروع بطريق حاج مصر. القاموس، ج٣، ص٨٧.

(٣) النبل بالضم: الذكاء والنجابة. القاموس: ج٤، ص٥٤.

(٤) السبخة: أرض ذات نزّ وملح. القاموس: ج١، ص٢٦١.

قال المتوكّل بن هارون: ثمّ أملى عليّ أبو عبدالله (عليه السّلام) الأدعية، وهي خمسة وسبعون باباً، سقط عنّي منها أحد عشر باباً، وحفظت منها نيّفاً وستّين باباً.

حتّى صرنا إلى أرض حمراء،ونظر إلى غلام يرعى جداء(١) فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ماوسعني القعود، ونزلنا وصلّينا فلمّا فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعددتها فاذا هي سبعة عشر»(٢).

و هذا الحديث صريح فيما ذكرنا، و في هذا المعنى أخبار أُخر لا نطول بذكرها وإنّما اختلفت أجوبتهم (عليهم السّلام) في العذر لأنّهم يكلّمون الناس على قدر عقولهم، ويجيبون كلّ سائل بما تقتضيه المصلحة في الجواب، والله أعلم*.

أمليت الكتاب على الكاتب إملاءً: ألقيته عليه، كأمللته إملالاً، وقد تقدّم الكلام عليه مفصّلاً.

و في القاموس: أملّه: قاله(٣)، فكتب عنه(٤).

و سقط سقوطاً من باب قعد، ووقع أي: ذهب عن حفظي أوضاع منّي.

و النيّف بفتح النون و تشديد المثنّاة من تحت مكسورة: على وزن سيّد، وقد يخفّف، والتثقيل أفصح.

و قال الأزهري في التهذيب: تخفيف النيّف لحن عند الفصحاء وهو بمعنى الزيادة من ناف الشيء ينوف نوفاً إذا زاد، يقال: عشرة ونيّف، وكلّ ما زاد على العقد فنيّف حتّى يبلغ العقد الثاني(٥).

---

(١) الجدى: من أولاد المعز وهو ما بلغ ستة أشهراوسبعة، والجمع جداء. مجمع البحرين: ج١ ص٨١.

(٢) الكافي: ج٢، ص ٢٤٢، ح٤.

(٣) هكذا في الاصل: ولكن في القاموس: قال له

(٤) القاموس: ج٤، ص ٥٢.

(٥) التهذيب للأزهري: ج ١٥، ص ٤٧٧.

و حدّثنا أبو المفضّل قال: و حدّثني محمّد بن الحسن بن روزبه أبوبكر المدائني، نزيل الرحبة في داره.

و قال أبو العبّاس المبرّد: الذي حصلناه من أقاويل حذّاق البصريّين، والكوفيّين إنّ النيّف من واحد إلى ثلاث، والبضع من أربع إلى تسع، ولا يقال: نيّف إلّا بعد عقد نحو عشرة ونيّف، ومائة ونيّف. وألف ونيّف(١).

ثمّ المذكور في نسخ الصحيفة إنّما هو أربعة وخمسون باباً ولعلّ الباقي سقط عن غيره من الرواة، ورأيت على هامش نسخة مانصّه المذكور أربعة وخمسون سقط منها عشرة أُخرى، في رواية: على الأعلم، والله أعلم.

هذا تحويل من إسناد إلى إسناد آخر، فالقائل وحدّثنا: هو أبومنصور محمّد العكبري المعدّل المذكور في الاسناد الأوّل راوياً عن أبي المفضّل، وهو محمّد بن عبدالله بن المطّلب الشيباني السّابق الذكر *.

و الواو في قوله: و حدّثني كما يوجد في أكثر النسخ للعطف على قوله في السند الأوّل: حدّثنا الشريف أبو عبدالله جعفر إلى آخره.

و روزبه بضمّ الرّاء المهملة، وسكون الواو، وفتح الزاء والباء الموحّدة، وبعدها هاء: معرّب روزبِه بضمّ الرّاء المهملة وسكون الواو والزاي، وكسر الباء الموحّدة وبعدها هاء ساكنة، وهي كلمة فارسيّة مركّبة من (روز) بمعنى اليوم، و (به) بمعنى حسن أي: حسن اليوم على قاعدتهم في تقديم المضاف إليه على المضاف وبهذا الاسم كان يسمّى سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قبل الاسلام وهو اسمه الذي سمّاه به أبواه، نصّ على ذلك ابن بابويه(٢)، وغيره.

و المدايني بفتح الميم والدال المهملة، وكسر الياء المثنّاة من تحت، وفي آخرها نون: نسبة إلى مدائن كسرى قرب بغداد سمّيت بها لكبرها.

---

(١) المصباح المنير: ص ٨٦٧.

(٢) كمال الدين و تمام النعمة للصدوق: ج١، ص ١٦٥.

....

قال ابن السمعاني:(١) وهي بلدة قديمة مبنيّة على دجلة وكانت دار مملكة الأكاسرة على سبعة فراسخ من بغداد(٢).

و الرَحَبة بفتح الراء والحاء المهملتين، وقيل: بسكون الحاء المهملة والأوّل أكثر: البقعة المتسعة، سميّت بها مواضع:

منها: رحبة مالك بن طوف(٣) على الفرات، ومحلّة بالكوفة، وموضع ببغداد، وإذا أُطلقت،فالمراد بها الأُولى.

قال ابن السمعاني: هي بلدة من بلاد الجزيرة آخر حدّها على أوّل حدّ الشام(٤).

و النسبة إلى الجميع رَحَبيّ بالتحريك على ما في القاموس(٥).

و جزم ابن السمعاني بأنّ المنسوب إلى المواضع ساكن الحاء، والمنسوب إلى رحبة بن زُرعَة وهي قبيلة من حمير ـ محرّك ـ(٦).

و الراوي المذكور ليس له في كتب الرجال ذكر، فهو مجهول،و حمله بعضهم على محمّد بن الحسن البرّاني المكنّى بأبي بكر الكاتب المذكور في رجال الطوسي في باب من لم يرو عن أحدهم (عليهم السّلام)(٧)، وهو رجم بالغيب.

قوله: «في داره» متعلّق بحدّثني وهو قيد يشعر بتحقيق الضبط.

---

(١) الظاهر ان المراد منه هو: أبو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني.

(٢) الأنساب: ص ٥١٥.

(٣) «الف» و«ج» : طوق.

(٤) الأنساب: ص ٢٤٩.

(٥) القاموس المحيط: ج١، ص ٧٢ - ٧٣.

(٦) الأنساب: ص ٢٤٩.

(٧) رجال الطوسي: ص ٤٩٧ رقم ٣٥.

قال: حدّثني محمّد بن أحمد بن مسلم المطهّري.

قال: حدّثني أبي،عن عمير بن متوكّل البلخي، عن أبيه المتوكّل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد بن عليّ (عليهما السّلام) فذكر الحديث بتمامه إلى رؤيا النبيّ (صلّى الله عليه وآله) الّتي ذكرها جعفر بن محمّد عن آبائه صلوات الله عليهم.

نسبة إلى أحد أجداده و هو أيضاً لا ذكر له في الرجال.

نعم في رجال الطوسي: محمّد بن أحمد بن مطهّر بغدادي تونسي(١).

و في الخلاصة للعلاّمة: بهذا العنوان أيضاً من غير مدح و لا جرح(٢).

قال بعضهم: و لعلّه هو و ليس ببعيد،لما يدلّ عليه ثاني طريقي رواية الطوسي للصحيفة وقد ذكرناهما في أوّل الشرح.

قوله: «إلى رؤيا النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ينبغي أن يكون مابعد (الى) داخلاً في حكم ما قبلها فتكون الرؤيا داخلة في الحديث المذكور بقرينة قوله فذكر الحديث بتمامه، وقد قالوا إذا دلّت قرينة على دخول ما بعد (إلى) نحو: قرأت القرآن من أوّله إلى آخره، أو على خروجه نحو: «ثُمَّ أَتِمّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ»(٣) عمل بها وإلّا فلا يدخل لأنّ الأكثر مع عدم القرينة عدم الدخول فيجب الحمل عليه عند التردّد.

و قيل: يدخل بدون قرينة إن كان من الجنس.

و قيل: مطلقا.

والاوّل هو الصحيح لما ذكرنا.

---

(١) رجال الطوسي: ص ٤٣٥ رقم ١. وفيه: [يونسي] أصحاب العسكري (عليه السّلام).

(٢) رجال العلاّمة الحلّي: ص ١٦٥ رقم ١٨٩. وفيه: [يونسي].

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

و في رواية المطهّري ذكر الأبواب(*).

يعني تعدادها.

الروضة الأولى: أي الباب الأوّل: «و هي التحميد لله عزّوجلّ» في القاموس: التحميد: حمدالله مرّة بعد مرّة وانّه لحمّاد لله عزّوجلّ، ومنه محمّد كأنّه حُمد مرّة بعد أُخرى(١)، إنتهى.

و قد يراد بالتحميد: قول الحمد لله كما يراد بالتسبيح: قول سبحان الله، وبالتهليل: قول لا إله إلّا الله، و بالتكبير: قول الله أكبر.

الروضة الثانيه:أي الباب الثاني: «الصّلاة على محمّد و آله».

الروضة الثالثة: أي الباب الثالث: «الصلاة على حملة العرش» الروضة الرابعة، أي الباب الرابع: «الصلاة على مصدّق الرسل» إعلم انّ قوله التحميد لله عزّوجلّ، الصلاة على محمّد وآله إلى آخر ذكر الأبواب، خبر لقوله: (وهي) وليس هو من باب تعدّد الخبر لمبتدأ واحد كقوله تعالى: «وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (*) ذُوالْعَرْشِ الْمَجِيد»(٢) كما توهّم بعضهم، بل هو من باب تعدّد الخبر لتعدّد صاحبه نحو: الزيدون فقيه وكاتب وشاعر، لأنّ هي ضمير راجع إلى الأبواب وهي متعدّدة.

فان قلت: تعدّد الخبر على هذا الوجه لا يجوز فيه إلّا العطف بالواو إجماعًا.

قلت: هو إمّا على تقديرها و إن كان قليلاً،فقد حكى أبو زيد: أكلت خبزاً، لحماً، تمراً.

(*) إعلم انّ الشارح: السيّد عليخان المدني (قدس سرّه) سمّى كل باب من أبواب الصحيفة بـ(الروضة) فنحن نذكر كليهما توضيحاً للقاري الكريم الذي بيده إمّا نفس الصحيفة أو الشرح،مع العلم بعدم وجود عنوان (الروضة) هنا في النسخ الخطيّة.

(١) القاموس المحيط: ج١، ص ٢٨٩.

(٢) سورة البروج: الآية ١٤ و ١٥.

....

و إمّا على الحكاية بأن يكون قد وقع في رواية المطهّري تعداد الأبواب هكذا: التحميد والصّلاة إلى آخره، من غير مبتدأ فلمّا أخبر الراوي بذكر الأبواب في روايته جعل لها مبتدأ فقال: وهي التحميد والصلاة إلى الآخر.

الروضة الخامسة أي الباب الخامس: «دعاؤه لنفسه وخاصّته» خاصّة الرجل: من يخصّه من أصحابه.

الروضة السادسة أي الباب السادس: «دعاؤه عند الصباح والمساء» عند هنا: لزمان الحضور أي: وقت حضور الصباح والمساء.

الروضة السابعة أي الباب السابع: «دعاؤه في المهمّات» جمع مهمّة من أهمّه الأمر: إذا حزنه(١) وأقلقه.

و في: للظرفيّة مجازا أو على تقدير مضاف أي: وقت المهمّات، أو هي للتعليل أي: لأجل المهمّات.

الروضة الثامنة أي الباب الثامن: «دعاؤه في الاستعاذة» أي: الاعتصام بالله تعالى من المكاره وسيّىء الأخلاق ومذامّ الأفعال.

الروضة التاسعة أي الباب التاسع: «دعاؤه في الاشتياق» إلى طلب المغفرة من الله جلّ جلاله.

الروضة العاشرة أي الباب العاشر: «دعاؤه في اللجاء إلى الله تعالى» اللجأ بالتحريك مهموزاً: الإعتصام ومنه ألْجأ أمره إلى الله: أسنده.

الروضة الحادية عشر أي الباب الحادي عشر: «دعاؤه بخواتم الخير» جمع خاتمة بمعنى العاقبة، والباء: للملابسة أي: متلبّساً بطلب عواقب الخير كما يقال: دعوت الله بالمغفرة، ويجوز أن تكون للسببيّة.

---

(١) «ألف»: احزنه.

....

الروضة الثانية عشر أي الباب الثاني عشر: «دعاؤه في الاعتراف وطلب التوبة» أي: في الاقرار بالذنوب وطلب التوبة منها.

الروضة الثالثة عشر أي الباب الثالث عشر: «دعاؤه في طلب الحوائج» جمع حاجة على غير قياس كأنّهم جمعوا حائجة.

قال الجوهري: وكان الأصمعي (١) ينكره و يقول إنّه مولّد، وإنّما أنكره لخروجه عن القياس وإلّا فهو كثير في كلام العرب(٢).

الروضة الرابعة عشر، أي الباب الرابع عشر: «دعاؤه في الظلامات» جمع ظلامة بالضمّ كتمامة وهي: ما يطلبه المظلوم عند الظالم، ومثلها المظلمة بكسر اللام وفتح الميم.

الروضة الخامسة عشر أي الباب الخامس عشر: «دعاؤه عند المرض» وهو حالة خارجة عن الطبع ضارّة بالفعل، ويعلم من هذا إنّ الآلام أعراض عن المرض.

الروضة السادسة عشر : أي الباب السادس عشر: «دعاؤه في الاستقالة» أي طلب الاقالة من ذنوبه يعني التجاوز عنها.

الروضة السابعة عشر أي الباب السابع عشر: «دعاؤه على الشيطان» والاستعاذة منه ومن كيده.

الروضة الثامنة عشر أي الباب الثامن عشر: «دعاؤه في المحذورات» أي

---

(١) هو عبدالملك بن قريب الاصمعي البصري اللغوي النحوي صاحب النوادر والملح، والمنقول عن حاله انه كان ظريفاً، مات عن عمر ناهز التسعين، توفى حدود سنة ٢١٦هجرية، وكان معسراً حتى اتصل بالرشيد فحسن حاله.

الكنى والألقاب: ج٢ ص ٣٢.

(٢) الصحاح للجوهري: ج١، ص ٣٠٨.

....

المخوّفات إذا دفعت عنه.

الروضة التاسعة عشر أي الباب التاسع عشر: «دعاؤه في الاستسقاء» أي طلب السقيا عند الجدب.

الروضة العشرون أي الباب العشرون: «دعاؤه في مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال» أي في طلبها.

الروضة الحادية والعشرون أي الباب الحادي والعشرون: «دعاؤه إذا حزنه أمر» بالنون من الحزن.

في نسخة ابن إدريس حزّبه بالموحّدة بعد الزاي أي: نابه واشتدّ عليه.

الروضة الثانية والعشرون أي الباب الثاني والعشرون: «دعاؤه عند الشدّة والجهد» وتعسّر الأمور.

الروضة الثالثة و العشرون أي الباب الثالث والعشرون: «دعاؤه بالعافية» إذا سألها وشكرها.

الروضة الرابعة والعشرون أي الباب الرابع والعشرون «دعاؤه لأبويه» أي أبيه وأمّه، ثنيّا بلفظ الأب لكونه أشرف.

الروضة الخامسة والعشرون أي الباب الخامس والعشرون: «دعاؤه لولده» بفتحتين وبالحركات الثلاث في أوّله مع سكون ثانيه،يطلق على الذكر والأُنثى والمثنّى والمجموع.

الروضة السادسة و العشرون أي الباب السادس والعشرون: «دعاؤه لجيرانه وأوليائه» جمع جار وهو المجاور في المسكن، والمستجير والحليف والناصر(١).

و الأولياء: جمع وليّ وهو المحبّ والنصير.

---

(١) المصباح المنير للفيومي: ص ١٥٨.

....

الروضة السابعة و العشرون أي الباب السابع والعشرون: «دعاؤه لأهل الثغور» جمع ثغر وهو مايلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان.

الروضة الثامنة والعشرون أي الباب الثامن والعشرون: «دعاؤه في التفزّع» إلى الله تعالى أي:الإلتجاء إليه سبحانه،من فزع إليه: إذا لجأ(١).

الروضة التاسعة و العشرون أي الباب التاسع والعشرون: «دعاؤه إذا قتّر عليه الرزق» قتر بالبناء للمفعول بمعنى: ضيق،من قتر على عياله قتراً وقتوراً من بابي ضرب وقتل أي:ضيّق عليهم في النفقة.

الروضة الثلاثون أي الباب الثلاثون: «دعاؤه في المعونة على قضاء الدين» أي: في طلب المعونة وهى اسم من الاستعانة.

الروضة الحادية و الثلاثون أي الباب الحادى والثلاثون: «دعاؤه بالتوبة» تاب من ذنبه توباً وتوبةً إذا أقلع عنه وعرّفت بأنّها الرجوع إلى الله تعالى بحلّ عقدة الاصرار عن القلب ثمّ القيام بكلّ حقوق الربّ.

الروضة الثانية والثلاثون أي الباب الثاني والثلاثون: «دعاؤه في صلاة الليل» أي بعد الفراغ منها كما سيأتي في عنوان الدعاء.

الروضة الثالثة والثلاثون أي الباب الثالث والثلاثون: «دعاؤه في الاستخارة» وهي سؤال الله تعالى أن يختار له خير الأمرين.

الروضة الرابعة والثلاثون أي الباب الرابع و الثلاثون: «دعاؤه إذا ابتلي أو رأى مبتلى بذنب» ابتلي بالبناء للمفعول أي: أُمتحن.

الروضة الخامسة و الثلاثون أي الباب الخامس و الثلاثون: «دعاؤه في الرضا بالقضاء» الرضا: لغة خلاف السخط،وعرفاً قيل: رفع الاختيار.

---

(١)(الف): ألجأه.

....

و قيل: سكون النفس تحت مجاري القدر.

و قيل: غير ذلك.

و القضاء لغة: الحكم و اصطلاحاً: عبارة عن الحكم الالهي في أعيان الموجودات على ماهي عليه من الأحوال الجارية من الأزل إلى الأبد، وستسمع في هذا المقام كلاماً يزيدك إعلاماً عند شرح الدعاء إنشاءالله تعالى.

الروضة السادسة و الثلا ثون أي الباب السادس والثلا ثون: «دعاؤه إذا نظر إلى السحاب والبرق وسمع صوت الرعد».

الروضة السابعة و الثلا ثون آي الباب السابع والثلا ثون: «دعاؤه في الشكر إذا إعترف بالتقصير عن تأديته».

الروضة الثامنة والثلا ثون أي الباب الثامن والثلا ثون: «دعاؤه في الاعتذار» من تبعات العباد،ومن التقصير في حقوقهم،وفي فكاك رقبته من النار.

الروضة التاسعة والثلا ثون أي الباب التاسع والثلا ثون: «دعاؤه في طلب العفو والرحمة».

الروضة الأربعون أي الباب الآربعون: «دعاؤه عند ذكر الموت أو نعي إليه ميّت».

الروضة الحادية والأربعون أي الباب الحادى والأربعون: «دعاؤه في طلب السترِ والوقاية» أي ستر ما لا يحب كشفه، والوقاية من نشره وإعلانه كما يدلّ عليه متن الدعاء.

الروضة الثانية و الأربعون أي الباب الثاني والأربعون: «دعاؤه عند ختمه القرآن» أى عند إتمامه وتلاوته.

قال الزمخشري في الأساس: ختم القرآن،و كلّ عمل: إذا أتمّه(١).

---

(١) الأساس للزمخشري: ص ١٥٣.

....

الروضة الثالثة و الأربعون أي الباب الثالث والأربعون: «دعاؤه إذا نظر إلى الهلال» هو غرّة القمر أو إلى ليلتين أو إلى ثلاث،وسيأتي الكلام عليه مستوفىً إنشاءالله تعالى.

الروضة الرابعة و الأربعون أي الباب الرابع والأربعون: «دعاؤه لدخول شهر رمضان» اللّام يحتمل أن تكون للتعليل أي لأجل دخوله، وأن تكون بمعنى عند، وتسمّى لام الاختصاص نحو: كتبته لغرّة كذا.

الروضة الخامسة و الأربعون أي الباب الخامس والأربعون: «دعاؤه لوداع شهر رمضان» بفتح الواو من ودع وهو اسم من توديع المسافر كالسلام والتسليم.

الروضة السادسة و الأربعون أي الباب السادس والا ربعون: «دعاؤه للعيدين والجمعة» أي: عيدالفطر والأضحى،وذلك إذا انصرف من الصلاة.

الروضة السابعة و الأربعون أي الباب السابع و الأربعون: «دعاؤه في يوم عرفة» وهو اليوم التاسع من ذي الحجّة.

الروضة الثامنة و الأربعون أي الباب الثامن والأربعون: «دعاؤه في يوم الأضحى والجمعة» يوم الأضحى بفتح الهمزة أوّل أيّام النحر.

الروضة التاسعة و الأربعون أي الباب التاسع والأربعون: «دعاؤه في دفع كيد الأعداء وردّ بأسهم».

الروضة الخمسون أي الباب الخمسون: «دعاؤه في الرهبة» أي:الخوف من الله تعالى.

الروضة الحادية و الخمسون أي الباب الواحد و الخمسون: «دعاؤه في التضرّع والاستكانة» أي:الخضوع لله تعالى.

الروضة الثانية و الخمسون أي الباب الثاني و الخمسون: «دعاؤه في الإلحاح على الله تعالى» أي:المبالغة في الدعاء،والرغبة إليه سبحانه.

و باقي الأبواب بلفظ أبي عبدالله الحسني.

الروضة الثالثة و الخمسون أي الباب الثالث والخمسون: «دعاؤه في التذلّل لله عزّوجلّ» تدلّل له: خضع،وهو من الذلّ بالضمّ خلاف العزّ.

الروضة الرابعة و الخمسون أي الباب الرابع والخمسون: «دعاؤه في إستكشاف الهموم» أي:طلب كشفها وإزالتها.

الروضة الخامسة و الخمسون أي الباب الخامس والخمسون: «دعاؤه للضرورة» هي اسم من الإضطرار بمعنى الإحتياج إلى الشيء، وتطلق على المشقّة، وهذا الدعاء والذي بعده غير موجودين في نسخ الصحيفة فهما من جملة ما سقط عن الراوي.

الروضة السادسة والخمسون أي الباب السادس والخمسون:«دعاؤه عند اليقظة» بفتح الياء والقاف محرّكة،مصدر يقظ من باب تَعِبَ وكرم:يقظاً ويقظةً-محرّكتين- خلاف نام.

أي:ما بقي بمعنى فضل من ترجمة كلّ باب ممّا لم يذكر في هذا الفهرس، وذكر في عنوان كلّ دعاء من قوله:وكان من دعائه (عليه السّلام) إلى آخره، فهو بلفظ أبي عبدالله أي: مرويّ بلفظه حال رواية الصحيفة عنه كما يدلّ عليه قوله (١).

* * *

(١) إعلم أنّ الضمير في (قوله) راجع إلى عبارة المتن الآتي وهو «حدّثنا أبوعبدالله جعفر بن محمّد الحسني» إلى آخره.

حدّثنا أبو عبدالله جعفر بن محمّد الحسني قال: حدّثنا عبدالله بن عمر بن الخطاب الزيّات قال: حدّثني خالي عليّ بن النعمان الأعلم قال: حدّثني عمير بن متوكّل الثقفي البلخي، عن أبيه متوكّل بن هارون قال: أملىٰ عليَّ سيّدي الصادق أبو عبدالله جعفر بن محمّد (عليهما السّلام).

قال ابن خلّكان:(١) لقبّ بالصادق لصدقه في مقاله(٢) وكان سفيان الثوری إذا حدّث عنه يقول: سمعت أباعبدالله جعفر بن محمّد الصادق، وكان والله صادقاً كما سمّي.

و الوجه عندنا في تسميته (عليه السّلام) بالصادق ما رواه أبو خالد الكابلي قال: قلت لعليّ بن الحسين (عليه السّلام) من الإمام بعدك ؟ قال: «محمّد ابني يبقر العلم بقراً، ومن بعد محمّد جعفر اسمه عند أهل السماء الصادق قال: قلت: كيف اسمه الصادق وكلّكم الصادقون؟ قال: حدّثني أبي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام) فسمّوه الصادق،فانّ الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدّعي الإمامة إجتراءً منه على الله وكذباً عليه،فهو عندالله جعفر الكذّاب المفتري على الله(٣)، ثمّ بكى زين العابدين (عليه السّلام) فقال: كأنّي بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله والحبيب في حفظ الله فكان كما ذكر»(٤) إنتهى.

و جعفر الكذّاب هو أخو الامام أبي محمّد الحسن العسكری (عليه السّلام).

---

(١) هو أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الاربلي، ولد سنة (٦٠٨)هجريّة في اربل وتوطن بقاهرة مصر وتوفّي سنة (٦٨١)هجريّة بدمشق، وهو صاحب كتاب التاريخ المشهور الموسوم بوفيات الأعيان، وأنباء ابناء الزمان. الكنى والالقاب: ج١ ص٢٦٧.

(٢) وفيات الأعيان:ج١، ص٢٩١.وفيه: [مقالته] بدل مقاله.

(٣) (الف) على أبيه.

(٤) بحار الأنوار: ج٤٧، ص ٩.

قال: أملىٰ جدّي عليّ بن الحسين.

هو زين العابدين و سيّد الزاهدين وقدوة المقتدين وإمام المؤمنين، أبو الحسن، وأبو محمّد عليّ بن الحسين، بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام). اُمّه: شاه زنان، بنت يزد جرد، بن شهريار، بن كسرى.

و قيل: كان اسمها شهربانويه، و فيه يقول أبو الأسود الدئلى (١):

و إنّ غُلاماً بين كِسْرىٰ و هاشِمٍ لأَكْرَمُ مَنْ نيطَتْ عليه التَّمائمُ

و لد بالمدينة سنة ثمان و ثلا ثين من الهجرة قبل وفاة جدّه أمير المؤمنين (عليه السّلام) بسنتين، فبقي مع جدّه سنتين،ومع عمّه الحسن (عليه السّلام) إثنتي عشر سنة،ومع أبيه الحسين (عليه السّلام) ثلا ثاً وعشرين سنة و بعد أبيه أربعاً وثلا ثين سنة، وتوفّي بالمدينة سنة خمس وتسعين للهجرة،وله يومئذ سبع وخمسون سنة، ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه عمّه الحسن (عليه السّلام) في القبّة الّتي فيها العبّاس بن عبدالمطلب رضى الله عنه، وكان يقال له ذو الثفنات،جمع ثفنة بكسر الفاء:وهي من الإنسان الركبة ومجتمع الساق والفخذ،لأنّ طول السجود أثّر في ثفناته.

قال الزهريّ (٢):ما رأيت هاشميّا أفضل من عليّ بن الحسين(٣).

---

(١) هو أحد الفضلاء والفصحاء من الطبقة الأولىٰ من شعراء الاسلام وشيعة أمير المؤمنين (عليه السّلام) وكان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب علياً (عليه السّلام) وشهد معه صفين وهو بصري يُعدّ من الفرسان والعقلاء، توفي أبو الأسود في البصره سنة (٦٩)هجريّة.

و هو الذي ابتكر النحو باشارة أمير المؤمنين (عليه السّلام). والدُئلي بضم الدال وفتح الهمزة نسبة الىٰ الدئل،وهي قبيلة من كنانة. الكنىٰ والألقاب: ج١، ص ٧.

(٢) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الفقيه المدني التابعي المعروف وقد ذكره علماء الجمهور وأثنوا عليه ثناء بليغاً، وقيل:انه حفظ علم الفقهاء السبعة ولقي عشرة من الصحابة،وروى عنه جماعة من أئمة علم الحديث. توفي سنة ١٢٤هجريّة،ودفن في ضيعته بالحجاز.

الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص ٢٧٠.

(٣) تذكرة الخواص لابن الجوزي:ص ٣٣١ والارشاد للمفيد:ص ٢٥٧.

....

و عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال: «كان عليّ بن الحسين (عليه السّلام) يصلّي في اليوم واللّيلة ألف ركعة،وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة»(١).

و «كان إذا توضّأ للصلاة يصفرّلونه فيقول له أهله: ما هذا الّذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي من أُريد أن أقوم؟»(٢).

و قال ابن عائشة (٣) :سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السرّ حتّى مات عليّ بن الحسين (عليهما السّلام)(٤).ولـمّا مات (عليه السّلام) وجرّدوه للغسل جعلوا ينظرون إلى آثار في ظهره فقالوا: ما هذا؟ قيل: كان يحمل جربان الدقيق على ظهره ليلاً ويوصلها إلى فقراء المدينة سرّاً(٥). وكان يقول: إنّ صدقة السرّ تطفىء غضب الربّ(٦).

و عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه قال: حجّ عليّ بن الحسين (عليه السّلام) ماشياً فسار من المدينة إلى مكّة عشرين يوماً وليلة(٧).

و عن زرارة بن أعين قال: سمع سائل في جوف الليل وهو يقول: أين

---

(١) الارشاد للمفيد: ص ٢٥٦.

(٢) الارشاد للمفيد: ص٢٥٦، وتذكرة الخواص لابن الجوزي: ص ٣٢٥.

(٣) يطلق على جماعة منهم: أبوعبدالرحمن عبيدالله بن محمد بن حفص التيمي، يُعرف بابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيدالله التيمي، وكان عنده تسعة الآف حديث. توفي بالبصرة سنة ٢٨٢ هجرية.

الكنى والألقاب: ج١، ص٣٣٤.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: ج٩، ص ١٥٤.

(٥) المناقب لابن شهراشوب: ج٤، ص ١٥٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٦) المناقب لابن شهراشوب: ج٤، ص ١٥٣.

(٧) الارشاد للمفيد: ص ٢٥٦، والوسائل: ج٨،ص ٥٦،ح١١، وفيهما: [إبراهيم بن علي] بدل علي بن إبراهيم.

....

الزاهدون في الدنيا، الراغبون في الآخرة؟ فهتف به هاتف من ناحية البقيع يسمع صوته ولا يرى شخصه: ذاك عليّ بن الحسين(١).

و عن طاووس: إنّي لفي الحجر ليلة، إذْ دخل عليّ بن الحسين فقلت: رجل صالح من أهل بيت النبوّة لأسمعنّ دعاءه، فسمعته يقول: عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك. فقيرك بفنائك. قال: فما دعوت بهن في كرب إلا فرّج عنّي(٢).

و حكي الزمخشريّ في ربيع الأبرار قال: لمّا وجّه يزيد بن معاوية مسلمَ بن عقبة لاستباحة أهل المدينة، ضمّ عليّ بن الحسين إلى نفسه أربعمائة منافية بحشمهنّ، يعولهّن إلى أن تقوّض جيش مسلم، فقالت إمرأة منهنّ: ماعشت والله بين أبوي بمثل ذلك الشريف(٣).

و كان (عليه السّلام) كثير البرّ بأُمّه، فقيل له: إنّك أبرّ الناس بأمّك، ولسنانراك تأكل معها في صحفة؟ فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها(٤).

و قيل له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحنا خائفين برسول الله، وأصبح جميع أهل الاسلام آمنين.(٥).

و كان يقال له: ادم بني حسين، لأنّه الذي تشعّبت منه أفنانهم، وتفرّعت عنه أغصانهم، ومناقبه وفضائله أكثر من أن تحصىٰ.

---

(١) الارشاد للمفيد:

(٢) الارشاد للمفيد: ص ٢٥٦.

(٣) ربيع الأبرار للزمخشري: مخطوط. وكشف الغمة: ج٢: ص١٠٧.

(٤) مكارم الأخلاق: ص ٢٢١. مع اختلاف يسير في بعض الفاظ الحديث.

(٥) كشف الغمة: ج٢ ص١٠٧.

على أبي محمّد بن عليّ عليهم أجمعين السلام بمشهد منّي.

قال الجاحظ(١) في رسالة صنّفها في فضائل بني هاشم: وأمّا عليّ بن الحسين فلم أرَ الخارجيّ في أمره إلّا كالشيعيّ، ولم أر الشيعيّ إلّا كالمعتزليّ، ولم أر المعتزليّ إلّا كالعاميّ، ولم أر العاميّ إلّا كالخاصّي، ولم أر أحداً يتمارى في تفضيله ويشكّ في تقديمه، إنتهى (٢)*.

متعلّق بأملى، و أجمعين: تأكيد للضمير المجرور، و فيه شاهد على جواز التأكيد بأجمع دون (كلّ) إختياراً خلافاً لمن منع ذلك.

والسّلام في الأصل: السلامة، يقال: سلّم يسلّم سلاماً و سلامةً، ومنه دارالسلام للجنّة، لأنّها دار السلامة من الآفات، والمراد الدعاء باعطاء السلامة، أي التعرّي من المكروه والآفات، والغالب في كلامهم أن يقولوا للميّت والغائب: عليه السّلام بتقديم الضمير، وللحاضر: السلام عليك بتأخيره، ووجهه: إنّ المسلّم على القوم يتوقّع الجواب بأن يقال له: عليك السلام فلمّا كان الميّت والغائب لا يتوقّع منهما جواب، جعلوا السلام عليهما كالجواب، والله الهادي إلى سبيل الصواب.

تمّ شرح إسناد الصحيفة الكاملة بعون الله تعالى وعنايته الشاملة ولله الحمد، ورقّمه مؤلّفه عفا الله عنه بمنّه.

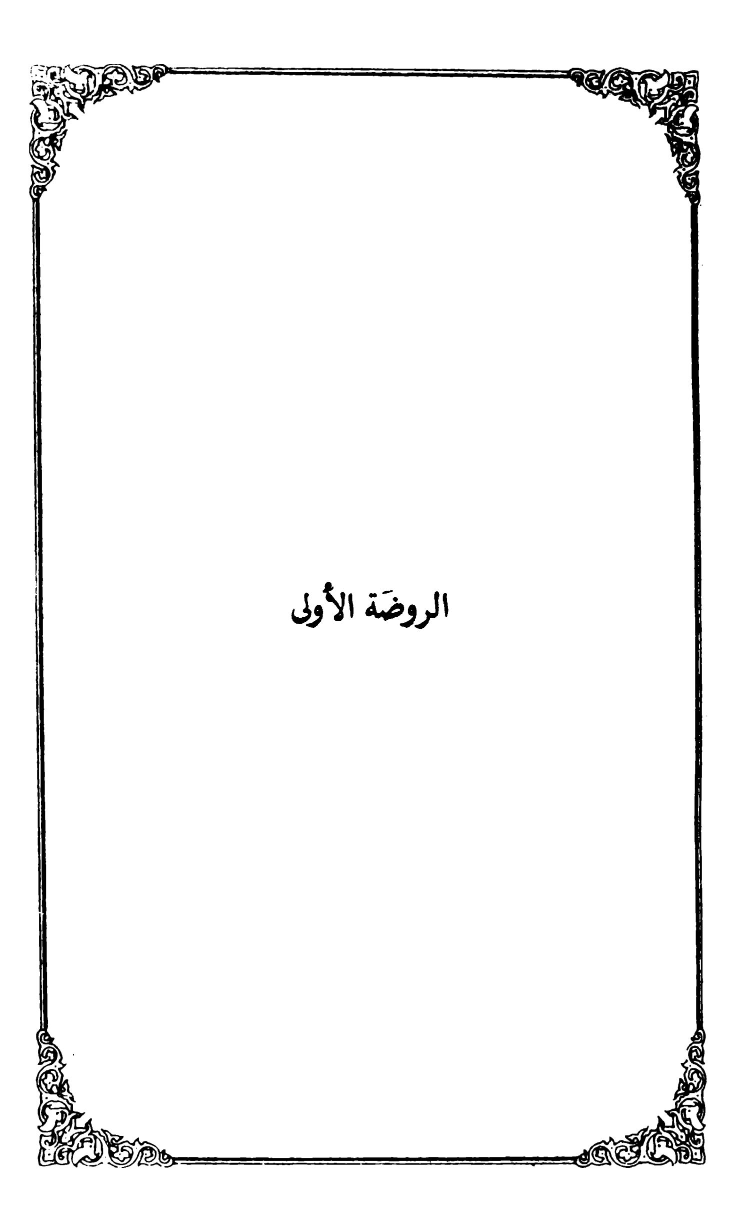
* * *

---

(١) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الليثي البصري، لغوي نحوي، صاحب تصانيف كثيرة منها: كتاب الحيوان، البيان والتبيين، كتاب الاخوان، كتاب المحاسن والأضداد، وغيرها. ولد سنة ١٥٠ هجريّة، وتوفي سنة ٢٥٥ هجريّة، وكان سبب وفاته وقوع مجلّدات من كتبه عليه.

الكنى والألقاب: ج٢، ص ١٢١، وكشف الظنون: ج٥، ص ٨٠٢.

(٢) لا توجد لدينا هذه الرسالة.



الروضَة الأولى

وكان من دعائه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه فقال

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله والآخر بلا آخر يكون بعده
الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين وعجزت عن نعته
أوهام الواصفين ابتدع بقدرته الخلق ابتداعا واخترعهم
على مشيته اختراعا ثم سلك بهم طريق إرادته وبعثهم في
سبيل محبته لا يملكون تأخيرا عما قدمهم إليه ولا يستطيعون
تقدما إلى ما أخرهم عنه وجعل لكل روح منهم قوتا معلوما
مقسوما من رزقه لا ينقص من زاده ناقص ولا يزيد من نقص منهم
زائد ثم ضرب له في الحيوة أجلا موقوتا ونصب له أمدا محدودا
يتخطأ إليه بأيام عمره ويرهقه بأعوام دهره حتى إذا بلغ
أقصى أثره واستوعب حساب عمره قبضه إلى ما ندبه إليه
من موفور ثوابه أو محذور عقابه ليجزي الذين أساؤا بما عملوا
ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى عدلا منه تقدست أسماؤه
وتظاهرت آلاؤه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والحمد
لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما أبلاهم من

مِنَنِهِ الْمُتَتَابِعَةِ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ لَتَصَرَّفُوا فِي
مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ وَتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ وَلَوْ كَانُوا
كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ فَكَانُوا
كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ عَلَى مَا عَرَّفَنَا مِنْ نَفْسِهِ وَأَلْهَمَنَا مِنْ شُكْرِهِ وَفَتَحَ لَنَا مِنْ أَبْوَابِ
الْعِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ لَهُ فِي تَوْحِيدِهِ وَ
جَنَّبَنَا مِنَ الْإِلْحَادِ وَالشَّكِّ فِي أَمْرِهِ حَمْداً نُعَمَّرُ بِهِ فِيمَنْ حَمِدَهُ
مِنْ خَلْقِهِ وَنَسْبِقُ بِهِ مَنْ سَبَقَ إِلَى رِضَاهُ وَعَفْوِهِ حَمْداً يُضِيءُ
لَنَا بِهِ ظُلُمَاتِ الْبَرْزَخِ وَيُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ الْمَبْعَثِ وَيُشَرِّفُ
بِهِ مَنَازِلَنَا عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ
حَمْداً يَرْتَفِعُ مِنَّا إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ
حَمْداً تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا إِذَا بَرِقَتِ الْأَبْصَارُ وَتَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُنَا
إِذَا اسْوَدَّتِ الْأَبْشَارُ حَمْداً نُعْتَقُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ نَارِ اللَّهِ إِلَى كَرِيمِ جِوَارِ
اللَّهِ حَمْداً نُزَاحِمُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ وَنُضَامُّ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ الْمُرْسَلِينَ

فی دار المقامة التی لا تزول ومحل کرامته التی لا تحول والحمد
لله الذی اختار لنا محاسن الخلق واجری علینا طیبات الرزق و
جعل لنا الفضیلة بالملکة علی جمیع الخلق فکل خلیقته منقادة
لنا بقدرته وصائرة الی طاعتنا بعزته والحمد لله الذی اغلق عنا
باب الحاجة الا الیه فکیف نطیق حمده ام متی نؤدی شکره لا متی
والحمد لله الذی رکب فینا آلات البسط وجعل لنا ادوات القبض و
متعنا بارواح الحیوة واثبت فینا جوارح الاعمال وغذانا بطیبات
الرزق واغنانا بفضله واقنانا بمنه ثم امرنا لیختبر طاعتنا ونهانا
لیبتلی شکرنا فخالفنا عن طریق امره ورکبنا متون زجره فلم
یبتدرنا بعقوبته ولم یعاجلنا بنقمته بل تأنانا برحمته تکرما و
انتظر مراجعتنا برأفته حلما والحمد لله الذی دلنا علی التوبة التی
لم نفدها الا من فضله فلو لم نعتدد من فضله الا بها لقد حسن
بلاؤه عندنا وجل احسانه الینا وجسم فضله علینا فما هکذا
کانت سنته فی التوبة لمن کان قبلنا لقد وضع عنا ما لا طاقة
لنا به ولم یکلفنا الا وسعا ولم یجشمنا الا یسرا ولم یدع لاحد

منا حجة ولا عذر فالهالك منا من هلك عليه والسعيد
منا من رغب إليه والحمد لله بكل ما حمده به أدنى ملائكته إليه
وأكرم خليقته عليه وأرضى حامديه لديه حمدا يفضل سائر
الحمد كفضل ربنا على جميع خلقه ثم له الحمد مكان كل نعمة له علينا
وعلى جميع عباده الماضين والباقين عدد ما أحاط به علمه من جميع
الأشياء ومكان كل واحدة منها عددها أضعافا مضاعفة أبدا
سرمدا إلى يوم القيامة حمدا لا منتهى لحده ولا حساب لعدده ولا
مبلغ لغايته ولا انقطاع لأمده حمدا يكون وصلة إلى طاعته
وعفوه وسببا إلى رضوانه وذريعة إلى مغفرته وطريقا إلى
جنته وخفيرا من نقمته وأمنا من غضبه وظهيرا على طاعته
وحاجزا عن معصيته وعونا على تأدية حقه ووظائفه حمدا
نسعد به في السعداء من أوليائه ونصير به في نظم الشهداء بسيوف
أعدائه إنه ولي حميد

شرح الدعاء الأوّل

وَ كانَ مِنْ دُعائِهِ عَلَيه السَّلام إذَا ابْتَدَءَ بِالدُّعاءِ بَدَءَ بِالتَحْمِيدِ لِلّهِ عَزّوَجلَ والثَّناء عَلَيْهِ فَقالَ:

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

الحمد لله الّذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وخلق الأشياء كلّها ناطقة بحمده وشكره، والصّلاة والسّلام على نبيّه محمّد المشتقّ اسمه من اسمه المحمود،وعلى آله الطاهرين أُولي المحامد والمكارم والجود.

و بعد: فهذا شرح الدعاء الأوّل من أدعية صحيفة سيّد العابدين من الشرح المسمّى «برياض السالكين» إملاء راجي فضل ربّه السنيّ علي الصدر الحسيني الحسني(٢) وفّقه الله سبحانه لاكماله وكتبه حسنة في صحيفة أعماله آمّين.

الواو: للاستيناف و معناه الإبتداء.

قال الخليل بن أحمد في جمل الاعراب: كلّ (واو) توردها في أوّل كلامك فهي واو إستيناف، وإن شئت قلت واو إبتداء(٣)، إنتهى.

و في إعراب عبارة هذا العنوان و جهان:

---

(١) (الف) و به ثقتی.

(٢) (الف) و(ج) الحسني الحسيني.

(٣) لا يوجد هذا الكتاب لدينا.

....

أحدهما: أن يكون اسم كان مقدّراً وهو إمّا المصدر المدلول عليه بقوله إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد.

أو الشأن المفهوم من سياق الكلام اي: كان من كيفيّة دعائه (عليه السّلام) بدؤه بالتحميد، أو كان الشأن من دعائه.

و مجموع الجملتين من قوله إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد مفسّر لذلك المقدر ونظيره قوله تعالى: «ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ»(١) قالوا: فاعل (بدا) إمّا مصدره، أو الرأي المفهوم من السياق، أو المصدر المدلول عليه بقوله: ليسجننّه أي بداهم بداء، أو رأى أو سجنه،ومجموع الجملتين من القسم المقدّر وجوابه الّذي هو ليسجننّه مفسّر لذلك المقدّر.

قال إبن هشام: ولا يمنع من ذلك كون القسم إنشاء لأنّ المفسّر هاهنا هو المعنى المتحصّل من الجواب وذلك المعنى هو سجنه(٢).

الثاني: أن يكون إسمها جملة قوله بدأ بالتحميد ومن دعائه خبرها، ونظيره قول الكوفيّين: إنّ جملة ليسجننّه في الآية هو فاعل بدأ بناء على مذهبهم من وقوع الجملة فاعلا،لكن قال الدماميني(٣): ما أظنّ إنّ أحداً من الكوفييّن ولا غيرهم ينازع في أنّ من خصائص الاسم كونه مسنداً إليه فينبغي حمل كلامهم على معنى أنّ المصدر المفهوم من الجملة هو الفاعل المسند إليه معنى، وغايته أنّ التأويل هنا وقع بغير

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٥.

(٢) المغني: ص ٥٢٣ وفيه: (هنا انّها).

(٣) هو بدر الدين أحمد بن أبي بكر بن عمر المخزوميّ الدماميني، نسبة الى دمامين قرية بصعيد مصر، شاعر ونحوي صاحب الحاشية علىٰ المغني، والشرح علىٰ البخاري، والتسهيل، ولاميّة العجم، توفي سنة (٨٢٧) هجريّة في كلبرجه من بلاد الهند.

الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص ٢٠٥.

....

واسطة حرف مصدري فهو كما يقول الجميع في نحو: قمت حين قام زيد، من أنّ الجملة وقعت مضافاً إليه، مع انّ الاضافة من خصائص الاسم كالاسناد إليه، لكنّ الجملة هنا عندهم مؤوّلة بمفرد أي حين قيام زيد،ولا بدع في هذا،لأنّه وجد مطّرداً في الاضافة وفي باب التسوية نحو: سواء عليّ أقمت أم قعدت أي: قيامك وقعودك ، وفي لا تأكل السمك وتشرب اللبن،أي لا يكن منك أكل سمك مع شرب لبن، فهم ألحقوا ما وقعت فيه الجملة فاعلاً في الظاهر بتلك الأبواب(١)، إنتهى.

فعلى هذا فاسم (كان) و إن وقع في الظاهر جملة لكن من حيث تأويلها بمفرد وهو المصدر المفهوم منها، أي وكان من كيفيّة دعائه بدؤه بالحمد والثناء إذا إبتدأ بالدعاء.

تنبيه

إذا في قوله إذا ابتدأ بالدعاء: للاستمرار في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلة أي كان هذا شأنه دائما وهي كثيراً مّا تستعمل له كما يستعمل الفعل المضارع لذلك ومنه قوله تعالى: «وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ»(٢) «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ»(٣) أي هذا شأنهم أبداً.

---

(١) الحاشية على المغنى للدماميني لم نعثر عليه.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤.

....

تبصرة

إنّما كان (عليه السّلام) يبدأ بالتحميد لله عزّوجلّ والثناء عليه إقتداءً بكتاب الله تعالى وعملاً بما اشتهر عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «كلّ أمر ذي بال لم يبدأ فيه بالحمد ـ وفي رواية بحمدالله ـ فهو أقطع»(١) أي مقطوع البركة.

و لما في كتاب أميرالمؤمنين (عليه السّلام): «إنّ المدحة قبل المسألة»(٢).

و روي عن أبي عبدالله (عليه السّلام) إنّه قال: «كل دعاء لا يكون قبله تحميد فهو أبتر، إنّما التحميد ثمّ الدعاء»(٣).

وعن أبي كهمس(٤) قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السّلام) يقول: «دخل رجل المسجد فابتدأ بالدعاء قبل الثناء على الله والصلاة على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): عاجل العبد ربّه، ثمّ دخل آخر فصلّى وأثنى على الله عزّوجلّ وصلّى على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): سَلْ تعطه»(٥).

---

(١) سنن ابي داود، ج٤، ص ٢٦١، ح٤٨٤٠. سنن ابن ماجة، ج١، ص٦١٠، ح١٨٩٤ مع اختلاف يسير فيهما.

(٢) الكافي: ج٢، ص ٤٨٤، ح ٢.

(٣) الكافي: ج٢، ص ٥٠٤، ح ٦ وفيه: (الثناء).

(٤) هو الهيثم بن عبدالله أبو كهمس، كوفي، عربي، له كتاب، ذكره سعد بن عبدالله في الطبقات، وعدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق (عليه السّلام).

انظر معجم رجال الحديث: ج١٩، ص ٣٢١.

(٥) الكافي: ج٢، ص ٤٨٥، ح ٧.

....

تتمّة مهمّة

الدعاء بالضمّ والمدّ لغةً: النداء، تقول: دعوت فلاناً إذا ناديته.

و عرفاً: الرغبة إلى الله تعالى،وطلب الرحمة منه على وجه الاستكانة والخضوع، وقد يطلق على التمجيد والتقديس لما فيه من التعرّض للطلب.

سئل عطاء عن معنى قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله): «خير الدعاء دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي وهو لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد. يحيى ويميت وهو حيّ لا يموت بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير، وليس هذا دعاء إنّما هو تقديس و تمجيد» فقال: هذا أُميّة ابن الصلت يقول: في ابن جذعان:

إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرّضه الثناء

أفيعلم ابن جذعان ما يراد منه بالثناء عليه ولا يعلم ربّ العالمين ما يراد منه بالثناء عليه»(١).

و اعلم أنّ الدعاء من معظم أبواب العبادات و أعظم ما يستعصم به من الآفات وأمتن ما يتوسّل به إلى استنزال الخيرات، ووجوبه وفضله معلوم من العقل والشرع لقوله تعالى: «أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»(٢).

و روى زرارة عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال: إنّ الله عزّوجلّ يقول: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» قال: هو الدعاء، قلت:

---

(١) الكشكول للشيخ البهائي: ص ١٠٥ ـ ١٠٦ وفيه: (ابن جدعان).

(٢) سورة غافر: الآية ٦٠.

....

إنّ إبراهيم لأوّاه حليم، قال: الأوّاه: الدعاء»(١).

و الأخبار في فضله والترغيب فيه والحثّ عليه متواترة من طرق الخاصّة والعامّة حتّى صار شرعيّته من ضروريّات الدين وهو من شعار الصالحين وآداب الأنبياء والمرسلين، بل من أجلّ مقامات الموحّدين وأفضل درجات السالكين لكونه مشعراً بالذلّ والانكسار ومظهراً الصفة العجز والافتقار، وهو لا ينافي القضاء ولا يدافع الرضاء.

روى ميسر بن عبدالعزيز(٢) عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: قال لي يا ميسر أُدع ولا تقل: إنّ الأمر قد فرغ منه إنّ عندالله منزلة لا تنال إلّا بمسألة، ولو انّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً فَسَل تعط ياميسر، إنّه ليس من باب يُقرَعُ إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه (٣).

فظهر من كلامه (عليه السّلام) إنّ الدعاء سبب من أسباب حصول المطلوب، فكون الشيء متوقّفاً على سببه لا يدافع كونه ممّا قضى الله حصوله، إذ كما جرى في القضاء حصوله فقد جرى أيضاً حصول هذا السبب، وكونه مسبّباً عنه.

و من التوهّمات الباطلة والظنون الفاسدة ما قاله بعض الظاهريين من المتكلّمين: إنّه لا فائدة في الدعاء لأنّ المطلوب إن كان معلوم الوقوع عندالله تعالى كان واجب الوقوع وإلّا فلا يقع لأنّ الأقدار سابقة والأقضية واقعة، وقد جفّ القلم بما هو كائن، فالدعاء لايزيد ولا ينقص فيها شيئاً.

---

(١) الكافي: ج٢، ص ٤٦٦، ح ١.

(٢) هو محمد بن ميسر بن عبدالعزيز النخعي بيّاع الزطي، كوفيّ ثقة، روى أبوه عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السّلام)، وروى هو عن أبي عبدالله (عليه السّلام)، له كتاب يرويه جماعة.

تنقيح المقال: ج٣، ص ١٩٤.

(٣) الكافي: ج٢، ص ٤٦٦، ح ٣.

....

و لأنّ المقصود إن كان من مصالح العباد فالجواد المطلق لا يبخل به، وإن لم يكن من مصالحهم لم يجز طلبه.

و لأنّ أجلّ مقامات الصدّيقين الرضا و إهمال حظوظ النفس، والاشتغال بالدعاء ينافي ذلك.

و هذا ظنّ فاسد وقول سخيف صادرعن جاهل لا يعرف الحقائق عن مواضعها وأُصولها فانّ الدعاء ممّا يقاوم القضاء لا من حيث أنّه فعل العبد فانه من هذه الحيثيّة ممّا يتحكّم فيه القضاء لأنّه لو لم يقض عليه أن يدعولم يكن يدعو ولكن من حيث ما علّمنا الله عزّوجلّ وأمرنا به حيث قال: «أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»(١) وقال: «أُدْعُوا رَبَّكُمْ»(٢) فانّ الدعاء من هذه الحيثيّة إنّما ينبعث من حيث ينبعث القضاء فلا تسلّط للقضاء عليه فانّ كلاً منهما من الله تعالى ولسان العبد والحالة هذه ترجمان الدعاء لأنّه لم يدع بنفسه، ولكن بأمر الله عزّوجلّ وكلّ من فعل شيئاً بأمر أحد فيده يد الآمر، كما إذا أمر الملك بعض خدّامه أن يضرب ابناً للملك، فانّ يد الخادم والحالة هذه يد الملك، ولو كان اليد يده لم يستطع أن يمدّها إلى ابن الملك، وليبست دون ذلك يده.

و إنّك لتعلم انّ الدعاء لا يتحكّم على الله و إنّما يتحكّم علينا والله غالب على أمره، فاذا كان الدعاء موصول الأصل بالموضع الّذي إتّصل به القضاء، فالقضاء والدعاء يتعالجان والحكم لما غلب ومن غلب سلب، هذا ما ذكره بعض المحقّقين.

و قال النظام النيسابوري في تفسير قوله تعالى: «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ»: قال جمهور العقلاء: إنّ الدعاء من أعظم مقامات العبوديّة، والقرآن ناطق

---

(١) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٥.

....

بصحّته عن الصدّيقين، والأحاديث مشحونة بالأدعية المأثورة بحيث لامساغ للانكار ولا مجال للعناد، والسبب العقليّ فيه إنّ كيفيّة علم الله تعالى وقضائه غير معلومة للبشر، غائبة عن العقول والحكمة الالهيّة ، تقتضى أن يكون العبد معلّقاً بين الخوف والرجاء اللّذين بهما تتمّ العبوديّة وبهذا الطريق صحّحنا القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله وبجريان قضائه وقدره في الكلّ.

و ما روى عن جابر انّه جاء سراقة بن مالك فقال:يا رسول الله بيّن لنا ديننا كأنّا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم أفيما جفّت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل؟ فقال: بل فيما جفّت به الأقلام، وجرت به المقادير، قال: ففيم العمل؟ قال: إعملوافكلّ ميسر لما خلق له(١) و كلّ عامل بعمله منبّه على ما قلناه فانّه (صلّى الله عليه وآله) علّقهم بين الأمرين، رهّبهم بسابق القدر، ثم رغّبهم في العمل ولم يترك أحد الأمرين للآخر، فقال: كلّ ميسّر لما خلق له يريد أنّه ميسّر في أيّام حياته للعمل الّذي سبق به القدر قبل وجوده.

إلاّ انّك يجب أن تعلم الفرق بين الميسّر والمسخّر كي لا تغرق في لجّة القضاء والقدر، وكذا القول في باب الرزق والكسب.

و الحاصل: إنّ الأسباب و الوسائط والروابط معتبرة في جميع أمور هذا العالم ومن جملة الوسائط والوسائل في قضاء الأوطار الدعاء والالتماس كما في الشاهد، فلعلّ الله سبحانه قد جعل دعاء العبد سبباً لبعض مناجحه، فاذا كان كذلك فلابدّ أن يدعوا حتّى يصل إلى مطلوبه، ولم يكن شيء من ذلك خارجاً عن قانون القضاء السابق وناسخاً للكتاب المسطور(٢)إنتهى كلامه.

---

(١) مسند احمد: ج٣ ص٢٩٣

(٢) غرائب القران ورغائب الفرقان: ج١، ص ١٩٣. مع زيادة ونقيصة.

....

و قال بيان الحقّ أبوالقاسم النيسابوري: (١) لئن كان الدعاء غير معقول كانت العبادة غير معقولة، وقد تكون طاعة وعبادة من غير دعاء ومسألة ولا يكون دعاء ومسألة إلّا مع طاعة وعبادة، إذ لا دعاء إلّا مع الإعتراف بالذلّة والنقص والإضطرار والعجز عقداً ولساناً وهيئة، وانّه لا فرج له إلّا من لدن سيّده ولا خير له إلّا من عنده قولاً وضميراً فيتردّد لسانه بأنواع التضرّع والحوار وتتصرّف يداه نحو السماء في ضروب من الشكل والحركات كما يروى عن جعفر بن محمّد الصادق (عليهما السّلام) انّه قال هكذا الرغبة وأظهر و أبرز باطن راحته إلى السماء، وهكذا الرهبة وجعل ظاهر كفّه إلى السماء، وهكذا التضرّع وحرّك أصابعه يميناً وشمالاً، وهكذا التبتّل ورفع أصابعه مرّة و وضعها أُخرى، وهكذا الإبتهال ومدّ يده تلقاء وجهه إلى القبلة، وكان لا يبتهل حتّى يذري دموعه ويشخّص بصره، وهل إخلاص العبادة إلّا هذه الأحوال فكان الدعاء من أشرف العبادة، وبحسب العبادة يتمّ الشرف الإنساني ويخلص الغرض الإلهي كما قال الله عزّوجلّ: «وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ» ولأنّه لا يمتنع ظهور رحمة الله وسابغ كرمه في حقّ العبد من غير مسألته وكرامته بالإجابة، وتمتنع كرامته بالإجابة إلّا مع ظهور جوده واتّصال رحمته حتّى يطمئنّ بفضله ويثق بقبوله ويعلم أنّه العبد الّذي دعا مولاه فلبّاه وسأله فأعطاه، فكان الدعاء في إمتراء المزيد واستجماع أسباب الرحمة مع الكرامة فوق الطاعة والعبادة ولهذا كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يرغّب فيه إلى خيار

---

(١) هو محمودبن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، الغزنوي «نجم الدين، أبوالقاسم، بيان الحق» مفسّر فقيه، أديب، لغوي، شاعر، من تصانيفه: جمل الغرائب فى تفسير الحديث، ايجاد البيان في معاني القرآن، التذكرة والتبصرة، تشتمل على ألف نكة، وله شعر.

معجم المؤلفين ج١٢ ص١٥٧

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الأَوَّلِ بلا أَوَّلٍ كانَ قَبْلَهُ والآخِرِ بِلا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ.

خاصّته ويسأله لنفسه عن صفوة اُمّته(١)، إنتهى.

و أمّا القول بأنّ الاشتغال بالدعاء ينافي الرضا بالقضاء الّذي هو أجلّ مقامات الصدّيقين فجوابه: انّه إنّما ينافيه لو كان الباعث عليه حظّ النفس.

و أمّا إذا كان الداعي عارفاً بالله عالماً بأنّه لا يفعل إلّا ما وافق مشيّته، ودعاه إمتثالاً لأمره في قوله: «اُدعوني» ونحوه من غير أن يكون في دعائه حظّ من حظوظ نفسه، فلا منافاة بينهما والله أعلم.

قال سيّدنا ومولانا الإمام المعصوم خليفه الله في أرضه القائم بسنّته وفرضه زين العابدين وسيّد الساجدين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأبرار وأبنائه الائمّة الأطهار(٢) *.

الحمد: هو الثناء على ذي علم بكماله ذاتيّاً كان كوجوب الوجود والإتّصاف بالكمالات والتنزّه عن النقائص، أو وصفيّاً ككون صفاته كاملة واجبة، أو فعليّاً ككون أفعاله مشتملة على حكمة فأكثر تعظيماً له وأثره على المدح الذي هو الثناء على الشيء بكماله ذا علم كان أولا، لأنّ الكمال الّذي لا يعتبر معه العلم لا يكون كمالاً مطلقاً ويقابلهما الذّم، وعلى الشكر وهو مقابلة الانعام بالتعظيم ذكراً باللّسان، أو إعتقاداً بالجنان، أو خدمة بالأركان مع صرف ما أنعم به إلى ما أنعم لأجله، لأنّه وإن عمّ جهات الشاكر قصر عن إحاطة كمالات المشكور، إذ لا يتعلّق باللازمة ويقابله الكفران، وعلى الثناء الّذي هو ذكر الأوصاف كمالات كانت أو نقائص إذ هو وصف بمدح أو ذمّ، ولذلك يقيّد بالجميل إذا اُريد المدح.

و لام الحمد: للجنس و معناه الإشارة إلى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع.

و الجارة: للاختصاص فتختصّ حقيقة الحمد به فيكون جميع أفرادها مختصّاً به

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) كما هو المذكور في المتن إلى آخر الدعاء.

....

سبحانه،لأنّ النعوت الكماليّة كلّها ترجع إليه لأنّه فاعلها وغايتها كما حقّق في مقامه، ولأنّه الموجود الحقيقي كما يعرفه العارفون.

و ثبوت الصفة فرع ثبوت الموصوف وذلك انّهم يرون كلّ قدرة مستغرقة في القدرة بالذات وكلّ علم مستغرقاً في العلم بالذات، وهكذا في كلّ صفة كماليّة.

فاذن المحامد كلّها راجعة إليه سبحانه، ولهذا ذكر اسم الله دون غيره من الأسماء لدلالته بحسب المفهوم على جامعيّة الأوصاف الجماليّة والجلاليّة كلّها و ربوبيّته لأنواع الأشياء كلّها، و كلّ اسم غيره إنّما يدلّ على صفة و ربوبيّة نوع واحد.

و عمّم بعض المحقّقين الثناء في تعريف الحمد بكونه قالاً أو حالاً بطريق عموم المجاز لإدخال حمد الحقّ سبحانه نفسه وذلك حيث بسط بساط الوجود على ممكنات لا تعدّ ولا تحصى، ووضع عليه موائد كرمه الّتي لا تتناهى فكلّ ذرّة من ذرّات الوجود لسان حال ناطق عنه بحمده، ومثل هذا الحمد لا يحيط به نطاق النطق، ومن ثمّ قال (صلّى الله عليه وآله): «لا أُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(١).

تنبيـه

إلى ما ذكرناه من رجوع المحامد كلّها إليه سبحانه أشار أبو جعفر الباقر فيما رواه عنه ابنه الصادق (عليهما السّلام) قال: «فقد أبي بغلة له فقال: لئن ردّها الله تعالى لأحمدنّه بمحامد يرضاها. فما لبث أن أُتي بها بسرجها ولجامها، فلمّا استوى عليها

(١) سنن ابن ماجة: ج٢، ص ١٢٦٢، ح ٣٨٤١.

....

وضمّ إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء فقال: الحمد لله ولم يزد، ثمّ قال: ما نركت وما بقيت شيئاً جعلت كلّ أنواع المحامد لله عزّوجلّ، فما من حمد إلّا هو داخل فيما قلت(١)، إنتهى.

و ارتفاع الحمد بالابتداء و خبره الظرف وأصله النصب كما هو شأن المصادر المنصوبة بأفعالها المضمرة الّتي لا تكاد تستعمل معها نحو: شكراً وعجباً.وإيثار الرفع عليه مع أنّه الأصل للايذان بأنّ ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لإ ثبات مثبت وإنّ ذلك أمر دائم مستمرّ لاحادث متجدّد،ولهذا كانت تحيّة الخليل (عليه السّلام) للملائكة (عليهم السّلام) أحسن من تحيّتهم له في قوله تعالى: «قَالُوا سَلاٰماً قَالَ سَلاٰمٌ»(٢) ولم يقدّم الخبر لقصدالاختصاص لحصوله بـ«لامي»التعريف والجرّ مع انّ في تأخيره إشعاراً بأنّه المرجع.

و الله: لفظ دالّ على المعبود بالحقّ، وكما تاهت العقول في ذاته تعالى وصفاته لاحتجابها بأنوار العظمة،تحيّروا أيضاً في لفظ الله كأنّما إنعكس إليه من تلك الأنوار أشعّة بهرت أعين المستبصرين فاختلفوا،أسريانيّ هو أم عربيّ؟ اسم أو صفة مشتقّ؟ وممّ اشتقاقه؟ وما أصله، علم أو غير علم؟

فقيل:هو سرياني وأصله(لاها) فعرّب بحذف الألف الثانية، وإدخال الألف واللام عليه.

و قيل: بل هو عربيّ، وهو المختار، وأصله (الاله) فحذفت همزته على غير قياس، كما ينبىء به وجوب الإدغام وتعويض الألف والّلام عنها حيث لزماه وجرّدا عن معنى التعريف، ولذلك قيل: يا الله بالقطع فانّ المحذوف القياسي في

---

(١) الكافي: ج٢، ص ٩٧، ح ١٨ روى مضمونه.

(٢) سورة هود: الآية ٦٩.

....

حكم الثابت فلا يحتاج إلى التدارك بما ذكر من الإدغام والتعويض.

و قيل: على قياس تخفيف الهمزة فيكون الإدغام والتعويض من خواصّ هذا الاسم الشريف ليمتاز بذلك عمّا عداه إمتياز مسمّاه عمّا سواه بما لا يوجد إلّا فيه من نعوت الكمال.

و الإله في الأصل: اسم جنس يقع على كلّ معبود بحقّ أو باطل أي مع قطع النظر عن وصف الحقيّة والبطلان لا مع إعتبار أحدهما لا بعينه، ثمّ غلب على المعبود بالحقّ كالنجم على الثريّا، والبيت على الكعبة.

و أمّا الله بحذف الهمزة فعلم مختصّ بالمعبود بالحقّ لم يطلق على غيره أصلاً، واشتقاقه من الآلهة والألوهة بمعنى العبادة كما نصّ عليه الجوهري على أنّه اسم منها بمعنى المألوه(١) كالكتاب بمعنى المكتوب، لا على انّه صفة منها بدليل انّه يوصف ولا يوصف به حيث يقال: إله واحد ولا يقال: شيء إله كما يقال: كتاب مرقوم ولا يقال: شيء كتاب.

و قيل: إشتقاقه من أَلِه كعَلِم بمعنى تحيّر، لأنّه تعالى يحار في شأنه العقول والأفهام.

و أمّا (أَلَهَ) كعَبَدَ وزناً ومعنىً فمشتقّ من الإله المشتقّ من (إله) بالكسر وكذا تألّه واستأله إشتقاق إستنوق واستحجر من الناقة والحجر.

و قيل: من أله إلى فلان، أي: سكن إليه لاطمينان القلوب بذكره،وسكون الأرواح إلى معرفته.

و قيل: من أله: إذا فزع من أمر نزل به، واهه غيره: إذا أجاره، إذ العائذ به تعالى يفزع إليه وهو يجيره.

---

(١) الصحاح للجوهري: ج٦، ص ٢٢٢٣.

....

و قيل: أصله (لاه) على انّه مصدر من لاه يليه بمعنى إحتجب وارتفع، اُطلق على الفاعل مبالغة.

و قيل: هو اسم علم لذات الواجب إبتداء وعليه مدار التوحيد في قولنا: لا إله إلاّ الله.

و لا يخفى إنّ اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن إطلاقه على غيره أصلاً كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد أن كان اسم جنس في الأصل.

و قيل: هو وصف في الأصل لكنّه لـمّا غلب عليه تعالى بحيث لا يطلق على غيره أصلاً، صار كالعلم.

و يردّه: إمتناع الوصف به وتفخيم لامه إذا لم ينكسر ما قبله سنّة وحذف ألفه لحن.

و أمّا قوله: «ألا لا بارك الله في سهيل» فلضرورة الشعر.

و الأوّل: ذهب جمهور البصريّين إلى أنّ وزنه أفعل، ثمّ إختلفوا فأكثرهم على أنّه من (وَوَل) أي حروفه الأصول واو، وواو، ولام. فأصله على هذا (أوْوَل) اُدغمت الفاء في العين. قالوا: ولم يستعمل هذا التركيب إلاّ في أوّل ومتصرّفاته.

و قال بعضهم: إنّه من وَأَلَ يئل وَألاً، أي: نجا، لأنّ النجاة في السبق، فأصله: أوْأَل قلبت الهمزة الثانية واوا واُدغمت.

و قيل: أصله أأْول من آل يؤول أولاً، أي: رجع لأنّ كلّ شيء يرجع إلى أوّله قلّبت الهمزة واواً، واُدغمت أيضا فهو أفعل بمعنى المفعول كأشهر وأحمد.(١)

و الصحيح: القول الأوّل لئلاّ يلزم قلب الهمزة شذّاً على القولين الأخيرين.

---

(١) شرح الكافية في النحو لرضي: ج ص٢١٨.

....

و ذهب الكوفيّون وطائفة من البصريّين: إلى أنّه فوعل من و ول قلبت الواو الأولى همزة ثمّ زيدت واو ثانية فصار أوول، و دُغمت الواو التي هي واو فوعل في الواو الّتي هي عين، فصار أوّل، وإنّما ذهبوا إلى ذلك لأن الواو تزاد ثانية كثيراً، كجوهر وكوثر.

و الصحيح مذهب جمهور البصرّيّين لتصريفه تصريف أفعل التفضيل واستعماله بمن، وذلك يبطل كونه فوعلاً. ثمّ «لأوّل» إستعمالان:

أحدهما: أن يكون صفة، أي: أفعل تفضيل بمعنى أسبق، فيعطى حكم أفعل التفضيل من منع الصرف وعدم تأنيثه بالتاء، وذكر (من) التفضيليّة بعده ظاهرة نحو: هذا أوّل من هذين، ولقيته عاماً أوّل، بنصب أوّل ممنوع الصرف على انه صفة للمنصوب.

الثاني: أن يكون اسماً مجرّداً عن الوصفيّة، فيكون مصروفاً، ومنه قولهم: ماله أوّل ولا آخر.

قال أبو حيّان في الارتشاف: و في محفوظي إنّ هذا يؤنّث بالتاء. ويُصرَفُ أيضا فيقال: أوّلةٌ وآخرةٌ بالتنوين (١) إنتهى.

و قال الزمخشري في أساس البلاغة: حلّ أوّل، وناقة أوّلة: إذا تقدّما الابل(٢).

و على هذا يحمل ما ورد في بعض الأحاديث عن أرباب العصمة (عليهم السّلام) من لفظ الأوّلة والأوّلتين.

و قد يستعمل الاسم ظرفاً بمعنى قبل فيعطى حكمها في الإعراب والبناء فتقول إذا صرّحت بالمضاف إليه: إبدأ به أوّل فعلك، بالنصب على الظرفيه كما تقول:

---

(١) الارتشاف: مخطوط لا يوجد لدينا.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري: ص ٢٥.

....

جئت قبلك،وتقول إذا قطعت عن الاضافة لفظاً ومعنى قصداً للتنكير: إبدأ به أوّلاً بالنصب و التنوين على الظرفيّة أيضاً كقول الشاعر:

فساغ لي الشراب و كنت قبلاً

و إن قطعت عن الإضافة بأن حذفت المضاف إليه لكن نويت لفظه، أعربته بلا تنوين لانتظار المضاف إليه، فتقول: إبدأ به من أوّل بالكسر فقط كقوله: ومن قبل نادى كلّ مولى قرابة، كذا رواه الثقاة بكسر اللام من قبل.

و إن حذفت المضاف إليه و نويت معناه، بنيته على الضمّ فقلت ابدأ به من أوّل، قال الشاعر:

لعمرك ما أدرى وإنّى لأوجل على أيّنا تعدو المنيّة أوّل

إذا عرفت ذلك ، فما وقع لبعض أكابر السادة من علماء العجم من قوله: إن سلخته عن الوصفيّة، واستعملته على أنّه ظرف كان مبنيّاً على الضمّ أبداً، كسائر الظروف المقطوعة عن الاضافة فتقول: إن أتيتني أوّل فلك كذا ليس بصحيح، بل إنّما يبنى على الضمّ إذا حذف المضاف إليه ونوى معناه.

و مطلق استعماله ظرفاً و قطعه عن الاضافة لا يوجب كونه مبنيّاً على الضمّ كما عرفت.

و قوله أيضاً: إذا قلت فعلت كذا أوّلاً، لم يصحّ حمله على الصفة ولا على الظرف إذ على الأوّل يتعيّن (أوّلَ) بالنصب من جهة منع الصرف، وعلى الثاني (أوّلُ) بالرفع للبناء على الضمّ.

و لا يسوغ (أوّلاً) بالتنوين على الظرف أصلاً ليس بصحيح أيضاً، بل يصحّ كونه ظرفاً غير مضاف لا لفظاً ولا تقديراً عند الجمهور، والتنوين فيه متحتّم، وهو تنوين تمكين، لأنّه حينئذٍ نكرة، فنوّن تنوين سائر النكرات.

و قال بعضهم: هو معرفة بنية الإضافة، والتنوين:تنوين تعويض.

....

و استحسنه ابن مالك(١) في شرح الكافية(٢).

و إنّما تعرّضنا لذلك مع عدم تعلّق الغرض به و تكفّل كتب النحو ببيانه لأنّ السيّد المذكور تعرّض له في تعليقته على الصحيفة في هذا المقام فنبّهنا على ذلك لئلّا يقع غيره فيما وقع فيه.

و أوّليّته تعالى عبارة: عن كونه قبل وجود الممكنات بأسرها،وإنّه مبدأ كلّ شيء،ومنه نشأ وجود الأشياء كلّها،وإنّه موجود بذاته، لم ينشأ وجوده عن غيره.

فان قلت: أفعل التفضيل يقتضي المشاركة والزيادة،والله سبحانه وتعالى لا يشاركه شيء في السبق، لأنّ سبقه تعالى إعتبار ذهنيّ، وسبق ما عداه زمانيّ.

قلت: قد يقصد بأفعل، تجاوز صاحبه و تباعده عن غيره في الفعل، لا بمعنى تفضيله بعد المشاركة في أصل الفعل، فيفيد عدم وجود أصل الفعل في غيره، فيحصل كمال التفضيل، وهو المعنى الأوضح في أفعل في صفاته تعالى.

و بهذا المعنى ورد قوله تعالى: «وَهُوَأَهْوَنُ عَلَيْهِ»(٣) وقول يوسف (عليه السّلام): «رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ»(٤)

وهذا أولى من جعل المشاركة تقديراً كما أجاب به بعضهم، ومن التشريك بما لامشاركة فيه كما أجاب به آخرون.

---

(١) هو جمال الدين أبو عبدالله محمّد بن عبدالله بن مالك الجياني الأندلسي ناظم كتاب الألفية، ولد بجيان من بلاد الأندلس سنة (٦٠١)هجريّة، وتوفّي بدمشق سنة (٦٧٢)هجريّة. له مصنّفات في النحو منها: الألفية،وشرح التسهيل،وشرح الجزولية،وغيرها.

الكنى والألقاب: ج١، ص ٣٨٧

(٢) شرح الكافية: لم نعثر عليه.

(٣) سورة الروم: الآية ٢٧.

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٣.

....

و لك أن تريد بالأوّليّة مطلق السبق، فتحقّق المشاركة، ويصحّ التفضيل بلا تأويل.

قوله: «بلا أوّل كان قبله» متعلّق بمحذوف حالاً عن الأوّل.

و الباء: للملابسة، أي: ملتبساً بلا أوّل.

و لا: هنا عند الكوفيّين اسم بمعنى غير، فقيل: نقل إعرابها إلى ما بعدها لكونها على صورة الحرف.

و قيل: إنّ الجارّ دخل عليها نفسها، و إنّ ما بعدها خفض بالاضافة.

و عند غيرهم: حرف زائد بين الجار و المجرور، و إنْ كانت مفيدة لمعنى، وهم قد يريدون بالزائد: المعترض بين شيئين متطالبين، وإن لم يصحّ أصل المعنى باسقاطه.

و الواقع في النسخ المشهورة: جرّ أوّل بالكسر، والتنوين مصروفاً على انّه اسم.

و في نسخة ابن إدريس: بالفتح ممنوعاً، على انّه صفة، أي: بلاذي أوّليّة كان قبله.

و قول بعض أكابر السادة: فتحه ممنوعاً، على انّه أفعل التفضيل، وجرّه مصروفاً على انّه أفعل الصفة لا أفعل التفضيل ظاهر التناقض، فانّ أفعل لا يكون صفة لغير تفضيل إلّا في لون وعيب.

نعم، قال الرضي(١): لمّا لم يكن لفظ أوّل مشتقّاً من شيء مستعمل على القول

---

(١) هو نجم الائمة محمّد بن الحسن الرضي الاسترابادي المحقق السعيد شارح الكافية والشافية والقصائدلابن أبي الحديد،وشرحه على الكافية هو الذي فاق على مصنّفاته،توطّن هذا الشيخ الجليل بارض النجف الاشرف وتوفي فيها سنة ٦٨٦هجريّة.

الكنى والألقاب: ج٢، ص ٢٤٨.

....

الصحيح، لا ممّا استعمل منه فعل كـأحسن، ولا ممّا استعمل منه اسم كأحنك، خفي فيه معنى الوصفيّة، إذ هي إنّما تظهر باعتبار المشتقّ منه. واتّصاف ذلك المشتقّ به كأعلم، أي: ذو علم أكثر من علم غيره، وأحنك، أي: ذو حنك أشدّ من حنك غيره.

و إنّما تظهر وصفيّة أوّل بسبب تأويله بالمشتقّ وهو أسبق، فصار بمنزلة رجل أسد، أي: جريء، فلا جرم لم تعتبر وصفيّته إلّا مع ذكر الموصوف قبله ظاهراً نحو: يوماً أوّل، أو ذكرُ (من) التفضيليّة بعده ظاهرة إذ هي دليل على انّ أفعل ليس اسماً صريحاً كأفكل فان خلا منهما معاً ولم يكن مع الّلام، والاضافة دخل فيه التنوين مع الجرّ لخفاء وصفيّته كمامرّ، كقول علي (عليه السّلام): «أحمده أوّلاً بادياً» ويقال: ما تركت له أوّلاً ولا آخراً(۱)، إنتهى كلامه.

و قضيّته: إنّ أوّلاً المصروف كان في الأصل صفة فغلبت عليه الاسميّة.

و ردّه الدماميني في شرح التسهيل: بأنّه لو كان في الأصل صفة لم تضرّه غلبة الاسميّة وعروضها، بخلاف ما إذا كان في الأصل اسماً، فوجب القول بأنّه نوعان: اسم. و صفة كما مرّ، والغرض تأكيد أوّليّته تعالى بأنّه أوّل الأوائل، لأنّه قبل كل شيء وسابق عليه بالعلّية لاستناد جميع الموجودات على تفاوت مراتبها وكمالاتها إليه وهو مبدأ كلّ موجود، فلم يكن قبله أوّل، بل هو الأوّل الّذي لم يتقدّمه شيء.

قال النيسابوري: و هو سبحانه متقدّم على ما سواه بجميع أقسام التقدّمات الخمسة الّتي هي تقدّم التأثير والطبع والشرف والمكان والزمان.

أمّا بالتأثير فظاهر، وأمّا بالطبع فلأنّ ذات الواجب من حيث هو لا يفتقر إلى

---

(۱) شرح الكافية في النحو للرضي: ج۲، ص ۲۱۸.

....

المكن من حيث هو وحال الممكن بالخلاف، وأمّا بالشرف فظاهر، وأمّا بالمكان فلأنه وراء كلّ الأماكن ومعها، كقوله تعالى: «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ»(١).

و قد جاء في الحديث: «لو دلّيتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله، ثمّ قرأ: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ»(٢). ولمّا بالزمان فأظهر(٣).

فبطل قول الفخر الرازي:(٤) إنّ تقدّم الواجب تعالى على ما عداه خارج عن الأقسام الخمسة، وكيفيته لا يعلمها إلّا هو فتأمّل.

قوله: «والآخِر» بكسر الخاء على فاعل وهو خلاف الأوّل، أي الّذي لا نهاية له، والباقي بعد فناء وجود الممكنات ولو بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن مبدعها، فانّ جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر عن مبدعها فهي فانية، أو الّذي تنتهي إليه الأسباب لأنّك إذا نظرت إلى شيء وفتّشت عن سببه، ثمّ عن سبب سببه وهكذا إنتهيت بالاخرة إليه تعالى، فهو الّذي ينحلّ عنده إجتماع أسباب الشيء.

و قال بعض العارفين: هو الآخر، بمعنى أنّه الغاية القصوى التي تطلبها الأشياء، والخير الاعظم الذي يتشوّقه الكلّ، ويقصده طبعاً وإرادة، والعرفاء المتألّهون حكموا بسريان نور المحبّة له والشوق إليه سبحانه في جميع المخلوقات على تفاوت طبقاتهم، وإن الكائنات السفليّة كالمدعات العلويّة على اغتراف شوق من هذا البحر العظيم، واعتراف شاهد مقرّ بوحدانيّة الحقّ القديم، فهو الأوّل الّذي منه إبتدأ أمر العالم حتّى إنتهى إلىٰ أرض الأجسام والأشباح.

و هو الآخر الّذي ينساق إليه وجود الأشياء حتّى يرتقي إلى سماء العقول

---

(١) و(٢) و(٣) غرائب القران ورغائب الفرقان: ج٣، ذيل الآية٣ من سورة الحديد. وفيه: [أدليتم] بدل دلّيتم.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٢٩، ص ٢٠٩.

....

والأرواح، وهو آخر أيضاً بالاضافة إلى سير المسافرين فانّهم لايزالون مترقين من رتبة إلى رتبة حتّى يقع الرجوع إلى تلك الحضرة بفنائهم عن ذواتهم، واندكاك جبال هوياتهم، فهو أوّل من حيث الوجود وآخر من حيث الوصول والشهود.

و قيل: أوّليّته إخبار عن قدمه، وآخريّته إخبار عن إستحالة عدمه.

و روى رئيس المحدّثين في معاني الأخبار: باسناده عن ميمون البان قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السّلام) وقد سئل عن قوله عزّوجلّ: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ» فقال: «الأوّل لا عن أوّل قبله، ولا عن بدء سبقه، والآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين، ولكن قديم أوّل وآخر لم يزل ولا يزال، بلا بدء ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلى حال خالق كلّ شيء»(١)، إنتهى.

تنبيه

إعلم أنه تعالى أوّل بما هو آخر، و آخر بما هو أوّل، من غير اختلاف في ذاته وصفاته، إذ هو بريء عن لحوق المكان، ووجوده في الزمان، فأوّليّته وآخريّته راجعتان إلى ما تعتبره الأذهان من حالة تقدّمه على وجود الأشياء وتأخّره عنها، فهما اعتباران ذهنيّان له يلحقان بالاضافة إلى مخلوقاته، وليس هناك أوّليّة وآخريّة، لأنّهما فرع الوقت والزمان وهو تعالى مقدّس عنهما، إذ لا وقت ولا زمان في عالم القدس، بل نسبته إلى الآزال والآباد نسبة واحدة، فظهر أنّ أوّليّته عين آخريّته، وآخريّته عين أوليّته.

قوله: «بلا آخر يكون بعده» بكسر الخاء المعجمة، من آخر، وخفضه بالكسر

(١) معاني الأخبار للصدوق:ص١٢ ح١ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

منوّناً على ما في النسخ المشهورة.

و وقع في نسخة ابن إدريس: بكسر الخاء وفحتها معاً مع فتح الراء.

و هو مع كسر الخاء شاذّ، لأنّ (لا) التبرئة لا تعمل إلّا بشرط عدم دخول الجارّ عليها، لكنّه سمع شاذّاً: جئت بلا شَيء بالفتح على الاعمال، والتركيب.

قال ابن جنّي: و وجهه إنّ الجار دخل بعد التركيب نحو: لا خمسة عشر، وليس حرف الجرّ معلّقاً، بل ولا ماركّب معها في موضع جرّ، لأنّهما جريا مجرى الاسم الواحد(١).

و قال في الخاطريّات:(٢) إنّ (لا) نصبت شيء ولا خبر لها لأنّها صارت فضلة، نقله عن أبي عليّ الفارسي، وأقرّ(٣).

و أمّا مع فتح الخاء، فهو بمعنى غير، وهو ممنوع الصرف للوصف، والفتحة فيه نائبة عن الكسرة، والمعنى على هذا: بلا آخر، آخر، أي: غيره يكون بعده، فالآخر المفتوح الخاء المنفي بلا صفة لمحذوف، من جنس المذكور وهو آخر بكسر الخاء لأنّه لا يستعمل إلّا فيما هو من جنس المذكور، فاذا قيل: جائني زيد وآخر، فالمراد رجل آخر، بخلاف جائني زيد وغيره.

و على كلّ تقدير: فالمقصود تأكيد آخريّته تعالى، بأنّه آخر الأواخر لانتهاء وجود كلّ ممكن إليه وعدم إنتهائه، فلا يكون بعده آخر.

* * *

---

(١) الخصائص لابن جنّي:ج٣، ص٥٦، نقلاً بالمعنى.

(٢) لا يوجد هذا الكتاب لدينا.

(٣) (الف)و (ج): واقرّه.

....

إكمال

ذهب جهم بن صفوان(١) إلى أنّه تعالى يوصل الثواب إلى أهل الثواب، والعقاب إلى أهل العقاب ثمّ يفني الجنّة وأهلها، والنار وأهلها، والعرش والكرسيّ والملك والفلك، ولا يبقى مع الله شيء أصلاً في أبد الآباد، كما لم يكن معه شيء في أزل الآزال، فيتحقّق كونه آخراً كما كان أوّلاً(٢)

و أبطله الفخر الرازي:بأنّ إمكان إستمرار هذه الأشياء حاصل إلى الأبد بدليل أنّ هذه الماهيّات لو زال إمكانها، لزم إنقلاب الممكن إلى الممتنع، ولزم أن تنقلب قدرة الله تعالى من صلاحيّة التأثير إلى إمتناع التأثير(٣).

و ردّ بأنّ هذه مغالطة، إذ لا يلزم من الامكان الذاتي للشيء وقوعه في الخارج، ولا من عدم وقوعه في الخارج، الامتناع الذاتي.

و التعويل في أبديّة الجنّة والنار وأهليهما، إنّما هو على إخبار المخبر الصادق وإجماع المسلمين، فيكون معنى كونه آخراً أي: الباقي بعد فناء الموجودات، بقاؤه بعد فنائها حقيقة بالنسبة إلى ما يفنى منها وحكماً بالنسبة إلى المؤبّد منها، أي: نظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن علّتها كما مرّ، أو بقاؤه بعد فنائها وقبل إيجادها وتأبيدها فانّه تعالى يفنى جميع العالم، ليتحقّق كونه آخراً، ثمّ يوجده ويبقيه أبداً.

---

(١) هو أبو محرز السمرقندي، الضال المبتدع، رأس الجهميّة، هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً.

لسان الميزان لابن حجر: ج٢ ص١٤٢.

(٢) و (٣) التفسير الكبير للفخرالرازي: ج٢٩، ص٢١١-٢١٢.

الـّذي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَـتِهِ اَبْصارُ النّاظِرينَ.

و زُيّف: بأنّ هذا حقيق بـأن يسمّى توسّطاً لا آخريّة، وهٰذا فسّر بعضهم الآخر بأنّه: الباقي مع ما عداه من الأواخر وبعد ما يفنى منها.

و اختار النـيسابوري في تـفسيره معنى الأوّل والآخر أنّه أوّل في ترتـيب الوجود، وآخر إذا عكس الـترتيب فـانّه ينطـبق على السلسلـة المترتّبة من العـلل إلى المعلولات ومن الاشـرف إلى الاخسّ، وعلى الأخـذ من الوحـدة إلى الـكثرة مـمّايلي الأزل إلى مـايلي الأبـد، ومـمّايلي المحيط إلى ما يـقـرب مـن المـركز، فهو تـعـالى أوّل بـالترتيب الطبيعـي وآخـر بالـترتيـب المنـعكس، قـال: وبهـذا البـيان يتّضح صحّـة إطلاق التقدّمات الخـمسة ومقابلاتهـا عليه سبـحانه، وهذا من غـوامض الأسرار وقد وفّقني الله لحلّها وبيانها(١) *.

قَصُرَتْ بالضمّ، في جميع النسخ، وهو من القصر: كعنب خلاف الطول فيكون من باب الاستعارة التبعيّة. وأمّا القصـور بمعنى العجز ففعله قصر بالفتح كقعد، ومنه قصر السهم عن الهدف: إذا لم يبلغه.

و الرؤية: معـاينـة الـعين للشيء، و إضافتها إلى الضـمير من إضـافة المصدر إلى المفعول.

و الأبصار، جمع بصـر، كسبب و أسبـاب: وهو قوّة مـرتّبة في العصبـة المجوّفة، مدركـة لما يقابل الـعين بتوسّط جرم شفّاف، لا بخـروج شعاع يلاقي المبصرات، ولا بانعكـاسه، ولا بانطباع الصور المرئيّة في الرطـوبة الجليديّة، ولا في ملـتقى العصبتين المجوّفتين، ولا باستدلال، لبطلان ذلك كلّه كما بيّن في محلّه.

بل بمقابلة المسـتنير للعين السليمـة، وهـي ما فيها رطوبة صافيـة شفّافيّة صقيـلة مـرآتيّة، فـحينـئـذ يقع لـلنفس عـلم إشراقي حضوري على ذلـك المبصر المـقابل لها،

---

(١) غرائب القران ورغائب الفرقان: ج٣، في ذيل اية٣ من سورة الحديد.

....

فتدركه النفس مشاهدة.

و إنّما قصرت الأبصار عن رؤيته تعالى لأنّ المرئيّ بالبصر يجب أن يكون في جهة وهو تعالى منزّه عنها، وإلّا وجب كونه عرضاً أو جوهراً جسمانياً، وهو محال.

هكذا إستدلّ أهل الحقّ على نفي الرؤية.

و اعترضه الغزالي(١) بأنّ أحد الأصلين من هذا القياس مسلّم، وهو إنّ كونه في جهة يوجب المحال ولكنّ الأصل الآخر وهو إدّعاء هذا اللازم على إعتقاد الرؤية ممنوع، فنقول: لم قلتم إنّه إن كان مرئيّاً فهو في جهة من الرائي؟ أعلمتم ذلك ضرورة أم بنظرٍ؟ لا سبيل إلى دعوى الضرورة.

و أمّا النظر فلابدّ من بيانه، ومنتهاهم أنّهم لم يروا إلى الآن شيئاً إلّا وكان في جهة من الرائي مخصوصة، ولو جاز هذا الاستدلال لجاز للجسم أن يقول: إنّ الباري تعالى جسم، لأنّه فاعل، فانّا لم نر إلى الآن فاعلاً إلّا جسماً.

و حاصله يرجع إلى الحكم بأنّ ما شوهد وعلم ينبغي أن يوافقه ما لم يشاهد ولم يعلم(٢).

و أجاب بعض المحقّقين من أصحابنا المتأخّرين: بأنّ دعوى كون المرئيّ بهذه العين مطلقا يجب أن يكون في جهة ليس مبناهم على أنّ المرئيّات في هذا العالم لا تكون إلّا في جهة حتّى يكون من باب قياس الغائب على الشاهد، بل النظر

---

(١) هو أبو حامد محمّد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقّب بـ(حجّة الإسلام الطوسي) ولد في طوس سنة (٤٤٥)هجريّة، وتوفّي فيها سنة (٥٠٥)هجريّة، وعُرف بالغزالي نسبة الى الغزال حكي أن والده كان يغزل الصوف ويبيعه، وقيل نسبة الى غزالة من قرى طوس. مال إلى طريقة الصوفيّة وألّف فيها كتباً أشهرها كتاب الإحياء، ويُعد من فقهاء الشافعيّة كتب البسيط والوسيط، والوسيط والوجيز، والخلاصة في الفقه. الكنى والألقاب: ج٢، ص٤٥٠.

(٢) احياء علوم الدين للغزالي: ج١، ص١٨٧.

....

والبرهان يؤدّيان إليه، وهو إنّ القوّة الباصرة الّتي في عيوننا قوّة جسمانيّة وجودها وقوامها بالمادّة الوضعيّة، وكلّ ما وجوده وقوامه بشيء، فقوام فعله وانفعاله بذلك الشيء، إذ الفعل والانفعال بعد الوجود وفرعه، إذ الشيء يوجد أوّلاً إمّا بذاته أو بغيره، ثمّ يؤثّر في شيء، أو يتأثّر عنه، فكلّ ما كان وجود القوّة بنفسها متعلّقاً فيه بمّادة جسمانيّة بما لها من الوضع، كان تأثيرها، أو تأثّرها أيضاً بمشاركة المادّة، ووضعها بالقياس إلى ماتؤثّر فيه، أو تتأثّر عنه فلأجل ذلك، نحكم بأن البصر لا يرى إلّا ما له نسبة وضعيّة إلى محلّ، فالباصرة والسامعة لا تبصر ولا تسمع إلّا ما وقع منها في جهة أو أكثر، فهذا هو البرهان.

تذنيب

ذهب أهل السنّة إلى جواز رؤيته تعالى في الدنيا عقلاً، واختلفوا في وقوعها، وإلى جوازها في الآخرة عقلاً، ووقوعها فيها إجماعاً.

منهم قالوا: إنّ رؤية الله تعالى جائزة في الدنيا عقلاً، لأنّه تعالى علّق رؤية موسى (عليه السّلام) على إستقرار الجبل، وهو في نفسه أمر ممكن، والمعلّق على الممكن ممكن، ولأنّها لو كانت ممتنعة لم يسألها بقوله: «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ»(١) لأنّ العاقل لا يطلب المحال، فدلّ سؤاله على أنّه كان يعتقد جوازها فتكون جائزة وإلّا لزم جهل النبيّ العظيم المعزّز بالتكليم بما يجوز عليه سبحانه، ويمتنع.

و اختلف في وقوعها، وفي أنّ الرسول (عليه السّلام) هل رآه ليلة الإسراء أم لا؟ فأنكرته عائشة، وجماعة من الصحابة، والتابعين، والمتكلّمين.

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١٤٣.

....

و أثبت ذلك ابن عبّاس(١) وقال: إنّ الله تعالى إختصّه بالرؤية، وموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلّة(٢)،وأخذ به جماعة من السلف، والأشعريّ في جماعة من أصحابه، وابن حنبل(٣).

و كان الحسن يقسم لقدرآه، وتوقّف فيه جماعة.

هذا حال رؤيته في الدنيا، وأمّا رؤيته في الآخرة فجائزة عقلاً، وأجمع على وقوعها أهل السنّة للآيات وتواتر الروايات، وأحالها المعتزلة، والمرجئة(٤)، والخوارج(٥).

---

(١) هو عبدالله بن العبّاس بن عبدالمطلب، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بالفقه والتأويل، وكان يسمّى حبر الأُمّة وترجمان القرآن، كُفّ بصره في أواخر عمره، وتوفّي بالطائف سنة ٦٨هجريّة، وله تفسير مطبوع.

الكنى والألقاب: ج١، ص ٣٣٥.

(٢) الدر المنثور: ج٢، ص ٢٣٠.

(٣) هو أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المروزي الأصل،البغدادي المنشأ والمسكن والمدفن،رابع الائمة الأربعة السنيّة. صنّف كتاب المسند وجمع فيه أحاديث كثيرة. ودُعي إلى القول بخلق القرآن فلم يجب،وضرب وحبس. وتوفّي سنة ٢٤١هجريّة ببغداد ودُفن بها.

الكنى والألقاب: ج١، ص ٢٥٨.

(٤) المرجئة: فرقة كلاميّة، كانت في أوّل عهدها حزباً سياسيّاً له موقفه في الخلاف الذي نشأحول الخلافة، ثم تطوّرت إلى فرقة كلاميّة تبحث في العقائد والمسائل المتّصلة بها، كقولهم بتأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا، من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار.

راجع الملل و النحل: ج١، ص ١٣٩.

(٥) هم الذين خرجوا على أميرالمؤمنين (عليه السّلام) في حرب صفين بعد أن أجبروا الإمام على إرجاع القائد الفذ مالك الأشتر رضوان الله عليه عن قتال جيش معاوية وقبول التحكيم، وبعد ان كان من أمر الحكمين ما كان قالوا: لِمَ حكمت الرجال؟ لا حكم إلّا لله، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان و قاتلهم أمير المؤمنين قتالاً شديداً حتّى لم ينجومنهم إلا عشرا، فانهزم اثنان منهم إلى كرمان واثنان إلى

....

و الفرق بين الدنيا والآخرة أنّ القوىٰ والادراكات ضعيفة في الدنيا حتّى إذا كانوا في الآخرة وخلقهم للبقاء قوى إدراكهم فأطاقوا رؤيته سبحانه، هذا ملخّص كلامهم.

و أجاب المانعون عن الشبهة الأُولىٰ: بأنّا لا نسلّم أنّ المعلّق عليه هو إستقرار الجبل مطلقاً فانّه كان مستقرّاً مشاهداً حال التعليق، بل إستقراره حال التجلّي، وإمكانه حينئذ ممنوع،ودون إثباته القتادة والخرط.

و عن الثانية: بالمعارضة و الحلّ.

أمّا المعارضة: فلأنّ رؤيته تعالى لو كانت جائزة لماعدّ طلبها أمراً عظيماً، ولما سمّاه ظلماً، ولما أرسل عليهم صاعقة ولما قال: «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ، فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ»(۱).

و لمّا وردت عليهم هذه المعارضة تحيّروا فقالوا تارة: إنّ الاستعظام إنّما كان لطلبهم الرؤية تعنّتاً وعناداً.

و تارة: إنّ رؤيته تعالى جايزة في الدنيا لا على طريق المقابلة والجهة كما هو المعروف في رؤية الممكنات،فانّها ممتنعة على هذه الطريقة، فاستعظامها وإنكارها بناء على أنّ طلبها وقع من هذه الطريقة الممتنعة.

و لا خفاء بما في هذا الجواب من السخافة،لأنّ طلبه للرؤية(۲) من هذه الطريقة

سجستان واثنان إلى الجزيرة وواحد الى اليمن، فظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع. واستمر الخوارج في ثوراتهم ضد الحكم الاموي وصدر الحكم العبّاسي. وقد انقسمت حركتهم انقسامات كثيرة أهمها ثمانية أحزاب أساسيه، وهم: المُحَكِّمَة، والأزارقة، والنجدات، والبيهسيّة، والعجاردة، والثعالبة، والأباضيّة، والصفريّة. راجع الملل والنحل: ج۱ ص۱۱٤.

(۱) سورة النساء: الآية ۱٥۳.

(۲) (الف): الرؤية.

....

كيف يصلح أن يكون دليلاً على جواز الرؤية من غير هذه الطريقة، على أنّه يلزم أن يكون النبيّ المكرّم بالتكليم جاهلاً بما يجوز عليه ويمتنع.

و أمّا الحلّ: فلأنّ سؤال موسى (عليه السّلام) لم يكن محمولاً على طلب الرؤية لعلمه باستحالتها، بل على إظهاره شأنه تعالى على الجماعة الحاضرين معه والطالبين رؤيته القائلين له: «أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً»(١) فقال ذلك القول يسمعوا الجواب بـ«لَنْ تَرَانِي» فيعلمون أنّ رؤيته غير ممكنة، ويرجعوا عن إعتقادهم.

و الّذي يدلّ على ذلك قوله حين أخذتهم الصاعقة:

«أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا»(٢).

و الجواب عمّا نقل عن ابن عبّاس: إنّه ليس صريحاً في الرؤية العينيّة لجواز أن يكون المراد بالرؤية التى خصّ بها (صلّى الله عليه وآله) الرؤية القلبيّة يعني الإدراك العلمي على الوجه الكامل، وقد نقل عنه أيضاً أنّه قال رآه بقلبه.

و عمّا نقل عن الحسن أنّه إن كان قول الحسن من عند نفسه فليس حجّة، وإن كان من ظاهر الآيات والروايات فكذلك، لأنّ فهمه ليس حجّة على غيره، والظاهر قد لا يعمل به.

و الجواب عن وقوع الرؤية في الآخرة للآيات وتواتر الروايات، أنّ كثيراً من الآيات والأخبار مأوّلة عن ظاهرها إتّفاقاً كقوله تعالى: «وَمَكَرَ اللهُ»(٣) «اَللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ»(٤).

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٣.

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٥٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥.

....

و ما وقع في رواياتكم عن أبي هريرة(١)، عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «إنّ من العبيد يوم القيامة من يدعو الله تعالى حتّى يضحك الله، فاذا ضحك منه قال: أُدخل الجنّة»(٢).

و عن ابن مسعود:(٣) إنّ بعض أهل النار إذا خرج منها، ووصل إلى باب الجنّة يقول: أي ربّ أدخلنيها فيقول: يابن آدم أيرضيك أن أُعطيك الدنيا ومثلها فيقول: يا ربّ أتستهزئ بي وأنت ربّ العالمين»(٤).

و أمثال ذلك كثيرة، وأنتم قد أوّلتم المكر والضحك والاستهزاء بالجزاء، والرضا والخذلان، فاذا جاز التأويل فكيف تتمسّكون بالظواهر في الأُمور العقليّة وتجزمون بها، وقد أنصف بعض علمائهم المتأخّرين حيث قال: إن صحّ الاجماع المذكور فهو

(١) صحابي معروف أسلم بعد الهجرة بسبع سنين، قال الفيروزآبادي في القاموس: إنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) رأى في كمّه هرّة فقال يا أبا هريرة فاشتهر به. وعن الفائق للزمخشري: استعمل عمر أبا هريرة على البحرين، فلما قدم عليه قال: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله سرقت من مال الله، وعن ربيع الأبرار للزمخشري قال: وكان يعجبه ـ أي أبا هريرة ـ المضيرة جداً، فيأكلها مع معاوية وإذا حضرت الصلاة صلّى خلف علي، فاذا قيل له قال: مضيرة معاوية أدسم وأطيب والصلاة خلف علي أفضل.
الكنى والألقاب: ج١، ص ١٧٢.

(٢) صحيح البخاري: ج٩، ص ١٥٨ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي، جليل القدر عظيم الشأن كبير المنزلة، قرأ القرآن وعلم السنّة، وكان من الذين شهدوا جنازة أبي ذر رضي الله عنه و باشروا تجهيزه، وعن الاستيعاب انّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال لنفر من أصحابه فيهم أبوذر: ليموتنّ أحدكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين، وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): من أحبّ أن يسمع القرآن غضاً فليسمعه من ابن أُم عبد يعني ابن مسعود. وروي أنّه أخذ سبعين سورة من القرآن من في رسول الله (صلّى الله عليه وآله) و بقيّته من علي (عليه السّلام). توفّي بالمدينة سنة ٣٢هجريّة.
الكنى والألقاب: ج١، ص ٢٠٦.

(٤) التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول: ج٥، ص ٤٣٧.

....

العمدة في إثبات هذا المطلب وإلّا فهذه الظواهر لا تفيد إلّا ظنّاً لا يجوز التعويل عليه في المسائل العلميّة، مع أنّها معارضة بمثلها، وإن كانت قابلة للتأويل، والأحاديث الواردة في هذا الباب آت فيها ذلك مع كونها كلّها آحاداً على تقدير صحّتها، والدليل العقلي متعذّر أو متعسّر.

قال سيّد المحقّقين في شرح المواقف: الأولى ما قيل: إنّ التعويل في هذه المسألة على الدليل العقلي متعذّر فلنذهب إلى ما اختاره الشيخ أبو المنصور الماتريدي من التمسّك بالظواهر النقليّة(١)، إنتهى.

فلا مطمع حينئذ في تحصيل اليقين في هذه المسألة، بل ولا الظنّ لما عرفت من تعارض الأدلّة النقليّة، إنتهى.

تبصرة

قال جدّنا السيّد نظام الدين أحمد (قدّس سرّه) في رسالته لا ثبات الواجب تعالى: قد ثبت في محلّه أنّه يجوز أن تعلم بعض النفوس المجرّدة الالهيّة الكاملة، ذات الواجب تعالى بالعلم الحضوري الّذي هو عبارة عن مشاهدة ذاته من غير تكيّف ولا مسامتة ولا محاذاة، وإذا جاز ذلك فما المانع من قول من يجوز رؤيته تعالى في الآخرة، فانّ الرؤية في الحقيقة عبارة عن مشاهدة حضوريّة، ولا يشترط فيها وقوعها بالجارحة المخصوصة،بل بعض القائلين بجوازها صرّح بأنّ رؤيته تعالى لا يجب أن تكون بتوسّط تلك الجارحة المخصوصة.

قال في شرح التجريد: ولا يلزم من نفي الرؤية بالبصر، نفي الرؤية مطلقاً، إذ

---

(١) شرح المواقف. لم نعثر عليه.

....

يمكن أن يرى لا بتلك الجارحة المخصوصة كما هو المدّعى، فانّ المثبتين لرؤيته تعالى، يدّعون أن الحالة المخصوصة التي تحصل لنا بالبصر في الدنيا، وتسمّى رؤية، تحصل لنا في تلك النشأة بعينها بالنسبة إليه تعالى، من غير توسّط تلك الجارحة(١)، إنتهى.

و يؤيّد ما ذكرناه ما قال المعلّم الثاني في فصوصه: من أنّ كلّ إدراك يحصل بلا واسطة إستدلال فهو المختصّ باسم المشاهدة، وكلّ ما لا يحتاج في إدراكه إلى الاستدلال فهو ليس بغائب، بل هو شاهد، فادراك الشاهد هو المشاهدة، والشهادة إمّا بمباشرة وملاقاة، وإمّا من غير مباشرة وملاقاة، وهذا هو الرؤية، والحقّ الأوّل تعالى لا تخفى عليه ذاته.

و ليس ذلك باستدلال فجاز على ذاته مشاهدة كماله من ذاته، فاذا تجلّى لغيره مغنياً عن الاستدلال وكان بلا مباشرة ولا مماسّة كان مرئيّاً لذلك الغير(٢).

فانه صريح فيما ذكرنا.

فان قلت: إذا كانت المشاهدة الحضوريّة هى الرؤية فلا مانع منها في هذه النشأة أيضاً، فلم إختصّ جواز الرؤية بالنشأة الآخرة، كما هو مذهب أكثر القائلين بجوازها.

قلت: لعلّ هؤلاء لا يمنعون الجواز، بل الوقوع ولعلّ السرّ في ذلك ماصرّح به بعض الأعاظم من أنّ النفس سيّما الكاملة المشرقة إذا شاهدت المبدأ الأوّل والتذّت بلذّات مشاهدته، قلّ إقبالها على الجسم وعالم التجسيم، وكلّما زاد إقبالها عليه نقص توجّهها إلى هذا العالم فينقص توجّهها إلى ما تدبّره من الجسم بل تعرض

---

(١) شرح التجريد للقوشجي: ص ٣٧١.

(٢) الفصوص للفارابي: ص ١٨.

....

عنه بالكلـيّـة فيتفتّـت أجـزاء بـدنها ويفسد وينحـلّ تـركيبه ويبطل نظـام أعضـائه واتّصالها، فلم تبق حـياة بدنيّة لإعراضها عن البدن بالكليّة، فان نظام أجزاء البدن وإتّصالها من آثار المجرّد المدبّر على ما هو المشهور.

و بهذا يظهر تفسير الآيـة الكريمة الحاكـية عن سؤال موسـى (عليه السّلام) فـانّه حيث سأل الرؤية وهي المشـاهدة الحضوريّة، أُجيب بـلن تراني، أي: لن تشاهدني وأنت في هذه النشأة التعلّقيّة.

و يـؤيّـد هذا ما في الـتـوراة: «لا يراني ابن آدم وهو حـيّ» أي في حـال حياته البدنيّة.

فان قيل: فلا يمكن الرؤية مع بقاء الحياة في النشأة الآخرة أيضاً.

قلت: لـعلّ الـبدن الذي في النشأة الآخـرة غير قابل للتـفرّق والتفتّـت، أو لعلّ الـنفس لكمال قـوّتهـا التى إلتـبستهـا في تلك الـنشـأة إذا شاهـدت المبدأ الأوّل فيها فأقبلت عليه إقبالاً كليّاً، لا تعرض عن البدن بالكليّة ولا يشغلها شأن عن شأن.

و لا يخفىٰ على الخبير إنّ مـا ذكرناه لـيس توجيهاً لكـلام القائـلين بجواز رؤيته تـعالى، وهم الأشـاعـرة فانّ جمهـورهم صرّحـوا بـأن الله تعـالى يـرى في الآخرة بهذه الجارحة المخصوصـة، بل هو تـفسير وتأويل للآيات والأخبار الدالّـة على جواز رؤيته تعالى و وقوعها في النشأة الآخرة فيكون جواباً لاستدلالهم بتلك الآيات والروايات، سيّما ما ذكروه من أنّ طـلـب مـوسى الرؤية دالّ على جوازهـا، وإلّا لـزم أن يـكون جاهلاً بصـفاتـه تعالى فانّه إنّما طـلب المشاهدة الحضوريّـة الصرفة الخاليـة عن شوب الخيالات والأوهام، لا الرؤية بالبصر.

و لا حـاجة في جوابـه إلى تكلّـفات إرتكبها الـقائـلون بامتنـاعها، فـافهم إنتهى كلامه.

و اقتفى أثره بعض المحقّـقين من أصحابنا المتأخّرين فقال: الّذي يصحّ عندنا من

وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ اَوْهامُ الْواصِفينَ.

طلب موسى الرؤية هو أنّه أراد أن يحصل له الانكشاف التامّ، والرؤية العقليّة لأنّ الرؤية هي الادراك على سبيل المشاهدة، وحضور المعلوم وزيادة الكشف، لا أنّه طلب الرؤية بهذه الآلة الجسمانيّة الكدرة، الظلمانيّة، لأنّ منصبه أجلّ من أن يطلب أمراً محالاً، أو أن لا يعلم أنّ القوّة الجسمانيّة الحالّة في عضو من الأعضاء لا تدرك خالق الأرض والسّماء.

و أمّا ما ورد في الأدعية المأثورة، و وقع في ألسنة الطائفة الاسلاميّة في إبتهالاتهم وتضرّعاتهم من طلب لذّة النظر إلى وجهه الكريم، فذلك لا يدلّ على جواز رؤيته تعالى بهذا العضو المخصوص، سيّما وقد نصّ بعض النحارير على أنّ العضو المخصوص ليس بركن في حقيقة الرؤية، فاذا كان لحقيقة الرؤية أفراد متعدّدة بعضها صحيح في حقّه تعالى، و بعضها فاسد، وجب أن يحمل الوارد في الكتاب والشريعة من ألفاظ الرؤية على الوجه الصحيح في حقّه تعالى لا غير كما في سائر الألفاظ والصفات المشتركة بين الحقّ والخلق(١)، إنتهى*.

«عَجَزَ» عن الشيء عجزاً، من باب ضرب: ضعف عنه و عَجِزَ عجزاً، من باب تعب: لغة لبعض قيس غيلان، ذكرها أبو زيد، وهذه اللّغة غير معروفة عندهم(٢)

و قد روى ابن فارس بسنده إلى ابن الأعرابي(٣) أنّه لا يقال: عجز الانسان

---

(١) انتهى كلام بعض المحقّقين. (٢) المصباح المنير: ص ٥٣٧-٥٣٨.

(٣) هو أبو عبدالله بن زياد الكوفي الهاشمي بالولاء، أحد العالمين باللغة والمشهورين بمعرفتها، وكان رأساً في الكلام الغريب، ولد في سنة ١٥٠هجريّة وتوفّي في شعبان سنة ٢٣١هجريّة. والاعرابي منسوب إلى الاعراب يقال: رجل اعرابي إذا كان بدويّاً وإن لم يكن من العرب، ورجل عربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدويّاً.

الكنى والألقاب: ج١، ص ٢٠٥.

....

ـ بالكسرـ إلا إذا عظمت عجيزته(١).

و «النعت»: الوصف وهو ما دلّ على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه، أي يدلّ على الذات بصفة كأحمر، فانّه بجوهر حروفه يدلّ على معنى مقصود، هو الحمرة.

و «الأوهام»: جمع وهم، وهو قوّة جسمانيّة للانسان محلّها آخر التجويف الأوسط من الدماغ، من شأنها إدراك المعاني الجزئيّة، المتعلّقة بالمحسوسات، كشجاعة زيد، وسخاوته، وهذه القوّة هي الّتي تحكم في الشاة بأنّ الذئب مهروب عنه، وأنّ الولد معطوف عليه، وهي حاكمة على القوى الجسمانيّة، كلّها مستخدمة إيّاها إستخدام العقل، القوى العقليّة بأسرها، لكنّ المراد بالوهم هنا، الادراك المتعلّق بالقوّة العقليّة، المتعلّقة بالمعقولات والقوّة الوهميّة المتعلّقة بالمحسوسات جميعاً، وقد شاع ذلك في الاستعمال، ودلّت عليه مضامين الأخبار.

قال بعض المحقّقين: إعلم أنّ جوهر الوهم بعينه، هو جوهر العقل، ومدركاته بعينها مدركات العقل، والفرق بينهما بالقصور والكمال، فما دامت القوّة العقليّة ناقصة، كانت ذات علاقة بالمواد الحسيّة، منتكسة النظر إليها، لا تدرك المعاني إلّا متعلّقة بالموادّ، مضافة إليها، وربّما تذعن لأحكام الحسّ لضعفها ، وغلبة الحواسّ والمحسوسات عليها، فتحكم على غير المحسوس حكمها على المحسوس، فما دامت في هذا المقام أُطلق عليها اسم الوهم، فاذا استقام وقوى، صار الوهم عقلاً وخلص عن الزيغ، والضلال، والآفة، والوبال، إنتهى(٢).

و المراد بعجز الأوهام عن نعته سبحانه: عجزها عن الإطلاع على كيفيّة نعته

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ج٤، ص ٢٣٢.

(٢) اي كلام بعض المحقّقين.

....

كماهي، لأنّ وصف الشيء إنّما يتصوّر إذا كان مطابقاً لما هو عليه في نفس الامر و ذلك غير ممكن، إلا بتعقّل ذاته وكنهه، لكن لا يمكن العقول تعقّل حقيقته تعالى، وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال، لأنّ ذلك التعقّل إمّا بحصول صورة مساوية لذاته تعالى وصفاته الحقيقيّة، أو بحضور ذاته المقدّسة، وشهود حقيقته.

و الأوّل: محال إذ لا مثل لذاته، وكلّ ماله مثل أو صورة مساوية له فهو ذو ماهيّة كلّيّة، وهو تعالى لا ماهيّة له.

و الثاني: محال أيضاً، إذ كلّ ما سواه من العقول والنفوس والذوات والهويّات فوجوده منقهر تحت جلاله وعظمته إنقهار عين الخفّاش في مشهد النور الشمسي، فلا يمكن العقول لقصورها عن درجة الكمال الواجبي، إدراك ذاته على وجه الاكتناه والاحاطة، بل كلّ عقل له مقام معلوم لايتعدّاه إلى مافوقه، ولهذا قال جبرئيل (عليه السّلام) حين تخلّف عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ليلة المعراج: لو دنوت أنملة لاحترقت(١) فأنّى للعقول البشريّة الإطّلاع على النعوت الالٰهيّة، والصفات الأحديّة كما هي عليه من كمالها وغايتها، الّتي لاغاية لها، وكيف يدرك مايتناهى كنه ما لا يتناهى.

فان قيل: إذا استحال حصول الحقيقة الالهيّة، والهويّة الأحديّة في شيء من المدارك والعقول فمن أين يعرف إتّصافه بصفاته الّتي وصف بها نفسه في كتبه على ألسنة رسله؟ وكيف يحكم عليه بصدق مدلولاتها؟

فالجواب: إنّ البرهان العقلي يؤدّي بنا إلى أن نعتقد أنّ سلسلة إفتقار الممكنات تنتهي إلى مبدأ موجود بذاته، وأنّه أحديّ الذات بلا تركيب بوجه، وكونه تامّ الحقيقة بلا نقص وقصور، وأنّ له من كلّ ما هو كمال للموجود بما هو موجود

---

(١) مفاتيح الغيب الصدر المتألهين: ص ١٦٢.

....

غاياتهـا ونهاياتها، وحيث لامخرج عن النقيضين فله من كلّ صفة كمـاليّة، ونعت وجودي أشرفها وأتمّها وأرفعها، فله الأسماء الحسنى، والصفات العليا.

و بالجملة ليس من شرط الحكم على أمر بمحمولات عقليّة وأوصاف كليّة، أن يوجد ذات الموضوع في العقل، وتتصوّر وتتمثّل فيه بالكنه، بل يكفي لذلك تصوّر مفهوم عنواني، يجعل عنواناً لعقد حملي يجزم العقل بسراية الحكم الموقع على العنوان إلى ما يطابقه في الواقع، وإن لم يدرك العقل كنهه.

و يحتمل أن يكون المراد، بعجز الأوهام عن نعته تعالى: عجزها عن بلوغ تمام نعته، يعني إنّ الواصفين وإن بالغوا في التوصيف، وانتقلوا من نعت إلى ما هو أشرف وأعظم عندهم، لم يبلغوا مرتبة وصفه، ولم ينعتوه بكمال نعته، بل كلّما بلغوا مرتبة من مراتب النعت والثناء كان وراءها أطوار من النعوت، أشرف وأعلى كما أشار إليه سيّد المرسلين (صلّى الله عليه وآله) بقوله: «لا اُحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»(١).

و أرشد إليه سيّد الوصيّين صلوات الله عليه بقوله: «هو فوق ما يصفه الواصفون»(٢).

تنبيه

قال بعض المحقّقين من أصحابنا المتأخّرين: لا يلزم من عدم إدراك العقول كنه كماله، وغاية جلاله، أنّ ما يدركه العارفون من صفاته بالبراهين، ويصفونه به لم

---

(١) سنن ابن ماجة: ج٢، ص ١٢٦٢، ح ٣٨٤١.

(٢) التوحيد: للصدوق ص ٥٧.

....

يكن ثابتاً في حقّه، صادقاً عليه كما زعمه كثيرمن الفضلاء قائلين: إنّ ما يدركه الإنسان من صفاته تعالى، إنّما هو سُلُوبٌ وتنزيهات فقط ، فعلمه عبارة عن نفي الجهل، وقدرته عبارة عن نفي العجز، وعلى هذا القياس في السمع والبصر وغيرهما.

و ممّا يحملهم على هذا الحسبان، ويؤكّده ما نقل عن الباقر (عليه السّلام) من قوله: «كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مثلكم مردودإليكم»(١) الحديث.

و عندنا ليس كذلك، و ليس كلّ صفاته تعالى الّتي نصفه بها سلوباً، وتنزيهات، فانّ كونه موجوداً، واجباً حقّاً، قيّوماً، عالماً، قادراً، حيّاً، سميعاً، بصيراً أوصاف ونعوت وجوديّة ليس منها من السلب في شيء.

و أمّا الحديث المنقول عن الباقر (عليه السّلام)، فيجب أن يكون المراد من المذكور فيه إدراكات النفوس الغير العارفة، أو التصوّرات الوهميّة والخياليّة الواقعة عن العقول العاميّة، كما يدلّ عليه تتمّة الحديث وهو قوله: ولعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ لله زبانتين، فانّ ذلك، كمالها، وتتوهّم أنّ عدمهما نقصان لمن لا يتّصف بهما(٢) إنتهى.

لا الصفات التى أدركها أهل الكمال بقوّة البرهان ونور الأحوال.

فان قلت: فما معنى قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «كمال التوحيد نفي الصفات عنه»(٣).

قلت: معناه نفي كونها صفات عارضة موجودة بوجود زائد كالعالم والقادر في

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانيّ: ج١، ص ١١٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج١، ص ١١٠.

(٣) التوحيد: للصدوق ص ٥٧.

....

المخلوقات فانّ العلـم فينا صفة زائدة على ذاتـنا، وكذا القدرة فينـا كيفيّة نفسانـيّة، وكذلك غيرهما من الصفات، والمراد انّ هـذه المفهومات لـيست صفات له تـعالى، بـل صفـاته ذاته، وذاته صفـاتـه، لا أنّ هـناك شيئـاً هـو الـذات وأشياء أُخر هي الصفات ليلزم التركيب فيه، تعالى عن ذلك علّواً كبيراً.

و حاصله: إنّ صفـاته كلّها مـوجودة بوجود واحد هـو بعينه وجـود ذاته ، فذاته وجود، وعلم، وقدرة وحيـاة، وإرادة،وسـمع، و بصر، وهو أيضاً موجود، عـالم، قادر، حيّ، مريد، سميع، بصير، فاحفظ هذا المقام فانّه من مزلّة الأقدام.

ألا تـرى إنّ أكثر النّاس لـمّـا رأوا أنّ مفـهـومات الصفـات متغـايـرة، ظنّوا أنّ تغايـرها من حيـث المعنى والمفهوم يوجب إخـتلاف الحيثيّات الوجـوديّة، فذهبوا إلى نفي العلم والقـدرة وسائر الصفات عن ذاته، وجعلوا الذات الأحديّة خالية عن هذه النعوت الكماليّة، لكن جعلوها نائبة مناب تلك الصفات في ترتّب الآثار، فيلزم على ما ذهبوا إليه أن تكـون الأسماء والصفات كلّها مجازات من الألفاظ في حقّه تعالى، وأن لا تكون ذاته مصداقاً لشيء من معاني الأسماء والصفات، وهل هذا إلّا تعطيل محض.

بل الحقّ الحقـيق بالـتحقيـق: أنّ جميع هـذه الصفات موجود فيه بـوجود أصيل متأكّد في غايـة التأكّد، أعلى وأشرف مـن وجود غيره، فالـعلم الّذي له تـعالى أعلى وأشـرف أقسام العلم وجوداً، والـقـدرة الّتي له أوكد أنحـاء القدرة وجـوداً وتحقّقاً لا مفهوماً وماهيّة، إذ لا تفاوت بين أفراد المعنى الواحد والماهيّة الواحدة في نفس المعنى والماهـيّة، بـل إنّما التفـاوت يقـع بين أنحاء الموجودات بالـقوّة والضـعف، والوجوب والإمكان، والتقدّم والتأخّر.

هذا حاصل كلامه، وهو و إن كان خلاف ما عليه الأكثرون لكنّه عند التأمّل والتحقيق أحرى بالقبول والتصديق، والله أعلم.

إبْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِداعاً وَاخْتَرَعَهُمْ عَلىٰ مَشِيَّتِهِ اخْتِراعاً.

الابتداع والاختراع: لفظان متّحدان في المعنى لغة.

قال الجوهريّ: إبتدعت الشيء: إخترعته لا على مثال(١).

و قال الزمخشريّ في الأساس: إخترع الله الأشياء: إبتدعها من غير سبب(٢). إنتهى.

و ربّما خصّ الإبتداع بالإيجاد لا لعلّة، والإختراع بالإيجاد لا من شيء، وهو تخصيص إصطلاحي لا أصل له في اللّغة.

و «القدرة» لغة: القوّة على الشيء، واصطلاحاً: أمّا عند المتكلّمين: فهي الصفة الّتي يتمكّن معها الحيّ من الفعل وتركه بالإرادة.

و أمّا عند الحكماء، فعبارة: عن كون الفاعل إن شاء فعل و إن لم يشأ لم يفعل، سواء وجب تحقّق مقدّم الشرطيّة الاُولى، وامتناع مقدّم الشرطيّة الثانية، أم لا.

و قدرته تعالى، قيل: هي عبارة عن نفي العجز عنه.

و قيل: هي فيض الأشياء عنه بمشيّته الّتي لا تزيد على ذاته، وهي الغاية(٣) الأزليّة.

و قيل: هي علمه بالنظام الأكمل من حيث أنّه يصحّ صدور الفعل عنه.

و قيل: هي كون ذاته بذاته في الأزل، بحيث يصحّ منها خلق الأشياء فيما لا يزال علىٰ وفق علمه بها، فهي عين ذاته.

و اشتقاق القدرة من القدر، لأنّ القادر يوقع الفعل على مقدار قوّته، أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته.

---

(١) الصحاح للجوهريّ: ج٣، ص ١١٨٣ وفيه: (أبدعت).

(٢) أساس البلاغة: ص١٥٩.

(٣) (الف) و(ج) العناية.

....

و الخلق في الأصل: مصدر بمعنى التقدير يقال: خلقت الأديم للسقاء، إذا قدّرته له قبل القطع، ثمّ أُستعمل في إيجاد الشيء وإنشائه على غير مثال سبق فقيل: خلق الله الأشياء خلقاً باعتبار الإيجاد على وفق التقدير الّذي أوجبته الحكمة، ثمّ أُطلق على المخلوق من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول مجازاً، والمراد به هنا الثقلان لإعادة ضمير العقلاء عليه، ولما سيأتي في الدعاء ممّا يدلّ على أنّ المراد به ذلك، وإن كان جميع المخلوقات يجري عليه هذا الحكم، ولك حمله على مطلق الخلق فيكون إعادة ضمير العقلاء عليه من باب التغليب، وإعادة الضمائر الآتية المعيّنة لإرادة الثقلين من باب الإستخدام، وهو وضميره في إخترعهم كلا هما مفعول به عند الجمهور.

و ذهب جماعة من الائمّة منهم الشيخ عبدالقاهر الجرجانيّ(۱)، وفخر الدين الرازيّ، والزمخشريّ، وابن الحاجب، وابن هشام: إلى أنّ مثل ذلك مفعول مطلق، قالوا: لأنّ المفعول به ما كان موجوداً قبل الفعل، ثمّ أوقع الفاعل به فعلاً كضربت زيداً، فزيد كان موجوداً قبل الضرب وأنت فعلت به الضرب، والمفعول المطلق، ما كان فعل الفاعل فيه هو فعل إيجاده كالسماوات في: خلق الله السماوات فانّها لم تكن موجودة، بل عدماً محضاً والله تعالى أوجدها وخلقها من العدم، فكانت مفعولاً مطلقاً لا مفعولاً به.

قال ابن هشام: والّذي غرّ أكثر النحويّين في هذه المسألة: إنّهم يمثّلون المفعول المطلق بأفعال العباد وهم إنّما يجري على أيديهم إنشاء الأفعال لا الذوات، فتوهمّوا

---

(۱) هو أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن النحوي اللغوي، مؤسس علم البيان، صاحب أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز والعوامل المائة. توفّي سنة ٤٧١هجريّة.

الكنىٰ والألقاب: ج۲، ص ۱۲۸.

....

أنّ المفعول المطلق لا يكون إلّا حدثاً، ولو مثّلوا بأفعال الله تعالى لظهر لهم أنّه لا يختصّ بذلك لأنّ الله تعالىٰ موجد للأفعال والذوات جميعاً، قال: وكذا البحث في أنشأت كتاباً، وعملت خيراً(١)، إنتهى.

و أجاب الجمهور: بأنّ المفعول به بالنسبة إلى فعل غير الإيجاد يقتضي أن يكون موجوداً، ثمّ أوجد الفاعل به شيئاً آخر، فإنّ إثبات صفة غير الوجود يستدعي ثبوت الموصوف أوّلاً، وأمّا المفعول بالنسبة إلى الإيجاد فلا يقتضي أن يكون موجوداً ثمّ أوجد الفاعل فيه الوجود، بل يقتضي أن لا يكون موجوداً، وإلّا لزم تحصيل الحاصل.

و أمّا إلتزام كونه موجوداً قبل الفعل على كلّ حال، فدعوى لا دليل عليها.

و قد ألّف السبكي(٢) في هذه المسألة تأليفين، ذاهباً إلى ما ذهب إليه الجرجانيّ، والرازيّ، وغيرهما.

هذا، و لمّا كان الله تعالى، ولم يكن معه شيء، كان وجود الخلق منه، فصحّ أنّه إبتدعه و إخترعه، فلذلك أتى بالمصدرين تأكيداً لنسبة الفعلين إليه سبحانه، والغرض أنّه تعالى خلق الخلق إنشاءً وأوجده إبتداءً من غير مثال فلم يكن صنعه كصنع البشر لأنّ الصنائع البشريّة إنّما تحصل بعد أن ترسم في الخيال صورة المصنوع، وتلك الصورة تحصل تارة عن مثال خارجيّ يشاهده الصانع، ويحذو حذوه، وتارة بمحض الإلهام فانّ كثيراً مّا يفاض على أذهان الأذكياء صور أشكال

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) هو تقي الدين علي بن عبدالكافي بن علي الخزرجي الأنصاري المصري، له مصنّفات مثل شفاء السقام في زيارة خير الأنام (صلّى الله عليه وآله) ردّ فيه علىٰ ابن تيمية، ولد أول صفر سنة ٦٨٣هجريّة، وتوفّي سنة ٧٥٦هجريّة.

الكنىٰ والألقاب: ج٢ ص ٢٧٦.

....

لم يسبقهم إلى تصوّرها غيرهم فيتصوّرونها ويبرزونها في الخارج، وكيفيّة صنع الله عزّوجلّ للخلق منزّهة عن الوقوع على هذين الوجهين:

أمّا الأوّل: فلأنّه تعالى كان و لم يكن معه شيء، ولا قبل له فلا يكون خلقه مسبوقاً بمثال من صانع آخر صنع هو مثل صنعه.

و أمّا الثاني: فلأنّ الفاعل على وفق ما الهم و إن كان مبتدعاً ومخترعاً في الظاهر، لكنّه في الحقيقة ليس هو المبتدع، وإنّما المبتدع هو مفيض تلك الصورة وملهمها، فهو مفتقر في الحقيقة إلى الغير الّذي ألهمه وأفاض على ذهنه صورة ما إبتدعه ظاهراً، والله سبحانه منزّه عن الإفتقار والإحتياج فلم يكن صنعه بهذا الوجه أيضاً.

و قوله: «بقدرته» أي بنفس قدرته التي هي عين ذاته لا بشيء آخر، و إلّا لزم إختلاف الجهتين من القوّة والفعل، فلم يكن واحداً حقّاً، وهو محال.

و أمّا سائر الصنّاع والفواعل، فليسوا كذلك فانّهم بشيء غير ذواتهم، يصنعون ما يصنعون كآلة أو ملكة نفسانيّة، أو مادّة، أو معاون، وربّما إجتمع عدّة من هذه الأمور في تتميم الصنعة كالإنسان مثلاً إذا أنشأ كتاباً فانّه يحتاج إلى آلة كاليد والقلم، وإلى ملكة الكتابة،وإلى مادّة كالمداد والقرطاس، وإلى معاون يتّخذ له الآلة الخارجة، ويصلح له مادّة الكتابة.

و قوله: «على مشيّته» أي بمحض مشيّته فَعَلَى: بمعنى الباء كقولهم: إركب على اسم الله،أو هي بمعناها، أي: إخترعهم على وفق مشيّته؛ والمشيّة: اسم من شاء، كالمعيشة من عاش، وأصلها: مشيئة على مفعلة بكسر العين أُستثقلت الكسرة على الياء فنقلت إلى الساكن الصحيح قبلها وهو الشين، وبقيت الياء على حالها لمجانستها الحركة المنقولة منها فصارت مشيئة، واتّفقت النسخ هنا على ترك الهمزة وتشديد الياء وهو على إبدال الهمزة ياءً تخفيفاً وإدغام الياء في الياء وهو مطّرد فيما

....

زاد على الأصل كالخطيئة ومعناها فينا: هي توجّه النفس إلى معلوم بملاحظة صفاته، وأحواله المرغوب فيها الموجبة لحركة النفس إلى تحضيله، وهذه الحركة النفسانيّة فينا وانبعاثها لتحصيله، هي العزم والإرادة، فنسبة المشيّة إلى الارادة كنسبة الضعف إلى القوّة والظنّ إلى الجزم، فمتى حصلت الإرادة صدر الفعل لامحالة.

و مشيّته تعالى، قيل: هي عبارة عمّا يترتّب عليه أثر هذا التوجّه، ويكون بمنزلته.

و قيل: هي عبارة عن تجلّي الذات والعناية السابقة لايجاد المعدوم، أو إعدام الموجود، فهي أعمّ من الإرادة إذ الإرادة عبارة عن تجلية الإيجاد المعدوم، فهي لا تتعلّق دائماً إلّا بالمعدوم فانّها صفة تخصّص أمراً بالحصول، ووجوده ومن تتبّع مواضع إستعمالات المشيّة والإرادة في القرآن يعلم ذلك، وإن كان بحسب اللّغة يستعمل كلّ منهما مقام الآخر.

و قال بعض المحقّقين: لمشيّته تعالى معنيان.

أحدهما: كون ذاته سبحانه بحيث يختار ما هو الخير والصلاح، فنفس ذاته المقدّسة مشيئته لما يشاء ويختار كما أنّها علم بالأشياء وإرادة لما يريد ويفعل، فالمشيّة بهذا المعنى صفة كماليّة قديمة هي عين ذاته.

و الثاني: إيجاده للأشياء بحسب إختياره، وهي صفة حادثة بحدوث المخلوقات لا تتخلّف المخلوقات عنها وليست صفة زائدة على ذاته تعالى، ولا على المخلوقات، بل هي نسبة بينهما تحدث بحدوث المخلوقات، وهذا المعنى يأتي للارادة أيضاً، فالمشيّة والإرادة بهذا المعنى من صفات الفعل، وبالمعنى الأوّل من صفات الذات إنتهى(١)

---

(١) اي كلام بعض المحقّقين.

....

إذا عرفت ذلك فلا يتعيّن كون المراد بالمشيّة في قوله (عليه السّلام): واخترعهم على مشيّته، المشيّة بالمعنى الثاني كما وقع لبعضهم، حيث قال: هذه المشيّة محدثة من صفات الأفعال لا من صفات الذات القديمة الّتي لا تتعلّق بالخلق وإنّما هي باعتبار النسبة بين ذاته تعالى والخلق، وليست هذه الإرادة بالحقيقة إلّا عين الخلق، وعلى هذا ليست المغايرة بين المشيّة والمخلوقات، إلّا بالإعتبار إنتهى (١) .

بل الأولى إن لم يكن متعيّناً، أن يكون المراد بها المشيّة بالمعنى الأوّل لأنّ المقصود وصفه تعالى بأنّه إخترع الخلق على مقتضى مشيّته إختياراً لا بالقسر(٢) ولا بالقهر ولا بالايجاب الذى لا يكون عن إرادة ومشيّة كفعل الطبائع العديمة الشعور، والمسخّرة في أفعالها لأنّ الإيجاب ينافي القدرة.

وأيضاً صدور الحادث عن القديم بطريق الإيجاب يوجب تخلّف المعلول عن تمام علّته حيث وجدت العلّة في الأزل دون المعلول، وإنّه إخترعهم على ما إقتضته مشيّته الّتي هي نفس ذاته، ووجوده من غير كثرة من تركيب صفة أو تشريك أحد، لأنّ مشيّته كعلمه وقدرته ليست غير ذاته ليلزم أن يكون لغيره تأثير في فعله، فانّ من فعل فعلاً بمشيئة وإرادة زائدة على ذاته، كان محتاجاً في مشيّته وإرادته إلى مرجّح زائد عليه يرجّح أحد طرفي مقدوره لتعلّق الإرادة به، فكانت مستكملة بذلك المرجّح وكلّ مستكمل بغيره فهو ناقص في ذاته، والله سبحانه منزّه عن النقصان.

ولا يخفى أنّ المشيّة بهذا المعنى ليست إلاّ الصفة القديمة الكماليّة التي هي عين الذات المقدّسة، أي كون ذاته بحيث تختار ما تختار.

وأمّا المشيّة المحدثة الّتي هي بمعنى الإيجاد والإحداث فالإختيار سابق عليها، ولهذا قال بعض المدقّقين: إطلاق الخلق في الإرادة والمشيّة لا يصحّ إلّا مجازاً.

---

(١) اي كلام البعض.

(٢) قسره قسراً: قهره. المصباح المنير: ص ٦٨٩.

ثُمَّ سَلك بِهِمْ طَريقَ إرادَتِهِ، وَ بَعَثَهُمْ في سَبيلِ مَحَبَّتِهِ.

سلك الطريق سلوكاً، من باب قعد: ذهب فيه. يتعدّى بنفسه، وبالباء أيضاً، يقال: سلكت زيداً الطريق وسلكت به الطريق، وهي الفصحى، وقد يتعدّى بالألف أيضاً فيقال: أسلكته.

و الطريق والسبيل بمعنى، و كلّ منهما يذكّر و يؤنّث.

و البعث: الإرسال، وكلّ شيء ينبعث بنفسه فانّ الفعل يتعدّى إليه بنفسه فيقال: بعثته وكلّ شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهديّة فانّ الفعل يتعدّى إليه بالباء، فيقال: بعثت به.

و الإرادة فسّرها المتكلّمون بأنّها: صفة مخصّصة لأحد المقدورين.

و قيل: هي في الحيوان شوق متأكّد إلى حصول المراد.

و قيل: إنّها مغايرة للشوق، فانّ الإرادة هي الإجماع وتصميم العزم، وقد يشتهي الإنسان ما لا يريده كالأطعمة اللّذيذة بالنسبة إلى العاقل الّذي يعلم ما في أكلها من الضرر، وقد يريد ما لا يشتهيه كالأدوية البشعة(١) النافعة التي يريد الإنسان تناولها لما فيها من النفع، وفرّق بينهما بأنّ الإرادة ميل إختياري والشوق ميل جبلّي طبيعي، قيل: ولهذا يعاقب الإنسان المكلّف بإرادة المعاصي ولا يعاقب باشتهائها.

و إرادة الله سبحانه و تعالى، قيل: هي صفة توجب للحقّ حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه.

و قيل: هي علمه بنظام الكلّ على الوجه الأتمّ الأكمل من حيث أنّه كاف في وجود الممكنات، ومرجّح لطرف وجودها على عدمها، فهي عين ذاته وهو الحقّ.

و المحبّة فينا: ميل النفس أو سكونها بالنسبة إلى ما يوافقها عند تصوّر كونه

---

(١) طعام بشع: فيه كراهة و مرارة. المصباح المنير: ص ٦٩.

....

موافقاً وملائماً لها، وهو مستلزم لأرادتها إيّاه. ولمّا كانت المحبّة بهذا المعنى محالاً في حقّه تعالى فالمراد بها ذلك اللّازم وهو الإرادة.

قال إبن ميثم(١) في شرح النهج: المحبّة منه تعالى: إرادة، هي مبدأ فعل ما، ومحبّته للشيء: هي إرادته(٢).

و قال بعض العلماء: المشيّة والإرادة قد تخالفان المحبّة، كما قد نريد نحن شيئاً لانستلذّه كالحجامة وشرب الدواء الكريه الطعم، فكذلك ربما إنفكّت مشيّة الله وإرادته عن محبّته ورضاه، إنتهى.

و على هذا فالإرادة(٣) أعمّ من المحبّة، لأنّ كلّ محبوب مراد، دون العكس،

---

(١) هو كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، العالم الربّاني، والفيلسوف المتبحّر، صاحب الشروح على نهج البلاغة. ولد في البحرين وتوفى فيها سنة (٦٧٩)هجريّة أو (٦٩٩)هجريّة أو مابينهما. وقد ألّف هذا الشرح للخواجة علاءالدين الجويني الوزير الذي توفّي سنة (٦٨٠)هجريّة، وهو من أجلّاء وزراء الشيعة.

الكنى والألقاب: ج١، ص ٤١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج١، ص ٣١١.

(٣) لعلّ المراد أنّه سبحانه أقهرهم على ما أراده بالارادة التكوينيّة واضطرّهم في جريان ما قدّره وقضاه عليهم من الأمور المستندة إليه تعالى، وليس للعباد فيها مدخليّة أصلاً كالسعادة والشقاوة والتوفيقات والخذلانات والموت والحياة والآجال والأعمار والأرزاق والصحّة والسقم وأمثالها، لا أنّه أقهرهم وأجبرهم على الفعل أو الترك فيما هم مدخليّة فيه ويستند إليهم من أفعالهم الإختياريّة وتكاليفهم الشرعيّة المرادة بالارادة التكليفيّة.

فان قيل: إذا قلتم بخلق السعادة والشقاوة في السعيد والشقي إضطراراً فقد إلتزمتم انّه تعالى اضطر السعيد بفعل الخيرات، والشقي بتركها. فانّ السعادة موجبة لفعل الخيرات والشقاوة موجبة لتركها، فما معنى الاختيار وحسن التكليف؟

قلنا: انّه تعالى خلق السعيد فخلقت السعادة بخلقه و خلق الشقيّ فخلقت الشقاوة بخلقه لا أنّه خلقهما فخلق السعادة والشقاوة فيهما، والملخّص أنّ السعيد بشرط الوجود وسائر شرائط الفعل موجب

....

والمعنى: إنّه تعالى جعلهم منقادين لإرادته، مذعنين لحكمه كما أراد وأحبّ.

و قيل: معناه أنّه ألهمهم ويسّرهم لما خلقهم له، ولما كتب في الّلوح المحفوظ عليهم بحسب إرادته ومشيّته، ومساق حكمته الإلهيّة، أو كنّى بالسلوك والبعث عن توجيه الأسباب بحسب القضاء الإلهى عليهم بذلك.

و قيل: معنى سلك بهم طريق إرادته: سيّرهم في كلّ طريق أراده، أو جعلهم مريدين لإرادته كما قال: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»(١).

و معنى بعثهم في سبيل محبّته: إنّه وهبهم محبّته، فالإضافة من باب إضافة المصدر إلى المفعول.

فان قيل: الضمير في بعثهم راجع إلى جميع الخلق، ومنهم من هو عدو لله فكيف يصحّ التعميم حينئذ؟

قلنا: كلّ نفس بحسب غريزتها وطبيعتها الفطريّة الّتي فطر النّاس عليها مُحبّة للخير وطالبة له،وجميع الخيرات رشح من خيره تعالى كما أنّ الموجودات كلّها رشح من وجوده، فهي إذن ليست محبّة إلّا لله سبحانه بالحقيقة سواء كان بحسب الظاهر للحسن والجمال أو للجاه والمال أو غيرذلك.

و من هنا قال صاحب الفتوحات: ما أحبّ أحد غير خالقه، ولكن إحتجب عنه تعالى تحت زينب، وسعاد، وهند، وليلى، والدرهم، والدينار، والجاه وكلّ ما في العالم فانّ الحبّ أحد سببيه الجمال وهو له تعالى لأنّ الجمال محبوب لذاته والله

لإرادة الخيرات والحسنات لسعادته الذاتيّة، والشقي أيضاً بعد تحقق الشرائط موجب لإرادة الشرور والسيّئات لشقاوته الذاتية، وأثر الفاعل هو وجودالذات بالذات، و وجود الذاتيات بالتبع دون نفس الذات، وما يستند إليها بانّ توسط الجعل بين الشيء و ذاته و ذاتيّاته غير معقول،تأمّل فيه فانّه تنحلّ به إشكالات كثيرة.

(١) سورة الإنسان: الآية ٣٠.

لاٰ يَمْلِكُونَ تَأخُّراً عَمّاٰ قَدَّمَهُمْ إلَيْهِ،وَلاٰ يَسْتَطيعوُنَ تَقَدُّماً إِلىٰ ماٰ أَخَّرَهُمْ عَنْهُ.

جميل يحبّ الجمال، فيحبّ نفسه.

و سببه الآخر الإحسان، وماتمّ الإحسان إلّا من الله ولا محسن إلّا الله. فان أحببت للجمال فما أحببت إلّا الله لأنّه الجميل وإن أحببت للاحسان فما أحببت إلّا الله لأنّه المحسن، فعلى كلّ وجه ما متعلّق المحبّة إلّا الله(١)

و إلى ذلك أشار ابن الفارض حيث قال:

و كلُّ مليحٍ حُسْنُهُ مِنْ جمالِها معارله بل حُسْنُ كلّ مليحة(٢)

ملك الشيء ملكاً، من باب ضرب: إحتواه قادراً على الإستبداد به*.

و الملك بالكسر: اسم منه.

و الإستطاعة: الطاقة و القدرة، يقال: إستطاع يستطيع، وقد تحذف التاء فيقال: إسطاع يسطيع -بالفتح- ويجوز بالضمّ.

قال أبو زيد (٣) :شبّهوهما بأفعل يفعل إفعالاً(٤) والجملتان حاليّتان إحداهما معطوفة على الأُخرى، أي حال كونهم لا يقدرون على خلاف ماحدّه لهم من تأخّر أو تقدّم، بل طائعين لأمره منقادين لحكمه، وهذا لاينافي الإستطاعة فانّه غاية ما يدلّ على أنّ الله تعالى إذا أراد شيئاً لا يقع غيره، وما قدّمه وأخّره لا يقع خلافه، وبعثهم في سبيل المحبّة على المعنى الأوّل ممّا يؤيّد ذلك ، وهذا كقول أمير المؤمنين (عليه السّلام) في خطبة الأشباح: «قدّر ما خلق، فأحسن تقديره، ودبّره فألطف

---

(١) الفتوحات المكية: ج٢ص٣٢٦. (٢) **ديوان ابن الفارض: ص٧٠**

(٣) هو سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي البصري النحوي اللغوي أبوزيد، كان من ائمة الأدب غلبت عليه اللغة والنوادر والغريب. من مصنّفاته الكثيرة: القوس والترس، الإبل، بيوتات العرب. ولد بالبصرة سنة ١١٩هجريّة. وتوفّى بها سنة ٢١٥هجريّة. الكنى والألقاب: ج١، ص ٧٧.

(٤) المصباح المنير: ص ٥٢٠ وفيه: «شبهوها».

وَ جَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ.

تدبيره، ووجّهه لوجهته، فلم يتعدّ حدود منزلته ولم يقصّر دون الإنتهاء إلى غايته، إذ أمره بالمضيّ على إرادته كيف وإنّما صدرت الأمور عن مشيّته»(١) *.

جعل من الأفعال العامّة تجيئ على ثلاثة أوجه:

بمعنى: صار، وطفق فلا يتعدّى كقوله:

وقد جعلت قلوص بني زيادٍ   من الأكوارِ مرتعُها قريبٌ(٢)

وبمعنى: خلق، وأوجد فيتعدّى إلى مفعول واحد كقوله تعالى: «وَجَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَالنُّورِ»(٣).

وبمعنى صيّر، ويتعدّى إلى مفعولين كقوله تعالى: «جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرٰاشاً»(٤).

إذا علمت ذلك، فَجَعَلَ في المتن: بالمعنى الثاني أي: خلق وأوجد، والظرف متعلّق به، وتقديمه على المفعول للتشويق إليه، لأنّ النفس عند تأخير ما حقّه التقديم لاسيّما بعد الاشعار بمنفعة تبقى مترقّبة فيتمكّن بها عند وروده عليها فضل تمكّن، أو لما في المؤخّر ووصفه من نوع طول لو قدّم لفات تجاذب أطراف نظم الكلام البليغ.

ويحتمل أن يكون بالمعنى الثالث أي التصيير المتعدّي إلى مفعولين فيكون أوّلهما قوتاً وثانيهما الظرف المتقدّم على ما هو مقتضى الصناعة فانّ مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره،أوّلهما الأوّل،وثانيهما الثاني، وهما في الأصل مبتدأ وخبر والأصل: لكل روح منهم قوت ،ثم قيل: صار لكلّ روح منهم قوت، ثمّ صيّر لكل

---

(١) سرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج٢، ص ٣٤١، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) مغني اللبيب: ص ٣١٠ رقم الشاهد ٤٢٣ وفيه: «بني سهيل».

(٣) سورة الانعام: الآية ١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢.

....

روح منهم قوتاً فمعناه: جعل قوتاً موصوفاً بالوصف المذكور كائناً لكلّ روح منهم، فانّ خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدّر العامل في الظرف.

و لا يخفى أنّ الذي يقتضيه المقام ما ذكرناه أوّلاً وهو الإخبار بجعل القوت أي إيجاده لكلّ روح منهم.

و الروح، بضمّ الراء المهملة بعد الواو حاء مهملة: يذكّر و يؤنّث كما نصّ عليه الجوهري(١)، وصاحب المحكم(٢).

و قال ابن الأنباري(٣)، وابن الأعرابيّ: الروح والنفس واحد غير انّ العرب تذكّر الروح وتؤنّث النفس(٤)، وهو لغة: مابه الحياة، وعرفاً: يطلق لمعنيين:

أحدهما: البخار اللطيف النابع من تجويف القلب الجسماني المنتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر البدن، وهو الحامل لقوّة الحياة والحسّ ويشبه بالسراج الذي يدار في البيت فانّه لا ينتهي إلى جزء من أجزاء البيت إلّا ويستنير به، فالحياة مثل النور الحاصل في الحيطان، والروح مثل السراج وحركته في الباطن مثل حركة السراج في زوايا البيت، والأطبّاء إذا أطلقوا الروح أرادوا به هذا المعنى وفيه

---

(١) الصحاح: ج١، ص ٣٦٧.

(٢) المحكم والمحيط الاعظم في اللغة لابن سيدة: ج٣، ص ٣٩٢.

(٣) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار اللغوي النحوي، أملى كتباً كثيرة منها: غريب الحديث، وشرح المفضّليّات، توفّي سنة ٣٢٨هجريّة، وقد يطلق ابن الأنباري على أبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي الوفاء النحوي، اشتغل عليه خلق كثير وصاروا علماء ببركته توفّي سنة ٥٧٧هجريّة. والانباري نسبة الى الأنبار قرب بغداد، سميّت بذلك لأن الملوك الأكاسرة كانوا يخزنون فيها الطعام.

الكنى والألقاب: ج١، ص ٢٠٩.

(٤) المصباح المنير للفيومي: ص ٣٣٤.

....

يتصرّفون بتعديل مزاج الأخلاط. وهو أوّل ما يتعلّق به الروح بالمعنى الثاني، وبواسطته يتعلّق بسائر البدن.

الثاني: ما يشير إليه الانسان بقوله: أنا أعني النفس الناطقة المستعدّة للبيان وفهم الخطاب وهو المراد هنا.

قيل: و الذي نطقت به الكتب الإلهيّة، ودلّت عليه الآثار النبويّة، واتّفق عليه المحقّقون من الحكماء وأهل الملل أنّه جوهر مجرّد في ذاته، متعلّق بالبدن تعلّق التدبير والتصرّف، والحياة: عبارة عن هذا التعلّق،والموت: هو قطع هذا التعلّق مع بقاء الروح في ذاته كما صرّح به كثير من الخاصّة والعامّة، وقد تحيّر العقلاء في كيفيّة هذا التعلّق واعترفوا بالعجز عن إدراكه كما تحيّروا في حقيقة الروح وعجزوا عن إدراك كنهه حتّى قال بعضهم: إنّ قول أمير المؤمنين (عليه السّلام): «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»(١) معناه إنّه كما لا يمكن التوصّل إلى معرفة النفس أعني الروح لا يمكن التوصّل إلى معرفة الربّ.

و قوله تعالى: «وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلَّا قَلِيلاً»(٢) ممّا يعضد ذلك.

و قال بعض علمائنا المتأخّرين: المستفاد من الأخبار عن الائمّة الأطهار: إنّ الروح شبح مثاليّ على صورة البدن.

و كذلك عرّفه المتألّهون بمجاهداتهم، وحقّقه المحقّقون بمشاهداتهم، فهو ليس بجسماني محض ولا بعقلاني صرف، بل برزخ بين الأمرين ومتوسّط بين النشأتين من عالم الملكوت، وللأنبياء والأولياء (عليهم السّلام) روح آخر فوق ذلك هو

---

(١) غرر الحكم و درر الكلم: ج٢، رقم ٣٠١، وبحار الأنوار: ج٢، ص ٣٢، ح٢٢.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٨٥.

....

عقلاني صرف وجبروتي محض، إنتهى.

هذا :و لمّا كان للروح وجودان: وجود حقيقي، و هو وجوده لنفسه، ووجود نسبي، و هو وجوده للبدن، و كان الانسان في هذه النشأة عبارة عنه بوجوده الثاني الذي هو تعلّقه بالبدن وتدبيره له، وكان البدن لا يقوم إلّا بالقوت. وحفظه بالغذاء إلىٰ أجل معلوم، جَعَلَ القوت للروح لأنّه المقصود بخلقة هذا البدن إذ كان الغرض من إيجاده تعلّق الروح به.

و قال بعضهم: إنّ الغذاء كما ينفع البدن، ينفع الروح أيضاً، إمّا باعتبار تعلّقه بالبدن وبجوهر الروح البخاري، وإمّا باعتبار إنّ الغذاء إذا كان جيّداً مولّداً للدم ينتفع الروح به من حيث البهجة والسرور، كما يتضرّر به إذا كان مولّداً للسوداء من حيث الحزن والغمّ، إنتهى.

و لا يخفى إنّ الاعتبار الثاني ساقط عن درجة الاعتبار.

و وقع في نسخة ابن إدريس: لكلّ زوج، بالزاي والجيم، والزوج: ما يكون له نظير كالأصناف والألوان، أو نقيض كالذكر والأُنثى.

قال ابن دريد:(١) والزوج كلّ اثنين ضدّ الفرد(٢)، وتبعه الجوهري فقال: و يقال للاثنين المتزاوجين: زوجان وزوج أيضاً، تقول: عندي زوج نعال(٣) تريد

---

(١) هو أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي القحطاني البصري الشيعي الإمامي، عالم، فاضل، أديب، حفوظ. شاعر، نحوي، لغوي، كان واسع الرواية لم ير أحفظ منه. له مصنّفات منها: كتاب الجمهرة وهو من الكتب المعتبرة في اللغة، توفي ببغداد سنة (٣٢١)هجريّة وقال النّاس بوفاته: مات علم اللغة. وقد عدّه ابن شهراشوب من شعراء أهل البيت عليهم السّلام.

الكنىٰ والألقاب:ج١، ص ٢٧٣.

(٢) جمهرة اللغة: لابن دريد: ج٢، ص ٢٣.

(٣) الصحاح للجوهري: ج١، ص ٣٢٠.

....

اثنين، وزوجان تريد أربعة.

و قال ابن قتيبة: الزوج يكون واحداً ويكون اثنين وقوله تعالى: «مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اِثْنَيْنِ» هو هنا واحد(١)، وكذلك قال أبو عبيدة(٢)، وابن فارس(٣).

و قال الازهري: وأنكر النحويون، أن يكون الزوج اثنين،والزوج عندهم الفرد، وهذا هو الصواب(٤).

و قال ابن الأنباري: والعامّة تخطئ فتظنّ إنّ الزوج اثنان، وليس ذلك من مذهب العرب إذ كانوا لا يتكلّمون بالزوج موحّداً في مثل قولهم: زوج حمام، و إنّما يقولون زوجان من حمام وزوجان من خفاف ولا يقولون للواحد زوج بل للذكر فرد وللأنثى فردة(٥).

وقال السجستاني(٦) أيضاً: لا يقال للا ثنين زوج لا من الطير ولا من غيره، فانّ ذلك من كلام الجهّال ولكن كلّ اثنين زوجان.

و استدلّ بعضهم لهذا بقوله تعالى: «خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْاُنْثٰى» وأمّا تسميتهم الواحد بالزوج فمشروط أن يكون معه آخر من جنسه(٧)، إنتهى.

و قال الزمخشري في الفائق: كلّ شيئين مقترنين شكلين كانا أو نقيضين فكلّ

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص ٧٣.

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج١، ص ٣٢١.

(٣) راجع المصباح المنير: ص ٣٥٢.

(٤) تهذيب اللغة للازهريّ: ج١١، ص ١٥٤.

(٥) كتاب الاضداد للانباريّ: ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٦) هو سهل بن محمّد بن عثمان السجستاني وقد تقدّم ذكره ص١٤١ وسجستاني منسوب الى سجستان معرّب سيستان.

(٧) المصباح المنير: ص ٣٥٢.

....

واحد منهما زوج وهما زوجان كقولك: معه زوجا حمام، وزوجا نعال(١).

و قال الهروي(٢) في الغريبين: الزوج في اللغة: الواحد الذي يكون معه آخر، والاثنان زوجان يقال: زوجا خفّ(٣).

و قال الراغب(٤) في تفسيره: الزوج يقال لكلّ واحد من القرينين من الذكر والأُنثى في الحيوان وغيره كزوج الخفّ والنعل، ولكلّ ما معه مقارن مماثل، أو مضادّ مركّب معه، أو مفرد إنتهى(٥)

إذا عرفت ذلك فالمراد بالزوج هنا: الفرد الذي له قرين كأنّه قال: وجعل لكلّ واحد من الزوجين منهم قوتاً معلوماً، فانّ كلّ ما خلقه الله تعالى جعله زوجين كما قال سبحانه: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ»(٦).

و قيل: المراد بالزوج هنا: النوع أو الصنف لا المتزاوجان،فالمعنى لكلّ نوع وصنف.

قال ابن الأثير: الأصل في الزوج: الصنف، أو النوع لكلّ شيء(٧).

---

(١) الفائق: ج٢، ص ١٣٤.

(٢) هو أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عبيد العبدي الهروي صاحب كتاب الغريبين الذي جمع فيه بين تفسير غريب القرآن والحديث النبويّ، وكان من العلماء الأكابر، توفي سنة ٤٠١هجريّة.
الكنىٰ والألقاب: ج٣، ص ٢٤٢.

(٣) الغريبين للهروي: مخطوط في جامعة طهران ذيل باب الزاى مع الواو.

(٤) هو ابو القاسم الحسين محمد بن المفضّل الراغب الاصبهاني، الفاضل المتبحّر الماهر في اللغة والعربية والحديث والادب، له مصنّفات فائقة مثل: المفردات في غريب القرآن، وأفانين البلاغة، والمحاضرات، والذريعة الى مكارم الشريعة، توفّي سنة ٥٠٢هجريّة.
الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص ٢٤٠.

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب: ص ٢١٥.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٤٩.

(٧) النهاية لابن الأثير: ج٢، ص ٣١٧ وفيه: «من كلّ».

....

و قال بعضهم: لا يبعد أن يكون المراد بالزوج على هذه النسخة، النفس الناطقة مع البدن فيؤول إلى معنى الروح، على النسخة المشهورة وذلك لكونهما شفعاً مركّباً بينهما، إنتهى.

و لا خفاء بما فيه من التمحّل(١).

و قال آخر: كلّ ممكن زوج تركيبي: لتركيبه من الذات والوجود الزائد عليها مثلاً، وكلّ واحد منهما مزدوج بالآخر وزوج لصاحبه وهما زوجان.

و قال العلامة النيسابوري: في تفسير قوله تعالى: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ» وقد يدور في الخلد انّ الآية إشارة إلى أنّ كلّ ما سوى الله تعالى فانّه مركّب نوع تركيب لا أقلّ من الإمكان والوجود أو الجنس والفصل، أو المادّة والصورة(٢)، إنتهى.

و القوت بالضمّ: ما يؤكل ليمسك الرمق، و منه الحديث: «اللّهم اجعل رزق آل محمّد قوتاً»(٣) أي بقدر ما يمسك الرمق من المطعم.

و في الدعاء من طريق العامّة: «و جعل لكلّ منهم قيتة مقسومة من رزقه»(٤) وهي فعلة من القوت، كميتة من الموت.

و في نسخة قديمة: و جعل لكلّ ذي روح، و هو ظاهر المعنى.

و (من) في قوله: «منهم»، إبتدائيّة أو بيانيّة.

قوله (عليه السّلام): «معلوماً» أي معلوم الوصف والقدر والوقت على حسب ما تقتضيه الحكمة، وتستدعيه الإرادة التابعة لها، لا بما تقتضيه القدرة فانّ ذلك غير

---

(١) تمحّل: أي احتال، فهو متمحّل. الصحاح: ج٥، ص ١٨١٧.

(٢) غرائب القران ورغائب الفرقان: ج٣، في ذيل الآية ٤٩ من سورة الذاريات.

(٣) سنن ابن ماجة: ج٢، ص ١٣٨٧، ح ٤١٣٩.

(٤) النهاية لابن الاثير: ج٤، ص ١١٩.

....

متناهٍ إذ تخصيص كلّ شيء بصفة معيّنة وقدر معيّن ووقت محدود، دون ما عدا ذلك مع إستواء الكلّ في الإمكان.

و استحقاق تعلّق القدرة به لابدّ له من حكمة تقتضي إختصاص كلّ من ذلك بما إختصّ به، وهذا البيان سرّ عدم تكوين الأشياء لا على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة كما قال تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ»(١)

قوله: «مقسوماً» أي: معيّناً مفروزاً عن غيره، قسمة تقتضيها مشيّته المبنيّة على الحكمة والمصلحة ولم يفوّض أمره إليهم علماً منه بعجزهم عن تدبير أنفسهم كما قال تعالى: «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا»(٢).

قوله: «من رزقه» إمّا متعلّق بجعل أو بقوله مقسوماً.

و (من): يحتمل أن تكون إبتدائيّة و بيانيّة و تبعيضيّة.

و الضمير: إمّا راجع إلى الله تعالى فيكون من باب إضافة الشيء إلى فاعله تأكيداً لجعله أو قسمته، ليثق الانسان بوصول ما قدّره الله إليه، فيكفّ عن الحرص والهلع في طلبه، أو إلى الروح، فيكون من باب إضافة الشيء إلى صاحبه بياناً لعنايته سبحانه به و تمليكه مايحتاج إليه.

و الرزق في اللّغة: العطاء، ويطلق على النصيب المعطى نحو ذبح ورعى -بالكسر- للمذبوح والمرعيّ.

و قيل: هو بالفتح: مصدر، و بالكسر: اسم.

و في العرف: أمّا عند الأشاعرة فهو ما انتفع به حيّ سواء كان بالتغذّي أو

---

(١) سورة الحجر: الآية ٢١.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣٢.

....

غيره، مباحاً كان أو حراماً.

و ربّما قال بعضهم: هو ما يتربّى به الحيوانات من الأغذية والأشربة لا غير.

قال الآمدي:(١) و التعويل على الأوّل(٢).

و أمّا المعتزلة: فلمّا أحالوا تمكين الله تعالىٰ من الحرام لأنّه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه، قالوا: هو ما صحّ إنتفاع الحيوان به وليس لأحد منعه منه، فلا يكون الحرام رزقاً، واستدلّوا بقوله تعالىٰ: «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونْ»(٣) حيث أسند الرزق إلى نفسه إيذاناً بأنّهم ينفقون من الحلال الطيّب الطلق، فانّ إنفاق الحرام بمعزل عن إيجاب المدح وبقوله تعالىٰ: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَحَلالاً»(٤) حيث ذمّ المشركين على تحريم ما رزقهم الله.

و تمسّكت الأشاعرة لشمول الرزق لهما بما رووه عن صفوان بن أُميّة، قال: كنّا عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إذ جاء عمر بن قرّة فقال: يا رسول الله إنّ الله كتب عليّ الشقوة فلا أراني أُرزق إلّا من دفّي بكفّي فأذن لي في الغناء، فقال (عليه السّلام): «لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة، كذبت أي عدوّ الله، والله لقد رزقك الله حلالاً طيّباً فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك

---

(١) هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيىٰ الآمدي الأصل، البصري المولد والمنشأ، له تصانيف كثيرة منها: المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء، ومعاني شعر البحتري، كتاب فَعَلْت وأفْعَلْت، والموازنة بين أبي تمام والبحتري، وغيرها، توفي سنة ٣٧١هجريّة.

بغية الوعاة: ص ٢١٨.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣.

(٤) سورة يونس: الآية ٥٩.

....

من حلاله(١)، وبأنّه لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المتغذّي به طول عمره مرزوقاً، وقد قال الله تعالىٰ: «وَمٰا مِنْ دٰابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاّٰ عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهٰا»(٢).

و أجابت المعتزلة عن الحديث: بالطعن في سنده تارة، وبالتأويل على تقدير صحّته أُخرى، بأنّ إطلاق الرزق على الحرام لمشاكلة قوله: فلا أراني أُرزق، كقوله تعالى: «وَمَكَرُوا وَمَكَرَاللّٰهُ»(٣).

و باب المشاكلة و إن كان نوعاً من المجاز لكنّه واسع كثير الورود في القرآن والحديث، فاش في نظم البلغاء ونثرهم. وعن قولهم: «لولم يكن الحرام رزقاً لم يكن المتغذّي به طول عمره مرزوقاً»، بإنّ مادّة النقض لابدّ وأن تكون متحقّقة وليس كذلك، إذ لٰا يتصوّر حيوان كذلك. أمّا غير الإنسان فلأنّه لٰا يتصوّر بالنسبة إليه حلّ ولا حرمة.

و أمّا الإنسان فلو لم يأكل من الحلال إلّا مدّة عدم التكليف لكفى في دفع النقض.

و أيضاً: فالرزق أعمّ من الغذاء باجماع المعتزلة وجمهور الأشاعرة، ولا يشترط الإنتفاع به بالفعل فالمتغذي طول عمره بالحرام إنّما يرد لو لم ينتفع مدّة عمره بشيء إنتفاعاً محلّلاً ولا يشرب الماء والتنفّس في الهواء، بل ولا تمكّن من الانتفاع بذلك أصلاً، وظاهر إنّ هذا ممّا لٰا يوجد.

و للمعتزلة أن يقولوا أيضاً: لو مات حيوان قبل أن يتناول شيئاً حلٰالاً ولٰا حراماً، يلزم أن يكون غير مرزوق فما هو جوابكم فهو جوابنا.

---

(١) سنن ابن ماجة: ج٢، ص ٨٧١ - ٨٧٢ مع اختلاف يسير وحذف في العبارة.

(٢) سورة هود: الآية ٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٤.

....

تبصرة

لك أن تجعل كلاً من القوت والرزق في الدعاء أعمّ من الجسماني والروحاني، فانّ الإنسان كما علمت مركّب من البدن والروح، فكما أنّ البدن محتاج في بلوغ كماله إلى قوت شبيه به في الجسميّة ليزيد في قدره الّلائق به ويكمل في ذاته، كذلك الروح محتاج إلى قوت مناسب له شبيه به في الروحانيّة ليقوّيه ويبلغ به غاية كماله، وهو العلم والمعرفة.

و إطلاق القوت والطعام على الغذاء الروحاني شائع كقوله (عليه السّلام): «أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني»(١) ومعلوم أنّ طعامه (صلّى الله عليه وآله) عند ربّه ليس من جنس أطعمة الحيوانات اللحميّة، ولا شرابه من جنس هذه الأشربة، وانّما المراد طعام العلم وشراب المعرفة.

و عن زيد الشحّام(٢) عن أبي جعفر (عليه السّلام) في قول الله تعالى: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ» قال: قلت: ما طعامه؟ قال: علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه(٣).

فإذن الإنسان محتاج إلى كلّ من القوتين، فكما جعل لكلّ قوتاً جسمانياً معلوماً

---

(١) سنن الدارمي: ج٢، ص ٨.

(٢) هو أبو أسامة الأزدي زيد بن يونس الشحّام، عدّه الشيخ الطوسي (رحمه الله) مرة من رجال الباقر (عليه السّلام) وأخرىٰ من أصحاب الصادق (عليه السّلام). وجعله الشيخ المفيد من فقهاء أصحاب الصادقين (عليهما السّلام). وقال عنه الشيخ أيضاً في الفهرست: ثقة له كتاب.

تنقيح المقال: ج١، ص ٤٦٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٨، ص ٤٣ ح ١٠.

لاٰ يَنْقُصُ مَنْ زاٰدَهُ ناٰقِصٌ، وَلاٰ يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زاٰئِدٌ.

مقسوماً من رزقه جعل له قوتاً روحانيّاً معلوماً مقسوماً من رزقه وبذلك إحتجّ عليه ووجّه الخطاب إليه.

قال بعض العارفين: لكلّ أحد نصيب من لوامع إشراقات نوره قلّ أو كثر، فله الحجّة على كلّ أحد بما عرفه من آيات وجوده، ودلائل صنعه وجوده، فوقع التكليف بمقتضى المعرفة، والعمل بموجب العلم، والله أعلم *.

نقص الشيء نقصاً من باب قتل: ذهب منه شيء بعد تمامه، ونقصته أنا: يتعدّي ولاٰ يتعدّىٰ، هذه هي اللغة الفصيحة وبها جاء التنزيل في قوله تعالى: «نَنْقُصُهاٰ مِنْ أَطْراٰفِهاٰ»(١) وقوله: «غَيْرَ مَنْقُوص»(٢).

و في لغة ضعيفة يتعدّى بالهمزة والتضعيف، قالوا: ولم يأت في كلام فصيح ويتعدّي بنفسه أيضاً إلى مفعولين فيقال: نقصت زيداً حقّه.

و كذا (زاد): يستعمل لازماً ومتعدّياً إلىٰ واحد و إلى إثنين فيقال: زاد الشيء وزدته أنا، وزدت زيداً درهماً.

إذا عرفت ذلك فقوله ينقص مضارع نقص المتعدّي إلى واحد، ومن زاده مفعول مقدّم، وناقص فاعله وهو اسم فاعل منه.

و كذا قوله يزيد، مضارع زاد المتعدّي إلىٰ واحد، ومن نقص منهم: مفعول. ومفعول نقص محذوف أي نقصه منهم.

و حذف المفعول يكثر إذا كان ضميراً عائداً إلى الموصول كقوله تعالىٰ: «أَهٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً»(٣) أي: بعثه.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٤١.

(٢) سورة هود: الآية ١٠٩.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٤١.

ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ في الْحَيوٰةِ اَجَلاً مَوْقُوتاً، وَنَصَبَ لَهُ اَمَداً مَحْدُوداً.

و قوله: «زائد» فاعل يزيد والكلام على حذف مضاف إذ ليس المراد تعلّق النقص والزيادة بالذات، والمعنى: إنّ من زاده الله تعالى قوته أو رزقه منهم لا ينقصه ناقص، ومن نقصه سبحانه لا يزيده زائد.

و قدّم المفعول في الفقرتين لمزيد الإعتناء ببيان فعله تعالى من الزيادة والنقصان.

و وقع في نسخة ابن إدريس: ضبط (نقص) بالبناء للمجهول والمعنى كما ذكر، غير أنّ فيه نكتة لطيفة وهي عدم إسناد النقص إليه سبحانه مع التصريح باسناد عديله أعني الزيادة إليه تعالى تأدّباً معه جلّ شأنه، وتشييداً لمعالم جوده وكرمه حتّى كان الصادر عنه تعالى هو الزيادة لا غير، وأنّ النقص صادر عن غيره جرياً على منهاج الآداب التنزيليّة في نسبة النعم والخيرات إليه عزّوجلّ دون أضدادها كما في قوله تعالى: «وَاَنّا لانَدْرى أَشَرٌّ اُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ، أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً»(١).

و قوله تعالى: «اَلَّذِي خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ»(٢) وفائدة هاتين الفقرتين التأكيد لكون القوت من الرزق معلوماً مقسوماً من لدنه سبحانه وتعالىٰ لا يستطيع غيره أن يتصرّف فيه بزيادة أونقصان *.

ثمّ: حرف عطف يقتضي الترتيب والتراخي، وفيه دلالة على أنّ تقدير الرزق مقدّم على تقدير الأجل.

و يؤيّده الحديث المشهور: «خلق الله الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف عام»(٣).

---

(١) سورة الجن: الآية ١٠.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٧٨ الى ٨٠.

(٣) لم نعثر عليه بل عثرنا على حديث قريب منه وهو «خلق الله الأرزاق قبل الأجسام بالفي عام» في قوت القلوب لابي طالب المكي: ج٢، ص٨.

....

و ضرب له: أي قدّر و قرّر، و منه الضريبة وهو ما يؤدّي العبد إلى سيّده من الخراج المقرّر عليه.

والحياة: قيل: هى قوّة الحسّ والحركة.

و قيل: هى إعتدال المزاج.

و قيل: قوّة تتبع إعتدال المزاج.

و قيل: صفة توجب للمتّصف بها أن يعلم و يَقْدر.

و قال الفخر الرازي: الحياة يوصف بها الواجب جلّ شأنه، والانسان، والحيوان، والنبات، والجهة الّتي تصحّح(١) وصف كلّ منها بها، هي كونها على الوجه الّلايق الّذي تترتّب عليه الأحكام التي من شأنه(٢).

و قد أحسن في جميع معانيها المتعدّدة في تعريف واحد

والأجل: يطلق على معنيين:

أحدهما: و هو الأكثر، الوقت الذي يضرب لانقضاء الشيء، ومنه أجل الانسان الذي ينقضي فيه عمره وتنقطع فيه حياته كقوله تعالى: «فَإِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ لاٰ يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَلاٰ يَسْتَقْدِمُونَ»(٣).

الثاني: المدّة الّتي يكون الانقضاء في آخرها كما في قولهم: أجل الدين شهران، وعلى هذا يقال: أجل الانسان لمدّة عمره، وإرادة هذا المعنى هنا أولى وأنسب من المعنى الأوّل، لتكون الفقرة الأُخرى تأسيساً، وهو خير من التأكيد.

قوله: «موقوتاً» أي: محدود الوقت من وقته يقته، من باب وعد: إذا حدّ له وقتاً وهو المقدار من الزمان المفروض لأمر مّا.

---

(١) (الف): تتصحح.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) سورة الاعراف: الآية ٣٤.

....

و نصب الشيء، ينصبه نصباً، من باب ضرب: وضعه.

و الأمد: الغاية، يقال: بلغ أمده، أي: غايته.

و قال الجوهري: يقال: ما أمدك ، أي: منتهى عمرك (١).

و قال ابن الأثير في النهاية في حديث الحجّاج: قال للحسن ما أمدك ؟ قال: سنتان لخلافة عمر، أراد أنّه ولد لسنتين من خلافة عمر، وللانسان أمدان مولده وموته، والأمد: الغاية(٢)، إنتهى.

و قال الزمخشري في الفائق: أراد بالأمد مبلغ سنّه والغاية الّتي إرتقى إليها عدد سنيه.قال الطرماح:(٣)

كلّ حيّ مستكمل مدّة العمر ومُودٍ إذا انقضى أمدُه

و قوله: سنتان: أي صدر ذلك و أوّله سنتان فحذف المبتدأ لأنّه مفهوم ومعناه: ولدت وقد بقيت سنتان من خلافة عمر(٤)، إنتهى.

و المراد به في الدعاء أمد الموت كما هو ظاهر، وأغرب من فسّره بمدّة العمر وقال: إنّ هذه الفقرة بمنزلة العطف التفسيري على الفقرة السابقة فانّ الأمد قد ورد بمعنى الغاية في جميع كتب اللّغة.

---

(١) الصحاح للجوهري: ج٢، ص ٤٤٢.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج١، ص ٦٥.

(٣) الطرمّاح بن عدي، عدّه الشيخ الطوسي رحمه الله في رجاله تارة من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) قائلاً: الطرماح بن عدي رسوله (عليه السّلام) إلى معاوية، وأُخرىٰ من أصحاب الحسين (عليه السّلام)، وهو في غاية الجلالة والنبالة، ولو لا إلّا مكالماته مع معاوية التي أظلمت الدنيا في عينه لأجلها وملازمته لسيد الشهداء (عليه السّلام) في الطف لكفاه شرفاً وجلالة.

تنقيح المقال: ج٢، ص ١٠٩.

(٤) الفائق للزمخشري: ج١، ص ٥٨.

....

و المحدود: مفعول من حددت الشيء: إذا ميّزته أى غاية معلومة مميّزة لا يقع فيها إشتباه.

تنبيه

الأجل الموقوت لا ينافي الموقوف، ويقال له: المعلّق فإنّه موقوف أيضاً بشرط وهو الذي يقع فيه التقديم والتأخير والزيادة والنقصان كما دلّت عليه الآيات والأخبار قال تعالى في سورة نوح: «أَنِ إعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونَ (*) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذٰا جٰاءَ لٰا يُؤَخَّرُ»(١).

قال المفسّرون: الأجل المسمّى هو الأمد الأقصى الذي قدّره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ماقدّره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فانّ وصف الأجل بالمسمّى، وتعليق تأخيرهم إليه بالايمان صريح في أنّ لهم أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد بقوله: إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخّر أي ما قدّر لكم على تقدير بقائكم على الكفر إذا جاء وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر والعصيان لا يؤخّر فبادروا إلى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتّى لا يتحقّق شرطه الذي هو بقائكم على الكفر فلا يجيء ويتحقّق شرط التأخير إلى الأجل المسمّى فتؤخّروا إليه.

و روى ثقة الاسلام في الكافي: باسناده عن حمران عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: «قَضىٰ أَجَلاً، وَأجل مُسَمّىٰ عِنْدَهُ». قال: هما أجلان: أجل محتوم، و أجل موقوف(٢).

---

(١) سورة نوح: الاية ٣ و ٤.

(٢) الكافي: ج١، ص ١٤٧، ح ٤.

....

و روى عليّ بن إبراهيم باسناده عن أبي عبدالله (عليه السّلام) في تفسيرهذه الآية قال: الأجل المقضيّ هو المحتوم الذي قضاه الله وحتمه، والمسمّى هو الّذي فيه البداء ويقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير(١).

و الروايات في هذا الباب كثيرة(٢).

تذنيب

إختلفوا في المقتول و نحوه، فقالت الأشاعرة: هو ميّت بأجله بحيث لو لم يقتل في هذا الوقت لمات فيه وموته بفعل الله تعالى.

ووافقهم على ذلك أبو الهذيل(٣) من المعتزلة، واستدلّوا بقوله تعالى: «مٰا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا»(٤) وقوله «وَمٰا كٰانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلّا بِإِذْنِ اللهِ كِتٰاباً مُؤَجَّلاً»(٥).

و قال حكماء الاسلام: لكلّ ذي حياة أجلان: طبيعيّ وهو الّذي يمكن بالنسبة إلى المزاج الأوّل لكلّ شخص لو بقي مصوناً عن الآفات الخارجيّة.

و اخترامي: و هو الذي يحصل بسبب من الأسباب الخارجيّة كالقتل والغرق

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج١، ص ١٩٤.

(٢) الكافي: ج١، ص ١٤٦ باب البداء.

(٣) هو محمد بن الهذيل بن عبدالله البصري، شيخ البصريين في الاعتزال، ومن أكبر علمائهم، وصاحب المقالات في مذهبهم، توفّي بسرّ من رأى سنة ٢٢٧هجريّة.

الكنى والألقاب: ج١، ص ١٧٠.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ٤٣.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٤٥.

....

والحرق واللّدغ وغيرها من الأمور المنفصلة، فالمقتول ونحوه لو لم يقتل مثلاً لعاش إلى أجله الطبيعي، وذهب إلى هذا القول سائر المعتزلة وقالوا: إنّ موته من فعل القاتل، لا من فعله تعالىٰ وإلّا لما توجّه الذم إليه، وأحسن ما استدلّوا به قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ» (١) تقريره: إنّ القاتل متى علم أنّه إذا قَتَلَ قُتِلَ، إرتدع عن القتل، فيكون شرع القصاص سبباً لحياة القاتل والمقتول، ولو كانا بحيث لم يقتلا لماتا، لم يكن كذلك، وحمل الحياة على الأخرويّة بعيد جدّاً.

و ذهب أكثر المحقّقين: إلى جواز الأمرين فيه لو لا القتل، فيجوز أن يموت ويجوز أن يعيش، وهو اختيار المحقّق الطوسي (٢) في التجريد(٣).

و قال ابن نوبخت(٤) من أصحابنا في كتاب الياقوت: من المقتولين من لو لم يقتل لعاش قطعاً، ومنهم من يجوز عليه الأمران، واحتجّ على القطع بحياة البعض إنّ

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

(٢) هو الفيلسوف المحقّق محمد بن محمد بن الحسن الطوسي سلطان الحكماء والمتكلّمين، ولد في سنة ٥٩٧هجريّة بطوس ونشأبها له مصنّفات جليلة القدر منها: تجريد الكلام والتذكرة النصيريّة في علم الهيئة، والأخلاق الناصريّة، وآداب المتعلمين، وأوصاف الأشراف، وكتاب قواعد العقائد، وتحرير المجسطي، وتحرير أصول الهندسة لإقليدس، وتلخيص المحصل، وشرح الاشارات، وغيرذلك من الرسائل بالعربيّة والفارسيّة، وحكي انّه (قدّس سرّه) قد عمل الرصد العظيم في مدينة مراغة واتخذ في ذلك خزانة عظيمة من الكتب وكانت تزيد علىٰ أربعمأة ألف مجلد في عهد الملك هلاكو خان وحفظها من الإتلاف من أيدي التتر.

الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص ٢٠٨.

(٣) شرح التجريد للطوسي: ص ٣٩٠

(٤) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن نوبخت الشاعر، كان قليل الحظ من الدنيا، توفي بمصر سنة ٤١٦هجريّة علىٰ حال الضرورة وشدّة الفاقة.

الكنىٰ والألقاب: ج١، ص ٤٢٨.

يَتَخَطَّأُ إِلَيْهِ بِأَيَّامِ عُمِرُهِ، وَيَرْهَقُهُ بِأَعْوامِ دَهْرِهِ.

ملكاً لو قتل أهل بلدة فانّا نحكم بأنّه لو لم يقتلهم لعاشوا لأنّه لولا ذلك لزم خرق العادة، إذ من المستحيل عادة موت أهل تلك البلدة في يوم واحد، وخرق العادة لا يجوز إلّا في زمان الرسالة(١).

و رُدّ بأنّ إستحالته عادة ممنوع، لأنّ مثله يقع في الوباء *.

يتخطّا: من الخطوة و هو المشي لكن وقع في أكثر النسخ بالهمزة.

و أنكره الجوهري فقال: تخطيته: إذا تجاوزته يقال: تخطّيت رقاب الناس وتخطّيت إلى كذا، ولا تقل تخطّأت بالهمزة(٢)، إنتهى.

و أثبته الزمخشري،و هو الثقةالثبت فيما ينقله قال في أساس اللغة(٣): ناقتك هذه من المتخطئات الجيف، أي: تمضي لقوتها وتخلّف ورائها الّتي سقطت من الحسرى(٤) إنتهى.

و لا نكير في ذلك فانّ العرب قد تهمز غير المهموز.

قال الفرّاء: ربّما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس بمهموز، قالوا: رثأت الميّت، ولبّأت بالحج وحلأت السويق(٥)، كلّ ذلك بالهمز وإنّما هو من الرثى والتلبية والحلاوة وقالوا أيضاً: أفتأت برأيه: أي انفرد واستبدّ.

قال الجوهري: هذا الحرف سمع مهموزاً ذكره أبو عمرو، و أبو زيد، وابن السكّيت وغيرهم، فلا يخلو إمّا أن يكون همزوا(٦) ما ليس بمهموز كما قالوا: حلأت

---

(١) الياقوت لا يوجد هذا الكتاب لدينا

(٢) الصحاح: ج٦، ص ٢٣٢٨.

(٣) هكذا في الاصل. ولكن الصحيح «أساس البلاغة».

(٤) أساس البلاغة: ص ١٦٧.

(٥) الصحاح: ج٦، ص ٢٣٥٢.

(٦) (الف): مهموزاً وامّا ليس.

....

السويق ولبّأت بالحج ورثأت الميّت، أو يكون أصل هذه الكلمة من غير الفوت(١)، إنتهى.

فقوله: «يتخطأ» بالهمزة على ما وقع في أكثر النسخ من باب همزهم ما ليس بمهموز.

و أمّا جعله من الخطأ الذي هو نقيض الصواب فخطأ محض.

و لبعضهم في توجيه الهمز هنا خرافات تضحك الثكلى.

و الأيام: جمع يوم أصله أيوام ثمّ أُدغم.

قال الخوارزمي: (٢) الغالب في الأيّام واليوم أن لا يذكر إلّا في الشرّ كقوله تعالى: «وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ»(٣) أي: عقوبته.

و قال غيره: تقع الأيّام في الخير والشرّ قال تعالى: «تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ»(٤) وقال الشاعر: وألفاظ كأيّام الشباب.

و العمر، بالضمّ و بضمّتين، و يفتح: الحياة.

و رهقت الشيء رهقاً، من باب تعب: قربت منه.

قال أبو زيد: طلبت الشيء حتّى رهقته، وكدت آخذه أو أخذته(٥).

---

(١) الصحاح: ج٦، ص ٢٣٥٢، نقلاً بالمعنى.

(٢) هو أبو بكر محمّد بن العباس الخوارزمي، كان واحد عصره في حفظ اللغة والشعر، وكان أصله من طبرستان، وخرج من وطنه في حداثته وطوّف البلاد وسكن حلب ولقي سيف الدولة الحمداني، وله ديوان رسائل وديوان شعر، توفي بنيسابور سنة ٣٨٣هجريّة.

الكنى والألقاب: ج١، ص ٢٠.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٥.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٥) المصباح المنير: ص ٣٣٠.

....

و قال الفارابي: رهقته: أدركته(١).

و الأعوام: جمع عام و هو في تقدير فعل بفتحتين كسبب وأسباب، ومعناه الحول.

قال ابن الجواليقي:(٢) ولا تفرق عوام النّاس بين العام والسنة، ويجعلونها بمعنى فيقولون لمن سافر في وقت من السنة: أيّ وقت كان إلى مثله عام، وهو غلط والصواب ما أخبرت به عن أحمد بن يحيى انّه قال: السنة من أوّل يوم أعددته إلى مثله. والعام لا يكون إلاشتاءً وصيفاً(٣).

و في التهذيب أيضاً: العام: حول يأتي على شتوة وصيفة(٤).

و على هذا فالعام أخصّ من السنة، وليس كلّ سنة عاماً، فإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنة، وقد يكون فيه نصف الصيف ونصف الشتاء، والعام لا يكون إلّاصيفاً وشتاءً متوالين.

وتظهر فائدة ذلك في الأيمان والنذور فاذا نذر أن يصوم عاماً لا يدخل بعضه في بعض، إنّما هو الشتاء والسيف بخلاف سنة.

و الدهر: الزمان، قلّ أو كثر.

قال الأزهري: الدهر عند العرب يطلق على الزمان، وعلى الفصل من فصول السنة وأقلّ من ذلك، ويقع على مدّة الدنيا كلّها، وقال: سمعت غير واحد من

---

(١) ديوان الادب للفارابي: ج٢، ص ٢٤٤.

(٢) هو أبو محمد إسماعيل بن أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي اللغوي النحوي البغدادي، كان إمام أهل الأدب بعد أبيه، وكان مختصاً بتأديب أولاد الخلفاء، توفي سنة ٥٧٥هجريّة.

الكنى والألقاب: ج٢، ص ١٤٣.

(٣) تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي في آخر كتابه المعرب من الكلام: ص٨.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري: ج٣، ص ٢٥١.

حَتّٰى إِذٰا بَلَغَ اَقْصىٰ أَثَرِهِ،وَ اسْتَوْعَبَ حِسٰابَ عُمُرِهِ.

العرب يقول: أقمنا على ماءٍ كذا دهراً، وهذا المرعى يكفينا دهراً ويحملنا دهراً.(١)

قال: لكن لا يقال الدهر أربعة أزمنة ولا أربعة فصول لأنّ اطلاقه على الزمن القليل مجاز وإتّساع، فلا يخالف به المسموع وينسب الرجل الذي يقول: بقدم الدهر، ولا يقول بالبعث، دهريّ -بالفتح- على القياس، وأمّا الرجل المسنّ إذا نسب إلى الدهر فيقال: دُهريّ -بالضمّ- على غير قياس(٢).

و الضمير في إليه و يرهقه راجع إلى الأجل والأمد، وإن فسّر الأجل بمدّة العمر فهو راجع إلى الأمد فقط، وفي عمره ودهره إلى كلّ روح.

و الباء: للاستعانة، والمعنى: إنّ كل شخص يتجاوز إلى غاية عمره بأيّام حياته ويقرب منه بأعوام زمانه كان كلّ يوم خطوة، وكلّ عام مرحلة يقطعها إلى أن يبلغ منتهاه *.

بلغ: أي وصل من قولهم: بلغت المنزل، أي: وصلته.

و أقصى الشيء: منتهاه وغايته القصوى.

و الأثر: الأجل، و منه الحديث: «من سرّه أن يبسط الله رزقه وينسأ في أثره، فليصل رحمه»(٣) أي في أجله، وسمّي به لأنّه يتبع العمر.

قال زهير: ....لاينهى العمرحتّى ينتهي الا ثر(٤)

و قال ابن الأثير: أصله من أثر مشيه في الأرض. فإنّ من مات لا يبقى له أثر فلا يرى لأقدامه في الأرض أثر(٥).

و استوعبه: إستقصاه و استأصله، أي: أخذه جميعه.

---

(١) تهذيب اللغة للازهري: ج ١٣، ص ٢٣٣.

(٢) المصباح المنير للفيومي: ص ٢٧٤.

(٣) و (٤) و (٥) النهاية لابن الاثير: ج١، ص ٢٣.

قَبَضَهُ اِلىٰ ما نَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوابِهِ، أَوْ مَحْذُورِ عِقابِهِ.

و حسبه يحسبه، من باب قتل، حسباً و حسبةً و حِساباً ـ بالكسر ـ فيهما، وَحُسباناً ـ بالضمّ ـ : أحصاه عدداً.

و حتّى: حرف إبتداء يبتدأ به الجمل أي: يستأنف فهو داخل على الجملة بأسرها لا عمل له.

و إذا: ظرف للمستقبل متضمّن معنى الشرط في موضع نصب بشرطه وهو قوله بلغ، أو بجوابه وهو قوله قبضه في أوّل الفقرة الآتية. هذا على رأي الجمهور.

و زعم أبو الحسن الأخفش(١)، و تبعه ابن مالك: إنّ حتّى هي الجارّة و (إذا) في موضع جرّبها(٢)، وهي على هذا لاجواب لها، والمعنى: ثمّ ضرب له في الحياة اجلاً موقوتاً ونصب له أمداً محدوداً إلى بلوغ أقصى أثره، واستيعاب حساب عمره فيكون قوله قبضه إلى ما ندبه إليه فيما يأتي إستيناف وجواب سؤال كأنّه قيل: فما جرى إذ ذاك ؟ فقيل: قبضه إلى ما ندبه إليه.

و ممّن قال بهذا الوجه الزمخشريّ، فانّه جوّزه مع الوجه المذكور عن الجمهور*.

قبضه الله، من باب ضرب: أماته، و عبّر عن الاماتة بالقبض الذي هو في الأصل بمعنى جمع المنبسط وطيّه لما في ضدّها وهو الإحياء من معنى المدّ الّذي هو البسط طولاً وهو جعله ممتدّاً إلى أجل موقوت وأمد محدود.

و عدّاه إلى الثاني بالىٰ لتضمينه معنى التوجيه، أي: قبضه موجّهاً له إلى ما ندبه، أي: دعاه إليه، يقال: ندبه إلى الأمر ندباً، من باب قتل: إذا دعاه،والفاعل نادب والمفعول مندوب والأمر مندوب إليه، والاسم الندبة كغرفة ومنه المندوب في الشرع، والأصل: المندوب إليه لكن حذفت الصلة منه لفهم المعنى.

و الموفور: المتمّم، المكمّل، وفر الشيء يفر وفوراً من باب وعد: تمّ وكمل،

---

(١) و (٢) مغني اللبيب: ص ١٧٤.

....

ووفرته وفراً، من باب وعد أيضاً: أتممته وأكملته، يستعمل لازماً ومتعدّياً، والمصدر فارق(١)

والثواب في اللّغة: الجزاء(٢).

و المحذور: الخوف، قال تعالى: «إنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً»(٣).

و العقاب: العقوبة مأخوذ من العقب لأنّ المعاقب يتبع عقب الخصم، طالباً حقّه يقال: عاقبه: إذا جاء بعقبه،والمراد بقوله: ندبه إليه، إمّا الاشارة إلى توجيه أسبابه بحسب القضاء الإلهي عليه، فيكون قوله أو محذور عقابه عطفاً على موفور ثوابه، أو حقيقة الدعاء كقوله تعالى: «وَاللهُ يَدْعُوا إلىٰ دارِ السَّلام»(٤) وقوله: «وَسارِعُوا إلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَجَنَّة عَرْضُها السَّماواتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»(٥).

فقوله: أو محذور عقابه، إمّا عطف على ما ندبه إليه،والمعنى: قبضه إلى ما ندبه إليه، أو إلى محذور عقابه، و إمّا على موفور ثوابه بتضمين ندبه معنى بيّنه كما قيل: في قوله: «علفتها تبناً وماء بارداً» ضمن علفتها معنى أنلتها.

و أمّا عطفه عليه مع حمل العبارة على ظاهرها فلا يصحّ إلّا على اعتقاد المجبّرة، وهو باطل.

تبصرة

عرّف المعتزلة الثواب: بأنّه النفع المستحقّ المقارن للتعظيم، والعقاب: بأنّه

---

(١) المصباح المنير: ص٩١٩.

(٢) المصباح المنير: ص١٢٠.

(٣) سورة الاسراء: الآية ٥٧.

(٤) سورة يونس: الآية ٢٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

....

الضرر المستحقّ المقارن للاهانة وقالوا بوجوبها عقلاً.

أمّا الأوّل: فلأنّ الطاعة مشقّة ألزمها الله المكلّفين، وهي من غير عوض ظلم لا يصدر عن الحكيم العدل فلابدّ من العوض، ولا يكون إلّا نفعاً، ولو أمكن الإبتداء به كان التكليف قبيحاً.

و أمّا الثاني: فلاشتماله على اللطف، فانّ علم المكلّف باستحقاق العقاب على المعصية يبعّده من فعلها ويقرّبه من فعل ضدّها، واللّطف واجب على الله تعالى، وهذا الدليل يجري في الأوّل أيضاً.

و عند الأشاعرة: سمعيّ واقع في الثواب، لأنّ الخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله تعالى عنه، وأمّا العقاب فيجوز أن لا يقع، ووافقهم على ذلك معتزلة البصرة وبغداد، واختلفت الاماميّة، فذهب جماعة منهم المحقّق الطوسي إلى ما ذهب إليه المعتزلة.

قال في التجريد: ويستحقّ الثواب والمدح بفعل الواجب والمندوب وفعل ضدّ القبيح والاخلال به بشرط فعل الواجب لوجوبه، أو لوجه وجوبه، والمندوب كذلك، والضدّ، لأنّه ترك قبيح، والاخلال لأنّه إخلال به لأنّ المشقّة من غير عوض ظلم، ولو أمكن الابتداء به كان التكليف عبثاً. وكذا يستحقّ العقاب والذمّ بفعل القبيح والاخلال بالواجب لاشتماله على اللّطف، وللسّمع(١)، إنتهى.

و ذهبت طائفة منهم الشيخ أبو إسحاق بن نوبخت إلى وجوبها سمعاً لا عقلاً.

قال في الياقوت: ليس في العقل ما يدلّ على ثواب لكثرة النعم التي لا يستحقّ العبد معها جزاء على طاعاته، ولا عقاب إذ لا يقتضي العقل تعذيب المسيء في

---

(١) شرح التجريد للقوشجي: ص ٤١٨ وكشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للطوسي، ص٤٣٣ و٤٣٤.

....

الشاهد أبداً(١)، إنتهى.

و قال آخرون: بوجوب الثواب عقلاً و العقاب سمعاً وهو مختار العلّامة الحلّي (قدّس سرّه)(٢).

و يتعلّق بهذا المقام مسائل:

الأولى: ذهب المعتزلة، و وافقهم المحقّق الطوسي إلى أنّ الثواب والعقاب يجب خلوصهما من الشوائب بمعنى أنّ الثواب يجب أن يكون خالصاً من جميع أنواع المشاقّ والمكاره، والعقاب من جميع أنواع السرور.

أمّا الأوّل: فلأنّه لو لم يكن خالصاً لكان أنقص حالاً من العوض والتفضّل إذا كانا خالصين، وانّه غير جائز.

و أمّا الثاني: فلأنّه أدخل في باب الزجر من الثواب، فيجب خلوصه بالطريق الأولى(٣).

و أورد إنّ أهل الجنّة درجاتهم متفاوتة، فمن كان أدنى درجة يكون مغتمّاً إذا شاهد من هو أرفع درجة منه، وأنّه يجب عليهم الشكر على نعمه تعالى، والاخلال بالقبائح وكلّ ذلك مشقّة فلا يكون الثواب خالصاً عن الشوب.

و أيضاً: فانّ أهل النار يتركون القبائح فيجب أن يثابوا بتركها، فلا يكون عقابهم خالصاً عن شوب من الثواب.

و أجيب: بأنّ كلّ ذي مرتبة في الجنّة لا يطلب الأزيد من مرتبته، لأنّ شهوته مقصورة على ما حصل له، فلا يكون مغتمّاً بمشاهدة من هو أرفع درجة منه،

---

(١) الياقوت: لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للطوسي: ص ٤٣٤، وشرح التجريد للقوشجي: ص٤١٨

(٣) شرح التجريد للقوشجي: ص ٤١٩.

....

وسرورهم بالشكر على النعمة يبلغ إلى حدّ تنتفي المشقّة معه، وأمّا الاخلال بالقبائح فغناهم بـالثواب ينفي عنهم مشـقّة الاخلال بها، وأمّا أهـل النار، فلجؤون إلىٰ ترك القبائح فلا يثابون عليه.

الثانية: ذهبوا أيضاً إلىٰ أنّه يجب دوام ثواب أهل النعيم، وعقاب أهل الجحيم.

و إحتجّ عليه المحقّق الطوسي بوجوه:

أحدها: إنّ العلـم بـدوامـهما يبعـث المكلّف على الطاعـة ويزجره عن المعصيـة، فيكون لطفاً، واللّطف واجب.

الـثـاني: إنّ المدح والـذّم دائمان، إذ لا وقـت إلّا ويحسـن فيـه مدح المطـيع وذمّ العاصي وهما معلولا الطاعة والمعصيـة، فيجب دوام الثواب والعقاب لأنّ دوام أحد المعلولين يستلزم دوام المعلول الآخر.

الثالث: إنّ الثـواب لو كان منقطـعاً لحصل لصاحبـه الألم بانقطاعه، ولـو كان العقاب منقطعـاً لحصل لصاحبه السرور بانـقطاعه، فلم يكونا خالصين عن الشوب لكن يجب خلوصهما عنه كمامرّ.

الثالثة: إسـتحقاق الثـواب و العقاب، هل هـو في وقت وجود الطاعة والمعصية بدون شرط، أو في الدار الآخرة، أو في حالة الموت، أو في الحال بشرط الموافاة؟.

أقوال، ذهب إلى كلّ جمع من المعتزلة.

و اختار المحقّق الطوسي(١) والعلامة الحلّي من أصحابنا، الأخير(٢).

و معنى شرط الموافاة: انّه إن كان في عـلم الله تعالىٰ موافاتـه بطاعة سليمة إلى حال الموت، إستحقّ الثـواب في الحال وكذا في المعصيـة، وإن كـان في علمه تعالى إنّه يحبط الطاعة، أو يتوب من المعصية قبل الموافاة، فلا يستحقّ بهما ثواباً ولا عقاباً.

(١) و (٢) شرح التجريد للقوشجي: ص ٤١٩ وكشف المراد: ص ٤٣٨.

لِيَجْزيَ الَّذينَ اَساۤؤُا بما عَمِلُوا وَيَجْزيَ الَّذينَ اَحْسَنُوا بِالْحُسْنىٰ.

إقتباس من قوله تعالىٰ في سورة النجم: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدىٰ (*) وَلِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسٰۤؤُا بِمٰا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنىٰ»(١).

و قوله: «ليجزي» إلى آخره، متعلّق في الدعاء بقوله قبضه، وأمّا في الآية فقيل: متعلّق بما دلّ عليه، (أعلم) إلىٰ آخره.

و ما بينهما إعتراض مقرّر لما قبله فانّ كون الكلّ مخلوقاً له تعالىٰ ممّا يقرّر علمه سبحانه بأحوالهم: «ألا يعلم من خلق»(٢) كأنّه قيل: فيعلم ضلال من ضلّ واهتداء من اهتدى ويحفظهما، «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسٰۤؤُا»(٣) إلى آخره.

و قيل: متعلّق بما دلّ عليه قوله تعالى: «وَلِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ»(٤) كأنّه قيل: خلق ما فيهما ليجزي.

و قيل: متعلّق بضلّ و إهتدى على أنّ اللام للعاقبة أي: هو أعلم بمن ضلّ ليؤول أمره إلى أن يجزيه تعالى بعمله و بمن اهتدىٰ ليؤول أمره إلى أن يجزيه بالحسنىٰ. وفيه من البعد ما لا يخفىٰ.

و قوله: «بما عملوا» أي: بعقاب ما عملوا من الاساءة، أو بسبب ما عملوا.

و الحسنى: صفة المثوبة، أي بالمثوبة الحسنى الّتي هي أحسن من أعمالهم عشر مرّات فصاعداً، تفضّلاً منه جلّت آلاؤه، أوبسبب أعمالهم الحسنى، وتكرير الفعل لاظهار كمال الاعتناء بشأن الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين.

تذكرة

الاقتباس تضمين النظم أو النثر بعض القرآن لا على أنّه منه بأن لا يقال: قال الله تعالى ونحوه فانّ ذلك حينئذٍ لا يكون إقتباساً، وقد وقع في خطب أمير المؤمنين

---

(١) و(٣) و(٤) سورة النجم: الآية ٣٠ و ٣١ (٢) سورة الملك: الآية ١٤.

....

صلوات الله عليه ودعاء أهل البيت عليهم السّلام كثيراً، وهو يدلّ على جوازه في مقام المواعظ والدّعاء والثّناء على الله سبحانه.

و أمّا جوازه في الشّعر و في غير ذلك من النّثر فلم أجد فيه نصّاً من علمائنا.

نعم قال الشّيخ صفي الدّين الحلّي(١) من أصحابنا في شرح بديعيّته: الإقتباس علىٰ ثلاثة أقسام: محمود مقبول، ومباح مبذول، ومردود مرذول.

فالأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي وآله عليهم السّلام ونحو ذلك.

و الثّاني: ما كان في الغزل والصّفات والقصص والرّسائل ونحوها.

و الثّالث: علىٰ ضربين:

أحدهما: تضمين ما نسبه الله سبحانه إلى نفسه كما نقل عن أحد بني مروان إنّه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله «إنّ إلينا إيابهم ثمّ انّ علينا حسابهم».

الثّاني: تضمين آية كريمة في معرض هزل وسخف نعوذ بالله من ذلك(٢)، إنتهى كلامه.

و لا أعلم مستنده في هذا التّفصيل.

ثمّ الصّحيح إنّ المقتبس ليس بقرآن حقيقة بل كلام يماثله بدليل جواز النّقل عن معناه الأصلي والتّغيير اليسير فيه.

كقول أمير المؤمنين (عليه السّلام) في كلام كلّم به الخوارج: «أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، أشهد علىٰ نفسي بالكفر، لقد ضللت

---

(١) هو صفي الدين عبدالعزيز بن السرايا الحلي، الشيخ العالم الفاضل الشاعر الأديب، تلميذ المحقق الحلي (رحمه الله)، وكان شاعر عصره، له ديوان شعر كبير وديوان شعر صغير، توفي ببغداد سنة ٧٥٠هجريّة. الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص ٣٨٢.

(٢) شرح البديعيّة: لايوجد هذا الكتاب لدينا. و وجدناه في أنوارالربيع: ج٢، ص٢١٨.

عَدْلاً مِنْهُ،تَقَدَّسَتْ اَسْماؤُهُ،وَ تَظاهَرَتْ الآؤُهُ.

إذاً وما أنا من المهتدين»(١).

و هو إقتباس من قوله تعالىٰ: «قُلْ لا أَتَّبِعُ أهْواءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إذًا وَما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ»(٢) فنقله من معناه الأصلي، وأدخل علىٰ «قد» لام جواب القسم، ولو كان المراد به الآية بعينها لما جاز ذلك وقد إستوفيت الكلام علىٰ ذلك بما لا مزيد عليه في شرح بديعيتي المسمّىٰ بأنوار الرّبيع في أنواع البديع(٣) فمن أراد الإطّلاع عليه فليرجع إليه *.

العدل: خلاف الجور، و عرّف بأنّه الأمر المتوسّط بين طرفي الإفراط والتفريط، وانتصابه على المصدر أي: جزاء عدلاً، أو على المفعول له أي: لأجل العدل.

و تقدّست: أي تطهّرت و تنزّهت أسماؤه عن العيوب والنّقائص فما ظنّك بذاته العليا، أو تنزّهت عن الإلحاد فيها بالتّأويلات الزّائغة وعن إطلاقها علىٰ غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه، أو هي مقحمة كما في قوله تعالىٰ «تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ»(٤) وفائدة هذا التّوسيط سلوك سبيل الكناية كما يقال: (ساحة فلان بريئة عن المثالب).

قوله تظاهرات: أي ظهرت بمعنىٰ تبيّنت لكلّ أحد، و تفاعل قد يأتي بمعنىٰ فعل نحو تجاوز بمعنىٰ جاز، وتباعد بمعنى بعد، ويحتمل أن يكون مطاوع ظاهر بمعنىٰ طابق.

يقال: ظاهر بين الثّوبين إذا طابق و لبس أحدهما على الآخر فيكون كناية عن ترادف نعمه وتظاهرها.

---

(١) نهج البلاغة لصبحي الصالح: ص ٩٢ كلام ٥٨.

(٢) سورة الانعام: الاية ٥٦.

(٣) انوار الربيع في انواع البديع: ج٢، ص ٢١٧.

(٤) سورة الرحمن: الآية ٧٨.

....

و الآلاء: النعم،واحدها ألْي كَضَبْيٍ، وألِي كَنَحِي، وألْو كدلو، وألَيَ كفَتيَ وإلَيَ كـحِمَيَ وإنّما أُبدلت الهمزة التي هي فاء في الجمع إستثقالاً لاجتماع همزتين.

و جملة تقدّست أسماؤه مستأنفة لا محلّ لها من الإعراب قصد بها تأكيد عدله سبحانه ورفع توهّم الجور في الجزاء بالعقاب وتنزيهه تعالى عن قول من ذهب من الملاحدة والدّهرية إلى نفي المعاد قائلاً بأنّ الإعادة لا لغرض عبث لا يليق بالحكيم، والغرض إن كان عائداً إليه سبحانه كان نقصاً له فيجب تنزيهه عنه، وان كان عائداً إلى العبد فهو إن كان إيلامه فهو غير لائق بالحكيم،وإن كان إيصال لذّة إليه فاللذّات سيّما الحسيّات إنّما هي دفع الآلام كما بيّنه العلماء والأطباء في كتبهم فيلزم أن يؤلم أوّلاً حتّى يوصل إليه لذّة حسيّة فهل يليق هذا بالحكيم وهل هو إلّا كمن يقطع عضو أحد ثمّ يضع عليه المراهم(١) ليلتذّ، فأشار (عليه السّلام) إنّ لكلّ عمل جزاءً لازماً، وعدل العدل الحكيم يقتضي بصريح العقل أن يفرّق بين المحسن والمسيء والمظلوم والظالم، وأن لا يجعل من كفر به وعصاه كمن عرفه وأطاعه ولما كانت هذه الدّار ليست محلاً لهذه التّفرقه بل هي دار الاكتساب والإبتلاء كما نرى أزهد النّاس وأعلمهم مبتلى بالآفات والبليّات وأفسقهم وأجهلهم في أتمّ اللذّات والمسرّات كما قيل:

كم عالم عالم أعيت مذاهبه و جاهل جاهل تلقاه مرزوقاً(٢)

وجب بمقتضى عدله و حكمته أن تكون دار أُخرى ينتقل إليها الفريقان وهي دار الجزاء فيجزي كلاً بما عملوا ولا يظلم ربّك أحداً.

---

(١) المراهم: جمع المرهم الذي يوضع على الجراحات، معرّب. الصحاح: ج٥ص١٩٣٩.

(٢) شرح المختصر للتفتازاني: في المعاني أحوال المسند إليه ص١١٢.

لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

إقتباس آخر من كلامه عزّ شأنه وهو إستيناف ببيان كمال جلاله وجبروته وعزّة سلطانه في ملكه وملكوته بحيث ليس لأحد من مخلوقاته أن يسأله عمّا يفعل من أفعاله مع ما قد ثبت بالدليل وصحّ بالبرهان عند جميع العقول من عدله وحكمته فهو لا يفعل إلّا الحكمة والصّواب ومافيه الخير والرّشاد، فوجب السّكوت عن السّؤال للقطع بانتفاء القبح عن جميع ما يفعله من الأفعال في جميع الأحوال وليس كذلك من سواه فإنّهم عباد مملوكون وخلق مستعبدون يقع منهم الحسن والقبيح ويصدر منهم الخطأ والصّواب،فهم جديرون أن يسألهم مالكهم الذّي لا يجوز لهم أن يسألوه ويقول لهم لم فعلتم في كلّ شيء فعلوه فهو «لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ»(١).

و أعلم أنّ المسلمين أجمعوا علىٰ أنّه لا يجوز أن يقال لله سبحانه لم فعلت، ولكنّهم إختلفوا في عدم جواز السؤال لأيّ سبب.

فذهبت الأشاعرة إلىٰ أنّ أفعاله تعالىٰ لا تعلل بالأغراض والمصالح وله بحكم المالكيّة أن يفعل في مخلوقاته ما يشاء، فانّ من تصرّف في ملك نفسه لا يقال لم فعلت، وكيف يتصوّر في حقّه إستحقاق ذمّ؟ و إستحقاق المدح ثابت له وما يثبت للشّيء لذاته يستحيل أن يتبدّل لأجل تبدّل الصّفات وكما أنّ ذاته غير معلّلة بشيء فكذلك صفاته وأفعاله، وإنّه غير محتاج إلىٰ الأسباب والوسايط والأغراض والمقاصد، وردّ بأنّ نفي الغرض يستلزم العبث ولا يلزم عوده إليه حتىٰ يكون مستكملاً(٢) به.

و قالت الإماميّة والمعتزلة: إنّه تعالىٰ عالم بقبح القبائح غنيّ عن فعلها، والقبيح لا يصدر إلّا من جاهل بقبحه أو محتاج إلىٰ فعله، فلمّا كان تعالىٰ عالماً بما

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

(٢) (الف) متكمّلاً.

وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلىٰ ما أَبْلاهُمْ مِنْ مِنَنِهِ الْمُتَتابِعَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا في مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَتَوَسَّعُوا في رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ.

كان ويكون من قبيح وحسن غنيّاً عن المنافع والمضارّ صحّ أنّه لا يفعل إلّا الحكمة ولا يحدث إلّا الصّواب، واستحال فعل القبيح عليه من كلّ وجه.

و إذا عرف المكلّف إجمالاً أنّ كلّ ما يفعله تعالىٰ فهو حكمة وصواب وجب أن يسكت عن لِمَ، و إذا كان الملوك المجازيّون لا يسألهم من في مملكتهم عمّا يوردون ويصدرون من تدبير مملكتهم تهيّباً و إجلالاً مع جواز الخطأ والزلل عليهم، فملك الملوك وربّ الأرباب أولىٰ بان لا يسأل عن أفعاله لما ركّز في العقول من أنّ كلّ ما يفعله فهو حسن مشتمل على الغايات الصحيحة.

و عن الصّادق (عليه السّلام) في تفسير الآية المذكورة قال: لا يسأل عمّا يفعل لأنّه لا يفعل إلّا ما كان حكمة وصواباً وهو المتكبّر الجبّار والواحد القهّار فمن وجد في نفسه حرجاً في شيء ممّا قضىٰ كفر، ومن أنكر شيئاً من أفعاله جحد، وهم يسألون قال: يعني بذلك خلقه إنّه يسألهم(١)*.

حبس: من باب ضرب أي: منع.

و العباد: جمع عبد و أكثر ما يطلق على المملوك و قد يطلق علىٰ الإنسان حرّاً كان أو رقيقاً.

قال صاحب المحكم: يذهب بذلك إلىٰ أنّه مملوك لباريه عزّوجلّ(٢).

قال سيبويه: هو في الأصل صفة، قالوا رجل عبد ولكنّه استعمل إستعمال الأسماء(٣).

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٣، ص ٤١٩ وفيه: [عن ابى جعفر عليه السّلام].

(٢) محكم اللّغة: لابن سيده ج٢، ص ١٩.

(٣) كتاب سيبويه: ج١، ص ٣٥٤.

....

قال الجوهري: و أصل العبوديّة، الخشوع والذّل»(۱).

و للعبد عشرون جمعاً، أشهرها عباد و عبيد وأعبد.

و جعل بعضهم العباد لله وغيره من الجمع لله والمخلوقين ولو مع ما في حيّزها صلة الموصول علىٰ معنىً، والحمد لله الذي صفته ونعته إنّه لو حبس عن عباده معرفة حمده لتصرّفوا.

قال أبو البقاء:(۲) ويقع الشّرط صلة و صفة وحالاً، وكان الجملة الشرطيّة مستثناة عندهم من الانشائية التي لا يقع شيئاً من ذلك والذي سوّغ ذلك أن كون حال الموصول ونحوه وصفته مضمون الشّرطيّة قضيّة معلومة(۳).

كما نبّه عليه صاحب الكشاف في قوله تعالىٰ:« وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافوا عليهم» حيث قال: فان قلت فما معنىٰ لو تركوا وجوابه صلة. قلت: معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو تركوا(٤)

قال التّفتازاني: يعني أنّ الصّلة تجب أن تكون قضيّة معلومة للمخاطب ثابتة للموصول كالصّفة للموصوف، فكيف ذلك في الشّرطيّة الواقعه صلة؟، فأجاب بأن كون حال الموصول وصفته مضمون هذه الشّرطيّة قضيّة معلومة إنتهى(٥).

---

(۱) الصحاح للجوهري: ج۲، ص ۵۰۳ وفيه: [الخضوع] بدل الخشوع.

(۲) هو محب الدين عبدالله بن الحسين بن أبي البقاء البغدادي، الفقيه المحدّث النحوي، عُمي بصره في أيام صباه من الجدري، وكان مكباً علىٰ تحصيل العلم، صنّف كتباً منها:كتاب التبيان في اعراب القرآن، وشروح المفصل والمقامات وديوان المتنبي، توفي ببغداد سنة ٦١٦هجريّة.

الكنىٰ والألقاب: ج۱، ص ۱۸.

(۳) لم نعثره.

(٤) الكشاف: ج۱، ص ٤٧٨ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٥) شرح الكشاف للتفتازاني: لم نعثر على هذا الكتاب.

....

و المعرفة: العلم.

و قيل: هي إدراك البسائط و الجزئيات، والعلم إدراك المركّبات والكليّات ومن ثمّ يقال عرفت الله ولا يقال علمته.

و قيل: هي عبارة عن الإدراك التصوّري، والعلم هو الإدراك التصديقي.

و من ذهب إلىٰ هذا القول جعل العرفان أعظم رتبة من العلم، قال: لأنّ تصديقنا باستناد هذه المحسوسات إلىٰ موجود واجب الوجود أمر معلوم بالضرورة، وأمّا تصوّر حقيقة واجب الوجود فأمر فوق الطّاقة البشريّة لأنّ الشّيء ما لم يعرف لم تطلب(١) ماهيته فعلىٰ هذا كلّ عارف عالم من دون عكس، ولذلك كان الرّجل لا يسمّىٰ عارفاً إلّا إذا توغّل في بحار العلوم وميادينها وترقّى من مطالعها إلىٰ مقاطعها ومن مباديها إلىٰ غاياتها بحسب الطاقة البشريّة.

و قيل: هي إدراك الشّيء ثانياً بعد توسّط نسيانه فلذلك يسمّىٰ الحقّ تعالىٰ بالعالم دون العارف، وهو أشهر الأقوال في تعريف المعرفة.

و علىٰ هذا فيحتمل أن يكون سبحانه ألهم عباده حمده أوّلاً في عالم الأرواح كما ألهمهم الإقرار بربوبيّته في عالم الذّر، ثمّ عرّفهم إيّاه ثانياً في عالم الأجسام بما أفاض عليهم من القوىٰ الإدراكيّة أو بارسال الرّسل بناءً على ما هو الحقّ من أنّ جميع المعارف والأحكام توقيفيّة لا تعرف إلّا من جهة الرّسول المبعوث بتعريفها.

فان قلت: المعرفة بهذا المعنىٰ تقتضي أن يعرف المدرك إنّ هذا الذي أدركه ثانياً هو الذي أدركه أوّلاً ونحن لا نعرف ذلك، فكيف يكون إدراكنا لحمده في هذا العالم معرفة بهذا المعنىٰ؟.

قلت: أمّا التّعريف منه سبحانه فقد وقع علىٰ طبق إلهامه الأوّل.

---

(١) (الف): لم يطلب.

....

و أمّا المعرفة منّا فمن تخلّص من ظلمة الطّبع وهاوية الهوىٰ فهو يعرف ذلك، كما هو حال الأنبياء والأوصياء وأرباب العرفان.

حتىٰ قال بعضهم: انّي لأجد لذّة قوله تعالىٰ «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»(١) في سمعي إلى الآن.

و أمّا من نام في مراقد الغفلات ولم يخرج بعد من غسق الظلمات فهو علىٰ حاله في جهل الغفلة والنّسيان مستمرّ داخل فيمن ينادىٰ: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ»(٢). اللّهمّ اجعلنا من المنتبهين من سنة الغفلة وألحقنا بمن محىٰ عرفانه جهله.

قوله «علىٰ ما أبلاهم من منّنه». الإبلاء والإبتلاء: الامتحان والاختبار.

يقال: أبلاه الله بخير أو شرّ يبليه، إبلاءً ويتعدى بنفسه أيضاً، فيقال: بلاه يبلوه بلوىٰ والاسم البلاء مثل سلام.

و قال القتيبي: يقال من الخير أبليته أُبليه إبلاءً، ومن الشّر بلوته أبلوه بلاءً(٣).

قال ابن الأثير: والمعروف أنّ الإبتلاء يكون في الخير والشّر معاً من غير فرق بين فعليهما ومنه قوله تعالىٰ «وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً». ومنه الحديث: «من أُبلي فذكر فقد شكر» الإبلاء: الإنعام والإحسان يقال: بلوت الرّجل وأبليت عنده بلاءً حسناً إنتهىٰ(٤).

قال بعضهم: والتّحقيق مع القتيبي لأنّ كلامه في الفرق بينهما لا أنّه لا

(١) سورة الاعراف: الآية ١٧٢.

(٢) سورة القمر: الآية ١٧.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج١، ص ١٥٥.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج١، ص١٥٥.

....

يستعمل كلّ في غيره تغليباً، أو مقيّداً ونظيره الفرق المشهور بين وعد و أوعده حيث يستعمل الأوّل في الخير، والثّاني في الشّر، عند الإطلاق وقد يستعمل كلّ بخلاف الأخر بقرينة صارفة كقوله تعالىٰ «اَلشَّيْطٰانُ يَعِدِكُمُ الْفَقْرَ»(١) وقوله سبحانه: «يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذٰابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ»(٢).

و في الحديث: و أمّا لمّة الملك فايعاد بالخير(٣).

و المنن: جمع منّة بالكسر بمعنى النّعمة، وكثيراً ما ترد بمعنى الإحسان إلىٰ من لا يطلب الجزاء منه، ومنه المنّان من أسمائه تعالىٰ.

و قيل: هي النّعمة الثّقيلة وتطلق علىٰ معنيين.

أحدهما: أن تكون بالفعل نحو منّ عليه أثقله بالنّعمة،ومنه:«لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»(٤).

والثّاني: أن تكون بالقول وهو عدّ الاحسان وهو مستقبح، ولهذا قيل: المنّة تهدم الصّنيعة إلّا عند الكفران.

و قال بعض العلماء: المنّة تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالىٰ: «يٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ إذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْكُمْ»(٥)، في غير موضع من كتابه وهي صفة مدح للحق سبحانه، وإن كانت صفة ذمّ لخلقه، والسّبب الفارق كون كلّ منعم سواء يحتمل أن يتوقّع لنعمته جزاء أو يستفيد كمالاً يعود إليه ممّا أفاده، وأيسره توقّع الذكر ويقبح بمن يعامل بنعمته ويتوقّع

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

(٢) سورة الحج: الآية ٤٧.

(٣) الدر المنثور: ج١، ص ٣٤٨.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

(٥) سورة البقرة: الآية ٤٠.

....

لهاجزاء أن يمنّ بها لما يستلزمه المنّ من التطاول والكبر وتوقّع الجزاء والحاجة إليه مع التطاول والكبر ممّا لا يجتمعان في العرف، إذ التطاول والكبر إنّما يليقان بالغنى عن ثمرة ما تطاول به ولأنّ التطاول ممّا يتأذّي به المنعم عليه فيبطل بذلك إستعداد نفس المنعم لقبول رحمة الله وجزائه، ولذلك ورد النّهي عن المنّة في قوله تعالى: «يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذىٰ»(١) فجعلهما سبباً لبطلان الصّدقة أي عدم إستحقاق ثوابها إنتهى.

و فيه نظر فقد ورد في الدّعاء عنهم (عليهم السّلام) تنزيه تعالىٰ عن الإمتنان بالمعنى المذكور.

كقول علي بن الحسين (عليهما السّلام) في دعائه في طلب الحوائج: «ويا من لا يكدّر عطاياه بالإمتنان»(٢).

و قوله (عليه السّلام) في وداع شهر رمضان: «ولم تشب عطاءك بمنّ»(٣).

و سيأتي الكلام على ذلك في الرّوضة الثّانية عشرة إن شاءالله تعالى.

و المتتابعة: المتوالية من تتابع الشيء تبع بعضه بعضاً.

و الإسباغ: التّوسيع و الإفاضة، سبغت النّعمة سبوغاً إتّسعت، وأسبغها الله أفاضها وأتّمها.

و منه حديث شريح: أسبغوا لليتيم في النّفقة أي أنفقوا عليه تمام مايحتاج إليه ووسّعوا عليه(٤).

و النعم: جمع نعمة بالكسر وهي ما قصد به الإحسان والنّفع.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

(٢) الروضة الثالثة عشرة.

(٣) الروضة الرابعة والاربعون.

(٤) النهاية لابن الاثير: ج٢، ص٣٣٨.

وَ لَوْ كانُوا كَذٰلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدوُدِ الْإنْسانِيَّةِ اِلٰى حَدِّ الْبَهيمِيَّةِ، فَكانُوا كَما وَصَفَ في مُحْكَمِ كِتابِهِ: «إنْ هُمْ إلّا كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ سَبيلاً».

و المتظاهرة: الظاهرة أو المترادفة كما مرّ بيانه.

و صرفته في الأمر تصريفاً فتصرّف: جعلت يتقلّب فيه كيف شاء فتقلب هو، و وسّعت الشيء فتوسّع، بسطته فانبسط *.

«كذٰلك» فيه وجهان:

أحدهما: أن تكون الكاف للإستعلاء أي: علىٰ ذلك، كقولهم كن كما أنت عليه أي: علىٰ ما أنت عليه في أحد الوجوه والإشارة إلىٰ المفهوم من سياق الكلام أي ولو كانوا مستمرّين على ذلك من تصرّفهم في مننه بغير حمده وتوسّعهم في رزقه من دون شكره.

الثّاني: أن تكون علىٰ معناها من التشبيه.

و المعنىٰ: لو كانوا دائماً مماثلين لأنفسهم في تلك الحالة من تصرّفهم وتوسّعهم في مننه ورزقه بدون حمده وشكره لخرجوا من حدود كونهم أُناساً إلى حدّ كونهم بهائم، فانّ ياء النّسبة إذا لحقت آخر الاسم وبعدها هاء التأنيث أفادت معنى المصدر نحو الفرسيّة والضاربيّة، وفي إضافة الحدود مجموعة إلى الانسان(١) إشارة إلى إتصاف الإنسان بأُمور متعدّدة يمتاز بها عمّا سواه من الكمالات العلميّة والعمليّة التي كلّ واحد منها بالنسبة إليه حدّ بخلاف البهيميّة فليس لها إلا حدّ عدم العقل

و في نسخة قديمة: ولدخلوا في حريم البهيميّة وهوقريب من معنىٰ الحدّ، فان حريم الدار ما حولها من حقوقها ومرافقها سمّي بذلك لأنّه يحرم علىٰ غير مالكها أن يستبدّ بالارتفاق به، ومنه حريم البئر أربعون ذراعاً.

---

(١) (الف) و (ج): الإنسانيّة.

....

و الانسان: اسم جنس يقع على الواحد والجمع والذّكر والأنثىٰ واختلفوا في اشتقاقه مع إتّفاقهم علىٰ زيادة النّون الأخيرة.

فقال البصريّون: من الأُنس لانّهم يستأنسون بأمثالهم فالهمزة أصل ووزنه فعلان.

و قال الكوفيّون: مشتقّ من النسيان فالهمزة زائدة ووزنه افعان علىٰ النقص والأصل انسيان افعلان فحذفت الياء إستخفافاً لكثرة الإستعمال ولهذا يردّ إلى أصله في التّصغير فيقال: انيسيان(١).

و البهيمة: كلّ ذات أربع من دوابّ البرّ والبحر،وكلّ حيوان لاٰ يميّز فهو بهيمة.

قوله (عليه السّلام) «في محكم كتابه». إمّا من إضافة الصّفة إلىٰ الموصوف، كجرد قطيفة، وإخلاق ثياب، أي: كتابه المحكم، لقوله تعالىٰ «كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ»(٢)، يقال: أحكمت الشيء إذا أتقنته فاستحكم هو.

و المراد: إنّه لا اختلاف فيه ولا اضطراب كما قال تعالىٰ: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافاً كَثِيراً»(٣) أو من باب إضافة البعض إلى الكل لانقسام الكتاب إلىٰ محكم ومتشابه لقوله تعالىٰ: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ»(٤)، والمحكم ما وضح معناه، والمتشابه نقيضه.

و قيل: غير ذلك، وسنستوفي الكلام عليه في شرح دعاء ختم القرآن إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) (الف) انسيان.

(٢) سورة هود: الآية ١.

(٣) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧.

....

قوله: «إن هم إلا كالأنعام» إن: نافية أي: ماهم إلا كالأنعام، والأنعام: جمع نعم بفتحتين كسبب وأسباب، والنعم: اسم جمع لا واحد له من لفظه.

قيل: يؤنّث و يذكّر.

و قال الفرّاء: هو مذكّر ولا يؤنّث(١)، وهو الإبل والبقر والضأن والمعز.

و قيل: هو الإبل خاصّة و إذا كان معها بقروغنم فهي أنعام و إن انفردت البقر والغنم لم تسمّ نعمًا.

قال القرطبي:(٢) والأوّل هو الصّحيح(٣).

و نقل الواحدي: إجماع أهل اللّغة عيه(٤).

و المعنىٰ ما هم في عدم معرفة ما يجب عليهم من حمد المنعم وشكره علىٰ نعمه ومننه أو في أنّ مشاعرهم متوجّهة إلىٰ أسباب التعيّش مقصورة عليها إلّا كالأنعام التي هي مثل في الغفلة،وعلم في الضّلالة،بل هم أضلّ سبيلاً منها.

و بيانه: أنّ الانسان يشاركه سائر الحيوان في القوى الطبيعة الغاذية والنامية والمولّدة، وفي منافع الحواس الخمس الظاهرة،وفي أحوال التخيل و إنّما يحصل الإمتياز له بالقوّة العقليّة التي تهديه إلىٰ معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به فاذا لم تحصل هذه الغاية للإنسان صارفي درجة الأنعام بل أضلّ وأدون منها لأنّها غير

---

(١) تاج العروس: ج٩، ص ٧٩.

(٢) هو أبو عبدالله شمس الدين محمّد بن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي الأندلسي، له تفسير كبير سمّاه الجامع لأحكام القرآن، وكتاب الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار، وكتاب التذكرة بأُمور الآخرة. توفي سنة ٦٧١ هجرية. انظر مقدمة كتاب الجامع لاحكام القرآن.

(٣) و(٤) تاج العروس: ج٩ ص٧٩.

....

معطّلة لقوّة من القوى المودعة فيها بل صارفة لها إلىٰ ماخلقت لأجله فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال، وأمّا هؤلاء فهم معطّلون لقواهم العقليّة مضيّعون للفطرة التي فطرهم الله عليها مستحقّون بحكم العقل أعظم العقاب وأشدّ النّكال، تذكرة في كلامه (عليه السّلام) هذا إشارة إلىٰ أنّ شكر المنعم واجب عقلاً لدلالته علىٰ أنّه مع عدم إرشاد العباد إلىٰ(۱) معرفته لو لم يصدر منهم لكانوا مذمومين داخلين في حدّ البهائم بل كانوا أضلّ منها سبيلاً.

و المسألة محلّ خلاف، فذهبت الأشاعرة إلى وجوبه شرعاً، و ذهبت الإماميّة والمعتزلة إلىٰ انّه واجب عقلاً ولو لم يرد به نقل أصلاً، إستدلّت أصحابنا الإماميّة على ذلك بأنّ من نظر بعين عقله إلىٰ ما وهب له من القوىٰ والحواس الباطنة والظاهرة، وتأمّل بنور فطرته فيما ركّب في بدنه من دقائق الحكمة الباهرة، وصرف بصر بصيرته إلىٰ ما هو مغمور فيه من أنواع النّعماء وأصناف الآلاء التي لا يحصر عُشر مقدارها ولا يوقف علىٰ إنحصارها، فانّ العقل يحكم حكماً لازماً بأنّ من أنعم عليه بتلك النّعم العظيمة والمنن الجسيمة حقيق بأن يحمدو يشكر، وخليق بأن لا يجحد ولا يكفر ويقضي قضاء جازماً بأنّ من أعرض عن شكر تلك الألطاف العظام وأهمل حمد هذه الأيادي الجسام مع تواترها آناً فآناً وترادفها برّاً وامتناناً فهو مستوجب للذمّ والعتاب بل مستحقّ لأليم النكال وعظيم العقاب، ثمّ إنّ الأشاعرة بعدما لفّقوا أدلّة سقيمة ظنّوها حججاً قاطعة على إبطال الحسن والقبح العقليّين ورتّبوا قضايا عقيمة حسبوها براهين ساطعة على حصرهما في الشّرعيّين أرادوا تبكيت أصحابنا باظهار الغلبة عليهم علىٰ تقدير موافقتهم في القول المنسوب إليهم.

فقالوا: إنّنا لو تنزّلنا لكم و سلّمنا إنّ الحسن والقبح عقليّان وإنّنا وإيّاكم في

---

(۱) (الف): مع.

....

الإذعان بذلك سيّان فانّ عندنا مايوجب تزييف قولكم بوجوب شكر المنعم بقضيّة العقل ولدينا ما يقتضي تسخيف إعتقادكم بثبوت ذلك من دون ورود النّقل، فانّ ما جعلتموه دليلاً من خوف العتاب ومظنّة العقاب مردود إليكم ومقلوب عليكم، إذ الخوف إنّما هو عند قيام العبد بوظائف الشّكر والحمد فانّ كلّ من له أدنىٰ عقل يحكم حكماً لا ريب فيه ولا شكّ يعتريه بأنّ السلطان العظيم والملك الكريم الذي ملك الأكناف شرقاً وغرباً وسخّر الأطراف بعداً وقرباً، إذا مدّ لأهل مملكته من الخاص والعام مائدة عظيمة لا مقطوعة ولا ممنوعة علىٰ توالي الأيّام مشتملة علىٰ أنواع المطاعم الشّهيّة مشحونة بأصناف المشارب السّنيّة يجلس عليها الدّاني والقاصي ويتمتّع بطيّباتها المطيع والعاصي، فحضرها في بعض الأحيان فقير لم يحضرها قبل ذلك الآن فدفع إليه الملك من ذلك الخبز(١) لقمة واحدة لاغير فتناولها ذلك الفقير ثمّ شرع في الثّناء علىٰ ذلك الملك الخطير وجعل يمدحه بجليل الإنعام والإحسان ويحمده علىٰ جزيل البرّ والإمتنان ولم يزل يصف تلك اللقمة ويذكرها ويعظّم شأنها ويشكرها فتارة يحرّك أنملته شاكراً وطوراً يهزّ رأسه ذاكراً، فلا شكّ إنّ ذلك الشّكر والثّناء ينتظم عند العقلاء في سلك التهكّم والإستهزاء فيتوجّه العتاب إليه بل يستحقّ العقاب عليه، فكيف ونعم الله تعالىٰ علينا بالنّسبة إلىٰ عظيم سلطانه وعميم كرمه وإحسانه أحقر من تلك اللّقمة بالنّسبة إلى ذلك الملك بمراتب لا يحويها الإحصاء ولا يحوم حولها الاستقصاء،فظهر أنّ العقل السّليم والرأي القويم يقتضيان تقاعدنا عن شكره تعالىٰ علىٰ نعمائه ويحكمان بوجوب الكفّ عن حمده سبحانه علىٰ الآئه ولا يخفىٰ علىٰ من سلك مسالك السّداد ولم ينهج مناهج اللّجاج والعناد، أنّ لأصحابنا رضوان الله عليهم أن يقولوا إنّ ما

---

(١) (الف): الخير.

....

أوردتموه من الدليل وتكلّفتموه من التمثيل كلام مختلّ عليل لا يروي الغليل ولا يصلح للتأويل فانّ تلك اللقمة لمّا كانت ذات قدر حقير عند الملك، والفقير عديمة الإعتبار في جميع الأنظار،لا جرم كان الحمد عليها والثّناء منخرطاً في سلك السّخرية والإستهزاء،فالمثال المطابق لما نحن فيه المناسب لما نقتفيه أن يقال: إذا كان في زاوية الخمول وهاوية الذّهول،مسكين أخرس اللسان،مؤوف الأركان،مشلول اليدين معدوم الرجلين مبتلى بالأسقام والأمراض،محروم من جميع المطالب والأغراض،عادم للحواسّ الظاهرة بأسرها،عار عن المدارك الباطنة بآخرها، فأخرجه الملك من غيابة تلك الزّاوية،وكآبة تلك الهاوية ، ومنّ عليه بإطلاق لسانه،وتقوية أركانه،و إزاحة خلله وعلله،و إماطة إقعاده وشلله،وتعطّف عليه باعطائه السّمع والبصر،وتكرّم بهدايته إلى جلب النّفع ودفع الضّرر وبالغ في إعزازه و إكرامه،وفضّله على كثير من أتباعه وخدّامه، ثمّ إنّه بعد إنقاذ الملك له من تلك الآفات العظيمة،والبلايا العميمة،وشفائه من تلك الأمراض والأسقام،والإحسان إليه بجزيل الإنعام وجميل الإكرام،طوى عن شكره كشحاً،وأضرب عن حمده صفحاً،ولم يظهر منه ما يدلّ على الإعتناء بتلك النّعماء التي ساقها ذلك الملك إليه،والآلاء التي أفاضها وأسبغها عليه، بل كان حاله بعد وصولها كحاله قبل حصولها،فلا ريب انّه مذموم بكلّ لسان، مستوجب للإهانة والخذلان، فدليلكم حقيق بأن تكتموه ولا تظهروه،وتمثيلكم خليق بأن تستروه ولا تسطروه فانّ العقل السّليم يأباهما،والطبع المستقيم لا يرضاهما «وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهدِي السَّبِيلَ»(١).

* * *

(١) سورة الاحزاب: الآية ٤.

وَ الْحَمْدُ لِلّهِ عَلىٰ ما عَرَّفَنا مِنْ نَفْسِهِ، وَ أَلْهَمَنا مِنْ شُكْرِهِ.

من نفسه أي: من ذاته المقدّسة، وجواز إطلاق النّفس مراداً به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة ممّا لا كلام فيه عند المتقدّمين.

قال البغوي:(١) النّفس يطلق على الدّم وعلى نفس الحيوان وعلى الذات وعلى الغيب(٢).

و الأوّلان يستحيلان في حقّه سبحانه، والآخران يصحّ أن يرادا و منه «وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ»(٣) أي في ذاتك أو في غيبك.

و زعم بعض المتأخّرين أنّه لا يجوز إطلاقه عليه تعالىٰ وإن اُريد به الذات إلّا مشاكلة وكفىٰ شاهداً علىٰ جوازه وروده في كلام المعصومين (عليهم السّلام)(٤)

و «من» في كلا الفقرتين بيانيّة.

و معنىٰ تعريف الله سبحانه نفسه: إنّه تعالىٰ عرّف عباده وجوده وعلمه وقدرته وحكمته:

أوّلاً: بما يدلّ علىٰ ذلك بالضرورة، فانّ من تأمّل في خلق السّماوات والأرض ومابينهما سيّما في بدء خلقه في ظلمات الأرحام،ومتضاعفات الأستار و إستقراره في قرار مكين إلىٰ قدر معلوم،وأجل معيّن،وتقلّبه في بطن اُمّه من حال إلىٰ حال،وهو لا

---

(١) هو أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد البغوي الملقب بمحي السنّة، وكان محدّثاً مفسّراً، صنف كتباً عديدة منها: التهذيب في الفقه، والجمع بين الصحيحين، وكتاب شرح السنّة، ومعالم التنزيل، والمصابيح وغيره، توفي سنة (٥١٠)هجريّة والبغوي نسبة الى بغشور. معرّب باغ كور بلد بين هراة و سرخس.

الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص ٧٨.

(٢) لا يوجد لدينا كتبه، ولم نعثر عليه في سائر الكتب مع الفحص الشديد عليه.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٦.

(٤) روح المعاني: ج٧-٨ ص٦٧.

....

يعي دعاء ولا يسمع نداء وخروجه من ذلك المضيق إلىٰ منزل لم يشهده ومقام لم يعرفه و اجترار غذائه من الثّدي عند الحاجة يعلم أنّ له إلٰهاً صانعاً قادراً عليماً حكيماً،وهذا العلم ضروري،و ان إحتاج إلىٰ تنبيه كما ورد في مواضع من القرآن العزيز.

ثمّ عرّفهم ما وراء ذلك من صفات الكمال وعينيّتها ونعوت الجلال التي لا تطلع عليها العقول بالإستقلال بالإشراقات القلبيّة و إرسال الرّسل و إنزال الكتب ونصب الائمّة ليحيىٰ من حيّ عن بيّنة ويهلك من هلك عن بيّنة ولئلّا يكون للناس على الله حجة،فوجب عليهم أن يعرفوه كما عرّفهم، وأن يصفوه بما وصف به نفسه ومن وصفه بغير ذلك فقد أشرك بالله وألحد في أمره وتعدّىٰ في حقّه.

تبصرة

ليس المراد بمعرفته سبحانه إلّا معرفة كونه موجوداً قيّوماً متّصفاً بالصّفات الحسنىٰ مقدّساً عمّا لا يليق بجنابه الأسنىٰ.

و أمّا معرفة كنه ذاته و حقيقة صفاته فأمر مستحيل وليس للعقول إليه سبيل.

قالوا و تقرير ذلك و بيانه:أنّ طريق معرفة الشيء أحد اُمور ثلا ثة.

إمّا:بمشاهدته و حضوره عند العارف كمعرفة هذا الرّجل وهذا الفرس.

و إمّا:بمعرفة علله و أسبابه و هذا الطريق يقال له:برهان لميّ.

و إمّا:بمعرفة آثاره و معلولا ته و يقال له:برهان إنّيّ.

و لا طريق إلى المعرفة غير هذه الثّلا ثة لأنّ ما لا يكون نفس الشّيء ولا علّته ولا معلوله لا تعلّق له بذلك الشّيء فلا مدخل له في كونه وسيلة إلىٰ معرفته.

....

ثمّ الطريق الأوّل لا يمكن إلّا بفناء هويّة الممكن و إندكاك جبل إنيّته(١) ولم يتيتسر لأحد من الأنبياء في دار الدّنيا فضلاً عن غيرهم.

و الطريق الثّاني لا أثر له في ساحة قدسه جلّ شأنه لأنّه بسيط صرف لا تركيب فيه أصلاً لا ذهناً ولا خارجاً، واجب لذاته مبدأ لجميع ما سواه و إليه تنتهي الآثار كلّها فلا فاعل له خارجاً عن ذاته ولا سبب له داخلاً في ذاته،تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

فبقي الطريق الثالث،و العلم الحاصل منه علم ناقص لا يعلم به خصوصيّة ذات المعلوم لأنّ الأثر والمعلول لا يستدعيان إلّا سبباً ما وعلّة ما على وجه كلّي لا مؤثّراً معيّناً وعلّة معلومة،بل غاية ما يستفاد منه انّا إذا نظرنا إلى أجزاء العالم و وجود الحوادث والحركات على أتقن وجه وأحكمه علمنا أنّ في الوجود خالقاً قيّوماً أزليّاً واحداً لا شريك له ولا شبيه عالماً قادراً موصوفاً بالصّفات الحسنى والأمثال العليا والكبرياء والآلاء وهذه الطريقة يشترك في سلوكها جميع أرباب العقول من العالمين حتّى الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى:«وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»(٢) و إن كان سلوكهم و وصولهم على تفاوت مراتب عقولهم، ألا ترى إنّك تستدلّ بملكوت السّماوات و حركات الكواكب و بزوغها وأُفولها على صانعها ومدبّرها كما إستدلّ بها خليل الرحمن ولكن لا يحصل لك من ذلك إلاّ علم ضعيف لا يكاد يمازجه إيمان ولا إيقان حتّى لو وقعت في أدنى بليّة جعلت تلوذ بكلّ من تتوهّم إنّه ينجيك (٣) منها. والذي حصل له (عليه السّلام)

---

(١) (الف): اينيته.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٧٥.

(٣) (الف) و(ج): لمنجيك.

....

علم ثابت ويقين جازم،حتّى قال له الرّوح الأمين حين رمي بالمنجنيق فكان في الهواء مائلاً إلى النّار:ألك حاجة؟ قال:أمّا إليك فلا(١)، فاعراضه عنه في تلك الحالة والتجاؤه إلىٰ ربّه ليس إلّا لأنّه رأىٰ إنّ كلّ ماسواه مفتقر إليه،خاشع لديه،خاضع بين يديه،مقهور لعزّته،مغلوب لقدرته،بل لم ير موجوداً سواه،ولا ملجأ إلّا إيّاه،فتبيّن أنّ معرفة حقيقة ذاته وماله من كمال صفاته، أمر غير ممكن الحصول ولا للعقول إليه وصول،سواء في ذلك الملائكة المقرّبون والأنبياء والمرسلون.

كما قال أعرف الخلق به: «سبحانك ما عرفناك حقّ معرفتك»(٢).

وقال: «إنّ الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وإنّ الملأ الأعلىٰ يطلبونه كما تطلبونه»(٣).

فلا تلتفت إلىٰ من يزعم إنّه قد وصل إلىٰ كنه الحقيقة المقدّسة،بل أحث التّراب في فيه فقد ضلّ وغوىٰ وكذّب وافترىٰ. فانّ الأمر أرفع وأظهر من أن يتلوّث بخواطر البشر. وكلّ ما تصوّره العالم الرّاسخ،فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ، وأقصى ما وصل اليه الفكر العميق، فهو غاية مبلغه من التّدقيق.

وإلىٰ ذلك أشار بعضهم حيث قال:

والله لا موسىٰ ولا عيسى المسيح ولا محمّد
علموا ولا جبريل وهو إلى محل القدس يصعد
كلا ولا النفّس البسيطة لا ولا العقل المجرّد
من كنه ذاتك غير إنك واحديّ الذات سرمد

---

(١) الدرالمنثور: ج٤، ص٣٢٣.

(٢) عوالي اللئالي: ج٤، ص ١٣٢ ح ٢٢٧.

(٣) علم اليقين للفيض الكاشاني: ج١، ص ٣٩.

....

فسبحان من احتجب بغير حجاب وتقدّس عن إدراك العقول والألباب.

قوله (عليه السّلام) «و ألهمنا من شكره». الإلهام: ما يلقىٰ في القلب بطريق الفيض فلا يجب إسناده وإستناده إلىٰ المعرفة بالنّظر في الأدلّة.

قال في الغريب: يقال لـمايقع في النّفس من عمل الخير:إلهام، ولمايقع من الشّر ومالا خير فيه:وسواس، ولمايقع من الخوف:إيجاش.ولمايقع من تقدير نيل الخير:أمل، لـما يقع من التّقدير الذي لا علىٰ الإنسان ولا له:خاطر إنتهىٰ(١).

قالوا و الفرق بين الإلهام والوحي من وجوه:

أحدها: أنّ الإلهام يحصل من الحق تعالىٰ من غير واسطة الملك، والوحي يكون بواسطته.

الثّاني: أنّ الوحي من خواصّ الرّسالة، والإلهام من خواصّ الولاية.

الثّالث: أنّ الوحي مشروط بالتبليغ كما قال تعالى: «يٰا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ»(٢) دون الإلهام.

و منهم من جعل الإلهام نوعاً من الوحي كما تقدّم.

و أمّا لغة: فيطلق أحدهما على الآخر، ومنه «وَأَوْحىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ»(٣) أي: ألهمها وقذف في قلوبها.

و الشّكر: حالة نفسانيّة تنشأ من العلم بالمشكور وصفاته و إنعامه، وتثمر العمل بالقلب واللّسان والأركان وهم بالنظر إلىٰ تلك الثمرة، عرّفوه: بأنّه فعل دالّ علىٰ تعظيم المنعم قولاً وعملاً وإعتقاداً. وتخصيصه بالإلهام قد وقع نحوه في كلام أمير المؤمنين (عليه السّلام) حيث قال في مفتتح خطبة له: «الحمد لله الملهم عباده حمده»(٤).

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٣) سورة النحل: الآية ٦٨.

(٤) الكافي: ج١، ص ١٣٩، ح ٥

....

قال بعض الشّارحين: أراد بالعباد الملهمين حمده خواص البشر.

و قال غيره: إنّ حمد العباد له سبحانه والثناء عليه بما يليق بجبروته و وصفه بما يصحّ وصفه به و إن لم تدرك حقيقة صفته إنّما هو بإلهام(١) منه سبحانه أن يحمدوه به،وهذه نعمة منه تعالىٰ يجب الحمد عليها إنتهىٰ.

قلت: و لعلّ فيه إشارة إلى ما روي أنّ الله سبحانه لمّا نفخ في آدم من روحه وصار بشراً فعند ما إستوىٰ جالساً عطس فأُلهم أن قال:الحمد لله ربّ العالمين، فقال الله تعالىٰ: يرحمك الله يا آدم(٢) فكان أوّل حمد وقع من البشر إلهاماً.

و قال ابن أبي طاهر: ما خلق الله شيئاً من خلقه إلّا وألهمه الحمد.

و قد يراد بالإلهام معناه اللغوي وهو الإعلام مطلقاً فلا إشكال حينئذ.

تذكرة

في حمده (عليه السّلام) لله تعالىٰ علىٰ إلهام الشكر إشارة إلى ما روي عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلىٰ موسىٰ (عليه السّلام) يا موسىٰ أُشكرني حقّ شكري، فقال: يا ربّ كيف أشكرك حقّ شكرك وليس من شكر أشكرك به إلّا وأنت أنعمت به عليّ، قال: يا موسىٰ الآن شكرتني حين علمت أنّ ذلك منّي(٣).

و مثل ذلك ما روي من طريق العامة في مناجات رسول الله (صلّى الله

---

(١) (الف) و(ج): بالالهام.

(٢) تفسير الطبري: ج١، ص ١٥٩ والدر المنثور: ج١ ص٤٥.

(٣) الكافي: ج٢، ص ٩٨، ح ٢٧.

وَ فَتَحَ لَنا مِنْ أَبْوابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِهِ.

عليه وآله): أنت يا ربّ أسبغت عليّ النّعم السّوابغ فشكرتك عليها فكيف لي بشكر شكرك ، فقال الله تعالىٰ: تعلمت العلم الذي لا يفوته علم بحسبك أن تعلم أنّ ذلك من عندي(١).

و في هذا المعنىٰ يقول محمود الوراق:(٢)

شكر الإله نعمة موجبة لشكره و كيف شكري من برّه وشكره من تبره

و سنستوفي الكلام علىٰ مباحث الشّكر في شرح الدّعاء السّابع والثلاثين إن شاء الله تعالىٰ *.

أبواب العلم: وجوهه، كأنّ كلّ وجه منها باب يدخل إلى العلم منه.

و العلم: الإعتقاد الجازم المطابق للواقع.

و قوله: بربوبيّته، متعلّق به أي: العلم بأنّه ربّ كلّ شيء، وهو في الأصل مصدر بمعنى التربية، وهي تبليغ الشّيء إلىٰ كماله شيئاً فشيئاً، ثمّ وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وسمّي به المالك لأنّه يحفظ ما يملكه ويربّيه، وإنّما خصّ الرّبوبية من بين الصّفات نظراً إلىٰ مبدء الإشتقاق الذّي هو التّربية، فانّ العلم بها علىٰ حسب آثارها وفتح أبواب العلم بها من أعظم النّعم التي يجب الحمد عليها إذ لا شيء ممّا أحدق به نطاق الإمكان والوجود من العلويّات والسّفليّات والمجرّدات والماديّات والرّوحانيّات والجسمانيّات إلّا وهو في حدّ ذاته بحيث لو فرض إنقطاع التّربية عنه آناً واحداً لما استقرّ له قرار ولهوىٰ في مهاوي العدم والبوار، ولكنّه عزّ شأنه يفيض عليه من جنابه الأقدس في كلّ آن وزمان من أنواع الفيوض المتعلّقة

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج١، ص٣٠٠.

(٢) هو ابو عبدالله تاج الدين محمود بن محمد بن صفي بن محمد الورّاق الذهلي، فقيه، بياني، منطقي، نحوي، من تصانيفه تحفة سلاطين في الجهاد، والمقتصد في النحو. كان حيّاً سنة ٧٩٨هجرية.

بغية الوعاة: ص٣٨٩

....

بذاته وصفاته ما لا يحيط به إلّا هو سبحانه ضرورة إنّه كمالا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداءً لا يستحقّه بقاءً، و إنّما ذلك من جناب المبدأ الأوّل عزّ شأنه، فكما لا يتصوّر وجوده ابتداءً ما لم ينسدّ عنه جميع أنحاء عدمه الأصلي لا يتصوّر بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلّته ما لم ينسدّ عنه جميع أنحاء عدمه الطاري لما أنّ الدوام من خصائص الوجود الواجبي وظاهر أنّ ما يتوقف عليه وجوده من الأمور الوجوديّة التي هي علله وشرائطه و إن كانت متناهية لوجوب تناهي مادخل تحت الوجود، لكنّ الأمور العدميّة الّتي لها مدخل في وجوده وهي المعبّر عنها بارتفاع الموانع ليس كذلك إذ لا إستحالة في أن يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقّف وجوده أو بقاؤه على إرتفاعها أي بقائها على العدم مع إمكان وجودها في نفسها،فإبقاء تلك الموانع الّتي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشّيء من وجوه غير متناهية.

و بالجملة فآثار تربيته عزّوجلّ الفائضة على كلّ فرد من أفراد الموجودات في كلّ آن من انات الوجود لا تقف على ساحل بحرها الأفهام والألباب،ولا يحيط بمحيط مقدارها حصر ولا حساب،فسبحان من لا يتناهى إحسانه ولا يضاهى إمتنانه.

و اعلم أنّ أبواب العلم بربوبيّته سبحانه و إن كانت لا تحصى جهاتها إلّا أنّها تنحصر في ثلاثة أقسام تندرج تحت كلّ قسم مراتب غير محصورة.

أحدها: العلم الفطري وهو حاصل للعوام أيضاً إذ ما من أحد إلّا ويعلم أنّ له ربّاً بحسب الفطرة الأصليّة لما ركّب فيه من العقل الّذي هو الحجة الأولى و إن أنكر وجوده منكر،فإنّما هو لغلبة الشقاوة المكتسبة المبطلة للإستعداد الفطري وهو مع ذلك يعترف به في حال الإضطرار.

الثّاني: العلم بالنّظر و الإستدلال بالآثار وهذا القسم للخواص.

وَ دَلَّنا عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلاصِ في تَوْحيدِهِ.

الثّالث: العلم بالكشف و الشّهود الذي هو عين اليقين وهذا القسم لخواص الخواص الذين يعرفون الحقّ بالحقّ.

و يحتمل أن يكون المراد بأبواب العلم الهداة إليه والدالّين عليه إذ كان العالم يتأدّى بهم إلى مدينة العلم، كما في قوله (صلّى الله عليه وآله): «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»(١)، وكذا حكم أولاده المعصومين (عليهم السّلام).

قال بعضهم: و يحتمل ان تكون الباء في قوله بربوبيّته للسببيّة ولا يخفى بعده *.

الدلالة: الإرشاد.

و الإخلاص: مصدر أخلص الشّيء إذا جعله خالصاً ممّا يشوبه.

يقال: خلص الماء إذا صفا من الكدر.

و كلّ شيء صفا عن شوبه و خلص يسمّى خالصاً، قال تعالى: «مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصاً»(٢) أي: لا شوب فيه من الفرث والدّم،وأخلصت النّار الذّهب:صفّته ممّا يشوبه من الحديد والنّحاس وغيرهما، وأخلص طاعته:ترك الرّياء فيها، وأخلص لله الدّين:لم يشرك به، قال تعالى: «وَما أُمِرُوا إلّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدّين»(٣) أي: موحّدين غير مشركين.

و التوحيد لغة: جعل الشّيء واحد، أي: الحكم بوحدانيّته والعلم بها، وقد يطلق بالإشتراك على التّفريق بين شيئين بعد الإتّصال وعلى الإتيان بالفعل الواحد منفرداً.

و إصطلاحاً: إثبات ذات الله بوحدانيّته منعوتاً بالتنزّه عمّا يشابهه ويشاركه،

---

(١) تذكرة الخواص لابن الجوزي: ص ٤٧ حديث مدينة العلم.

(٢) سورة النحل: الآية ٦٦.

(٣) سورة البينة: الآية ٥.

....

و وحدانيّته بمعنىٰ انّه لا ثاني لـه في الوجود، بمعنـىٰ أنّه لا كثرة فيه مطلقاً لا في عين الذّات لانـتفاء التركـيب والأجـزاء.ولا في مرتبة الذّات لانـتفاء زيادة الوجود، ولا بعد مرتبة الذات لانـتفاء زيادة الصفات،وقد يـقصد بها معنىٰ إنّه لم يفته من كماله شيء بل كلّ ما ينبـغي له فهو له بالـذات والفعل،إذ الواحد قد يـقال لما لم يفته من كماله شيء بل كلّ كمال ينبغي له فهو حاصل له بالفعل.

و المعنىٰ الأوّل هو المشتمل عليه أوّل كلمة نطق بها الدّاعي إلىٰ الله تعالىٰ وهو قول:((لا إله إلّا الله)).

و لمّا كان للـتّوحيد مراتـب أكملها الإخـلاص فيه حمده سبـحانه علىٰ الدلالة عليه، ومراتبه أربع:

أوّلها: قول يقال: كتوحيد المنافق و المسلم من خوف السّيف المشهور عليه.

و الثّانية: تصديق يعتقد كتوحيد عامة المسلمين.

و الثّالثة: يـقين يستبصر بواسطته نور الحقّ فيرىٰ أشـياء كثيرة ولـكن صدورها علىٰ كثرتها من الواحد الفرد، وهو مقام المقرّبين كأنّهم قرّبوا إلىٰ منتهىٰ المقامات، و بشّروا بطلوع ثنيّات المكاشفات.

ألـيس لـتقـريـب المـنـازل فـرحـة و لا فرحـة العطشان فـاجاه الـقطر
يـقـولـون قـد جـاز الـثـنـيـة رحـلـه فتـنـتشـر البشرى ويـنـشرح الصدر

الرّابعة: كشف عن مشاهدة الصدّيقين فلا يرىٰ في الوجود إلّا واحداً وهو الذي تسمّيه الصّوفـيّة الفناء في الـتوحيد، لأنّه مـن حيث لا يرىٰ إلّا واحـداً لا يرىٰ نفسه أيضاً،فيفنىٰ بواحدة عن كلّ ماسواه ويفنىٰ عن نفسه أيضاً فلا يراه.

فالأوّل: موحّد بمجـرّد اللّسان،و يعصم ذلـك صاحبه في الدّنيا،ويوفّيه حظّه منها فلا يراق لـه دم،ولا يباح له حـريم،ولا يحرم من مـغنم،ولا يستحرم مـنه في منكح ولا مذبح.

....

و الثّاني: يعصمه في الآخرة أيضاً من عذابها إذا توفّى علىٰ الوفاء بأحكامه ولم تحلّ المعاصي عقدة إسلامه

وتزيد مرتبة الثّالث عليه بمقام اليقين و سلوك طريقة المجتهدين في التجريد إذ يرىٰ كلّها من الواحد ولكنّه يراها كثيرة نظراً إلىٰ ذواتها.

ويزيد الرّابع علىٰ هذا زيادة الشّمس علىٰ النّجم والسّماء علىٰ الأرض من حيث لا يرىٰ في شهوده غير الواحد الحقّ فلا يشاهده بالأشياء بل يشهد الأشياء به كما قال تعالى: «اَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ اَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»(١).

و مثال الأوّل: هو القشرة العليا من الجوز لا خير فيه البتة إن أُكل فهو مرّ المذاق بعيد عن المساغ، و إن نظر إليه فهو بسر الوجه كريه المنظر، و إن استوقد دخّن البيت، وإن ترك لوّث المكان، ولكنّه يحفظ القشرة الصّلبة السّفلىٰ التي هي بدن اللّب، فالتّوحيد عن ظاهر اللسان يحفظ بدن المنافق في دنياه ثم يرمىٰ به فلا يغني عنه شيئاً في أُخراه.

و مثال الثّاني: هو القشرة الصّلبة الأُخرىٰ فانّه ظاهر النّفع بيّن الجدوى يصون اللّب عن الفساد ويربّيه إلى وقت الحصاد وينفصل عنه فينتفع به في الوقود وغيره، لكنّه نازل القدر زهيد النّفع بالإضافة إلىٰ اللّب، فكذلك الإيمان الظاهر عن مجرّد الإعتقاد من غير إيقان ناقص الشّرف بالنّسبة إلىٰ حال إنشراح الصّدر بالصّدر(٢) و إنفساح القلب باليقين.

و مثال الثالث: اللب.

و مثال الرابع: الدّهن المستخرج من اللب.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(٢) (الف): بالصدق.

وَ جَنِّبْنا مِنَ الْإِلْحادِ وَالشَّكِّ في أَمْرِهِ.

و كما أنّ اللبّ نفيس في نفسه نفيس بالنسبة إلى القشرة و لكنّه لا يخلو من شوب عصاره وثخين قراره بالإضافة إلى الدّهن المستخرج منه الصّافي عن المشوبات الخالص من الكدورات الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، فكذلك توحيد الموقنين الصّادقين عال للمقرّبين ولكن الأعلى من ذلك إذا صفا من شوب ملاحظة الأغيار وخلص عن الإلتفات إلى الكثرة بشهود الحق لا غير، و إنّما حملنا الإخلاص في التوحيد على هذه المرتبة التي هي الغاية القصوى من مراتبه،لأنّها الخالصة من الشّوائب الصافية عن الأشائب،ولأنّها مرتبة الدّاعي (عليه السّلام) وإن كان الإخلاص مقولاً بالتشكيك.

كما يدلّ عليه قول أمير المؤمنين (عليه السّلام): «أوّل الدّين معرفته، وكمال معرفته التّصديق به، وكمال التّصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه»(١).

إذ لا شك في أنّ الإخلاص الذي دلّ الله تعالى عليه أولياءه المعصومين إنّما هو الإخلاص الكامل الذي لا إخلاص فوقه والله أعلم *.

جنبت(٢) الرّجل الشّرجنوباً من باب (قعد): أبعدته عنه، وجنّبته بالتّثقيل مبالغة،كأنّه مأخوذ من جعل الشّي جانباً. وعدّاه بمن لتضمينه معنى الإبعاد أو المفعول محذوف.

و «من» بيانيّة.

و الإلحاد: في الأصل الميل و العدول عن الشّيء، ثمّ قيل:ألحَدَ الرّجل في الدّين:إذا طعن فيه كأنّه عدل عنه.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج١، ص ١٠٦.

(٢)(ج): جنب الرجل.

....

و قال أبو عبيدة: ألحد إلحاداً جادل و مارىٰ(١).

و المراد بالشك هنا: معناه اللغوي الذي عرّفه ائمة اللّغة بقولهم: الشّك خلاف اليقين، فقولهم خلاف اليقين: هو التّردّد بين شيئين سواء إستوا طرفاه أو رجّح أحدهما علىٰ الآخر، قال تعالىٰ: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ»(٢).

قال المفسّرون: أي غير مستيقن.

و هو يعمّ الحالتين فهو أعم من الشّك الإصطلاحي الذي هو التردّد بين النقيضين لا ترجيح لأحدهما علىٰ الآخر عند الشاكّ.

و علىٰ المعنىٰ الأوّل ورد قول أبي عبدالله (عليه السّلام): «من شكّ في الله تعالىٰ وفي رسوله (صلّى الله عليه وآله) فهو كافر»(٣).

و علىٰ المعنىٰ الثّاني ورد قوله (عليه السّلام): «من شكّ أو ظنّ فأقام علىٰ أحدهما أحبط الله تعالىٰ عمله إنّ حجّة الله هي الحجّة الواضحة»(٤) فعطف الظنّ علىٰ الشّك لإرادة معناه الاصطلاحي.

قوله: (في أمره) أي: في معرفة ذاته وصفاته، أو في دينه وشرعه. كما فسّر به قوله تعالىٰ: «وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللهِ»(٥).

و الأمر: الشأن، وقد يطلق عند الحكماء علىٰ الذات المقدّسة فيقولون: هو الأمر المحض الذي لا يعلّل.

---

(١) المصباح المنير: ص ٧٥٥.

(٢) سورة يونس: الآية ٩٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٨، ص٥٦١، ح٢٢.

(٤) الكافي: ج٢، ص ٤٠٠، ح ٨.

(٥) سورة التوبة: الآية ٤٨

حَمْداً نُعَمَّرُ بِهِ فِيمَنْ حَمِدَهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَ نَسْبِقُ بِهِ مَنْ سَبَقَ إِلىٰ رِضاهُ وَعَفْوِهِ.

حمداً: منصوب علىٰ المفعوليّة المطلقة مفيد لتأكيد عامله وتقوية معناه وعامله.

امّا قوله: الحمد لله باعتبار كونه مصدراً، أو باعتبار تضمّنه معنىٰ الفعل، أو فعل مقدّر يدلّ عليه المصدر، وقس علىٰ ذلك ما يأتي من نظائره.

قوله «نُعَمّر»: بضم النّون و فتح العين المهملة وتشديد الميم المفتوحة على ما في النّسخة المشهورة من العمر بفتح العين وضمّها و بضمّتين وهو الحياة.

يقال: عمر يعمر من باب (تعب) أي: طال عمره فهو عامر.

و يتعدّىٰ بنفسه و بالتّضعيف، فيقال: عمره يعمره من باب (قتل) وعمّره تعميراً، أي: طال عمره.

و المعنىٰ: حمداً يطال به عمرنا مع من حمده، أو خال كوننا داخلين في عداد الحامدين له.

و قول بعضهم: يحتمل أن يكون من العمارة غلط، فانّ إستعمال التعمير في العمارة استعمال عامي لم يرد في اللّغة، و إنّما يقال: عمر الله منزله عمارة من باب (كتب) كتابة، كما نبه عليه بعض المحقّقين من أهل اللّغة.

و وقع في نسخة ابن ادريس: يغمر به من حمده، بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الغين المعجمة وضمّ الميم وبعدها راء مهملة، مع إسقاط لفظ في من قوله: «في من حمده»، وهو من الغمر بفتح الغين المعجمة بمعنىٰ: الستر.

يقال: غمره غمراً مثل ستره ستراً، وزناً و معنىٰ، فالضمير المستتر في يغمر راجع إلىٰ الله تعالىٰ، والمعنىٰ يستر به من حمده.

و حمد: من باب (سمع) لاغير.

و من خلقه: متعلّق به، و (من) بيانيّة.

....

و سبق يسبق: من باب (ضرب) و (قتل) تقدّم.

و المراد به هنا التقدّم في الشرف و الفضل، بأن يكون حمده أشرف وأفضل من حمد غيره فيتقدّم به من تقدّم إلىٰ رضاه وعفوه.

و في الكلام إستعارة مكنيّة تخييليّة، شبّه الرّضا والعفو بالغاية التي يتسابق إليها، وذكر السّبق الذي هو من لوازم المشبّه به.

و الرّضا: في الإنسان حالة للنّفس توجب تغيّرها و إنبساطها لإيصال النّفع إلىٰ الغير، أو الإنقياد لحكمه، ورضاه تعالىٰ عبارة عن ثوابه.

كما روي عن الصّادق (عليه السّلام): رضاه ثوابه وسخطه عقابه(١).

و قيل رضاه: إرادة الثّواب،و سخطه: إرادة العقاب.

و قال ابن ميثم في شرح النّهج: رضاه تعالىٰ عن العبد يعود إلىٰ علمه بموافقته لأمره وطاعته، وغضبه تعالىٰ يعود إلىٰ علمه بمخالفة أوامره وعدم طاعته له(٢).

وقال بعض المحقّقين من علمائنا المتأخّرين: لرضاه تعالىٰ مراتب.

فمنها رضا أزلي: هو عين ذاته، لا يقابله سخط، ولا يمازجه شوب، وهو كونه بحيث تصدر عنه الأشياء موافقة لعلمه بها على أفضل وجه وأتمّه.

و منها ملك مقدّس روحاني: هو رضوان الله بالفعل، إذ وجوده عين الرضا من الله سبحانه، وكذا كلّ جوهر عقلي ولا يشوبه شرّ ومعصية، إذ كان فعله طاعة لله.

و منها: ثواب الله والجنّة، و يقابله سخطه و النّار.

و العفو: محو الذّنوب، من عفت الرّيح المنزل إذا درسته.

و إنّما بدء بالرّضا مع إنّ حصوله بعد العفو إهتماماً بشأنه وتنوهياً بمقامه، فانّ

---

(١) التوحيد للصدوق: ص ١٦٩ ح ٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ما عثرنا عليه في مظانه.

....

العرب قد تبدأ بالشّيء والمقدم غيره لنكتة ما، وإلّا فالمقام يقتضي التّرقي من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ كما قال تعالىٰ: «وَ سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰاتُ وَالْأَرْضُ»(١).

و علىٰ ذلك ما يحكىٰ إنّ رجلاً غضب علىٰ غلام له فاستشفع الغلام إلىٰ سيده إنساناً فشفّعه فأخذ الغلام يعفّر في التّراب خده ويسقي الأرض دمعه، فقال الشّفيع: ولم ذلك كلّه وقدعفا عنك، فقال السيّد: إنّه يطلب الرّضا وليس ذلك إليه، فانّما يبكي لأجله، أو للتنبيه علىٰ أن عفوه جلّ شأنه ليس كعفو غيره الّذي هو عبارة عن محو الذنب فقط حتىٰ يكون رضاه الّذي هو عبارة عن ثوابه بعده، بل عفوه أبلغ من رضاه لأنّ رضاه كما علمت ثوابه، والثواب هو النفع المستحقّ.

و أمّا عفوه فيتضمّن النفع من غير إستحقاق لأنّه كريم العفو، ومعنىٰ كرم عفوه تبديل السيّئة حسنة.

كما ورد في الحديث: إنّ جبرئيل (عليه السّلام) سمع إبراهيم خليل الرّحمن صلوات الله عليه يقول: يا كريم العفو، فقال له: أو تدري يا إبراهيم ما كرم عفوه؟ قال: لا يا جبرئيل، قال: إن عفا عن السيئة كتبها حسنة(٢).

و يدلّ عليه قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً»(٣)، هذا إن فسّرنا الرّضا بالثّواب.

و إن فسّرنا بارادة الخير للعبد فيكون سبب كلّ سعادة وموجب كلّ فوز وبه ينال كرامته التي هي أكبر أصناف الثّواب كما قال تعالىٰ: «وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

(٢) ربيع الابرار للزمخشري: النسخة المخطوطة ص٤٦ باب(الجنايات والذنوب ومايتعلّق بها).

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

حَمْداً يُضيءُ لَنا بِهِ ظُلُماتُ الْبَرْزَخِ.

أكبر»(١).

فالوجه في تقديمه ما قدّمناه من الإهتمام، أو جعله من باب التتميم لا الترقّي كأنّه قال: إن لم نسبق من سبق إلى رضاه فمن سبق إلى عفوه.

و يناسبه ما في الدّعاء: «إن لم ترض عنّي فاعف عنّي»، وقد يعفوا السيّد عن عبده وليس براض عنه، والله أعلم *.

بدل كلّ من قوله حمداً نعمّر به.

و أضاء الصبح إضاءة: أنار وأشرق، والاسم: الضياء، وقد تهمز الياء، وضاء ضواءاً من باب (قال) لغة فيه ويكون أضاء لازماً و متعدّياً، فيقال: أضائه غيره أيضاً، كما يقال: أنار الشّيء وأناره غيره.

و الضّياء و النور مترادفان لغة، و قد يفرّق بينهما بأنّ الضّوء: ما كان من ذات الشّيء المضيء، والنّور: ما كان مستفاداً من غيره.

قيل: و عليه جرى قوله تعالى: «جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءاً وَالْقَمَرَ نُوراً»(٢).

و الظلمات: جمع ظلمة، وهي عدم الضّوء عمّا من شأنه أن يكون مضيئاً.

و قيل: هيئة مضادّة للنور.

و وقع في النسخ المشهورة تضيء مضبوطاً بضم التّاء المثنّاة من فوق، ورفع ظلمات على أنّه فاعل، فيكون من أضاء اللازم.

و بضم الياء المثنّاة من تحت، ونصب ظلمات بالكسر نيابة عن الفتحة على أنّه مفعول، والفاعل ضمير مستتر في يضيء راجع إلى الله سبحانه. فيكون من أضاء المتعدّي.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧٢.

(٢) سورة يونس: الآية ٥.

....

و لك قراءة يضيء بالياء المثنّاة من تحت، و رفع ظلمات على أنه فعل لازم وفاعل.

و تضيء بالتاء المثنّاة من فوق، و نصب ظلمات على أنّه فعل متعدّ ومفعول، والفاعل ضمير خطاب مستتر، ويكون من باب الإلتفات من الغيبة إلىٰ خطابه تعالى، ففي العبارة أربعة أوجه من الاعراب.

و البرزخ: في اللّغة: الحاجز بين الشيئين، وأُطلق على الحالة التي تكون بين الموت والبعث، قال تعالىٰ: «وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ»(١)، وهي مدّة مفارقة الرّوح لهذا الجسد المحسوس إلى وقت البعث وعودها إليه، ويطلق علىٰ القبر بهذا الإعتبار.

روى ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السّلام) إني سمعتك وأنت تقول كلّ شيعتنا في الجنّة على ما كان منهم، قال: صدقتك كلّهم والله في الجنة قال: قلت جعلت فداك إنّ الذّنوب كثيرة كبار، فقال: أمّا في القيامة فكلكم في الجنّة بشفاعة النّبي المطاع أو وصيّ النبيّ، ولكني والله أتخوّف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته إلىٰ يوم القيامة(٢).

تنبيهات

الأوّل: في هذه الفقرة من الدّعاء دلالة علىٰ بقاء النفوس الناطقة بعد خراب

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٠٠.

(٢) الكافي: ج٣، ص ٢٤٢ ح ٣، وفيه عن عمرو بن يزيد.

....

الأبدان، لأنّ الإضاءة المطلوبة ليست إلاّ للّروح و إلاّ فالجسم يضمحلّ ويستحيل، وهو مذهب أكثر العقلاء من المليّين والفلاسفة القائلين بانّ الرّوح: جوهر مجرّد أبديّ لا يعتريه الزّوال، ولا يتطرّق إليه الإختلال، ولم ينكره إلاّ شرذمة قليلون، كالقائلين بأنّ النّفس هي المزاج، أو الدّم، وأمثالهم ممّن لا يعبأبهم، ولا يلتفت إلىٰ أقوالهم، والشّواهد العقليّة والنّقليّة علىٰ ذلك أكثر من أن تحصىٰ، ويكفي في ذلك قوله تعالىٰ: «وَلاٰ تَحْسَبَنَّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوٰاتاً بَلْ أَحْيٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمٰا آتٰاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ»(١).

الثّاني: «الباء» في قوله (عليه السّلام) «يضيء به» امّا للسببيّة أو للآلة، ثمّ الظاهر أنّ المراد بالإضاءة به أن يصير الحمد جسماً متكيّفاً بالضّوء تشرق به الظلمات البرزخيّة، كالشّمس المشرقة التي تشرق بضوئها الظلمات الزمانيّة، بناءاً على ما هو الصحيح من تجسّم الأعمال والإعتقادات في تلك النّشأة، كما دلّ عليه كثير من الأخبار المرويّة عن أرباب العصمة (عليهم السّلام)، فالأعمال الصّالحة والإعتقادات الصّحيحة تظهر صوراً نورانيّة مشرقة يستضيء بنورها أصحابها، كما قال تعالى: «يوم ترىٰ المؤمنين والمؤمنات يسعىٰ نورهم بين أيديهم و بأيمانهم»(٢).

و في الخبر: «إنّ العمل الصالح يضيء قبر صاحبه كما يضيء المصباح الظلمة»(٣).

و الأعمال السيّئة و الإعتقادات الباطلة تظهر صور ظلمانيّة كاسفة يتحيّر في

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩ و ١٧٠

(٢) سورة الحديد: الآية ١٢.

(٣) لم نعثر عليه.

....

ظلمها أربابها، كما قال تعالىٰ: «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً»(١).

و قال (عليه السّلام): «الظلم ظلمات يوم القيامة»(٢). فيكون المراد بظلمات البرزخ أيضاً الأعمال والإعتقادات المظلمة.

و المراد باضائتها حينئذ: إمّا محوها و إذهابها، كما قال تعالىٰ: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ»(٣)، أو تبديلها حسنات، كما قال سبحانه: «فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ»(٤).

و قيل: المراد بظلمة البرزخ: ظلمة القبر، و ظلمة العمل، وظلمة البدن الهيولاني الذي انقطع منه نور النّفس المجرّدة وإستعدّ للرجوع إلىٰ المادّة الأصليّة، إنتهىٰ. وهو كما تراه.

الثّالث: قال بعضهم: لا يبعد أن يحمل البرزخ علىٰ الوجود في عالم الشّهود، أعني الوجود الحسّي كما يطلق عليه المحقّقون من الصوفيّة فيقولون الموجودات في غواسق برزخيّة،ووجه الإطلاق إنّهم ارتقوا عن فناء العدم الصرف وما اتّصلوا بالوجود البحت الأبدي ولم يصلوا إلىٰ ساحته فكانوا بين بين، وتعدّد الظلمات حينئذ باعتبار ظلمة الإمكان والإحتياج والمادة وبقيّة آثار ظلمة العدم إلى غير ذلك.

قال: و زعمي إنّ حمل كلام المعصوم (عليه السّلام) علىٰ هذا الوجه اللّطيف

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٣.

(٢) سنن الترمذي: ج ٤، ص ٣٧٧، ح ٢٠٣٠.

(٣) سورة هود: الآية ١١٤.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

....

أبهى وأحرى من حمله على المعنى السّابق، ولا سيما بقرينة ما سيذكره (عليه السّلام) في الفقرة التي تليه من تسهيل سبيل المبعث الشّامل للقبر، بل هو مساوق له، وفي الفقرة التي بعدها من شرف المنازل الحاصل في يوم المبعث لئلا يكون فيه شائبة من التكرار إنتهى(١)

قلت: بل هو بعيد جداً.

أمّا أوّلاً: فحمل كلامه (عليه السّلام) على مصطلح الصوفيّة ممّا لا يقبله العقل السّليم والطبع المستقيم.

و أمّا ثانياً: فلأنّه قد تكرّر في كلامهم (عليهم السّلام) تفسير البرزخ بزمان القبر كما تقدّم في الحديث السّابق عن الصّادق (عليه السّلام).

و عنه (عليه السّلام) أيضاً: و الله ما أخاف عليكم إلّا البرزخ، وأمّا إذاصار الأمر إلينافنحن أولى بكم(٢).

و قال (عليه السّلام) في قوله تعالى: «اَلنّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهٰا غُدُوّاً وَعَشِيّاً» هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة(٣).

فاذا ورد البرزخ في كلامهم (عليهم السّلام) بهذا المعنى فحمله على ما لا يعرف لغة وعرفاً شايعاً في نهاية البعد.

و أمّا ثالثاً: فلأنّ التكرار الذي توهّمه وحمله على مازعمه ممنوع كما ستقف عليه إذا أفضت النّوبة إليه، والله يقول الحق وهو يهدي السّبيل.

* * *

---

(١) أي كلام البعض.

(٢) تفسير علي بن ابراهيم القمي: ج٢، ص ٩٤.

(٣) تفسير البرهان: ج٤، ص ٩٩، ح٣.

....

تبصرة
فيها تذكرة

دلّت الأخبار المنقولة عن الائمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أنّ الأرواح بعد مفارقتها الأبدان العنصريّة تتعلّق بأشباح مثاليّة تشابه تلك الأبدان، وهذا التعلّق يكون في مدّة البرزخ فتتنعّم أو تتألّم بها إلى أن تقوم السّاعة فتعود عند ذلك إلى أبدانها كما كانت عليه.

روى ثقة الإسلام في الكافي باسناده عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله (عليه السّلام) عن أرواح المؤمنين، فقال: في الجنّة على صور أبدانهم لو رأيتهم لقلت فلان(١).

و عنه قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السّلام) إنّا نتحدّث عن أرواح المؤمنين إنّها في حواصل طير خضر ترعى في الجنّة، وتأوى إلى قناديل تحت العرش، فقال: لا إذن ماهي في حواصل طير خضر. قلت: فأين هي؟ قال: في روضة كهيئة الأجساد في الجنّة(٢).

و عن أبي ولّاد الحنّاط، عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: قلت جعلت فداك يروون إنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال: لا المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، ولكن في أبدان كأبدانهم(٣).

---

(١) لم نعثر عليه في الكافي، بل وجدناه في التهذيب: ج١، ص ٤٦٦.

(٢) الكافي: ج٣، ص ٢٤٥، ح ٧.

(٣) الكافي: ج٣، ص ٢٤٤، ح ١.

....

و عن يونس بن الظبيان قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السّلام) فقال: ما يقول النّاس في أرواح المؤمنين، فقلت يقولون تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش، فقال أبو عبدالله (عليه السّلام): سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، يا يونس إذا كان ذلك أتاه محمّد (صلّى الله عليه وآله) وعلي وفاطمة والحسن والحسين والملائكة المقرّبون (عليهم السّلام) فاذا قبضه الله عزّوجلّ، صيّر تلك الرّوح في قالب كقالبه في الدّنيا، فيأكلون و يشربون، فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصّورة التي كانت في الدنيا(١).

و عن حبّة العرني قال: خرجت مع أمير المؤمنين (عليه السّلام) إلى الظهر، فوقف بوادي السّلام كأنّه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتّى أعييت، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت حتّى نالني مانالني أوّلاً، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت وجمعت ردائي، فقلت: يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثمّ طرحت الرّداء ليجلس عليه، فقال لي: يا حبّة إن هو إلّا محادثة مؤمن أو مؤانسته، قال: قلت: يا أميرالمؤمنين وإنّهم لكذلك، قال: نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقا محتبين(٢) يتحادثون، فقلت: أجسام أم أرواح، فقال أرواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاقيل لروحه ألحقي بوادي السّلام وإنّها لبقعة من جنّة عدن(٣).

و عن ضريس الكناسي قال: سألت ابا جعفر (عليه السّلام) إنّ النّاس يذكرون إنّ فراتنا يخرج من الجنّة فكيف هو وهو يقبل من المغرب وتصبّ فيه

---

(١) الكافي: ج٣، ص ٢٤٥، ح ٦. وفيه: كان عليها في الدنيا.

(٢) محتبين ـ باهمال الحاء و تقديم المثناة على الموحدة ـ من إحتبى بالثوب: إشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامه ونحوها. وفي بعض نسخ الكافي [مخبتين] من الاخبات بمعنى الخشوع.

(٣) الكافي: ج٣، ص ٢٤٣، ح ١.

....

العيون والأودية، قال: فقال أبو جعفر (عليه السّلام): وأنا أسمع إنّ لله جنّة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذا يخرج منها وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كلّ مساء فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعّم فيها وتتعارف فاذا طلع الفجر هاجت من الجنّة فكانت في الهواء فيما بين السّماء والأرض تطير ذاهبة وجائية وتعهد حفرها إذا طلعت الشّمس وتتلاقىٰ في الهواء وتتعارف قال: وإنّ لله ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار ويأكلون من زقّومها ويشربون من حميمها ليلهم، فاذا طلع الفجر هاجت إلىٰ واد باليمن يقال له: «برهوت» أشدّ حراً من نيران الدّنيا كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون فاذا كانوا إلىٰ المساء عادوا إلىٰ النّار فهم كذلك إلىٰ يوم القيامة(١).

والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً.

قال العلّامة البهائي قدّس سرّه: ماتضمّنته هذه الأحاديث من أنّ الأشباح التي تتعلّق بها النّفوس ما دامت في عالم البرزخ ليست بأجسام وأنّهم يأكلون ويشربون ويجلسون حلقاً حلقاً علىٰ صور أجسادهم العنصريّة يتحدّثون ويتنعّمون، وإنّهم ربّما يكونون في الهواء بين الأرض والسّماء يتعارفون في الجوّ ويتلاقون ونحو ذلك ممّا يدلّ على نفي الجسميّة وإثبات بعض لوازمها، يعطي أنّ تلك الأشباح ليست في كثافة المادّيات، ولا في لطافة المجرّدات، بل هي ذوات جهتين وواسطة بين العالمين، وهذا يؤيّد ماقاله طائفة من أساطين الحكماء: من أنّ في هذا الوجود عالماً مقداريّاً غير العالم الحسّي، هو واسطة بين عالم المجرّدات وعالم المادّيات ليس في تلك اللطافة، ولا في هذه الكثافة فيه للأجسام والأعراض من الحركات والسّكنات والأصوات والطعوم وغيرها مُثل قائمة بذواتها معلّقة لا في مادّة وهو عالم عظيم

---

(١) الكافي: ج ٣، ص ٢٤٦، ح ١.

وَ يُسَهِّلُ عَلَيْنا بِهِ سَبيلَ الْمَبْعَثِ.

الفسحة، وسكّانه على طبقات متفاوتة في اللّطافة والكثافة وقبح الصّور وحسنها، ولأبدانهم المثاليّة جميع الحواس الظاهرة والباطنة فيتنعّمون ويتألّمون باللّذات والآلام النفسانيّة والجسمانيّة(١).

و قد نسب العلّامة في شرح حكمة الإشراق، القول بوجود هذا العالم إلى الأنبياء والأولياء والمتألّهين، وهووإن لم يقم على وجوده شيء من البراهين العقليّة، لكنّه قد تأيّد بالظواهر النّقليّة، وعرّفه المتألّهون بمجاهداتهم الذّوقيّة، وتحقّقوه بمشاهداتهم الكشفيّة، وأنت تعلم أنّ أرباب الأرصاد الروحانيّة أعلى قدراً وأرفع شأناً من أصحاب الأرصاد الجسمانيّة، فكما إنّك تصدّق هؤلاء فيما يلقونه إليك من خفايا الهيئات الفلكيّة، فحقيق أن تصدّق أولئك أيضاً فيما يتلونه عليك من خبايا(٢) العوالم القدسيّة الملكيّة إنتهى(٣)*.

سهّل الله الشّيء بالتّشديد: جعله سهلاً لا عسر فيه، وسهل هو بالضم سهولة، هذه هي اللّغة المشهورة.

و قال ابن القطاع:(٤) يقال سهل بالفتح والكسر أيضاً(٥).

و الضّمير في يسهل -بالتّشديد والياء المثّناة من تحت على ما في النسخة المشهورة- راجع إلى الله تعالى.

---

(١) كتاب الاربعين للشيخ البهائي: ص ١٩١ و ١٩٢.

(٢) (الف): جنايا.

(٣) شرح حكمة الاشراق: ص ٥١٧.

(٤) هو أبو القسم علي بن جعفر بن علي السعدي، الصقلي المولد والمصري الدار والوفاة، كان أحد ائمة الأدب خصوصاً اللغة، له تصانيف نافعة وأشعار كثيرة، توفي بمصر سنة ٥١٥هجريّة.

الكنى والألقاب: ج١، ص ٣٧٧.

(٥) مصباح المنير للفيومي: ص ٣٩٨.

....

و سبيل المبعث بالنصب مفعول به، و كذا علىٰ قرائته بضم التّاء المثناة من فوق كما وقع في نسخة علىٰ طريق الخطاب.

و أمّا على ما ضبط في بعض النّسخ، بفتح الياء المثناة من تحت وضم الهاء المخفّفة، فسبيل المبعث مرفوع علىٰ انّه فاعل له، وإسناد الفعل إليه مجاز.

و يوجد في بعضها ضبطه بضمّ الياء المثناة من تحت وفتح الهاء المشدّدة، علىٰ البناء للمعفول، فيكون سبيل المبعث نائباً عن الفاعل مرفوعاً بالنيابة.

و السّبيل: الطريق، يُذكّر و يؤنّث.

و المبعث: إمّا اسم مكان، أو مصدر ميمي بمعنىٰ البعث و هو لغة الإرسال.

يقال: بعثت رسولاً أي: أرسلته.

و إصطلاحاً: نشر الله الموتى من القبور و إرسالهم إلىٰ المحشر.

قيل: المراد بالمبعث هنا المحشر.

و في الحديث: إنّ الذهاب من القبر إلىٰ عرصة المحشر يوم البعث يشقّ على قوم ويسهل علىٰ آخرين إنتهىٰ(١).

و الأولى أن يكون المراد بالمبعث: البعث، فيكون مصدراً، و يكون المراد بسبيل المبعث: السّبيل التي يبعث أي يرسل منها النّاس إلىٰ المحشر، وبتسهيلها سلوكها دون مشقّة، والسّلامة من أهوالها وشدائد أحوالها.

فقد روى ثقة الإسلام في الرّوضة في حديث طويل: إذا كان يوم القيامة بعث الله النّاس من حفرهم عُزلاً بهُماً جُرداً في صعيد واحد، يسوقهم النّور، وتجمعهم الظلمة، حتّىٰ يقفوا علىٰ عقبة المحشر فيركب بعضهم بعضاً ويزدحمون دونها، فيمنعون من المضيّ، فتشتدّ أنفاسهم ويكثر عرقهم وتضيق بهم أمورهم ويشتدّ

---

(١) لم نعثر عليه.

وَ يُشَرِّفُ بِهِ مَنازِلَنا عِنْدَ مواقِفِ الأَشهادِ.

ضجيجهم وترتفع أصواتهم، قال: وهو أوّل هول من أهوال يوم القيامة، إلىٰ أن قال: ثمّ يخلّي سبيلهم فينطلقون إلىٰ العقبة يكرد(١) بعضهم بعضاً حتّىٰ ينتهوا إلىٰ العرصة(٢)، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة*.

يشرف أي: يعلى من الشّرف بمعنىٰ العلو.

يقال: شرّفه تشريفاً، و في نسخة تشرف بالمثنّاة من فوق مفتوحة علىٰ مثال تحسن.

و رفع المنازل علىٰ الفاعليّة.

و المواقف: جمع موقف، و هو مكان الوقوف.

و الأشهاد: جمع شاهد كصاحب و أصحاب، أو شهيد كشريف وأشراف.

قال أبو علي: و هذا أرجح لكثرة ورود شهيد في القران(٣).

و قيل: هو جمع شُهد و هو جمع شاهد، كصُحُب جمع صاحب،و جمعه أصحاب.

و هو من شهد علىٰ الشّيء أي: اطّلع عليه و عاينه، أو من شهد به أي: أخبر بما قد شاهد.

و المراد بهم من يقف يوم القيامة للشهادة علىٰ النّاس من الملائكة والأنبياء والمؤمنين كما قال تعالىٰ: «إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ»(٤).

قيل: و الفائدة في قيام الأشهاد و اعتبار قولهم المبالغة في إظهار الفضيحة.

---

(١) كرد أي: طرد. لسان العرب، ج٣، ص ٣٧٩.

(٢) الكافي: ج٨ ص٨٩ ح٧٩. وفيه: يطرد بعضهم بعضاً.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج١٧، ص ٢٠٤.

(٤) سورة غافر: الآية ٥١.

يَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُون.

و قال قتادة: المراد بالأشهاد: الحضّار وهم جميع أهل الموقف(١).

و روي: إنّ الأمم ينكرون يوم القيامة تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء بالبيّنة على انّهم قد بلّغوا، وهو أعلم فيؤتىٰ عليهم بالشّهداء(٢).

و روى ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن العجلي قال: قلت لأبي جعفر (عليه السّلام) قول الله تبارك وتعالىٰ: «وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ اُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً»، قال: نحن الأُمّة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه(٣).

و عنه (عليه السّلام): في قوله تعالى: «لِيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): الشّهيد علينا بما بلّغنا عن الله تعالىٰ ونحن الشّهداء على النّاس فمن صدّق يوم القيامة صدّقناه ومن كذّب كذبناه(٤)*.

إقتباس من قوله تعالىٰ في سورة الجاثية: «وَخَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ»(٥) وقد تقدّم أنّ المقتبس ليس بقرآن حقيقة، بل كلام يماثله فلا يضرّ فيه التّغيير اليسير كما وقع هنا، وإنّما أنّث الفعل في تجزى، وجيء بالضّمير مفرداً مؤنّثاً في كسبت لأنّ كلاًّ وان كان لفظها الإفراد والتّذكير يجب مراعاة معناها حيث أضيفت إلىٰ منكر نحو «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

---

(١) لم نعثر عليه بل وجدناه في كتب التفاسير بهذا اللفظ: «هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون» عن قتادة.
(٢) الكشاف للزمخشري: ج١، ص ١٩٩، مع اختلاف يسير في العبارة.
(٣) الكافي: ج١، ص ١٩١، ح ٤.
(٤) الكافي: ج١، ص ١٩٠، ح ٢.
(٥) سورة الجاثية: الآية ٢٢.

يَوْمَ لا يُغْني مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ.

الموت»(١)، فان أضيفت إلى معرّف أو قطعت جاز مراعاة لفظها ومراعاة معناها، نحو: كلّهم قائم وقائمون، «فَكُلاً أَخَذْنا بِذَنْبِهِ»(٢)، «وَكُلٌّ كانُوا ظالِمِينَ»(٣).

و الضمير في «وهم لا يظلمون» راجع إلى النّفوس المدلول عليها بكلّ نفس، وجمعه لأنّه أنسب بحال الجزاء كما أنَّ الافراد أوفق بحال الكسب أي لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب لاستحالة الظلم عليه تعالى خلافاً للأشاعرة حيث قالوا: إنّ تسمية ذلك ظلماً لبيان غاية تنزّه ساحة لطفه عمّا ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى، وإلّا فهو ليس بظلم لأنّ له أن يفعل ما يشاء ويحكم مايريد *.

بدل من قوله: يوم تجزى و هو إقتباس آخر من قوله تعالى في سورة الدّخان: «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقاتُهُمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ»(٤).

يقال: أغنى فلان عن فلان إذا أجزأ عنه و قام مقامه، و ما يغني عنك هذا أي: ما يجزيك وما ينفعك.

و حكى الأزهري: ما أغنى فلان شيئاً بالغين والعين، أي لم ينفع في مهمّ ولم يكف مؤونة(٥).

و المولى: الولي و النّاصر والقريب و الصّاحب و المنعم والجار والحليف والمحب والتّابع والمعتِق والمعتَق والعبد والنّزيل والشّريك والمالك.

---

(١) سورة آل عمران. الآية ١٨٥.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٠.

(٣) سورة الانفال: الآية ٥٤.

(٤) سورة الدخان: الاية ٤٠ و٤١.

(٥) التهذيب في اللغة: للأزهري: ج ٨، ص ٢٠١.

حَـمْـداً يَرْتَـفِعُ مِـنّـا اِلـىٰ اَعْـلىٰ عِـلِّيينَ، في كِـتـاب مَـرْقُوم يَشْـهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ.

و المراد: إنّ أحداً منهم بأيّ معنًى فرض لا ينفع أيّ مولى كان شيئاً من الاغناء. والضّمير في ولاهم ينصرون للمولىٰ الأوّل باعتبار المعنىٰ لأنّه عام.

و تتمّة الآية «إلّا مَن رَحِمَ اللهُ إنّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ»(١) أي إلّا من رحمه بالعفو عنه وقبول الشّفاعة في حقه إنّه هو العزيز الذي لا ينصر من أراد تعذيبه، الرّحيم لمن أراد أن يرحمه *

رفع الشّيء: كمنعه فارتفع خلاف وضعه، و من المجاز رفع الله العمل قبله، فارتفاع الحمد مجاز عن قبوله، أو إرتفاع الكتبة بصحيفته.

و علّيّون في الأصل جمع عِلّي بكسر العين واللاّم مع تشديدها وتشديد الياء ووزنه فعيل من العلوّ.

و قيل: جمع علّية بكسر العين والضّم لغة جمع بالواو والنّون، وأُلحق بجمع المذكّر السّالم في الإعراب على غير قياس لعدم العقل على القول الأوّل وعدمه وعدم التّذكير علىٰ القول الثّاني ثم نقل وسمّي به ديوان الخير، هكذا قال غير واحد من النّحويّين.

قال الدماميني: فيلزم على هذا أن لا يكون فيه شذوذ، لأنه يكون علماً منقولاً عن جمع، ولا ينفعهم أن يدّعوا انّه جعل من باب المسموع لا المقيس، لكونه لما لا يعقل، بخلاف نحو زيدون علما، لأنّه لو سمّي فرس بزيدون إستحق من الإعراب ما كان له قبل التسمية، ألا ترىٰ إلىٰ قنسرين ونصيبين، ولا ينفعهم أيضاً أن يقولوا عليّ في الأصل غير علم ولا صفة لأنّهم قد صرّحوا بأنّه إذا سُمّي بالجمع على سبيل النقل يعنى عن الجمع، أو علىٰ سبيل الإرتجال يعني بصيغة تشبه صيغة الجمع، فمن لغاته الرفع بالواو والنصب والجرّ بالياء، ويؤيّده: إنّا لا نعرف قنسراً ولا نصيباً

---

(١) سورة الدخان: الآية ٤٢.

....

علمين ولا صفتين،نعم لو قيل: إنّ عليّين غير علم بل هو جمع عليّة أو عليّ وصفت به الأماكن المرتفعة كان شاذاً لعدم التّذكير والعقل إنتهى.

و اختلف المفسّرون في المسمّى به، فالمشهور إنّه إسم لديوان الخير الذي دوّن فيه كلّ ما عملته الملائكة وصلحاء الثّقلين؛ لأنّه سبب الإرتفاع إلى عالي الدّرجات في الجنّة، أو لأنّه مرفوع في السماء السابعة حيث تحضره الملائكة المقرّبون.

و قال مقاتل: هو في ساق العرش(١).

و عن ابن عبّاس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلّق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه(٢).

وقيل: هو السماء السابعة،

و قيل: هو سدرة المنتهى التي إليها ينتهي كلّ شيء من أمر الله تعالى.

و قيل: هو أعلى الجنّة.

و قيل: مراتب عالية و أماكن مرتفعة محفوفة بالجلالة، وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى: «كِتَابٌ مَرْقُومٌ»(٣) أماكن الكتاب.

و قيل: المراد به أعلى الأمكنة وأشرف المراتب وأقربها من الله تعالى، وله درجات كما يدلّ عليه قوله (عليه السّلام) «إلى أعلى عليّين».

روى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر (عليه السّلام) يقول: إنّ الله تعالى خلقنا من أعلى عليّين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا لأنّها خلقت ممّا خلقنا، ثمّ تلا هذه الآية «كَلّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ.

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٣١، ص٩٧.

(٢) مجمع البيان: ج٩ - ١٠، ص ٤٥٥.

(٣) سورة المطففين: الآية ٩.

....

كِتٰابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ»، وخلق عدوّنا من سجّين، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إليهم لأنّها خلقت ممّا خلقوا منه. ثم تلاهذه الآية: «كَلّاٰ اِنَّ كِتٰابَ الْفُجّٰارِ لَفِي سِجّينٍ. وَمٰا أَدْرٰاكَ مٰاسِجّينٌ. كِتٰابٌ مَرْقُومٌ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ»(١).

قال بعض علمائنا في الكلام على هذا الحديث: كلّ ما يدركه الانسان بحواسّه يرتفع منه أثر إلىٰ روحه ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته، وكذلك كلّ مثقال ذرّة من خير أو شرّ يعمله يرىٰ أثره مكتوباً ثمّة، لا سيّما مارسخت بسببه الهيئات وتأكّدت به الصفات وصار خلقاً وملكة فالأفاعيل المتكرّرة والإعتقادات الراسخة في النفوس هي بمنزلة النقوش الكتابيّة في الألواح كما قال تعالىٰ: «أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمٰانَ»(٢) وهذه الألواح النفسيّة يقال لها صحائف الأعمال وإليه الإشارة بقوله سبحانه: «وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ»(٣) فمن كان من أهل السعادة وأصحاب اليمين وكانت معلوماته أُموراً قدسيّة، وأخلاقه زكيّة، وأعماله صالحة، أُوتي كتابه بيمينه، أعني من جانبه الأقوىٰ الروحاني، وهو جهة علّيّين، وذلك لأنّ كتابه من جنس الألواح العالية، والصحف المكرمة المرفوعة المطهرة بأيدي سفرة كرام بررة يشهده المقربّون، ومن كان من أهل الشّقاء المردودين، وكانت معلوماته مقصورة علىٰ الجزئيّات، وأخلاقه خبيثة، وأعماله سيّئة، أُوتي كتابه بشماله، أعني من جانبه الأضعف الجسماني وهو جهة سجّين، وهو فعيل من السجن، سمّي به ديوان الشرّ الذي دوّن فيه أعمال الكفرة والفجرة من الثقلين

---

(١) الكافي: ج١، ص ٣٩٠، ح ٤.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٣) سورة التكوير: الآية ١٠.

حَمْداً تَقَرُّبِهِ عُيُونُنا إِذا بَرِقَتِ الأَبْصارُ، وَتَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُنا إِذَا اسْوَدَّتِ الأَبْشارُ.

و قيل: هو النّار و الأرض السّفلى، و ذلك لأنّ أوراقه من جنس الأوراق السفليّة والصّحايف الحسيّة القابلة للإحتراق، فلا جرم يعذّب بالنّار، و إنّما عود الأرواح إلى ما خلقت منه، كما قال تعالى «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ»(١) فما خلق من علّيّن فكتابه يرتفع إلى علّيّن ويكون فيه، وما خلق من سجّين فكتابه يهبط إلى سجّين ويكون فيه.

قوله (عليه السّلام): في كتاب مرقوم، متعلّق بيرتفع حال من الضمير المستتر فيه الراجع إلى الحمد، أي: كائنا في كتاب مرقوم، أي: مسطور بيّن الكتابة،رُقِمَ فيه تفاصيل أحوال السعداء.

و قيل: مُعْلَم،يعلم من رآه أنّ الخير فيه.

و قيل: مختوم،لأنّ الختم علامة.

قوله (عليه السّلام): يشهده المقرّبون أي: يحضره الملائكة الكرّوبيّون المقيمون في علّيّن ويحفظونه، أو يشهدون بما فيه يوم القيامة وكفى بشهودهم فضيلة له، ولمن كتب فيه أسماؤهم وأعمالهم*.

قرّت العين: تقرّ مِن باب (ضرب) و (تعب)، قرّة بالضّم قروراً: بردت سروراً، من القرّ بالضم وهو البرد.

يقال: قرّ اليوم قراً بالفتح أي: برد.

قال ابن الأثير: و حقيقته قرّت دمعة العين، لأنّ دمعة الفرح والسرور باردة(٢)، بخلاف دمعة الحزن فانّها تكون حارة إنتهى.

قالت الحكماء: و وجه ذلك: إنّ الفرح كيفيّة تتبعها حركة الرّوح إلى خارج

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٩.

(٢) الى هنا في النهاية لابن الأثير: ج٤، ص ٣٨.

....

البـدن لـلوصول إلـىٰ الملّذ فاذا تحرك الروح إلىٰ خـارج انـفصلت أجـزاء الشّؤون والمفاصل بعضها من بعض، فتخرج بعض الرطوبات الباردة المحتبسة في الدماغ.

و الحزن: كيفيّـة تتبعهـا حركة الروح إلىٰ الداخل هرباً من الموذي فإذاانقبض الروح متراجعـاً نحو الدماغ عصر شـيئاً من الرطوبات الباقية علىٰ سخونتها السابقة، ولهذا يقال لمن يدعىٰ عليه: سخنت عينه.

و قيـل: المراد مـن قولهم قـرّت العين سـكونهـا من قرّ الشـيء يقـرّ قراً مـن باب (ضرب) و (تعب) أيضاً أي: استقر، والقرار بـالفتح اسم مـنه أي: سكنت ببلوغ اُمنيتها بحيـث لا تطمح إلىٰ شيء آخر ولا تطلب الفرح بما عداه، قال تعالىٰ: «فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا اُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُـرَّةِ أَعْيُنٍ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ»(١).

قوله (عليه السّلام): «إذا برقت الأبصار».

برق البصر، كـفرح و نصر، بـرقاً و بروقاً: تحيّر فزعـاً حتّىٰ لا يطرف أو دهش فلم يبصر.

و قيل: برق كفـرح من برق الرجل إذا نظر إلىٰ البرق فتأثّر بصره من تأمّله. ثمّ استعمـل في كـلّ حيرة، وكنصر من البريق وهو اللمعـان أي: لمع من شدّة شخـوصه كقوله تعالى: «إِنَّمٰا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصٰارُ»(٢).

و برق الأبصار احد امارات السـاعـة التي ذكـرها الله سبحانه في قـولـه: «فَإِذٰا بَرِقَ الْبَصَرُ(*) وَخَسَفَ الْقَمَرُ(*) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ(*) يَـقُـولُ الْإِنْسٰانُ يَـوْمَـئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ»(٣).

---

(١) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٤٢.

(٣) سورة القيامة: الآية ٧ إلى ١٠.

....

قوله (عليه السّلام): «و تبيّض به وجوهنا إذا اسودّت الأبشار».

إبيّض الشيء إبيضاضاً: صار ذا بياض.

و إسودّ إسوداداً: صار ذا سواد.

و الأبشار: جمع بشر بالتّحريك كسبب وأسباب، وهو جمع بشرة، وهي ظاهر جلد الإنسان.

قيل: و غيره فالأبشار جمع جمع، و فيه تلميح إلىٰ قوله تعالىٰ: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ»(١) وللمفسّرين فيه قولان:

أحدهما: إنّ المراد بابيضاض الوجوه: إشراقها و إسفارها بنيل البغية والظفر بالأمنية والإستبشار بما تصير إليه من الثّواب كقوله تعالىٰ: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ»(٢)، و باسودادها: ظهور أثر الحزن والكآبة عليها لما تصير إليه من العقاب كقوله تعالىٰ: «وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ» (٣) وقوله: «وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ»(٤).

و ثانيهما: إنّ البياض والسواد محمولان علىٰ ظاهرهما، وهما النور والظلمة، إذ الأصل في الإطلاق الحقيقة، فمن كان من أهل نور الحقّ وسِمَ ببياض اللّون وإسفاره و إشراقه وابيضت صحيفته وسعىٰ النّور بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسِمَ بسواد اللون وكَمَده، و اسودّت صحيفته وأحاطت به الظلمة من كلّ جانب.

قالوا: و الحكمة في ذلك أن يعرف أهل الموقف كلّ صنف فيعظّموهم

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٦.

(٢) سورة عبس: الآية ٣٨ و ٣٩.

(٣) سورة القيامة: الآية ٢٤.

(٤) سورة عبس: الآية ٤٠ و ٤١.

حَمْداً نُعْتَقُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ نارِ اللهِ إلىٰ كَريمِ جِوارِ اللّهِ.

ويصغّروهم بحسب ذلك ويحصل لهم لسببه مزيد بهجة وسرور أوويل وثبور.

و أيضاً إذا عرف المكلّف في الدنيا أنّه يحصل له في الآخرة إحدىٰ الحالتين إزدادت نفسه رغبة في الطاعات وعزفاً(١) عن المعاصي، والتحقيق في ذلك أنّ الهيئات والأخلاق الحميدة أنوار، والملكات والعادات الذميمة ظلمات، وكلّ منها لا يظهر آثاره إلّا بعد المفارقة إلىٰ الآخرة كما سبق ذكره،فابيضاض الوجوه عبارة عن آثار تلك الأنوار، و اسوداد الوجوه، والأبشار عبارة عن آثار تلك الظلمات أعاذنا الله منها *.

عتق العبد عتقاً: من باب (ضرب)، وعتاقاً وعتاقة بفتح: الأوائل خرج من الرّق وتخلّص من العبوديّة، والعتق بالكسر اسم منه، فهو عتيق وعاتق.

و يتعدّىٰ بالهمزة فيقال: أعتقته فهو معتق علىٰ القياس، ولا يتعدّىٰ بنفسه، فلا يقال: عتقته.

و لهذا قال في البارع:(٢) لا يقال عتق العبد، وهو ثلاثي مبني للمفعول، ولا أعتق هو بالألف مبنيّاً للفاعل، بل الثّلاثي لازم والرّباعي متعدّ، ولا يجوز: عبد معتوق؛ لأنّ مجيء مفعول من أفعلت شاذ مسموع لا يقاس عليه(٣).

قال الأزهري في شرح ألفاظ المختصر: العتق مأخوذ من قولهم: عتق الفرس إذا سبق ونجا، وعتق فرخ الطائر: إذا طار، فاستقلّ كأنّ العبد لما فكّت رقبته من الرّق

---

(١) عَزَفَتْ نفسي عن الشيء عُزُوفاً، أي زهدتْ فيه وانصرفت عنه. الصحاح للجوهريّ: ج٤، ص١٤٠٣.

(٢) صاحب البارع هو: أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي. لغوي نحوي من تصانيفه الأمالي، الممدود والمقصور، البارع في اللغة. ولد سنه ٢٨٠هجرية، وتوفي بقرطبة سنة ٣٥٦هجرية.

بغية الوعاة: ص ١٩٨.

(٣) المصباح المنير: ص ٥٣٥. نقلاً عن البارع في اللغة.

....

تخلّص وذهب حيث شاء(١) إنتهىٰ.

و الأليم: فعيل من الألم.

قيل: هو بمعنىٰ المولم، كالسميع بمعنىٰ المسمع، والنّذير بمعنى المنذر.

وقيل: هو بمعنىٰ المتألّم، يقال: ألم كفرح فهو أليم، كما يقال: وجع فهو وجيع.

وصف به العذاب و نحوه للمبالغة، كما في قوله: تحيّة بينهم ضرب وجيع علىٰ طريقة جدّ جدّه، فانّ الألم والوجع حقيقة للمولم والمضروب، كما إنّ الجدّ للجادّ، وهذا قول أكثر المحقّقين؛ لأنّ مجيء فعيل بمعنىٰ مفعل لم يثبت في اللّغة و إن ورد فشاذ لا يقاس عليه، وإضافته إلىٰ النار من إضافة الصفة إلىٰ الموصوف، ومثله إضافة الكريم إلىٰ الجواد، وأضاف النار إلى الله كما أضافها سبحانه إلىٰ نفسه في قوله تعالىٰ: «نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ»(٢) تهويلاً لأمرها، أو تلميحاً إلى الآية.

قوله (عليه السّلام): «إلىٰ كريم جوار الله»، متعلّق بنعتق، وعدّاه بإلىٰ لتضمينه معنىٰ نصير(٣).

و المعنىٰ: صائرين به إلىٰ كريم جوار الله.

و الكريم: العزيز،والحسن المرضي و خلاف اللئيم.

و الجوار ـ بالكسر ـ في الأصل: مصدر جاوره يجاوره مجاورة، وجوارا بالكسر والضم.

قال الجوهري: والكسر أفصح(٤)، إذا لا صقه في السكن.

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات للنووى: الجزء الثاني من القسم الثاني ص٥. نقلاً عن شرح ألفاظ المختصر.

(٢) سورة الهمزة: الآية ٦.

(٣) (الف) و (ج): تصير.

(٤) الصحاح: للجوهريّ: ج٢، ص ٦١٧. وليس فيه: إذا لاصقه في السكن.

حَمْداً نُزاحِمُ بِهِ مَلائكَتَهُ الْمُقَرَّبينَ، وَنُضَامُ بِهِ أَنْبيائَهُ الْمُرسَلينَ.

قال الفيومي في المصباح: و الاسم الجوار بالضّم(١).

و الصواب: إنّ الاسم بالفتح كما ورد في ديوان الأدب للفارابي(٢).

ثمّ أطلق علىٰ الخفارة بمعنىٰ الحماية، و كان من عادة العرب ان يخيف بعضهم بعضاً، فكان الرجل إذا أراد سفراً أخذ من سيّد كل قبيلة عهداً فيأمن به مادام مجاوراً أرضه وداخلاً في حدودها حتىٰ ينتهي إلىٰ قبيلة أُخرىٰ فيفعل مثل ذلك، فيقال: هو في جوار فلان أي: في خفارته.

قال في القاموس: الجوار ـ بالكسر ـ أن تعطي الرجل ذمّة فيكون بها جارك فتجيره(٣).

و المراد به هنا أمان الله تعالىٰ من العذاب و وقايته منه أو القرب منه والرفعة عنده بواسطة نيل الثواب تشبيهاً بالقرب المكاني فيكون من المجاورة حقيقة*.

زحمه كمنعه، زحماً و زاحمه زحاماً: ضايقه في المجلس و غيره وفلان زاحم الخمسين: قاربها.

أي: حمداً يوجب غاية القرب منه تعالىٰ، بحيث نزاحم به الملائكة لأنّ كمال القرب من الشيء مع كثرة الطالبين للوصول إليه يوجب المزاحمة، وهذا علىٰ القول: بأنّ الملائكة أجسام ظاهر. وأمّا علىٰ القول: بأنّها أرواح مجرّدة فهو من باب التمثيل.

و الملائكة: جمع ملأك بالهمز، وأصله مألك بتقديم الهمزة وضم اللام من الألوكة وهي الرسالة ثمّ قلبت وقدّمت اللام.

---

(١) المصباح المنير: للفيومي: ص ١٥٧. وفيه: إذا لاصقه في السكن.

(٢) ديوان الأدب للفارابي: ج٣، ص ٣٣٣.

(٣) القاموس المحيط: ج١، ص ٣٩٤.

....

و قيل: مـلأك ، و جمع علىٰ فعائل مثل شمل وشمائل ثمّ تركت همزة المفرد لكثرة الإستعمال والقيت حركتها علىٰ اللام فقيل مَلَك . وإلحاق التاء لتأكيد تأنيث الجماعة نحو حجارة، وقد لا تلحق، هذا قول الأكثر.

و قيل: جمع ملك و اشتقاقه من ملك،لما فيه من معنىٰ القوّة والشّدة،وجمع هذا الجمع باعتبار أصله الّذي هو ملأك على أنّ الهمزة مزيدة وهو كما ترىٰ.

و المقرّبون: هم العليّون الذين شأنهم الإستغراق في معرفة الحقّ والتنزه عن الإشتغال بغيره كما نعتهم الله عزّوجلّ بقوله: «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ»(١).

و سيأتي الكلام على حقيقة الملائكة و أقسامهم في الروضة الثالثة إن شاء الله تعالىٰ.

قوله (عليه السّلام): «و نضام به أنبيائه المرسلين».

الضمّ: الجمع، تقول ضممت الشيء إلىٰ الشيء فانضمّ وضامّه أي: إنجمع إليه. وفلان نهض للقتال وضامّه قومه أي: إنضمّوا إليه.

و المعنىٰ نُنضمّ به إلى أنبيائه المرسلين، ونجتمع في دار المقامة معهم.

و الأنبياء: جمع نبي، فعيل بمعنىٰ فاعل من النّباء بالهمز ، أي: الخبر؛ لأنّه أنبأ عن الله تعالىٰ أي: أخبر، و يجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه، يقال: نبأ ونبّىٰ وأنبأ وأنبىٰ.

قال سيبويه: ليس أحد من العرب إلّا و يقول تنبّأ مسيلمة بالهمز غير انهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذريّة والبريّة والخابية، إلّا أهل مكّة فانّهم يهمزون هذه الأحرف الأربعة ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك(٢).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٠. (٢) كتاب سيبويه: ج٢، ص ١٤٥.

....

و قال ابن السكيّت(١) في إصلاح المنطق: قال يونس:أهل مكّة يخالفون العرب فيهمزون النبيّ والبريئة والذريئة والخابئة(٢).

و غيرهم يترك فيها الهمز لكثرة الإستعمال.

و نبأ من أرض إلىٰ أرض أي: خرج، و هذا المعنىٰ أراد الأعرابي بقوله: يا نبيء الله بالهمزة، أي: الخارج من مكة إلىٰ المدينة، فأنكره عليه وقال: «لا تنبز باسمي فانّما أنا نبيّ الله»(٣) أي بغير همز.

و قيل: هو مشتّق من النباوة وهي الشيء المرتفع لعلّو شأنه (عليه السّلام).

و المرسلين: جمع مرسَل، من أرسله: بعثه برسالة يؤدّيها فهو مرسَل، ورسول فعول بمعنىٰ مفعول. و إنّما وصف الأنبياء بالمرسلين؛ لأنّ الرسول أخصّ من النبيّ؛ لأنّ كلّ رسول نبي من غير عكس.

فقيل: الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء، والنبي الذي ينبئ عن الله تعالىٰ وإن لم يكن معه كتاب، هكذا قال غير واحد من المفسّرين.

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقي الأهوازي النحوي اللغوي الأديب المعروف بابن السكيّت، ويُعد من عظماء الشيعة وخواص الإمامين التقيين عليهما السّلام، وكان حامل لواء علم العربيّة والأدب والشعر واللغة والنحو وله تصانيف كثيرة منها: تهذيب الألفاظ، وكتاب إصلاح المنطق. وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتز بالله، قتله المتوكل في سنة ٢٤٤هجرية، وسببه انّ المتوكّل قال له يوماً: أيهما أحب إليك إبناي هذان ـ أي المعتزّ والمؤيّد ـ أم الحسن والحسين؟ فقال ابن السكيت: والله إنّ قنبراً خادم عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) خير منك ومن ابنيك. فقال المتوكّل لزبانيته: سلّوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات شهيداً رضوان الله عليه.

الكنىٰ والألقاب: ج١، ص ٣٠٣.

(٢) اصلاح المنطق: ، ص ١٥٩.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص٣.

....

و فيه بحث لأنّ لوطاً و إسماعيل و أيّوب و يونس و هارون كانوا مرسلين كما ورد في التنزيل(١)، ولم يكونوا أصحاب كتب مستقلّة.

و قيل: الرسول من بعثه الله تعالىٰ بشريعة جديدة يدعو الناس إليها، والنبيّ يعمّه، ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسىٰ وعيسىٰ (عليهم السّلام).

و يدلّ عليه: إنّه (عليه السّلام) سئل عن الأنبياء فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، قيل: فكم الرسول منهم؟ فقال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً(٢).

و قيل: الرسول: من يأتيه الملك بالوحي عياناً ومشافهة، والنبيّ: يقال له ولمن يوحىٰ إليه في المنام.

و هذا القول مروي عن أبي جعفر و أبي عبدالله (عليهما السّلام) قالا: إنّ الرسول الذي يظهر له الملك فيكلّمه، والنبي هو الذي يرىٰ في منامه. وربما اجتمعت النبوّة والرسالة لواحد(٣).

و عن زرارة قال: سألت أبا عبدالله (عليه السّلام) عن قول الله تعالى: «وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً» ما الرسول؟ وما النبيّ؟ قال: النبي: الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول: الذي يسمع الصّوت ويرىٰ في المنام ويعاين الملك(٤).

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٤ و ٨٦.

(٢) مسند احمد بن حنبل: ج٥، ص ٢٦٦.

(٣) الكافي: ج١، ص ١٧٧، ح ٤.

(٤) الكافي: ج١، ص ١٧٦، ح١، وفيه: عن ابي جعفر (عليه السّلام).

فِي دارِ الْمُقامَةِ الَّتِي لا تَزُولُ، وَمَحَلِ كَرامَتِهِ الَّتى لا تَحُولُ.

تنبيه

إنّما قدّم (عليه السّلام) الملائكة على الأنبياء في الذّكر رعاية للترتيب الواقع؛ لأنّهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله في تبليغ الوحي والشّريعة، لا لكونهم أفضل من الأنبياء، خلافاً للمعتزلة ومن وافقهم، وما قاله النّيسابوري في تفسيره: من أنّ الشيعة وافقوا المعتزلة على ذلك (١)، محض افتراء عليهم، فإنّ الشيعة مجمعون على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة (عليهم السّلام).

قال الشّريف المرتضى رضي الله عنه: المعتمد في القطع على انّ الأنبياء أفضل من الملائكة (عليهم السّلام) على إجماع الشيعة الاماميّة لأنّهم لا يختلفون في هذا، بل يزيدون فيه ويذهبون إلى أنّ الائمة (عليهم السّلام) أفضل من الملائكة. وإجماعهم حجّة، لأنّ المعصوم في جملتهم.(٢)

و قال الشيخ ابو جعفر بن بابويه قدّس سرّه: إعتقادنا في الأنبياء والرسل والحجّج (عليهم السَّلام) أنّهم أفضل من الملائكة لأنّ الحالة التي يصيرون إليها أفضل وأعظم من حال الملائكة (عليهم السّلام)(٣)*.

المقامة: بالضّم مصدر بمعنى الإقامة الحقت به التاء قال تعالى: «الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ»(٤) أي: دار الإقامة التي لا إنتقال عنها أبداً.

---

(١) تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ج١، ص ٨٧.

(٢) رسائل الشريف المرتضى: المجموعة الاولى: ص١٠٩ و ١١٠، نقلاً بالمضمون.

(٣) الاعتقادات للصدوق ضمن كتاب شرح الباب الحادي عشر، ص٩٥.

(٤) سورة فاطر: الآية ٣٥.

....

و زال الشيء: يزول زوالاً ذهب و استحال، و زال عن مكانه: إنتقل.
و المحل: بفتح الحاء والكسر لغة حكاها ابن القطاع موضع الحلول(١).
يقال: حلّ بالمكان حلولاً من باب (قعد) إذا نزل به.
و الكرامة: اسم من الإكرام والتكريم، وهما بمعنىٰ الإعزاز والتعظيم.
و حال الشيء يحول: تغيّر عن طبعه و وصفه، كاستحال.
و إنّما كانت تلك الدار دائمة باقية مصونة عن الإنقضاء والزوال آمنة من الإنقراض وإستحالة الأحوال، لأنّها خلقت لذاتها لا لشيء آخر فهي محلّ الإقامة ودار القرار قال تعالىٰ: «إِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا مَتٰاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دٰارُ الْقَرٰارِ»(٢). بخلاف هذه الدار فانّها لم تخلق لذاتها، بل لتكون وسيلة إلىٰ تحصيل نشأة اُخرىٰ وذريعة إليها، فلابدّ من إنقطاعها ومصيرها إلىٰ البوار.

تبصرة

لعلّ المراد بدار المقامة: الجنّة المحسوسة التي لأصحاب اليمين وهي التي ذكرها سبحانه في قوله: «جَنّٰاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهٰا يُحَلَّوْنَ فِيهٰا مِنْ أَسٰاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَ لِبٰاسُهُمْ فِيهٰا حَرِيرٌ(*) وَقٰالُوا اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنٰا لَغَفُورٌ شَكُورٌ(*) اَلَّذِي أَحَلَّنٰا دٰارَ الْمُقٰامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاٰ يَمَسُّنٰا فِيهٰا نَصَبٌ وَلاٰ يَمَسُّنٰا فِيهٰا لُغُوبٌ»(٣).
و بمحلّ الكرامة: الجنّة العقليّة التي للمقرّبين وهي جوار الله تعالىٰ وحضرته

---

(١) المصباح المنير للفيومي: ص ٢٠٣.
(٢) سورة غافر: الآية ٣٩.
(٣) سورة فاطر: الآية ٣٣ الى ٣٥.

....

المشار إليها بقوله سبحانه: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ(*) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ»(١).

قال صاحب عرائس البيان (٢): وصف الله سبحانه بقوله هذا منازل المتقين الذين أقبلوا على الله بنعت المعرفة والمحبّة وخرجوا ممّا دونه من البريّة وتلك المنازل عالم الشّهادة ومقامات العنديّة جنانها رفارف الأُنس وأنهارها أنوار القدس أجلسهم الله علىٰ بساط الزّلفة والمداناة الّتي لا يتغيّر صاحبها بعلّة القهر ولا يزول عنها بالحجاب والسّتر لذلك سمّاه مقعد صدق أي محل كرامة دائمة وقربة قائمة ومواصلة سرمديّة وزلفة أبديّة(٣)، انتهىٰ.

سئل أبو جعفر الشّاشي: من الغريب؟ فقال: الذي يطلبه رضوان في الجنّة فلا يجده ويطلبه مالك في النّار فلا يجده ويطلبه جبرئيل في السّماوات فلا يجده ويطلبه إبليس في الأرض فلا يجده، فقال له أهل المجلس وقد تفطّرت قلوبهم: يا أبا جعفر فأين يكون هذا الغريب؟ فقال: في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال بعض العارفين من أصحابنا المتأخّرين: إنّ هؤلاء الأصفياء وإن كانوا من جهات هويّاتهم العقليّة مقرّبين منه تعالىٰ جالسين في مقعد الصّدق تحت قبة الجبروت لكنّهم من جهة نفوسهم المطيعة لأمر الله المسلّمة لحكمه يسرحون في مراتع اللّذات ويتنعمون بنعيم الجنّات فلأرواحهم الّتي هو عقول بالفعل جنان معنويّة من المعارف والعلوم ولأنفسهم الحيوانيّة جنان(٤) صوريّة من اللذّات والشّهوات تنالها

---

(١) سورة القمر: الآية ٥٤ و ٥٥.

(٢) هو الشيخ أبو محمّد روزبهان بن أبي نصر البقلي الشيرازي الصوفي. له كتاب عرائس البيان في حقائق القرآن. وهو تفسير على طريقة أهل التصوف. توفّي سنة ٦٠٦هجريّة.

(٣) لا يوجد عندنا هذا الكتاب.

(٤) (الف): جنات.

والحَمْدُ للهِ الَّذي اخْتارَ لَنا مَحاسِنَ الخَلْقِ.

من طريق قواها الحسّيّة العمليّة من أكل وشرب ونكاح وغيرها جزاءً بما صبرت عنه في الدّنيا من لذّاتها وحبست عنه قواها من شهواتها والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار * .

الإختيار: الإصطفاء، وأصلهما إتّخاذ خير الشّيء وصفوته.

و الضّمير في «لنا» لنوع الإنسان.

و إختياره سبحانه محاسن الخلق لهم يعود إلى إفاضتها عليهم بحسب ما وهبت لهم العناية الإلهية من القبول والاستعداد لها.

و المحاسن: جمع حسن بالضّم بمعنى الجمال على غير قياس.

و الخلق: بفتح الخاء المعجمة، قد يراد به هنا الهيئات والأشكال والصّور المدركة بالحواس الظاهرة فيكون إشارة إلى قوله تعالى: «وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ»(١)، فإنّ الإنسان لمّا كان أشرف الحيوانات وخلاصة المخلوقات ركّبه تعالى في أحسن صورة فخلقه منتصب القامة بادي البشرة متناسب الأعضاء والتخطيطات متهيّأ لمزاولة الصّناعات و إكتساب الكمالات ذا لسان ذلق ينطق به، و يد وأصابع يتناول مأكوله ومشروبه بها

قال بعضهم: المحاسن البدنيّة ثلاثة أمور.

الأوّل: الصّورة الحسنة كما قال تعالى: «وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ»(٢).

الثّاني: حسن القامة و التّعديل كما قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»(٣).

الثّالث: تمكينه من القيام و القعود و الإستلقاء و الإنبطاح و الإضطجاع.

---

(١) و(٢) سورة غافر: الآية ٦٤.

(٣) سورة التين: الآية ٤.

....

وذلك أنّه تعالىٰ ركّب الخلق على أصناف أربعة.

أحدها: ما يشبه القائمين كالأشجار.

ثانيها: ما يشبه الراكعين كالبهائم.

و ثالثها: ما يشبه السّاجدين كالحشرات التي تدبّ على وجوهها و بطونها.

و رابعها: ما يشبه القاعدين كالجبال.

ثمّ إنّه سبحانه خلق الانسان قادراً على جميع هذه الهيئات ومكّنه من ذكره على جميع هذه الأحوال كما قال تعالى: «اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيٰاماً وَقُعُوداً وَعَلىٰ جُنُوبِهِمْ»(١).

و قد يراد بالخلق ما يعمّ الخلق الباطن فيكون حسن خلقه من حيث إنّ بارئه عزّوجلّ خلقه في أحسن صورة كما مرّ، وركّبه من الأشياء المتفاوتة والأمزجة المختلفة، وقسّم جوهره روحاً وبدناً وخصّصه بالفهم والعقل وزيّن ظاهره بالحواس الظاهرة و باطنه بالحواس الباطنة،وأفاض عليه النّفس النّاطقة وزيّنها بالفكر والذّكر والحفظ لتكون أميراً والعقل وزيره، والقوىٰ جنوده، والحسّ المشترك بريده، والبدن محلّ مملكته، والأعضاء خدمه، والحواس يسافرون في عالمهم يلتقطون الأخبار الموافقة والمخالفة يعرضونها على الحسّ المشترك الذي هو بين الحواس والنّفس على باب المدينة وهو يعرضها على قوّة العقل ليختار مايوافق ويطرح مايخالف، فمن هذا الوجه قالوا: إنّ الإنسان عالم صغير، ومن حيث إنّه يتغذىٰ وينمو قالوا: إنّه نبات، ومن حيث إنّه يحسّ ويتحرّك قالوا: إنّه حيوان، ومن حيث إنّه يدرك حقائق الأشياء قالوا: إنّه ملك، فصار مجمعاً لهذه المعاني وليس في خلق الله مايجمعها غيره.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

....

و في نسخة (محاسن الخلق) بضم الخاء فيكون المراد باختياره لها إرتضاؤه لها ورضاه بها دون مساوي الأخلاق كما قال تعالىٰ: «وَلاٰ يَرْضىٰ لِعِبٰادِهِ الْكُفْرَ وَإنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ»(١).

و الخُلق: هيئة راسخة للنفس تصدرعنها الأفعال بسهولة من غيرفكر وروية، فان كانت بحيث تصدرعنها الأفعال الجميلة شرعاً وعقلاً سميّت خلقاً حسناً، و إن كانت بحيث تصدرعنها الأفعال القبيحة شرعاً أو عقلاً سميّت خلقاً سيّئاً، والرّوايات في مدح حسن الخلق والحثّ علىٰ إكتسابه مستفيضة من طرق الخاصة والعامة.

فمن ذلك ما رواه رئيس المحدّثين في كتاب الخصال، قال: حدّثنا أبو الحسن علي بن عبدالله بن أحمد الأسواري، قال: حدّثنا أبو يوسف أحمد بن محمّد بن قيس السجزيّ المذكّر، قال: حدّثني أبو محمّد عبدالعزيز بن علي السرخسي بمرو الرّود، قال: حدّثني أبوبكر أحمد بن عمران البغدادي، قال: حدّثنا أبو الحسن، قال: حدثنا أبو الحسن، قال: حدثنا أبوالحسن، قال: حدّثنا الحسن، عن الحسن، عن الحسن: إنّ أحسن الحسن الخلق الحسن.

فأمّا أبو الحسن الأوّل فحمّد بن عبدالرّحيم التّستري، وأمّا أبو الحسن الثّاني فعلي بن أحمد البصري التمّار، وأمّا أبو الحسن الثّالث فعلي بن محمّد الواقدي، وأمّا الحسن الأوّل فالحسن بن عرفة العبدي، وأمّا الحسن الثّاني فالحسن بن أبي الحسن البصري، وأمّا الحسن الثّالث فالحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السّلام)(٢).

و بعض العامة يروي هذا الحديث بهذه الصورة: حدّثنا الحسن عن الحسن عن

---

(١) سورة الزمر: الآية ٧.

(٢) الخصال للصدوق: ج١. باب الواحد، ص ٢٩، ح ١٠٢.

وَ اَجْرىٰ عَلَيْنا طَيِّباتِ الرِّزْقِ.

أبي الحسن عن جدّ الحسن: إنّ أحسن الحسن الخلق الحسن. رواه المستغفري في مسلسلاته(١).

و ابن عساكر عن الحسن البصري عن الحسن بن علي عليهما السّلام(٢).

و سنستوفي الكلام على ما يتعلّق بالأخلاق في شرح دعائه (عليه السّلام) في مكارم الأخلاق إن شاء الله تعالى *.

أجرىٰ عليه الرزق: جعله جارياً أي داراً متّصلاً، ومنه الحديث: «الأرزاق جارية» أي دارّة متّصلة(٣).

وأجرىٰ عليه الف دينار: أي جعلها وظيفة جارية له، ومنه الجراية للجاري من الوظائف.

و الطيّبات: تقع علىٰ كلّ ما يستطاب من الأطعمة إلّا ما دلّ الدّليل على تحريمه من كتاب أو سنّة.

و قيل: كلّ ما يستلذّ ويشتهى عند أهل المروّة والأخلاق الحميدة.

و قيل: ما لم تستخبثه الطباع السّليمة و لم تنفر عنه كما في قوله تعالىٰ: «وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبٰاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبٰائِثَ»(٤).

قالوا: و ليس الرّجوع في الإستطابة و الإستخبات إلىٰ طبقات النّاس وتنزيل كلّ قوم علىٰ ما يستطيبون ويستخبثون لأنّ ذلك يوجب إختلاف الأحكام في الحلّ والحرمة وهو يخالف موضوع الشّرع بل ينبغي الرّجوع في ذلك إلى العرب لأنّ الدّين عربيّ وهم المخاطبون أوّلاً بقوله تعالى: «يَسْئَلُونَكَ مٰاذٰا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ

---

(١) و (٢) الجامع الصغير: ج١، ص٨٧.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج١، ص ٢٦٤.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

وَ جَعَلَ لَنَا الْفَضيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلىٰ جَميعِ الْخَلْقِ.

لَكُمُ الطَّيِّبٰات»(١)، وليس لهم ترفّه وتنعّم يورث تضييق المطاعم على النّاس ولكن المعتبر إستطابته سكّان القرىٰ والبلاد دون أجلاف البوادي.

و أيضاً يعتبر أصحاب اليسار و الترفّه دون أصحاب الضّرورات والحاجات.

و أيضاً المعتبر حال الخصب و الرّفاهيّة دون حال الجدب والشدّة.

و قد تقدم الكلام علىٰ الرزق فليرجع إليه *.

الفضيلة: الشّرف والدّرجة الرّفيعة في الفضل، وهو ضد النقص.

و ملكه يملكه من باب (ضرب) ملكاً مثلثة وملكة محركة: إحتواه قادراً على الإستبداد به، وطال ملكته محركة أي: رقّه، وأقرّ بالملكة محرّكة بالملك، وله عليه ملكة محرّكة أي: هو ملكه.

ويقال: فلان حسن الملكة إذا كان حسن الصّنع إلىٰ مماليكه.

و في الحديث: لا يدخل الجنّة سيّىء الملكة(٢) أي سيّىء الصّنع إلى من يملكه. وهي بهذا المعنىٰ القيام بالمماليك وما يملك من ذات اليد.

و منه الحديث: حسن الملكة نماء وسوء الملكة شؤم(٣).

و الباء: للسّببيّة أي: بسبب الملكة، وهي متعلّقة بالفضيلة، ويحتمل تعلّقها بجعل.

و قوله (عليه السّلام) «علىٰ جميع الخلق» متعلّق بالملكة وعدّاها بعلىٰ لما فيها من معنى التّسلّط والقدرة كما قالوا له عليه ملكة.

و قول بعضهم إنّه متعلّق بالفضيلة و تخصيصه الملكة بحسن الملكة كانّه قال:

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٤، ص ٣٥٨.

(٣) الجامع الصغير: ج١، ص ١٤٨.

....

فضّلنا علىٰ جميع الخلق بحسن الملكة.

لا يخفىٰ بعده وعدم ملائمته لما بعده، و أبعد منه، حمل بعضهم الملكة علىٰ معنى الكيفيّة الراسخة القائمة بمحلّها أي: جعل لنا الأفضليّة علىٰ جميع الخلق بالكيفيّة الرّاسخة الذاتيّة لنا من دون تجشّم كسب ومن غير إمكان مباينة.

و المراد بجميع الخلق: العالم بأسره.

قال الصّادق (عليه السّلام) في كتاب التّوحيد: أوّل العبر والأدلّة على الباري جلّ قدسه هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها علىٰ ماهي عليه، فإنّك إذا تأمّلته بفكرك وميزّته بعقلك وجدته كالبيت المبنيّ المعدّ فيه جميع مايحتاج إليه عباده، فالسّماء مرفوعة كالسّقف والأرض ممدودة كالبساط والنّجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر وكلّ شيء فيها لشأنه معد، والإنسان كالمملّك ذلك البيت والمخوّل فيه، وضروب النبات مهيّأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه»(١).

قال بعض العلماء: لمّا كان الغاية القصوىٰ من إيجاد العالم والمقصد الأقصىٰ من خلق بني آدم ليس إلّا وجود خليفة الله في أرضه والعالم الربّاني في عباده وهو الثّمرة العليا واللباب الأصفىٰ من شجرة الكون المشتملة على الدّنيا والعقبىٰ ليس إلّا وساير الأكوان إنّما خلق من فضالته لحاجته إليها من ضرورات تعيّشه بها و استخدامه إيّاها.

كما قال سبحانه في الحديث القدسي مخاطباً صفوة خلقه: خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي(٢).

---

(١) بحار الأنوار: ج٣، ص ٦١.

(٢) علم اليقين: للفيض الكاشاني: ج١، ص ٣٨١.

فَكُلُّ خَلِيقَةٍ مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِهِ، وَ صَائِرَةٌ إِلٰى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ.

و قال تعالىٰ: لولاك لما خلقت الأفلاك (١).

و عنه (صلّى الله عليه وآله): يا عليّ لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنّة ولا النّار ولا السّماء ولا الأرض(٢).

جعل المخلوقات العالية والسّافلة كلّها مسخّرة للإنسان مطيعة له كما قال سبحانه: «وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ»(٣) «وَماذَرَأَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ»(٤)، وقال: «وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي الْأَرْضِ»(٥). فأشار سبحانه إلىٰ تسخيره لنا الكواكب والحيوانات والنّباتات والجمادات فكان غير الإنسان إنّما خلق للإنسان، والإنسان للكامل،والكامل للأكمل،والأكمل لله سبحانه *.

الفاء: للسببيّة أي بسبب ذلك كلّ خليقته.

منقادة: أي مذعنة طائعة، يقال: إنقاد فلان للأمر إذا أطاع وأذعن طوعاً أو كرهاً، وأصله من قاد الرّجل الدابّة فانقادت إذا أخذ بقيادها وسار فتبعته.

و الخليقة: فعيلة بمعنىٰ مفعولة، والتّاء فيها إمارة للنقل من الوصفيّة إلى الإسميّة، وعلامة لكون الوصف غالباً غير محتاج إلىٰ موصوف كالنطيحة والذبيحة.

و صائرة: أي راجعة، من صار الأمر إلىٰ كذا رجع إليه.

و الطاعة: اسم من أطاعه إذا امتثل أمره ونهيه.

---

(١) مفاتيح الغيب لصدر الدين الشيرازي: ص ١٤.

(٢) علل الشرائع للصدوق: ص ٥، وعلم اليقين للكاشاني: ج١، ص٣٨١.

(٣) سورة النحل: الآية ١٢.

(٤) سورة النحل: الآية ١٣.

(٥) سورة الجاثية: الآية ١٣.

....

و العزّة: القوّة، عزّ الرّجل من باب (ضرب) عزّاً بالكسر وعزازة بالفتح: قوي، وعزّ يعز من باب (تعب) لغة فهو عزيز، والاسم العزّة بالكسر، فقوله بعزّته أي: بقوّته علىٰ جعلها منقادة طائعة بتسخيره إيّاها لنا، والتّسخير علىٰ ثلاثة أقسام.

أوّلها: الوضعي العرضي وهو أدناها كتسخيره سبحانه وجه الأرض وما فيها للحرث والزّرع وغير ذلك «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً»(١)، ومن ذلك تسخير الجبال والمعادن «جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلاٰلاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبٰالِ أَكْنٰاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرٰابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرٰابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ»(٢)، ومنه تسخير البحار «وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهٰا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوٰاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»(٣)، ومنه تسخير الأشجار للغرس وأخذ الثّمار وغير ذلك «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرٰابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنٰابَ»(٤) «تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً»(٥).«وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نٰاراً فَإِذٰا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ»(٦) «كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعٰامَكُمْ»(٧) «كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ» (٨)، ومنه تسخير الدّواب والأنعام للركوب والزينة وحمل الأثقال «إنّا

(١) سورة الجاثية: الآية ١٣.

(٢) سورة النحل: الآية ٨١.

(٣) سورة النحل: الآية ١٤.

(٤) سورة النحل: الآية ١٠ و ١١.

(٥) سورة النحل: الآية ٦٧.

(٦) سورة يس: الآية ٨٠.

(٧) سورة طه: الآية ٥٤.

(٨) سورة الأنعام: الآية ١٤١.

....

خَلَقْنا لَهُمْ مِمّا عَمِلَتْ أَيْدينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ * وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَمِنْها يَأْكُلُونَ»(١)، «وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فيها جَمالٌ حينَ تُريحُونَ وَحينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغيهِ إِلّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَميرَ لِتَرْكَبُوها وَزينَةً»(٢)، ومنه تسخير النّسوان والجواري للنسل والتّوليد «نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ»(٣).

الثّاني: التسخير الطبيعي و هو أوسطها، وهو تسخير جنود القوى النباتية ومواضعها له للتغذية والتنمية والتوليد والجذب والإمساك والهضم والدفع والتصوير والتشكيل.

الثّالث: التّسخير النّفساني وهو أعلاها، وهو تسخير ملكوت الحواس وملك أعضائها وهي على صنفين، صنف من عالم الشّهادة، وصنف من عالم الغيب.

أمّا الأوّل: فلا يستطيعون له خلافاً ولا عليه تمرّداً فإذا أمر العين بالإنفتاح إنفتحت، وإذا أمر اللّسان بالتكلّم وجزم الحكم به تكلّم وإذا أمر الرجل بالحركة تحرّكت وكذا سائر الأعضاء الظاهرة.

و أمّا الثّاني: فكذلك إلّا(٤) إنّ الوهم له شيطنة بحسب الفطرة يقبل إغواء الشّيطان فيعارض العقل في مقاصده البرهانيّة الإيمانيّة فيحتاج إلى تأييد جديد أُخروي ليقهره ويغلب عليه ويطرد ظلماته، ولمّا كان خلق هذا العالم الجسماني إنّما هو لأجل الإنسان فالملائكة المدبّرون له كلّهم خادمون له مسخّرون لأجله

---

(١) سورة يس: الآية ٧١ و ٧٢.

(٢) سورة النحل: الآية ٥ الى ٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٣.

(٤) (الف): لأنّ.

وَ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي اَغْلَقَ عَنّا باب الْحاجَةِ اِلا إلَيْهِ.

مطيعون له سمائيّين كانوا أم أرضيّين موكّلون بسائر ما خلق لأجله.

قيل: وهذاهومعنى السّجود المأمور به الملائكة في قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلمَلٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلّا إبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السّاجِدِين»(١).

و بيان ذلك: إنّ الوجود كلّه مرتبط بعضه ببعض إرتباط أعضاء الإنسان ألا ترىٰ أنّ حواسّ الإنسان وأعضاؤه المنقادة له المطيعة لأمره مثلاً لا تقوم إلّا بجميع البدن، ولا البدن إلّا بالغذاء ولا الغذاء إلّا بالأرض والماء والنّار والهواء والغيم والمطر والشّمس والقمر،ولا يقوم شيء منها إلّا بالسّماوات ولا التماوات إلّا بالمدبّرات ولا المدبّرات إلّا بالملائكة العقليّة ولا الجميع إلّا بأمر الله و إرادته وقدرته وعزّته فثبت أن كلّ خليقته منقادة لنوع الإنسان بقدرته تعالىٰ وصائرة إلىٰ طاعته بعزّته جلّ وعلا *.

أغلقت الباب: إذا أو ثقته بالغلق وهو المغلاق الذي يغلق به الباب هذه اللّغة المشهورة، وفي لغة قليلة غلقت.

قال الجوهري: و هي لغة رديّة متروكة(٢).

و الاستثناء مفرّغ وجاز ذلك و إن كان الكلام مثبتاً إمّا لاستقامة المعنىٰ نحو قرأت إلّا يوم كذا، وإمّا لأنّ الا ثبات في قوة النفي لأنّ المعنىٰ لم يسمّنا الحاجة إلّا إليه كقوله تعالىٰ: «وَإنَّها لَكَبِيرَةٌ إلّا عَلَى الْخاشِعِينَ»(٣) أي لا تسهل ولا تخفّ إلّا على الخاشعين.

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١١.

(٢) الصحاح للجوهري: ج٤ ص ١٥٣٨ وفيه: (رديئة).

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٥.

فَكَيْفَ نُطِيقُ حَمْدَهُ أَمْ مَتى نُؤَدّي شُكْرَهُ لا مَتى.

و الظرف متعلّق بالحاجة كتعلّقه في الآية بكبيرة.

و المعنىٰ إنّه تعالىٰ لم يزل واهباً لنا جميع ما نحتاج إليه ولم يخلقنا محتاجين إلىٰ غيره.

قيل: و هو إمّا باعتبار كون الحاجة إلىٰ غيره تعالىٰ حاجة إليه لأنّه المالك والمنعم الحقيقي.

و إمّا لأنّه تعالىٰ تكفّل برزقنا المضمون فنحن محتاجون إليه دون غيره، وفتحنا باب الحاجة إلىٰ غيره لاينافي إغلاقه الباب دوننا.

و أغرب من خصّ الحاجة بالإحتياج إلىٰ التّأثير في الايجاد.

قال: و هو بهذا المعنىٰ منحصر في الإحتياج إليه سبحانه لا بمعنىٰ مطلق الإحتياج و إلّا فمطلق إحتياجنا إلىٰ الأجزاء الماديّة والصوريّة والشّروط والآلات وماضاهاها أمر يقضي به العقل بالضرورة إنتهىٰ.

و لا خفاء بما فيه من التعسّف *.

الفاء: فصيحة أي إذا كان فضله وجوده علينا بهذه المثابة فكيف نطيق حمده، وسمّيت فصيحة لإفصاحها عن المحذوف بحيث لو ذكر لم يكن بذلك الحسن مع حسن موقع ذوقي لا يمكن التعبير عنه،ومنها في التنزيل: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ• قَالَ فَاخْرُجْ»(١) أي: إذا كان عندك هذا الكبر فاخرج وقد إستوفينا الكلام عليها في شرح الصّمدية(٢).

و إطاقة الشّيء: القدرة عليه، يقال: أطقت الشيء إطاقة فانا مطيق، أي: قدرت عليه، والاسم الطاقة مثل الطاعة اسم من أطاع.

---

(١) سورة ص: الآية ٧٦ و ٧٧.

(٢) الحدائق النديّة في شرح الصمديّة للمصنّف: ص ٥٤٨ - ٥٥٣.

....

و كيف: هنا للإنكار المشوب بالتعجّب المتضمّن للنفي وقد تقدّم الكلام عليها في شرح الإسناد.

و «أم» حرف عطف وهي هنا منقطعة ومعناها الإضراب المحض لأنّ متىٰ اسم إستفهام عن الزمان والإستفهام لاٰ يدخل على الإستفهام فهي لمجرّد الإضراب كـ«بل»، والتقدير بل متىٰ نؤدّي شكره.

و الإستفهام في متىٰ هنا للإنكار مثله في كيف علىٰ ما ذكرناه،وفيها من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار المقصود إلىٰ نفس إطاقة الحمد، وتأدية الشّكر بأن يقال أفنطيق حمده أم نؤدّي شكره؟لأنّ كلّ موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال وفي زمان من الأزمنة قطعاً فإذا انتفى جميع أحوال وجوده وأزمنته فقد انتفىٰ وجوده على الطريق البرهاني.

و أدّىٰ الأمانة إلى أهلها: أوصلها ودينه قضاه، والاسم الأداء.

و لمّا كان شكره تعالىٰ واجباً على العبد كأنّه أمانة أو دين يجب عليه إيصاله وقضاؤه استعمل فيه الأداء.

قوله (عليه السّلام): «لاٰ متىٰ». قال بعضهم: هو امّا بمعنىٰ لا يمكن تأدية شكره متىٰ يمكن ذلك، أو بمعنىٰ لاٰ يقال: متىٰ، فانّه يتوهم منه إمكان وقوعه.

و قيل: هو منْ قبيل الحكاية. كما حكىٰ سيبويه: إنّه سمع رجلاً يقول لآخر من أين يافتى؟ فقال: لاٰ من أين يافتى(١). يعني لاٰ تسل فإنّ هنا أمراً أهمّ من هذا، ولو لا الحكاية ما صحّ دخول (لاٰ) على (من) ولا فهم منه معنى صحيح.

و يحتمل أن تكون لا لنفي الجنس، ومتىٰ اسمها مراداً به هذا اللفظ الموضوع للإستفهام، وهو وإن كان حينئذ معرفة، لأنّ الكلمة إذا قصد بها لفظها كانت

---

(١) كتاب سيبويه: ج٢، ص ٧٧ سطر ١٦.

وَالْحَمْدُ لِلّهِ الذي رَكَّبَ فينا آلاتِ الْبَسْطِ، وَجَعَلَ لَنا اَدَواتِ الْقَبْضِ. وَ مَتَّعَنا بِأَرْواحِ الْحَيوةِ، وَ أَثْبَتَ فينا جَوارِحَ الأَعْمَال

علماً لكنّه في تأويل النّكرة كقوله «لاهيثم اللّيلة للمطيّ» أي لامسمّى هذاالاسم.

و المعنى لا إستفهام بمتى في هذا المقام كأنّه (عليه السّلام) لمّا أورد الإستفهام على سبيل الإنكار المتضمّن للنفي:

أوّلاً: أراد التّصريح بالنفي.

ثانياً: ليكون الإقرار بالعجز عن تأدية الشّكر صريحاً متأكّداً، وهذا التركيب تستعمله العرب بعد الإستفهام عن الشيء الذي يستبعد الإستفهام عنه كقوله:

أين جيرانك لا أين هم أحجازاً أو طنوها ام شأ اما *.

ركّب الشّيء في الشّيء تركيباً: وضعه فيه كأنّه راكب عليه، ومنه ركب الفصّ في الخاتم، وركّبه أيضاً وضع بعضه على بعض.

و الآلات: جمع آلة وهي ما يؤثر الفاعل في منفعله القريب منه بواسطته.

و جعل هنا بمعنى أوجد.

و الأدوات: جمع أداة وهي الآلة.

و المراد بالبسط والقبض بسط الأعضاء وقبضها، وبالآلات والأدوات الأعصاب والعضلات والأوتار والرّباطات والعروق والأغشية واللحوم والشّحوم والرّطوبات والغضاريف التي بواسطتها تنبسط الأعضاء وتنقبض بإرادة التّحريك وعدمها. وإنّما قدّم البسط على القبض لأنّ أصل العضو باعتبار أصل خلقته يقتضي الإنبساط وإنقباضه إنّما يقع بإرادة التحريك، وكون المراد بالبسط والقبض السّرور والمساءة إحتمال بعيد *.

متّعته: إذا أعطيته متاعاً، و هو كلّ ما يستمتع به أي ينتفع به، وتقول متّعك الله بكذا تمتيعاً وامتعك به إمتاعاً أي: أطال لك الإنتفاع به.

و الأرواح: إمّا جمع روح بالضّم.

....

و هي علىٰ ما في الحديث عن أمير المؤمنين و الباقر و الصادق (عليهم السّلام): خمسة للمقرّبين، روح القدس وبه علموا جميع الأشياء، وروح الإيمان وبه عبدوا الله تعالىٰ، وروح القوّة وبه جاهدوا الأعداء وعالجوا معائشهم، وروح الشّهوة وبه أصابوا لذّة الطعام والنكاح، وروح البدن وبه دبوا ودرجوا، وأربعة لأصحاب اليمين بفقد روح القدس فيهم، وثلاثة لأصحاب الشّمال والدّواب بفقد روح الإيمان فيهم(۱).

و يحتمل أن يكون المراد الأرواح الثّلاثة المتعلّقة بالأعضاء الثّلاثة الرئيسة، وهي الرّوح الحيوانيّة التي تقوم بها القوّة الحيوانيّة المنبعثة من القلب، والرّوح النّفسانيّة التي تقوم بها القوّة المدركة والمتحرّكة المنبعثة من الدّماغ، والرّوح الطبيعيّة التي تقوم بها القوّة الطبيعيّة من التغذية والتنمية المنبعثة من الكبد.وإضافتها إلى الحياة لأنّ النّفس المجرّدة الإنسانيّة التي الحياة عبارة عن تعلّقها بالبدن تتعلّق بهذه الأرواح بأسرها فتتعلّق أوّلاً بالرّوح الحيوانيّة ثمّ بتوسّطها تتعلّق بالأخيرتين علىٰ ما هو الصحيح عند جمهور الحكماء.

و إمّا جمع روح بالفتح و هو نسيم الرّيح، فانّ العروق النّابضة الضوارب التي منبتها القلب وتسمّىٰ بالشّرايين لها حركتان إنقباضيّة و إنبساطيّة وشأنها أن تنفض البخار الدّخاني عن القلب بحركتها الإنقباضيّة وتجذب بحركتها الإنبساطيّة نسيماً طيّباً صافياً يستريح به القلب وتستمدّ منه الحرارة الغريزيّة وبهذه الحركة تنتشر الرّوح والقوّة الحيوانيّة والحرارة الغريزيّة في جميع البدن،فهذا النسيم الذي يستريح به القلب هو روح الحياة فلو انقطع عن القلب ساعة لانقطعت الحياة فتبارك الله أحسن الخالقين.

---

(۱) الكافي: ج۲، ص ۲۸۲. مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الحديث.

....

قوله (عليه السّلام): «وأثبت فينا جوارح الأعمال» أثبت الشيء في الشّيء: جعله ثابتاً فيه لا يفارقه.

و الجوارح: جمع جارحة وهي أعضاء الإنسان التي يعمل بها و يكتسب، وهي من جرح إذا عمل بيده، تقول: بئس ما جرحت يداك أي عملتا، ومنه جوارح الطير لأنّها تكسب بيدها.

و الأعمال: جمع عمل وهو الفعل والصنع.

و فرّق الرّاغب بين الثّلاثة فقال: الفعل لفظ عام، يقال لما كان بإجادة وبدونها، ولما كان بعلم أو غير علم، وقصد أو غير قصد، ولما كان من الإنسان والحيوان والجماد.

و أمّا العمل فإنّه لا يقال إلّا لما كان من الحيوان دون الجماد،ولما كان بقصد وعلم دون ما لم يكن عن قصد وعلم.

قال بعض الأدباء: العمل مقلوب عن العلم، فإنّ العلم فعل القلب، والعمل فعل الجارحة وهو يبرز عن فعل القلب الذي هو العلم وينقلب عنه.

و أمّا الصّنع فإنّه يكون من الإنسان دون سائر الحيوان،ولا يقال إلّا لما كان بإجادة. ولهذا يقال للحاذق المجيد،والحاذقة:المجيدة، صنع كبطل، وصناع كسلام، والصنع يكون بلا فكر لشرف فاعله. والفعل قد يكون بلا فكر لنقص فاعله، والعمل لا يكون إلّا بفكر لتوسّط فاعله، فالصنع أخصّ المعاني الثّلاثة، والفعل أعمّها، والعمل أوسطها، فكل صنع عمل وليس كلّ عمل صنعاً،وكلّ عمل فعل وليس كلّ فعل عملاً،وفارسيّة هذه الألفاظ تنبيء عن الفرق بينهما فانّه قيل: «للفعل» كار، و«للعمل» كردار، «وللصنع» كُنِشْ (١) إنتهى.

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة: ص ٢٢٠.

وَ غَذّانا بِطَيِّباتِ الرِّزْقِ، وَ أَغْنانا بِفَضْلِهِ، وَأَقْنانا بِمَنِّهِ.

و إضافة الجوارح إلى الأعمال من إضافة الفاعل إلى المفعول.

و أغرب من قال: يمكن أن يراد بجوارح الأعمال نفس الأعمال الكاسبة للمثوبات والعقوبات لتكون الإضافة من قبيل إضافة الموصوف إلى الصّفة، وأغرب من ذلك قوله:لا يبعد أن يكون المراد بالجوارح الأعصاب والشرايين والأوردة النابتة من الأعضاء الرئيسيّة الجارحة للأعمال النفسانيّة والطبيعيّة والحيوانيّة إنتهىٰ.

و ليت شعري ما الحامل له على هذه التمحّلات التي لٰا تثبت لغة و لا إصطلاحاً خصوصاً وهو بصدد شرح كلام المعصوم الذي لا ينطق عن الهوىٰ نسأل الله الهداية.

الغذاء ككتاب: ما به نماء الجسم وقوامه من الطعام والشّراب*.

يقال: غذا الطعام الصّبي يغذوه من باب (علا) إذا نجع فيه(١) وكفاه. وغذوته باللّبن أغذوه أيضاً فاغتذىٰ به، وغذّيته بالتّثقيل مبالغة فتغذّىٰ.

و طيّبات الرزق: فنون الأغذية اللطيفة حيوانيّة كانت أو نباتيّة،وضروب المستلذّات ممّا يحصل بصنعنا و بغير صنعنا.

و في رواية:الرّزق الطيّب هو العلم(٢).

قوله (عليه السّلام):«و أغنانا بفضله» هو إمّا من الغناء بالفتح والمدّ كسلٰام بمعنى الإكتفاء.

يقال: غنيت بكذا عن غيره من باب (تعب) إذا استغنيت به،والاسم الغنية بالضمّ، فأنا غني، وأغنيته به :كفيته.

أو من الغنىٰ بالكسر و القصر: و هو اليسار، تقول غني فلان من المال يغنىٰ

(١) (الف): تجمع فيه.

(٢) لم نعثر عليها.

....

غنى كرضي يرضى رضى،وأغناه الله.

و الفضل هنا بمعنى: الطول و الإحسان.

قوله (عليه السّلام): «وأقنانا بمنه»،هو إمّا من القنية بالكسر والضم،وهو المال المؤثّل المدّخر الذي يقتنيه الإنسان لنفسه ويعزم على أن لا يخرجه من يده،أو من قنوت الشيء أقنوه قنواً وقنوة بالكسر إذا جمعته واكتسبته.

أو من القنى بالكسر و القصر كإلى بمعنى الرّضا.

يقال: أقناه الله أي: أرضاه.

و قال الزّمخشري: القنا و القنية: ما اقتني من شاة أو ناقة(١) فجعلهما بمعنى.

و قال في الأساس: أغناه الله و أقناه أولاه الغنى والقنى، وتقول فلان يجتني الغنى والقنى من أطراف السّيوف والقنا إنتهى(٢).

و الفقرتان تلميح إلى قوله تعالى «وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ» (٣).

قال بعض المفسّرين:أغنى الانسان بلبن أمّه ونفقة أبيه في صغره ثمّ أقناه بالكسب بعد كبره، أو أغناه بكلّ ما يدفع الحاجة وأقناه بما زاد عليه.

و قال بعضهم: أغنى:موّل،و أقنى:أرضى.

و عن ابن عباس: أغنى و أقنى:أعطى و أرضى(٤).

و عن الصّادق (عليه السّلام): أغنى كلّ إنسان بمعيشته و أرضاه بكسب يده(٥).

---

(١) الفائق للزمخشري: ج٣، ص ٢٢٩.

(٢) أساس البلاغة ص ٥٢٥.

(٣) سورة النجم: الآية ٤٨.

(٤) مجمع البيان: ج٩، ص ١٨٣ وفيه هكذا: [أغنى:موّل،وأقنى:أرضى بما اعطى].

(٥) معاني الأخبار للصدوق: ص ٢١٤، ح ١.

ثُمَّ أمَرَنا لِيَخْتَبِرَ طاعَتَنا، وَ نَهانا لِيَبْتَلِيَ شُكْرَنا.

و المنّ: الإنعام، و فيه ردّ علىٰ من زعم انّ الفقر و الغنىٰ بكسب الانسان واجتهاده،فمن كسب إستغنىٰ ومن كسل إفتقر*.

«ثمّ» علىٰ حقيقتها من إقتضاء الترتيب والمهلة فإنّه سبحانه بسنّة حكمته وقاعدة لطفه ورحمته لم يكلّف عباده إلّا بعد أن خلق فيهم ولهم كلّ ما يتوقّف عليه ما اُراد منهم من الآلات والقوىٰ وسائر الأُمور والأسباب المتوقّف عليها العبادة والطاعة، ثمّ أمرهم ونهاهم وإلّا لكان خلقهم عبثاً وهو محال عليه تعالىٰ كما قال سبحانه: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ»(١).

و قوله: «أمرنا و نهانا» أي أوقع علينا الأمر و النّهي، ولذلك لم يذكر المأمور به والمنهيّ عنه،وليساهما محذوفين ولا منويّين لأنّ الغرض الإعلام بمجرّد إيقاع الأمر والنّهي دون متعلّقيهما.

و الإختبار و الإبتلاء بمعنىً واحد وهو الإمتحان، وهو فعل ما يظهر به الشّيء وحقيقته من الله تعالىٰ إظهار ما كتب علينا في القدر و إبراز ما أودع فينا وغرز في طباعنا بالقوّة بما يظهره من الشّواهد ويخرجه إلىٰ الفعل من الوقائع والحوادث والتكاليف الشاقّة بحيث يترتّب عليه الثواب والعقاب فإنهما ثمرات ولوازم وتبعات وعوارض لأُمور موجودة أي بالقوّة فينا، فإذا لم تصدر عنّا ولم تخرج إلىٰ الفعل و إن كانت معلومة لله عزّوجلّ موجودة فينا بالقوّة، فكيف تحصل ثمراتها وتبعاتها التي هي عوارضها ولوازمها؟، ولهذا قال تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ»(٢) وأمثالها، أي: نعلمهم موصوفين بهذه الصّفة بحيث يترتّب عليه الجزاء، وأمّا قبل ذلك الإبتلاء فإنّه علمهم مستعدّين للمجاهدة والصّبر صائرين

(١) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

(٢) سورة محمّد: الآية ٣١.

فَخالَفْنا عَنْ طَريقَ أَمْرِهِ وَ رَكِبْنا مُتُونَ زَجْرِهِ.

إليهما بعد حين.

إذا عرفت ذلك فقوله (عليه السّلام): «ليختبر طاعتنا وليبتلي شكرنا»، أي ليختبرنا أنطيع أم نعصي، وليبتلينا أنشكر أم نكفر، كما قال تعالىٰ: «هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبّي لِيَبْلُوَني ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ»(١).

أو ليختبر طاعتنا و ليبتلي شكرنا فيعلم حسنها من قبيحها كما قال تعالىٰ «وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ»(٢) أي ما يحكىٰ عنكم ويخبر عن أعمالكم فنعلم حسنها من قبيحها.

فان قلت: كيف جعل النّهي لابتلاء الشّكر دون الطاعة مع أنّ الطاعة إمتثال الأمر والنّهي؟.

قلت: لمّا كان الشّكر عرفاً عبارة عن صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه به فيما أنعم لأجله كان ارتكاب المناهي منافياً للشكر فكان النّهي من هذه الجهة لابتلاء الشّكر.

و إلىٰ هذا المعنىٰ أشار الصّادق (عليه السّلام) بقوله: شكر النّعمة إجتناب المحارم(٣) *.

خالف عن الشّيء: عدل عنه، أي: مال و انحرف، و الأصل خالفنا طريق أمره بترك مقتضاه والذهاب إلى سمت خلاف سمته، ثمّ ضمّن معنىٰ العدول فعدّاه بعن، ومنه قوله تعالىٰ: «فَلْيَحْذَرِ الَّذينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ»(٤) أي يخالفونه، وعدّاه بعن لتضمينه معنى الاعراض. و إنّما قلنا بتضمين معنىٰ العدول في الأوّل

---

(١) سورة النمل: الآية ٤٠.

(٢) سورة محمّد: الآية ٣١.

(٣) الكافي: ج٢، ص ٩٥، ح١٠.

(٤) سورة النور: الآية ٦٣.

....

لمناسبته للطريق إذ يقال:عدل عن الطريق، ولا يقال أعرض عنه.

و ركبه: كسمعه ركوباً علاه، و أصله في الدّابة ثمّ توسّع فيه واستعمل في غيرها مجازاً، فقيل ركب الطريق إذا مضى فيه، وركب ذنباً إذا إقترفه، وركب رأسه إذا مضىٰ علىٰ وجهه بغير قصد.

و المتون: جمع متن و هو ما صلب و ارتفع من الأرض.

و الزّجر: المنع، زجرته زجراً من باب (قتل) منعته فانزجر.

و استعار الطريق للأمر، والمتون للزجر، لأنّ الطريق أكثر ما تكون سهلة السّلوك ممهّدة للسالكين، ومتون الأرض:وعرة المسالك غير مذلّلة للسّائرين لا يركبها إلّا المعتسف الآخذ علىٰ غير الطريق.

و يحتمل أن يكون المراد بالمتن:الظهر، و ماذكرناه أنسب،و إنّما أفرد طريق الأمر وجمع متون الزّجر لأنّ طريق أمره تعالىٰ هي طريق الرّشد التي لا تختلف وهي واحدة.

و امّا متون زجره فمختلفة كثيرة لكثرة اختلاف طرق الضّلال التي نهىٰ سبحانه عن إتّباعها كما قال تعالىٰ:«و انّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرق بكم عن سبيله»(١).

روي انّ النّبي (صلّى الله عليه وآله) خطّ خطّاً ثمّ قال: هذا سبيل الرشد،ثمّ خطّ عن يمينه وشماله خطوطاً ثمّ قال: هذه سبل علىٰ كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه ثمّ تلا قوله تعالىٰ:«وَ انَّ هٰذا صِراطِي مُسْتَقِيماً»(٣) الآية.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٢) (الف): طريق.

(٣) الدر المنثور للسيوطي: ج٣، ص ٥٦ مع اختلاف يسير في العبارة.

فَلَمْ يَبْتَدِرْنا بِعُقُوبَتِهِ، وَ لَمْ يُعاجِلْنا بِنِقْمَتِهِ.
بَلْ تَأَنّانا بِرَحْمَتِهِ تَكَرُّماً، وَ انْتَظَرَ مُراجَعَتَنا بِرَأْفَتِهِ حِلْماً.

إبتدر الشّيء و بادره و بادر إليه: عاجله و أسرع إليه.

و العقوبة بالضمّ: اسم من عاقبت المسيء معاقبة وعقاباً: كافأته.

و النّقمة ككلمة و بالكسر والفتح مع سكون القاف: المكافاة بالعقوبة، نقم منه كضرب وعلم، و انتقم:عاقبه، وفيه تلميح إلىٰ قوله تعالىٰ: «وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّٰهُ لِلنّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ»(١) سمّي العقوبة شرّاً لأنّها أذى وألم في حق المعاقب، أي: لو يريد الله عجلة الشّر للناس كما أرادوا عجلة الخير لهم لأُميتوا واُهلكوا،ولكن اقتضت حكمته ومصلحته تعالىٰ أن لا يعجّل إيصال الشرّ إليهم لعلّهم يؤمنون أو يتوبون،أو يخرج من أصلابهم من يؤمن *.

«بل»:حرف عطف يفيد بعد النّفي والنّهي،تقرير(٢) حكم متلوّه و إثبات ضده لتاليه كما أفاد هنا تقرير نفي الإبتدار والمعاجلة عنه تعالىٰ وأثبت التأنّي والانتظار له سبحانه.هذا مذهب ابن مالك وجماعة من النّحويين(٣)

و قال بعضهم: بل الدّاخلة علىٰ الجملة حرف ابتداء لاعاطفة و فائدتها الإضراب والإنتقال من جملة إلىٰ اُخرىٰ أهمّ من الأُولىٰ(٤)

و تأنّىٰ في الأمر: تمكّث و لم يعجل، والاسم منه أناة على وزن حصاة، وتأنّيته و استأنيته:أمهلته ولم أعجله.

«و الباء» في برحمته للسببيّة.

و الرّحمة: قيل رقّة القلب و إنعطاف يقتضي التفضّل و الإحسان، والحقّ إنّها

---

(١) سورة يونس: الاية ١١.

(٢) (الف): لتقرير.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) شرح الكافية: ج٢ ص ٣٧٩.

....

فينا حالة نفسانيّة تكون مع رقّة القلب بها نفعل المودّة والإحسان كما انّ الغضب حالة نفسانيّة تكون في الأكثر مع قساوة القلب وجموده تصدر منها الاساءة والجور، وهكذا العلم والحلم والحياء والصّبر والعفّة والمحبّة وغيرها فينا، صفات نفسانيّة تناسبها أحوال القلب ومزاج البدن،وهي مبادىء أفعال وآثار تناسبها.

قال بعض المحقّقين من أصحابنا المتأخّرين: و إذا أُطلق بعض هذه الصّفات علىٰ الله تعالىٰ فلابدّ أن يكون هناك على وجه أعلىٰ وأشرف،لأنّ صفات كلّ موجود على حسب وجوده،فصفات الجسم كوجوده جسمانيّة،وصفات النّفس نفسانيّة وصفات العقل عقلانيّة،وصفات الله تعالىٰ إلٰهيّة،لا كما عليه كثير من أهل التّحصيل و لتمييزمن إنكار هذه الصّفات في حقه تعالىٰ رأساً، والقول بانّ أسماء الله تعالىٰ إنّما تطلق عليه باعتبار الغايات دون المبادئ التي تكون إنفعالات وهذا من قصور العلم وضيق الصّدر وعدم سعة التعقّل حيث لم يدركوا مقامات الوجود ومواطنه ومعارجه ومنازله وأحواله في كلّ موطن ومقام،فوقعوا في مثل هذا التعطيل الخالي عن التّحصيل، وبالجملة:العوالم متطابقة فما وجد من الصّفات الكماليّة في الأدنىٰ يكون في الأعلىٰ على وجه أرفع وأشرف وأبسط،فافهم هذا التّحقيق واغتنمه فانّه عزيز جداً إنتهىٰ(١)

قوله (عليه السّلام) تكرّماً أي: تطوّلاً و تفضّلاً و إمتناناً، ونصبه علىٰ المفعوية لاجله لكونه علّة مؤثرة للفعل الذي هو التأنّي، كما تقول:قعدت عن الحرب جبناً لا علّة غائيّة له كضربته تأديباً.

و يأتي التكرّم بمعنىٰ التّنزه عمّا لا يليق، يقال:تكرّم عن القبيح أي تنزّه، ومنه قول أبي حيّة النميري:

---

(١) أي كلام بعض المحقّقين.

....

ألَمْ تَعْلَمِي أنِّي إذاَ النَّفسُ أشْرَفَتْ عَلىٰ طَمَعٍ لم أنس أنْ أتكرّما

و يمكن حمله هنا علىٰ هذا المعنىٰ أيضاً أي: تأنّانا برحمته تنزّهاً عن معاجلتنالأنّ المعاجلة شأن من يخشىٰ الفوت كما ورد في الدّعاء:«إنّما يعجل من يخاف الفوت» وهو تعالىٰ منزّه عن ذلك . والأول أنسب.

قوله (عليه السّلام):«و انتظر مراجعتنا برأفته حلماً» الإنتظار في اللّغة: ترقّب حضور الشّيء أو حصوله، يقال:إنتظره ونظّره أيضاً قال تعالىٰ: «مٰا يَنْظُرُونَ إلّا صَيْحَةً وٰاحِدَةً»(١) أي ما ينتظرون.

و المراجعة: المعاودة وهي الرّجوع إلىٰ الأمر الأوّل، ومنه راجع إمرأته.

و أعلم أنّه لـمّا كان غرض العناية الإلٰهيّة هو الوصول إلىٰ جناب عزّه تعالىٰ الذي هو غاية الخلق وسوق كل ناقص منهم إلىٰ كماله ليصل إليه كاملاً، حسن أن يعبّر عن إبقاء العاصي بالتأنّي له،وعن طلب العناية الإلٰهيّة رجوعه إلىٰ طاعته له بالانتظار لمراجعته و إلّا فهو سبحانه منزّه عن التأنّي والإنتظار.

قوله (عليه السّلام): «برأفته» قيل: الرأفة أشدّ الرحمة.

و قيل: الرحمة أكثر من الرأفة،والرأفة أقوىٰ منها في الكيفيّة؛ لأنّها عبارة عن إيصال النعم بلا كراهة، والرحمة إيصال النعم مطلقاً، وقد يكون مع الكراهة للمصلحة كقطع العضو المتآكل.

و إطلاق الرأفة عليه تعالىٰ كاطلاق الرحمة و قد مرّ تحقيقه آنفاً، وقس عليه كلّ ما يأتي من هذا القبيل.

و الحلم في الإنسان:الأناة والتثبت في الأُمور، وهو فضيلة تحت الشجاعة يعتبر معها عدم إنفعال النفس عن الواردات المكروهة المؤذية.

---

(١) سورة يس: الآية ٤٩.

وَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي دَلَّنَا عَلَى التَّوْبَةِ الَّتى لَمْ نُفِدْهَا اِلّا مِنْ فَضْلِهِ.

وأمّا في حقّه تعالىٰ فقيل: يعود إلىٰ عدم إنفعاله تعالىٰ عن مخالفة أوامره ونواهيه، فهو الحليم بمعنىٰ الذي لا يستخفّه شيء من معاصي العباد، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولا يحمله على سرعة الإنتقام منهم -مع قدرته التامّة- غيض ولا طيش، والفرق بينه تعالىٰ وبين العبد في هذا الوصف: إنّ سلب الإنفعال عنه سلب مطلق، وعن العبد عمّا من شأنه أن يكون له ذلك الشيء فكان عدم الإنفعال عنه أبلغ وأتم. والحقّ: إنّه في العبد صفة نفسانيّة، وفي الربّ صفة الهيّة كما علمت،فهو فيه أعلىٰ وأشرف وأكمل وأرفع *.

دلّنا علىٰ التوبة أي: عرّفنا حقيقتها؛ لأنّ المكلّف لابدّ أن يعرف ماهيّة التوبة حتّىٰ يتمكّن بعقله من تدارك الذنوب. أو عرّفنا وجوبها وكونها مقبولة. أو ذكّرنا نعمه العظيمة علينا حتّىٰ صار من الدواعي القريبة إلىٰ التوبة.

و أفدت الشيء: إستفدته و أعطيته ضدّ.

قال في المغرب (١):أفادني مالاً أعطاني، وأفاده بمعنىٰ إستفاده(٢).

و قال في المجمل: أفدت إذا إستفدت، وافدت إذا افدت غيرك يقال افدت غيري وأفدت من غيري إنتهىٰ(٣).

فقوله (عليه السّلام): «لم نُفدها» ضبط بكسر الفاء وفتحها مع ضم النون، فالكسر من الإفادة بمعنىٰ الإستفادة، أي: لم نستفدها، وبالفتح من الإفادة بمعنى الإعطاء أي: لم نعطها بالبناء للمفعول.

---

(١) هذا الكتاب لابي الفتح ناصر بن عبدالسيد بن علي المطرزي الخوارزمي، اللغوي، النحوي، يقال له خليفة الزمخشري. له مصنّفات كثيرة منها: الإيضاح في شرح المقامات للحريري، مغرب اللغة، والمطرزية، ومختصر الاصلاح، ولد في جرجانيّة خوارزم سنة ٥٣٨هجريّة توفي بخوارزم سنة ٦١٠هجريّة. الكنىٰ والألقاب: ج ٣، ص ١٥٥.

(٢) المغرب: لم نعثر عليه. (٣) مجمل اللغة: لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

فَلَوْ لَمْ نَعْتَدِدْ مِنْ فَضْلِهِ اِلاّ بِها، لَقَدْ حَسُنَ بَلاؤُهُ عِنْدَنا، وَ جَلَّ إحْسانُهُ إلَيْنا، وَجَسُمَ فَضْلُهُ عَلَيْنا.

و تشنيع بعض المحشّين على من ضبطه بفتح الفاء لا وجه له، ثمّ إستفادتنا التوبة من فضله تعالىٰ إمّا باعتبار دلالته لنا عليها، أو من حيث انّه لما كانت عبارة عن إنزجار النفس العاقلة عن متابعة النفس الأمّارة بالسوء، و إنزجارها إنّما يكون بسوانح وجواذب إلهيّة تسنح لها، فتطلع معها على قبح ما كانت عليه من إتّباع شياطينها، فتكون سبباً لجذبها عن مهاوي الهلاك وتوجيهها عن الجنبية السافلة إلىٰ القبلة الحقيقيّة لم يكن إستفادتنا لها إلّا من فضله *.

إعتددت بالشيء على إفتعلت أي: أدخلته في العد والحساب فهو معتدّ به أي: محسوب غير ساقط، والواقع في جميع النسخ لم نعتدد بفك الإدغام وهي لغة أهل الحجاز، وأمّا بنوتميم فلغتهم الإدغام وقرئ قوله تعالىٰ: «ومن يرتدد منكم عن دينه»(١) باللغتين.

قال بعضهم: وجواب «لو» في هذا المقام محذوف والتقدير: لو لم نعتدد من فضله إلّا بها لكفانا ذلك، وهذا متعارف كثيراً إنتهىٰ.

قلت: و انّما إدّعى حذف الجواب، ولم يجعل قوله: لقد حسن بلاؤه عندنا جوابها؛ لأنّ النحاة لم يذكروا إقتران جواب«لو» الماضي باللام وقد، بل إنّما ذكروا إقترانها بـ «قد» فقط وحكموا بندرته.

قال ابن هشام في المغني: و ورد جواب «لو» الماضي مقروناً بقد، وهو غريب كقول جرير: لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة إنتهى(٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٧.

(٢) مغني اللبيب لابن هشام: ص ٣٥٨ الرقم ٤٨٩، وتكملة البيت هكذا: تدع الحوائم لا يجدن غليلا. ونقع: إرتوىٰ. والحوائم: العطاش. والغليل: حرارة الشمس.

....

لكنه قد سمع إقترانه بهما معاً.

قال الدماميني في تحفة الغريب: وقع في صحيح البخاري في باب رجم الحبلىٰ في الزّنا في حديث ابن عباس الطويل الذي فيه ذكر البيعة بعد وفاة النّبي صلّىٰ الله عليه وآله ما نصّه قال لي عبدالرحمن بن عوف: لو رأيت رجلاً أتىٰ أميرالمؤمنين فقال: يا أميرالمؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قدمات عمر لقد بايعت فلاناً إنتهىٰ (١).

قال الدماميني ففيه ورود جواب «لو» وشرطها جميعاً مقرونين بقد قال: وفلان المشار إليه بالبيعة هو طلحة بن عبيدالله وقع ذلك في فوائد البغوي(٢).

و ثبت أيضاً في صحيح البخاري في أبواب الخمس من حديث جابر بن عبدالله قال: قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لو قد جاء مال البحرين قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا إنتهىٰ (٣).

فالأولى أن يكون قوله (عليه السّلام): «لقد حسن بلاؤه عندنا» هو جواب «لو»، لثبوت مثله في فصيح الكلام، والحذف والتقدير خلاف الأصل، فيكون المعنىٰ حينئذ لو لم نعتدد من فضله إلّا بالتوبة لكان بلاؤه عندنا حسناً أو إحسانه إلينا جليلاً، وفضله علنا جسيماً، وذلك لأنّ التوبة من أعظم نعم الله تعالىٰ علىٰ عباده، لأنها ممحاة للذنوب، مسترة للعيوب، مرضاة للرحمن، مسخطة للشيطان، مفتّحة لأبواب الجنان، معدّة لإشراق شموس المعارف الالٰهيّة علىٰ الواح النفوس، مستنزلة للمواهب الربانيّة من الملك القدّوس.

---

(١) صحيح البخاري: ج ٨، ص ٢٠٨، كتاب المحاربين من أهل الكفر، باب ١٦ رجم الحبلىٰ من الزنا.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) صحيح البخاري: ج ٣، ص ١٢٦، كتاب الحوالات، الباب ٦ من تكفّل عن ميت ديناً.

فَما هكَذا كانَتْ سُنَّتُهُ في التَّوْبَةِ لِمَنْ كانَ قَبْلَنا.

روي عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) إنّه قال: لا شفيع أنجح من التوبة(١).

و عن أبي جعفر (عليه السّلام): التائب من الذنب كمن لا ذنب له(٢).

و عن أبي عبدالله (عليه السّلام): إنّ الله تعالىٰ يفرح بتوبة عباده المؤمنين إذا تابوا كما يفرح أحدكم بضالّته إذا وجدها(٣).

و سيأتي تمام الكلام عليها في شرح دعائها إن شاء الله تعالى.

قوله (عليه السّلام): «حسن بلاؤه» البلاء هنا بمعنىٰ الإحسان والإنعام، ومنه قوله تعالىٰ: «وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً»(٤).

قال المفسّرون أي: عطاءً جميلاً غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره.

قوله: «جل إحسانه» أي: عظم.

يقال: جلّ الشيء جلالاً من باب (ضرب) أي: عظم فهو جليل، ومنه الجلى بالضم للأمر العظيم.

قوله: «جسم فضله» كعظم لفظاً ومعنىٰ فهو جسيم، وهو من الجسم بمعنىٰ جماعة البدن كأنّه صار ذا جسم*.

السنّة بالضم لغةً: الطريقة المستقيمة.

قيل: مأخوذة من سنّ الماء إذا والى صبّه، أو من سنّ النصل إذا حدّه، أو من سنّ الإبل إذا أرسلها في الرعي.

و سنّة الله تعالى: حكمه.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٩، ص ٣٠١ الرقم ٣٧٧.

(٢) الكافي: ج٢، ص ٤٣٥، ح ١٠.

(٣) الكافي: ج٢، ص ٤٣٦، ح ١٣ وفيه: عبده المؤمن إذاتاب.

(٤) سورة الأنفال: الآية ١٧.

....

و هكذا: إشارة إلىٰ الحاضر في الذهن من سنّته في التوبة المفترضة على هذه الأُمّة المرحومة التي ليس هي إلّا الندم علىٰ الذنب لكونه ذنباً.

و المراد بمن كان قبلنا: بنو إسرائيل الذين كانت سنّته تعالىٰ في التوبة لهم قتل أنفسهم لا الندم فقط كما نطق به التنزيل في قوله تعالىٰ: «وَ إِذْ قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»(١).

روي: إنّ موسىٰ (عليه السّلام) سأل ربه التوبة على بني إسرائيل من عبادة العجل، فقال: لا إلّا أن يقتلوا أنفسهم، فأمرهم موسىٰ (عليه السّلام) بالقتل فأجابوا، فأخذ عليهم المواثيق ليصبرنّ علىٰ القتل، فأصبحوا مجتمعين و قد إغتسلوا ولبسوا أكفانهم كلّ قبيلة علىٰ حدّة، وأتاهم هارون بالاثنى عشر ألفاً الذين لم يعبدوا العجل وبأيديهم السيوف فتقدّم موسىٰ وقال لهم: إنّ هؤلاء اخوانكم قد أتوكم شاهرين للسيوف فاحتبوا(٢) بأفنية بيوتكم واتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلاً حلّ حبوته، أو قام من مجلسه، أو مدّ إليهم طرفه، أو إتقاهم بيد، أو رجل فيقولون: آمين(٣).

روي: إنّ الرجل كان يبصر ولده و جاره و قريبه فلم يمكنه المضي لأمر الله، فأرسل الله سبحانه ضبابة وسحابة سوداء لايتباصرون تحتها فجعلوا يقتلونهم إلىٰ المساء، فقام موسىٰ وهارون يدعوان الله ويقولان هلكت بنو إسرائيل البقيّة البقيّة يا الهنا، فكشف الضبابة والسحابة وأوحىٰ الله تعالىٰ إليهما: قد غفرت ذنب من

---

(١) سورة البقرة: الآية ٥٤.

(٢) احتبىٰ الرجل: جمع ظهره و ساقيه بثوب أو غيره، وقد يحتبي بيديه. المصباح المنير: ص١٦٥.

(٣) التفسير الكبير للفخرالرازي: ج٣، ص ٨٢.

لَقَدْ وَضَعَ عَنّا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ، وَ لَمْ يُكَلِّفْنا إلّا وُسْعاً، وَلَمْ يُجَشِّمْنا إلّا يُسْراً.

قتل وتبت على من لم يقتل، قالوا: وكانت القتلى سبعين الفا(١)*.

« اللام » جواب قسم محذوفة، فانـه حيث قيل: لقد فعل أولأفعلنّ أو لئن فعل ولم تتقدّم جملة قسم فثمّ جملة قسم محذوفة نحو: «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ»(٢) «لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَديداً»(٣)، «لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ»(٤).

و التّقدير: اقسم بالله لقد وضع عنّا ما لا طاقة لنابه، أي: ما لا قدرة لنا عليه من التكاليف الشاقّة، لا ما لا تفي به الطاقة البشريّة حقيقة، فانّ ذلك غير جائز عليه تعالى عقلاً خلافاً للأشاعرة. واستعمال عدم الطاقة فيما يشقّ شائع في كلامهم.

و في الحديث عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال في المملوك : له طعامه وكسوته ولا يكلّف من العمل إلّا ما يطيق(٥) أي: ما لا يشق.

و المراد: إنّه تعالى لم يشدّد علينا في التكاليف كما شدّد على من قبلنا من اليهود حيث فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة، وأوجب عليهم قرض ما أصابته النجاسة من الثوب والجلد كالخف والفروة وأن لا يطهر بالغسل، وإذا أتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان لهم حلالاً قال تعالى: «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ»(٦)، وحتم عليهم

---

(١) التفسير الكبير للفخرالرازي: ج٣، ص ٨٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٢

(٣) سورة النمل: الآية ٢١.

(٤) سورة الحشر: الآية ١٢.

(٥) مسند احمد بن حنبل: ج ٢، ص ٣٤٢ والموطأ لمالك بن أنس: ج٢، ص ٩٨٠ وفيهما: [للمملوك].

(٦) سورة النساء: الآية ١٦٠.

....

تعيين القصاص في العمد والخطأ من غير الديّة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وإحراق الغنائم، وتحريم السبت، وكانوا إذا قاموا إلىٰ الصلاة لبسوا المسوح وغلّوا أيديهم إلىٰ أعناقهم وربّما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلىٰ السارية لحبس نفسه علىٰ العبادة، إلىٰ غير ذلك من اعباء التكاليف الثقيلة، وقد عصم الله عزّوجلّ بفضله ورحمته هذه الأمّة عن أمثال ذلك وأنزل في شأنهم: «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ»(١).

و قال (عليه السّلام): بعثت بالحنيفيّة السّهلة السّمحة(٢).

قوله (عليه السّلام): «و لم يكلّفنا إلّا وسعاً». التكليف: إلزام ما فيه كلفة ومشقّة.

و الوسع بالضم: ما يسع الإنسان و لا يضيق عليه، أي: لم يكلّفنا إلّا ما اتّسع له طوقنا ولم تضق عنه قدرتنا كما قال تعالىٰ: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ»(٣).

قوله (عليه السّلام): «و لم يُجشّمنا إلّا يسراً».

جشمت الأمر: كسمعت، و تجشّمته إذا تكلّفته على مشقّة، وجشّمته غيري بالتشديد وأجشمته بالالف: كلّفته إيّاه.

و اليسر بالضم: نقيض العسر و أصله السهولة، ومنه اليسار للغنىٰ لأنّ به تتسهّل الامور وتتسنّى المقاصد. أي: لم يكلّفنا إلّا ما سهل علينا، وتيسّر دون مدىٰ الطاقة والوسع، ألا تراه أوجب علينا من الصلاة خمساً، ومن السنة صوم شهر، وفي

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) عوالي اللئالي: ج١، ص ٣٨١، ح ٣.

(٣) سورة الحج: الآية ٧٨.

وَ لَمْ يَدَعْ لِاَحَدٍ مِنّا حُجَّة وَ لا عُذْراً.

العمر حجّة واحدة مع إمكان الإنسان وطاقته أن يصلّي أكثر من الخمس، ويصوم أكثر من الشهر، ويحجّ أكثر من حجّة، لكنّه تعالىٰ أراد بنااليسر فضلاً منه ورحمة كما قال: «يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُبِكُمُ الْعُسْرَ»(١)، وهذه الفقرة من باب التكميل، وهو أن يؤتىٰ بكلام في فنّ فيرىٰ أنّه ناقص فيكمل باخر فانّه (عليه السّلام) لمّا قال ولم يكلّفنا إلّا وسعاً توهّم إنّ ذلك يوهم انّه كلّفنا مبلغ وسعنا فكمّل بقوله: ولم يجشّمنا إلّا يسراً نفياً لذلك الإيهام وهذا من كمال البلاغة و إيفائها حقوقها *.

لم يدع: أي لم يترك ، وهو من الودع بمعنىٰ الترك ، قالوا: ولم يستعمل منه إلّا المضارع، والأمر، فلا يقال: ودَعَه بل تركه، ولا وادع ولكن تارك ، ولا تقل: أعجبني ودعك الفحش، بل تركك ، ولاموودع ولكن متروك ، وماورد منه فشاذ.

و مثله و ذر إنّما يقال منه ذر ولا تذر لا غير.

و الحجّة بالضم: ما دلّ علىٰ صحّة الدعوىٰ.

و العذر: التفصّي عن الذنب بوجه معقول، والمعنىٰ إنّه تعالىٰ لمّا لم يكلّفنا إلّا دون وسعنا ولم يشقّ علينا في شيء من التكاليف، لم يترك لأحد حجّة يحتجّ بها ولا عذراً يقيمه في عدم طاعته ولزوم أوامره ونواهيه التي لا كلفة علينا في القيام بها، بل له تعالىٰ الحجّة البالغة.

و عن الصادق (عليه السّلام): إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً في ضيق، ولم تجد أحداً إلّا ولله عليه الحجّة، وما أُمروا إلّا بدون سعتهم، وكلّ شيء أُمِرَ النّاس به فهم يَسعون له، وكلّ شيء لا يسعون له فهو موضوع عنهم، ولكن النّاس لا خير فيهم(٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) التوحيد للصدوق: ص ٤١٣، ح ١٠.

فَالْهالِكُ مِنّا مَنْ هَلَكَ عَلَيْهِ، والسَّعيدُ مِنّا مَنْ رَغِبَ إلَيْهِ.

الهلاك : الموت، هلك يهلك من باب (ضرب) هلكاً بالضم، و مهلكة مثلّثة اللام، والاسم الهلاك ، ويعبّر به عن الخسران واستيجاب النار وهو المراد هنا لمقابلته بالسعيد لاستلزامه الشقاوة.

و منه الحديث: إذا قيل هلك النّاس، فهو أهلكهم(١).

قال ابن الأثير: يروى بفتح الكاف و ضمّها، فمن فتحها كانت فعلاً ماضياً، ومعناه أنّ الغالين في الدين يؤيّسون النّاس من رحمة الله يقولون: هلك النّاس: أي استوجبوا النار بسوء أعمالهم، فاذا قال الرجل ذلك فهو الذي أوجبه لهم لا الله تعالى، أو هو الذي لمّا قال لهم ذلك وآيسهم حَمَلَهم على ترك الطاعة والانهماك في المعاصي، فهو الذي أوقعهم في الهلاك .

و أمّا الضم فمعناه إنّه إذا قال لهم ذلك فهو أهلكهم، أي: أكثرهم هلاكاً، وهو الرجل يولع بعيب الناس ويذهب بنفسه عجباً ويرى له عليهم فضلاً إنتهى(٢).

و«على» من قوله: هلك عليه.

قيل: بمعنى مع، أي: مع سعة رحمته.

و قيل: ضمّن معنى استعلى و إستعصى.

و قيل: معناه الخاسر من خسر عنده.

و الصواب: إنّ معناه على كره منه، كما يقال: باع القاضي عليه داره؛ لأنّه تعالى لا يرضى بهلاك أحد من عباده، ولذلك وسّع لهم رحمته ولم يعاجلهم بالأخذ على ذنوبهم، بل تأنّاهم برحمته، وانتظر مراجعتهم برأفته، وفتح لهم باب التوبة، ووضع عنهم مالا طاقة لهم، ولم يكلّفهم إلّا دون وسعهم، فمن هلك بعد ذلك كلّه

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٥، ص ٢٦٩.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٥، ص ٢٦٩. وفيه: الذين يؤيسون.

....

بسوء سعيه كان كأنّه هالك على كره منه سبحانه، وإنّما دلّت «علىٰ» علىٰ ذلك لأنّها تستعمل في الأفعال الشاقّة المستثقلة،يقال:هذا لك وهذا عليك فتستعمل «اللام» فيما يؤثره و «علىٰ» فيما يكرهه.

قالت الخنساء:(١)

سأحمل نفسي على حالة فإمّا عليها و إمّا لها

و منه قوله تعالى: «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»(٢).

و السعيد: خلاف الشقي.

و رغب إلى الله: سأله و طلبه.

و قصر المسند علىٰ المسند إليه في الفقرتين للمبالغة في هلاك من هلك عليه كأنّه لا هالك غيره، وسعادة من رغب إليه كأنّه لا سعيد غيره، علىٰ ما قالوه في نحو: الأمير زيد والشجاع عمرو،من أنّ اللام إن حمل في المقام الخطابي على الإستغراق كان بمنزلة كلّ أمير زيد، وكلّ شجاع عمرو، وإن حمل على الجنس أفاد: إنّ زيداً وجنس الأمير وعمرواً وجنس الشجاع متّحدان في الخارج، وكيف كان فالقصر الادّعائي حاصل.

---

(١) هي تماضر بنت عمرو بن الشريد، لقبت الخنساء لحسنها، فانّ الخنساء البقرة الوحشيّة، وقيل: لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها، علىٰ أنّ أكثر شعرها في رثاء أخيها صخر، وكان قد قتل في واقعة يوم الكلاب من أيّام العرب

ووفدت الخنساء علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم. توفّيت في سنة (٦٤٦) ميلاديّة.

الكنىٰ والألقاب: ج ٢، ص ١٩٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

وَ الْحَمْدُ لِلّهِ بِكُلِّ ما حَمِدَهُ بِهِ اَدنىٰ مَلائكَتِهِ إِلَيْهِ، وَأَكْرَمُ خليقَتِهِ عَلَيْهِ، وَأَرْضىٰ حامِديهِ لَدَيْهِ.

«الباء»: للإستعانة أو للمصاحبة.

و حمده: ضبط بكسر الميم كعلمه، و بتشديدها من التحميد وهو حمده تعالىٰ مرّة بعد اُخرىٰ.

و أدنىٰ ملائكته: أي أقربهم إليه، من الدنو،بمعنىٰ القرب.

و أرضىٰ:هنا اسم تفضيل من رضي مصوغاً للمفعول، إذ المعنىٰ أعظم المرضيّين لديه.

و بناء اسم التفضيل ـو إن كان الغالب فيه أنّ يكون من الفعل المصوغ للفاعل ـ لكنّه قد سمع بناؤه من المصوغ للمفعول أيضاً بكثرة كأجنّ وأشغل وأعجب وأشغف وأعذر وأشهر، وكفىٰ شاهداً علىٰ صحّته وروده في كلامه (عليه السّلام) فلا عبرة بمن منعه من النحاة.

قوله: «لديه» أي عنده، و ياؤها منقلبة عن ألف لأنّ أصلهالدىٰ كعلىٰ، لكنّهم عاملوا ألفها معاملة ألفي إلىٰ وعلىٰ،فتسلم مع الظاهر وتقلب ياءً مع المضمر في الأفصح كما قال تعالى: «وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ»(١)، «وَلَدَيْنا مَزِيد»(٢).

تنبيه

الظاهر إنّ المراد بقوله:«أدنى ملائكته و أكرم خليقته وأرضىٰ حامديه» كلّ من اتّصف بهذه الصفات منهم لا واحد معيّن، و إنّما أفرد اسم التفضيل لإستعماله

(١) سورة يوسف: الآية ٢٥.

(٢) سورة ق: الآية ٣٥.

حَمْداً يَفْضُلُ سائِرَ الْحَمْدِ كَفَضلِ رَبِّنا عَلىٰ جَميعِ خَلْقِهِ.

مضافاً، وهو إذا استعمل كذلك كان عدم المطابقة فيه أولىٰ، كما قال تعالىٰ: «وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلىٰ حَيٰوةٍ»(١) ولم يقل: أحرصي بالياء.

فان قلت: اسم التفضيل إذا قُصِدَ به التفضيل على من اُضيف إليه وجب كونه منهم واحداً كان أو متعدّداً لتحصل المشاركة بين الجميع في المعنىٰ بذكره معهم ليصحّ تفضيله عليهم، وذلك يستلزم تفضيل الشيء علىٰ نفسه؟.

قلت: هو داخل فيهم أفراداً، خارج عنهم تركيباً، أو داخل فيهم لفظاً، خارج عنهم إرادة، فلا يلزم ذلك *.

فضله يفضله من باب (كتب): زاد عليه في الفضل.

يقال: فاضلني ففضلته.

و سائر الحمد: باقيه، أي ما عدا الحمد المذكور.

قال الزمخشري في الكشاف(٢) العربي: السائر بمعنىٰ الباقي،واستعماله في كلام المصنّفين بمعنىٰ الجميع غير ثبت إنتهىٰ(٣).

و قال الصغاني:(٤) سائر النّاس باقيهم، وليس معناه جميعهم كما زعم من قصر في اللغة باعه، وجعله بمعنىٰ الجميع من لحن العوام(٥).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٩٦.

(٢) (الف): الكتاب.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) هو ابو الفضائل الحسن بن محمّد بن الحسن العمري الصغاني، اللغوي النحوي، صاحب مجمع البحرين في اللغة،وشرح البخاري،والتكملة على الصحاح.

الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص ٣٧٨.

(٥) المصباح المنير: ص ٤٠٧.

....

قال الحريري(١) في درة الغواص في أوهام الخواصّ مالفظه: ومن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة إنّهم يقولون:قدم سائر الحاج، واستوفىٰ سائر الخراج فيستعملون سائراً بمعنىٰ جميع،وهو في كلام العرب بمعنىٰ الباقي، ومنه قيل لما يبقىٰ في الإناء: سؤر والدليل علىٰ صحّة ذلك إنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال لغيلان حين أسلم وعنده عشر نسوة: «اختر أربعاً وفارق سائرهن»، أي: من بقي بعد الأربع اللاتي تختارهنّ. ولمّا وقع «سائر» في هذا الموطن بمعنىٰ الباقي الأكثر،منع بعضهم من إستعماله بمعنىٰ الباقي الأقل. والصحيح: إنّه يستعمل في كلّ باق قلّ أو كثر، لإجماع أهل اللغة علىٰ أنّ معنى الحديث: «إذا شربتم فاسأروا» أي: إبقوا في الإناء بقيّة ماء، لا أنّ المراد به أن يشرب الأقلّ ويبقي الأكثر، وإنّما ندب إلىٰ التأدّب بذلك، لأنّ الإكثار من المطعم والمشرب منبأة عن النهم وملأمة عند العرب، وممّا يدلّ علىٰ أنّ سائراً بمعنىٰ الباقي ما انشد:

ترىٰ الثور فيها مدخل الظل رأسه   و سائره باد إلى الشمس أجمع

إنتهى كلامه(٢).

قال ابن برى(٣): يؤيّدذلك إنّ ابن دريد نقل في بعض أماليه: إنّ سائر الشيء

---

(١) هو أبو محمّد القاسم بن علي بن محمّد بن عثمان الحريري البصري، أديب، لغوي، نحوي، ناظم، ناثر، من آثاره:المقامات، درّة الغواص في أوهام الخواص، منظومة ملحمة الإعراب في النحو وشرحها، سائله المدوّنة وديوان شعره، ولد في مدينة البصرة سنه ٤٤٦هجريّة وتوفّي بها سنة ٥١٦هجريّة.
الكنى و الألقاب: ج ٢، ص ١٦٠.

(٢) درة الغواص في اوهام الخواص للحريري: ج١، ص ٣و٤.

(٣) هو عبدالله بن بري المقدسي المصري، النحوي اللغوي، شاع ذكره ولم يكن في الديار المصرية مثله، صنّف كتاب اللباب وحواش على الصحاح. ولد سنة ٤٩٩هجريّة، وتوفي سنة ٥٨٢هجريّة.
بغية الوعاة: ص ٢٧٩.

....

يقع علىٰ جلّه ومعظمه ولا يستغرقه كقولهم: جاء سائر الحاج. أي: جلّهم، ولك سائر المال أي: معظمه، وأنشد قول مضرس:

فما حسن أن يعذر المرء نفسه و ليس له في سائر النّاس عاذر(١)

و من استشهد به على أن سائراً فيه بمعنىٰ الجميع فقد أخطأ خطأً بيّناً؛ لأنّ من عدا المرء العاذر لنفسه من النّاس هو باق بالنسبة إليه و إن كثر، ولا يقال: جميع النّاس، إلّا إذا لم يشذّ أحد من الأفراد.

و ممّن نصّ على أنّ سائراً بمعنىٰ الجميع:الجوهري في الصحاح فقال: سائر النّاس جميعهم(٢).

قال الشيخ تقي الدين: ولا التفات إلى قوله فانّه لا يقبل ما تفرّد به، وقد حكم عليه بالغلط في هذا من وجهين:

أحدهما: تفسيره ذلك بالجميع.

و الثّاني: ذكره له في باب سير، و حقّه أن يذكره في باب سأر؛ لأنّه من السؤر المهمز وهو بقيّة الشيء(٣)

و قال النووى (٤): هي لغة صحيحة لم يتفرّد بها الجوهري، بل وافقه عليها الإمام أبو منصور الجواليقي في أوّل كتابه شرح أدب الكاتب، وإذا إتّفق هذان

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات للنووى: الجزء الاول من القسم الثاني ص ١٤٠-١٤١.

(٢) الصحاح: ج ٢، ص ٦٩٢.

(٣) تهذيب الاسماء واللغات للنووي: الجزء الأوّل من القسم الثاني، ص١٤٠.

(٤) هو أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي الدمشقي، محدّث حافظ، لغوي، ولد بنوىٰ من عمل دمشق سنة ٦٣١هجريّة ومات بها سنة ٦٧٦هجريّة ومن تصانيفه الكثيرة. الأربعون النوويّة في الحديث، روضة الطالبين وعمدة المتقين، تهذيب الأسماء واللغات، ورياض الصالحين.

الكنىٰ و الألقاب: ج ٣، ص ٢٢٥.

....

الإمامان علىٰ نقلها فهي لغة صحيحة(١)

و أنكر أبو علي أن يكون سائر من السؤر بمعنىٰ البقيّة لأنّها تقتضي الأقلّ والسائر الأكثر، ولحذفهم عينها في نحو قولهم: «وهي ادماء سارُها» لأنّها لما إعتلّت بالقلب إعتلّت بالحذف، ولو كانت العين همزة في الأصل لما حذفت(٢).

و قال ابن بري: من جعل سائراً من سار يسير فيجوز أن يقول لقيت سائر القوم أي الجماعة التي يسير فيها هذا الاسم، وأنشدوا علىٰ ذلك أبياتاً منها قول الأحوص:

فجلتها لنا لبانة لمّا وقذ(٣) النوم سائر الحرّاس

انتهى(٤).

و إنّما إستوفينا الكلام علىٰ هذا اللفظ هنا لأنّه كثيراً ما يقع السؤال عنه ولعلّك لا تجده بهذا الإشباع في غير هذا الكتاب.

قوله (عليه السّلام): «كفضل ربّنا» في محلّ النصب علىٰ المفعوليّة المطلقة، والأصل: فضلاً كفضل ربّنا، فحذف الموصوف وأُقيم الوصف مقامه.

قيل: و المراد التشبيه في مطلق الفضل فلا يلزم أن يكون غير تام؛ لأنّ المشبّه متناه بخلاف المشبّه به، والأولىٰ أن يقال: المراد كون فضل حمده على سائر حمد الحامدين في مرتبة من الكمال الذي لا نهايةله، مثل فضله تعالىٰ علىٰ جميع الخلق أي الممكنات.

و المراد بسائر الحمد: حمد المخلوقين بقرينة المقام، فلا يدخل في عمومه حمده

---

(١) و(٢) تهذيب الأسماء واللغات ليحيى النووي: الجزء الأوّل من القسم الثاني: ص ١٤٠و١٤١. وفيه إذاما سارُها.

(٣) و قذه النعاس: أسقطه. المصباح المنير: ص ٩٢٠.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الاول من القسم الثاني: ص١٤١. وفيه البيت هكذا:

فجلتها لنا البابة ولما رقد القوم سائر الحرّاس

ثُمَّ لَهُ الْحَمْدُ مَكانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْنا، وَعَلى جَميعِ عِبادِهِ الْماضينَ وَالْباقينَ.

تعالى نفسه *.

«ثمّ» هنا استينافيّة لا عاطفة، فلا حاجة إلى التمحّل بانّه إنّما أتى بها لما بين الحمدين السابق واللاحق من التفاوت، وفضل كلّ واحد على الآخر من وجه كفضل الأوّل من حيث الكيفيّة والثاني من حيث الكمّية مثلاً.

ووقوع «ثمّ» للإبتداء صرّح به صاحب رصف المباني كما حكاه عنه المرادي(١).

قال الدماميني: وفات ابن هشام عدّ هذا القسم في المغني.

و قدّم الخبر في قوله: «له الحمد» لإفادة الاختصاص والقصر فيه حقيقي.

و المكان: موضع كون الشيء اي: موضع كلّ نعمة.

و المراد: كونه حاصلاً حيث حصلت كلّ نعمة فيكون كناية مجاز عن كونه بإزاء كلّ نعمة وعوضاً عنها، كما تقول: خذ هذا مكان ذاك أي: قائماً مقامه وعوضاً عنه، وهو حال من المبتدأ كما في قوله تعالى: «وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ»(٢).

و منهم من يجعل الظرف متعلّقاً بمعنى النسبة التي تشتمل عليها الجملة.

و حكم العلّامة التفتازاني في شرح المفتاح عند قول السكاكي: وهو عند السلف كذا، بانّ الظرف معمول لثبوت الخبر للمبتدأ(٣). واختاره المحقّق الشريف وحكم بانّه أظهر من جعله حالاً من المبتدأ(٤).

---

(١) هو الحسن بن قاسم المرادي المصري الفقيه النحوي اللغوي المعروف بابن اُم قاسم، صاحب شرح المفصل، و شرح التسهيل، وشرح الألفية، توفي سنه (٧٤٩)هجريّة.

الكنى والألقاب: ج ٣، ص ١٤٥.

(٢) سوره الروم: الآية ١٨.

(٣)و(٤)لم نعثر عليهما.

....

و قول بعضهم: إنّه منصوب بنزع الخافض.

و قول آخر: إنّه مفعول مطلق غلط فاحش فاحذره.

فان قلت: كيف يكون الحمد بازاء كلّ نعمة وعوضاً عنها وقد قيل: من اعتقد انّ شكره يساوي نعمة الله فقد أشرك ؟.

قلت: إنّما كان عوضاً من حيث رضا الله تعالىٰ به كفأ لنعمته، لا من حيث كونه مساوياً لها.

و في الخبر: إنّ الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ أيّوب (عليه السّلام) إني رضيت الشكر مكافأة من أوليائي(۱).

علىٰ أنّ حمده تعالىٰ نعمة منه أيضاً، فهو من جعل نعمة له تعالىٰ عوضاً عن نعمة له اُخرىٰ بأمره وتوفيقه.

و عن الصادق (عليه السّلام): من حمد الله على نعمة فقد شكره وكان الحمد أفضل من تلك النعمة(۲) أي: نعمة أفضل من تلك النعمة.

هذا و إنّما حمده تعالىٰ علىٰ كلّ نعمة له علىٰ غيره من ماض وباق من حيث أنّه المنعم بها،وتصور الجهة التي باعتبارها كان منستحقاً للحمد دون غيره، وهي كونه المفيض لتلك النعم التي لا تحصى ولا يقدر غيره علىٰ مثلها، وهذه الملاحظة هي مطلوب الله تعالىٰ من العبادات، وهو جار منها مجرىٰ الروح من الجسد.

قوله (عليه السّلام): «الماضين والباقين» المراد بالماضين: من مات وفنىٰ من قولهم: مضىٰ الشيء يمضي مضيّا ومضاء بالفتح والمدّ: ذهب وخلا.

و الباقين: من لم يمت سواء وجد أولم يوجد بعد، من بقي الشيء يبقىٰ بقاء

---

(۱) المحجة البيضاء: ج ۷ ص ۱٤۳.

(۲) الكافي: ج ۲، ص ۹٦ ح ۱۳ وفيه: [سمعت ابا الحسن صلوات الله عليه يقول:].

عَدَدَ ما اَحاطَ بِهِ عِلْمُهُ مِنْ جَميعِ الأَشْياء.

ضدّ فنىٰ،أو من بقي بمعنىٰ تـأخّر فيشتـمل الحاضـر منهم والمستقـبل، ويدخل فيهم الملائكة والعقول الباقية ببقاء الدنيا.

و لا حاجة إلىٰ تكـلّف تخصيص الماضين بالـذوات المتغيّرة الفائتة من النّاس، والباقين بالذوات الباقية الثابتة من العقول والملائكة *.

العدد: اسم من عدّ الشيء إذا أحصاه.

و الكميّة التي تقع جواباً لـكم،وهو مفعول مطلق مبيّن لعدد عامله أي: أعدّ حمده عدد ما أحاط به علمه. وأغرب من قال إنّه منصوب بنزع الخافض.

و أحاط بالشيء علماً: أدركه بكماله ظاهراً و باطناً.

و علـمه تعالىٰ:عبارة عن إنكشاف الأشياء لـه في الأزل كلّيّها وجزئيّها كلّ في وقته وبحسب مرتبته وعلىٰ ماهو عليه فيما لا يزال.

و هـذا الانكشاف حاصل له تـعالىٰ من ذاته بذاته قـبل خلق الأشياء وهوعين ذاتـه، فهو تـعالىٰ لم يـزل عالماً بذاتـه وعالماً بـالأشياء قبـل إيجادها، ولا يـعزب عنه شيء منهـا كليّاتها وجزئياتها وحقائقها ولوازمها وعوارضها وجوانبها وحدودها التي تنتهي إليها بعلم قـديم كامل من جميـع الجهات،هو عين ذاته الحقة التي هي العلم بالأشياء كلّها على نحو واحد لا بعلم حادث زائد عليه قائم به.

فان قلت: ذاته تعالىٰ مجهولة لنا،و مفهوم العلم معلوم،فكيف يكون أحدهما عين الآخر؟.

قلت: المعلوم من الـعلم مفهوم الكـلّي،المشترك المقول بالتشكيك علىٰ أفراده، الموجود بوجودات مختلفة، والذي هو ذات الباري جلّ شأنه فرد خاص منه، وذلك الفرد لشـدّة نورانيّتـه وفرط ظهـوره مجهول لنـا، محتجب عن عقولـنا، وكذا الكلام في سائر صفاته الذاتيّة، فمفهوماتها المشتركة معلومة، و وجودها القدسي الواجبي مجهول، وفي هذه الفقرة ردّ صريح علىٰ من زعم أنّه تعالـىٰ ليس عالماً بذاته لوجوب المغايرة

وَ مَكٰانَ كُلِّ واٰحِدَة مِنْهـاٰ عَدَدُهاٰ أضْعاٰفاً مُضاٰعَـفَةً أبَداً سَرْمَداً إلىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ.

بين العالم والمعلوم، ولم يعلم انّ التغاير الإعتباري كاف كعلمنا بأنفسنا فهو عالم ومعلوم، وعلى من زعم إنّه ليس عالماً بغيره لأنّ علم أحد بغيره عبارة عن صورة مساوية له مرتسمة في العالم، ولم يعلم انّ علم أحد بغيره قد يكون حضوريّاً، بمعنىٰ حضور ذلك الشيء بنفسه لا بمثاله وصورته عند العالم وعدم غفلة العالم عنه، وإنّ العلم الحضوري أقوىٰ من العلم الحصولي، ضرورة اِنّ إنكشاف الشيء على أحد لأجل حضوره بنفسه أقوىٰ من إنكشافه عليه لأجل حصول مثاله وصورته فيه، وعلى من زعم انه تعالىٰ ليس عالماً بالجزئيّات؛ لأنّ الجزئيّات متغيّرة فعلمه بها يوجب التغيّر في ذاته، ولم يعلم انّ التغيّر أمر إعتباري يقع في الإضافة لا في ذاته ولا في صفاته؛ ولأنّ علمه تعالىٰ بالكلّيات والجزئيّات لعدم كونه زمانياً مستمرّ على نحو واحد أزلاً وأبداً من غير تغيّر أصلاً *.

«الواو»: للاستيناف، والظرف خبر، وعددها مبتدأ، هذا على ضبط عددها بالضم.

و امّا علىٰ نسخة ابن إدريس: من ضبطه بالفتح، فالواو عاطفة، والمعطوف عليه مكان السابق، وعددها منصوب على المصدريّة بفعل مقدّر أي: اعدّد حمده عددها، والضمير في منها وعددها راجع إلى كلّ نعمة.

و الأضعاف: جمع الضعف بالكسر، وضعف الشيء: مثله، وضعفاه: مثلاه، وأضعافه: أمثاله.

و قال الخليل رحمه الله: و التضعيف أن يزاد على أصل الشيء فيحصل مثلاه وأكثر، وكذلك الأضعاف والمضاعفة(١).

و قال الأزهري: و الضعف في كلام العرب: المثل، هذا هو الأصل، ثمّ

---

(١) الصحاح: ج ٤، ص ١٣٩٠.

....

استعمل في المثل ومازاد، وليس للزيادة حدّ يقال: هذا ضعف هذا أي: مثله، وهذان ضعفاه أي: مثلاه.

قال: و جاز في كلام العرب أن يقال: هذا ضعف هذا أي: مثلاه وثلاثة أمثاله، لأنّ الضعف زيادة غير محصورة، فلو قال في الوصيّة: أُعطوه ضعف نصيب ولدي: أُعطي مثليه، ولو قال: أُعطوه ضعفيه أُعطي ثلاثه أمثاله، حتّى لو حصل للابن مائة أُعطي مائتين في الضعف وثلاثمائة في الضعفين، وعلى هذا جرى عرف الناس وإصطلاحهم. والوصيّة تحمل على العرف لا على دقائق اللغة إنتهى(١).

و الأبد في اللغة: الدهر، و هو الزمن الممتد.

قيل: إشتقاقه من الأُبود، و هو النفور لأنّ العقول تنفرّ من إدراك آخره.

و في الإصطلاح: إستمرار الوجود في أزمنة مقدّرة غير متناهية في جانب المستقبل، كما أنّ الأزل إستمرار **الوجود في أزمنة مقدّرة غير متناهية في جانب الماضي**

و السرمد: الدّائم الذي لا ينقطع.

قال الخليل: هو دوام الزمان و إتّصاله من ليل أو نهار(٢).

قيل: و إشتقاقه من السّرد وهو التّوالي و التّعاقب،ولمّا كان الزمان إنّما يبقى بسبب تعاقب أجزائه كان لذلك مسمّى بالسرد،وأدخلوا عليه الميم لتفيد المبالغة.

قوله (عليه السّلام): «إلى يوم القيامة» متعلّق به إذ كان بمعنى الدّائم.

و القيامة: قيل أصلها مصدر قام الخلق من قبورهم قيامة.

و قيل: هي تعريب قيمتا،وهو بالسريانيّة بهذا المعنى.

---

(١) لسان العرب: ج٩، ص ٢٠٥ نقلاً عن الازهري مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) تاج العروس: ج ٢، ص ٣٧٥.

حَمْداً لا مُنْتَهىٰ لِحَدِّهِ وَلا حِسابَ لِعَدَدِهِ، وَلا مَبْلَغَ لِغايَتِهِ، وَلاَ انْقِطاعَ لأَمَدِهِ.

أي لا إنتهاء لحدّه و هو أقصىٰ ما يمكن أن يبلغه ولك جعل المنتهىٰ بمعنىٰ النهاية.

و الحدّ: مصدر من حدّدت الشّيء إذا جعلت له حدّاً ينتهي إليه.

و هذا إضراب عمّا قبله، فلا يقال: جعل للحمد أوّلاً غاية وهو يوم القيامة ثمّ نفى الغاية عنه هنا، وهو تناقض بل هذا فنّ من فنون البلاغة بديع يسمّى الرّجوع في علم البديع، وهو أن يعود المتكلّم إلىٰ كلامه السّابق فينقضه لنكتة كانّه وهم سابقاً عمّا ينبغي فرجع إليه، وهو هنا كذلك فانّه (عليه السّلام) غيّا أوّلاً الحمد لله بيوم القيامة لأنّه غاية كلّ حامد ثمّ تنبّه إلىٰ أنّه ينبغي أن يكون الحمد مناسباً للمحمود الّذي لاغاية له فرجع عنه، وقال: حمداً لا منتهىٰ لحدّه كأنّه قال: بل أحمده حمداً لا غاية له كما ورد في دعاء آخر (حمداً خالداً مع خلودك)، وهذا النّمط في كلام بلغاء العرب كثير وقد استوفيت الكلام عليه في شرح بديعيّتي المسمّىٰ بأنوار الربيع وذكرت شواهده(١)

قوله (عليه السّلام): «ولا حساب لعدده».

الحساب: الإحصاء و جمع العدد تقول: حسبت المال من باب (قتل) حسباً بالفتح وحسباناً بالضّم وحساباً بالكسر أي: أحصيته وجمعت عدده.

و العدد: كمّيّة تطلق علىٰ الواحد وما يتألّف منه فيدخل الواحد.

و قيل: ما ساوى نصف مجموع حاشيتيه القريبتين أو البعيدتين على السواء كالاثنين فانّه حاشيته السّفلىٰ واحد، والعليا ثلاثة ومجموع ذلك أربعة ونصف الأربعة إثنان وهو المطلوب، وعلىٰ هذا فالواحد ليس بعدد لأنّه لا حاشية له سفلىٰ ويطلق على الصورة التي تنطبع في نفس العادّ من تكرار الواحد وهو المراد هنا ماسيأتي.

---

(١) انوار الربيع: ج٤ ص٣٦٩.

حَمْداً يَكُونُ وُصْلَةً إلىٰ طاعَتِهِ وَ عَفْوِهِ، وَسَبَباً إلىٰ رِضْوانِهِ، وَذَريعَةً إلىٰ مَغْفِرَتِهِ.

قوله (عليه السّلام): «لا مبلغ لغايته» أي لا منتهىٰ لغايته، وغاية الشيء مداه.

و لا انقطاع لأمده: أي لا إنتهاء، ومنه منقطع الشيء: بالبناء للمفعول حيث ينتهي طرفه نحو منقطع الوادي والرّمل والطريق.

و الأمد: الغاية.

و هذه الفقرات الأربع كلّها من باب نفي الشيء بنفي لازمه وهو أن ينفى اللازم، والمراد نفي الملزوم مبالغة في النّفي وتأكيداً له كقوله: علىٰ لاحب لا يهتدي بمناره، وقوله: ولا ترىٰ الضّبّ بها ينجحر. أي لا منار فلا إهتداء ولا ضبّ فلا إنجحار، ووجه المبالغة في ذلك إيذانه بأنّ إنتفاء الملزوم أمر محقّق لا نزاع فيه وبلغ في تحقّقه إلى أن صار كالشّاهد على نفي اللازم إذ لو كان له منار لوقع الإهتداء به ولو كان بها ضبّ لكان له إنجحار.

و الأمر هنا كذلك فانّ المراد بقوله (عليه السّلام): لا منتهىٰ لحدّه ولا حساب لعدده لا حدّ له فلا إنتهاء ولا عدد له لعدم تناهيه فلا حساب إذ لو كان له حدّ لكان له منتهى ولو كان له عدد لكان له حساب وقس علىٰ ذلك .

و نفي الغاية عنه بثلاث جمل مترادفة إهتماماً بنفيها وتأكيداً لسلبها وأبرزه في قوالب مختلفة إيذاناً بأنّ اللائق نفيها بكلّ عبارة يمكن التعبير بها عنه *.

الوصلة بالضّم: الوسيلة، و كلّ شيء إتصل بشيء فما بينهما وصلة، وهذا وصلة إلىٰ كذا: يتوصّل به إليه.

و السبب في الأصل: الحبل الذي يتوصّل به إلى الإستعلاء ثمّ استعير لكلّ ما يتوصّل به إلىٰ شيء كقوله تعالىٰ: «وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبابُ»(١) أي الوصل

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٦.

وَ طَرِيقاً إِلىٰ جَنَّتِهِ، وَ خَفِيراً مِنْ نَقِمَتِهِ، وَ أَمْناً مِنْ غَضَبِهِ.

والمؤدّات.

والرّضوان بكسر الرّاء و قيس و تميم يضمّانها: بمعنى الرّضا وهو خلاف السّخط.

و الذّريعة: الوسيلة وهي ما يتقرّب به إلى الشّيء، وفلان ذريعتي إلىٰ فلان، وقد تذرّعت به إليه: توسّلت.

و المغفرة: في الأصل اسم من غفر الشيء غفراً من باب (ضرب) إذا ستره ثمّ أُطلقت علىٰ ستر القادر القبيح الصّادر ممّن هوتحت قدرته حتّىٰ إنّ العبد إذا سترعيب سيّده مخافة عقابه لا يقال: غفر له واذا نسبت إلىٰ الله تعالىٰ، فالمراد بها ستره لذنوب عباده وعيوبهم مع تجاوزه عن خطاياهم وذنوبهم، وعفوه عن معاصيهم لا مجرّد السّتر،كما يدلّ عليه ما ورد في أحاديثهم (عليهم السّلام) «والله لقد ستر حتّىٰ كأنّه غفر»*.

إستعار الطريق للحمد لكونها مستلزمة للوصول إلى الغاية،فطلب أن يكون حمده مستلزماً للوصول إلى الجنّة الّتي هي الغاية الحقيقيّة ولمثلها يعمل العاملون وفيها يتنافس المتنافسون.

و الخفير: بالخاء المعجمة والفاء: المجير والحامي من خفره يخفره من باب (ضرب) و (قتل) إذا أجاره وحماه من طالب له بمكروه، والاسم: الخفارة بالكسر والضّم، ولمّا كان الخفير يذود عن مخفوره ويحميه عن مكروه يصل إليه إستعاره للحمد وطلب أن يكون مجيراً له من نقمته، وحامياً له من عقوبته بأن يكون سبباً لغفران ذنوبه ومحو خطاياه التي تترتّب عليها النّقمة والعقاب.

و الأمن: ضدّ الخوف، وهو هنا بمعنى المؤمّن اسم فاعل من أمنه ضدّ أخافه، وضع المصدر موضع الفاعل مبالغة، جعل المسمّىٰ نفسه أمنا كما وضعوا العدل موضع العادل والكلام علىٰ هذه الفقرة كالّتي قبلها.

وَ ظَهِيراً عَلٰى طاٰعَتِهِ وَ حاٰجِزاً عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَ عَوْناً عَلٰى تَأْدِيَةِ حَقِّهِ وَ وَظاٰئِفِهِ.

الظهير: المعين، و يطلق على الواحد و الجمع، و في التنزيل: «وَ كاٰنَ الْكاٰفِرُ عَلٰى رَبِّهِ ظَهِيراً»(١) «وَالْمَلٰئِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ»(٢)، وتظاهروا:تعاونوا.

و المراد أن يكون حمده سبباً لإفاضة قوّة علىٰ إستعداد يقوىٰ به عقله على تذليل نفسه لطاعته تعالىٰ كما يكون الظهير سبباً للقوة علىٰ قهر الخصم وإذلاله.

و الحاجز: الحائل بين الشّيئين.

و المعصية: ترك الإنقياد للأمر والمراد كونه سبباً لحسم اسباب المعاصي وعدم الإعداد لها بتوفيقه تعالى والعون والمعين بمعنى.

و التأدية: مصدر أدّىٰ الحقّ إلىٰ صاحبه إذا أوصله إليه،والاسم الأداء.

و الوظائف: جمع وظيفة و هو ما يقدّر للإنسان في كلّ وقت من رزق أو عمل، وعطفها علىٰ حقّه من عطف الخاص علىٰ العام، إذ كان المراد بحقّه تعالىٰ تكاليفه الشّرعيّة والعقليّة، وبالوظائف: ما وظّفه من حقوقه واجباتها ومندوباتها كالصلوات والعبادات الّتي لها أوقات معيّنة.

فإن قلت: كيف يكون الحمد عوناً علىٰ تأدية حقّه تعالىٰ؟ وقد قال أمير المؤمنين (عليه السّلام) في أوّل خطبة له في نهج البلاغة: الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادّون،ولا يؤدّي حقّه المجتهدون(٣). وهذا صريح في أنّ تأدية حقّه تعالىٰ لا يطيقه المجتهدون فضلاً عن غيرهم.

قلت: المراد بنفي تأدية المجتهدون حقّه نفي تأدية حقّ نعمته تعالىٰ وجزائها،ولا

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٥٥.

(٢) سورة التحريم: الآية ٤.

(٣) نهج البلاغة ص ٣٩ خطبة (١).

....

شك إنّ جزاء نعمته سبحانه أمر ليس في طاقة البشر من وجهين:

أحدهما: إنّه لمّا كان أداء حقّ النّعمة هو مقابلة الإحسان بجزاء وكانت نعمه تعالىٰ لا تحصىٰ كما قال: «لا يحصي نعمه العادّون»(١) بدليل قوله تعالىٰ: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاٰ تُحْصُوهٰا»(٢) لزم من ذلك أن لا يمكن مقابلتها بمثل.

الثاني: إنّ كلّ مانتعاطاه من أفعالنا الإختياريّة مستنداً إلىٰ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وسائر أسباب حركاتنا وهي بأسرها مستندة إلىٰ جوده ومستفادة من نعمته،وكذلك ما يصدر عنّا من الحمد والشّكر وسائر العبادات نعمة منه سبحانه فكيف يكون مقابلة نعمته بنعمته جزاءً وتأدية لحق نعمته.

و أمّا المراد بتأدية حقّه في الدّعاء فهو القيام بتكاليفه تعالىٰ لأنّها لمّا كانت تسمّىٰ حقوقاً سمّي القيام بها تأدية والقائم بها مؤدّياً، وهذا الأداء في الحقيقة من أعظم نعمه تعالىٰ علىٰ عباده إذ كان القيام بتكاليفه وسائر أسباب السلوك الموصل إلىٰ الله تعالىٰ كلّها مستندة إلى جوده وعنايته و إليه الإشارة بقوله تعالىٰ: «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاٰ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاٰمَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدٰيكُمْ لِلإِيمٰانِ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ»(٣)، وما كان في الحقيقة نعمة لله تعالىٰ لا يكون أداء لها وجزاءً لها و إن أُطلق ذلك في العرف إذ كان من شأن الحقّ المفهوم المتعارف بين الخلق إستلزامه وجوب الجزاء والأداء ليسارعواإلىٰ الإتيان به رغبة ورهبة فيحصل المقصود من التكليف حتّىٰ لو لم يعتقدوا أنّه حق لله بل هو مجرّد نفع خالص لهم لم يهتمّوا به غاية الإهتمام إذكانت غايته غير متصوّرة لهم كما هي،

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج١، ص ١٠٦ وفيه: [نعماءه].

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٧.

حَمْداً نَسْعَدُ بِهِ فِي السُّعَدآءِ مِنْ أَوْلِيٰائِهِ، وَ نَصيرُ بِهِ فِي نَظْمِ الشُّهَدٰاءِ بِسُيُوفِ أَعْدٰائِهِ، إِنَّهُ وَلِيٌّ حَميدٌ.

وقلّما تهتّم النّفوس بأمر لا تتصوّر غايته ومنفعته خصوصاً مع المشقّة اللازمة في تحمّله إلّا بباعث قاهر من خارج *.

لمّا كانت همّته (عليه السّلام) مقصورة على السعادة الأُخرويّة التي هي مطمح أبصار أولي النفوس القدسيّة، جعل مطلبها منتهى مطالبه وطلب أعظم وسائلها التي هي الشّهادة غاية مآربه.

والسعداء: جمع سعيد و هو من عرف ربّه و سلك سبيله حتّى وصل إليه، والوصول إليه هي الغاية العظمى للسعادة بل هو عينها.

و «في» بمعنى مع،أي مع السّعداء كقوله تعالى: «أُدْخُلُوا في أُمَمٍ»(١) أي معهم.

و «من» في قوله:من أوليائه بيانيّة ، أي: السعداء الذين هم أولياؤه.

و الولي قيل: فعيل بمعنى مفعول و هو من يتولّى الله أمره كما قال تعالى «وهو يتولّى الصّالحين»(٢).

و قيل: بمعنى فاعل أي الذي يتولّى عبادة الله ويوالي طاعته من غير تخلّل معصية، وكلا الوصفين شرط في الولاية.

و قال المتكلّمون: الوليّ من كان آتياً بالإعتقاد الصّحيح المبنيّ على الدليل وبالأعمال الشرعيّة والتركيب يدلّ على القرب فكانّه قريب منه تعالى لإستغراقه في أنوار معرفته وجمال جلاله.

قال بعض المحقّقين: و تحقيقه أن يقال: هو من يتولّى الله تعالى بذاته أمره فلا تصرف له أصلاً إذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا وصف فهو الفاني بيد المفني

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٦.

....

ـ يفعل به ما يشاء حتّى يمحو رسمه و اسمه ويمحق عينه وأثره ويحييه بحياته و يبقيه ببقائه.

و قيل: الولي هو المطّلع على الحقائق الإلٰهيّة و معرفة ذاته تعالىٰ وصفاته وأفعاله كشفاً وشهوداً من الله خاصة من غير واسطة ملك أو بشر.

و قيل: هو من ثبتت له الولاية التي توجب لصاحبها التّصرف في العالم العنصري وتدبيره باصلاح فساده وإظهار الكمالات فيه لاختصاص صاحبها بعناية إلٰهية توجب له قوّة في نفسه لا يمنعها الإشتغال بالبدن عن الإتّصال بالعالم العلوي وإكتساب العلم الغيبي منه في حال الصحّة واليقظة بل تجمع بين الأمرين لما فيها من القوّة التي تسع الجانبين، والولاية بهذا المعنىٰ مرادفة للإمامة عندنا.

و روىٰ ثقة الإسلام في الكافي باسناده عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من عرف الله و عظّمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام وعنّىٰ نفسه بالصيام والقيام، قالوا بآبائنا وأمّهاتنا يارسول الله هؤلاء أولياء الله، قال: إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً،ونظروا فكان نظرهم عبرة،ونطقوا فكان نطقهم حكمة،ومشوا فكان مشيهم بين النّاس بركة،ولولا الاجال التي كتبت عليهم لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب(١).

و قيل: الأولياء عرائس الله،و هم مخدّرون عنده في حجال الأنس،لا يراهم أحد في الدّنيا ولا في الآخرة.

و عن يحيىٰ بن معاذ: ولي الله لا يجد له إخواناً،ولا علىٰ الدين أعواناً،قد أبدله الله خيراً منهم،فاتّخذ الصبر شعاراً،والشكر دثاراً،والقرآن معيناً،والفقر مبيتاً،والتّقوىٰ

---

(١) الكافي: ج٢، ص ٢٣٧، ح٢٥، وفيه: عنّى نفسه.

....

مطيّة، والمجاهدة زاداً، والأيّام مراحل، والأحوال مناهل، والتفويض رفيقاً، والتوكل مناراً والرضا نوراً، والجنّة مقصداً، والذكر أنيساً، والفكر جليساً، واليقين محجّة، والصدق حجّة.

وعن الصّادق (عليه السّلام): أولياء الله هم الذين يذكّرون الله برؤيتهم(١).

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار من قال: الوليّ من أولياء الله ريحان الله في الأرض يتشمّمه الصديقون فيشتاقون به إلىٰ مولاهم.

وقال أبو زيد: أولياء الله لا يخافون ولا يحزنون لأنّهم في ضياء الرّضا وبرد الموافقة وظل القبول وأُنس الوصول قال تعالىٰ «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»(٢).

قوله (عليه السّلام): «ونصير به في نظم الشّهداء بسيوف أعدائه».

النظم: التأليف، وضمّ الشيء إلىٰ آخر، ونظم اللؤلؤ من باب (ضرب) ألّفه وجمعه في سلك، وهو النظام بالكسر، ويطلق النظم على المنظوم كالنثر على المنثور، ويقال: جاءنا نظم من جراد، ومنظوم منه، ونظام أي صفّ.

والمعنىٰ: في جماعة الشّهداء أو في صفّهم.

والشّهداء: جمع شهيد وهو القتيل في سبيل الله، فعيل بمعنىٰ مفعول لأنّ الملائكة شهدت غسله أو شهدت نقل روحه إلى الجنّة أو لأنّ الله شهد له بالجنّة.

وقيل: بمعنىٰ: فاعل لسقوطه على الشاهدة وهي الأرض أو لأنّه حيّ عند ربّه حاضر، أو لأنّه يشهد ملك الله تعالىٰ وملكوته، أو لأنّه ممّن يستشهد يوم القيامة على الأُمم الخالية فيشهد، أو لأنّه يشهد ما أعدّه الله له من الكرامة.

---

(١) تفسير الصافي: ج٢، ص ٤٠٩، وفيه: [عن رسول الله (ص)] ولم نعثر عليه عن الصادق (ع).

(٢) سورة يونس: الآية ٦٢.

....

و قيل: غير ذلك،و استشهد بالبناء للمفعول قتل شهيداً والاسم الشّهادة.

و العدوّ: خلاف الصديق الموالي يكون للواحد والاثنين والجمع والذكر والأنثىٰ بلفظ واحد، وفي التنزيل: «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ»(۱)

قال سيبويه: عدوّ، وصف و لكنه ضارع الاسم، و قد يثنّىٰ ويجمع ويؤنّث، والجمع أعداء، والأعادي جمع الجمع، والعدىٰ والعُدىٰ بالكسر والضّمّ اسمان للجمع(۲).

و عرّفوا العداوة بأنّها حالة تتمكّن من القلب لقصد الإضرار والإنتقام.

و المراد بالعدواة لله تعالىٰ:مخالفة أمره عناداً، و الخروج عن طاعته مكابرة، لأن العدوّ لا يمتثل أمر عدوّه ولا ينقاد لطاعته فاطلقت علىٰ ما هو من لوازمها مجازاً، أو المراد بعدواته تعالىٰ عداوة أوليائه وخواصّه،كقوله تعالىٰ: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ»(۳) أي: يحاربون أوليائه،و إنّما أضافهم إليه تعالىٰ تفخيماً لشأنهم،و إيذاناً بانّ عداوتهم عداوته عزّوجلّ.

فان قلت: ما فائدة التّقييد بسيوف أعدائه فانّ الشّهيد قتيل الكفرة الذين هم أعداء الله؟.

قلت: هو في الأصل ذلك و لكن قد إتّسع فيه فأُطلق علىٰ من سمّاه النّبي (صلّى الله عليه وآله) من المبطون والغرق والحرق وصاحب الهدم وذات الجنب وغيرهم شهيداً فالقيد للتنصيص على المراد، أو لرفع توهّم إنّ المراد بالشهداء هم المذكورون في قوله تعالىٰ: «وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

---

(۱) سورة الشعراء: الآية ۷۷.

(۲) لسان العرب: ج۱٥،ص۳۷.

(۳) سورة المائدة: الآية ۳۳.

....

النّاس»(١)، و إنّما ختم (عليه السّلام) دعاءه بطلب المصير في نظم الشّهداء لكون طريق الشّهادة أفضل الطرق عند الله ثواباً وأكرمها مآباً.

كما يدلّ على ذلك صريحاً ما روي عن أبي عبدالله (عليه السّلام): إنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان إذا أراد القتال قال: اللّهمّ إنّك أعلمت سبيلاً من سبلك جعلت فيه رضاك، وندبت إليه أولياءك وجعلته أشرف سبلك عندك ثواباً، وأكرمها لديك مآباً، وأحبّها إليك مسلكاً، ثمّ اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليك حقّاً، فاجعلني ممّن اشتريت فيه منه نفسه ثمّ وفى لك ببيعه الذي بايعك عليه غير ناكث ولا ناقض عهداً ولا مبدّلاً تبديلاً،إستيجاباً لمحبّتك وتقرّباً به إليك،فاجعله خاتمة عملي وصيّر فيه فناء عمري(٢)، والدّعاء طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

فتراه (عليه السّلام) كيف طلب أن يكون سبيل الشّهادة خاتمة عمله و فيه فناء عمره وهذا ملحوظ سبطه (عليه السّلام) في ختم دعائه بطلبها.

و عن أبي عبدالله (عليه السّلام) أيضاً قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): فوق كلّ ذى برّ برّ حتّى يقتل في سبيل الله فاذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ(٣).

و عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من طلب الشّهادة صادقاً أُعطيها و إن لم تصبه(٤).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) الكافي: ج ٥، ص ٤٦، ح١، وفيه: «فاجعلني ممّن اشتريت فيه منك نفسه».

(٣) الكافي: ج ٥، ص ٥٣، ح ٢.

(٤) سنن ابن ماجه: ج ٢، ص ٩٣٥، ح ٢٧٩٧ نقلاً بالمعنى.

....

أي اعطي ثواب أهلها و إن لم يتفق له القتل في سبيل الله تعالىٰ.

قوله (عليه السّلام): إنّه وليّ حميد .

الوليّ: من أسمائه تعالىٰ بمعنى الناصر لعباده المؤمنين كما قال الله تعالىٰ: «اَللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَى النُّورِ»(١).

و قيل: المتولّي لأمور العالم والخلايق والقائم بها.

و قيل: المتولّي أولياءه بالإحسان والإكرام والفور بالثّواب في دار السّلام.

قيل: و هذا أولىٰ من التعميم الذي إقتضاه القول الثاني لأنّ الله سبحانه قد تبرأ من ولاية الكفّار بقوله «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيٰاؤُهُمُ الطّٰاغُوتُ»(٢).

و قال يوسف الصّديق (عليه السّلام): «فٰاطِرَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيٰا وَالْآخِرَةِ»(٣) أي: أنت هديتني إلى الإسلام،وغرست في قلبي شجرة الإيمان ونجّيتني من المعصية والهلك،وعلّمتني من تأويل الأحاديث،وآتيتني الملك.

و الحميد: الذي يستحقّ الحمد في السرّاء والضرّاء والشدّة والرخاء، المحمود بما حمد به نفسه،وبما حمده به عباده وخلقه،وإنّما كان محموداً في الشدّة والضرّاء كما كان محموداً في الرخاء والسرّاء، لأن شدّته وضرّاءه من نعمه التي يستحقّ عليها الحمد إذ كان الصبر عليها موجباً للثواب مستلزماً للزلفىٰ لديه وحسن المآب ولا يخفىٰ حسن ختام الدعاء باسمه الحميد إذ كان الدّعاء مخصوصاً بالتحميد.

و الحمد لله علىٰ ما هدانا إليه،والصّلاة والسّلام علىٰ نبيّه وآله المحمودين لديه، اللهم اجعلنا من الحامدين لك علىٰ حسن بلائك،والشّاكرين لإحسانك ونعمائك

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

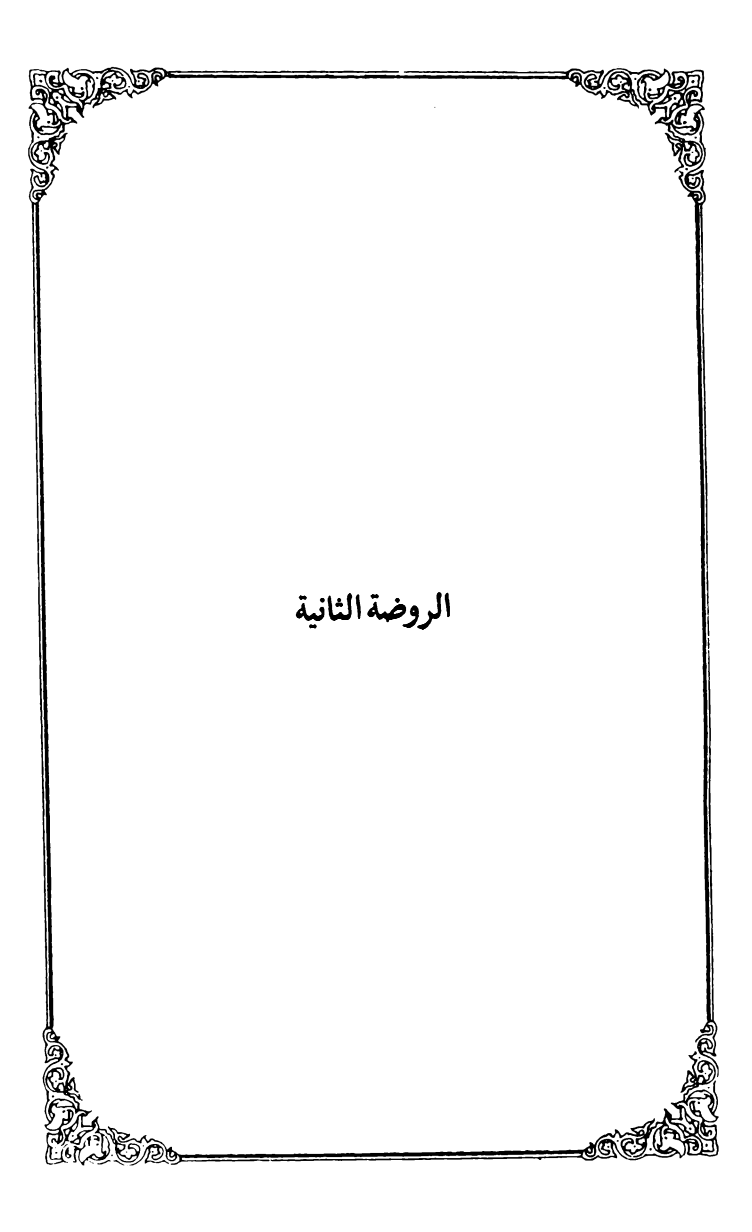
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠١.

....

واجعل ما أوردناه في هذه الأوراق خالصاً لوجهك الكريم وتقبّله منّا إنّك أنت السّميع العليم.

قال مؤلّفه العبد علي بن أحمد الحسني الحسيني: هذا آخر الرّوضة الأُولىٰ من رياض السّالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، ويتلوه بعون الله وحسن توفيقه شرح الدّعاء الثّاني وهو دعاؤه (عليه السّلام) في الصلاة علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واتّفق الفراغ منه بعد العشاء الآخرة من ليلة السّبت لخمس عشرة خلون من محرّم الحرام مفتتح عام ست وتسعين وألف من الهجرة النّبويّة علىٰ صاحبها وآله أفضل الصلاة والسّلام والتحيّة.



الروضة الثانية

وكان من دعائه عليه السلام بعد هذا التحميد في الصلوة على رسول الله ص

والحمد لله الذي من علينا بمحمد نبيه صلى الله عليه واله دون
الامم الماضية والقرون السالفة بقدرته التي لا تعجز عن شيء
وان عظم ولا يفوتها شيء وان لطف فختم بنا على جميع من ذرا
وجعلنا شهداء على من جحد وكثرنا بمنه على من قل اللهم
فصل على محمد امينك على وحيك ونجيبك من خلقك وصفيك
من عبادك امام الرحمة وقائد الخير ومفتاح البركة كما نصب
لامرك نفسه وعرض فيك للمكروه بدنه وكاشف في
الدعاء اليك حامته وحارب في رضاك اسرته وقطع في احياء
دينك رحمه واقصى الادنين على جحودهم وقرب الاقصين على
استجابتهم لك ووالى فيك الابعدين وعادى فيك الاقربين
وادأب نفسه في تبليغ رسالتك واتعبها بالدعاء الى ملتك
وشغلها بالنصح لاهل دعوتك وهاجر الى بلاد الغربة ومحل
النأي عن موطن رحله وموضع رجله ومسقط راسه ومأنس
نفسه ارادة منه لاعزاز دينك واستنصارا على اهل الكفر

بِكَ حَتّٰى اسْتَتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ وَاسْتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ
فِي أَوْلِيَائِكَ فَنَهَدَ إِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحًا بِعَوْنِكَ وَمُتَقَوِّيًا عَلٰى ضَعْفِهِ
بِنَصْرِكَ فَغَزَاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرَارِهِمْ
حَتّٰى ظَهَرَ أَمْرُكَ وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ اَللّٰهُمَّ فَارْفَعْهُ
بِمَا كَدَحَ فِيكَ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ حَتّٰى لَا يُسَاوٰى فِي
مَنْزِلَةٍ وَلَا يُكَافَأَ فِي مَرْتَبَةٍ وَلَا يُوَازِيَهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا
نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَعَرِّفْهُ فِي أَهْلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلَّ مَا وَعَدْتَهُ يَا نَافِذَ الْعِدَةِ يَا وَافِيَ الْقَوْلِ يَا
مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ

شرح الدعاء الثاني

وَ كـانَ مِنْ دُعائه عليـه السّـلام بَعد هٰذا التّحـمـيدْ في الصَّلوٰةْ عَلىٰ رَسُولِ الله صلّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ.

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله الذي شرّف محمّداً صلّى الله عليه وآله بمزيد كرامته تشريفاً له وتكريماً وصلّى عليه هووملآئكته وأمر سآئر خلقه بذلك إجلالاً له وتعظيماً فقال: «إِنَّ اللّٰهَ وَمَلآئكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النَّبي يا أَيُهَا الّذين آمَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَسلِّمُوا تَسْليماً»(١) صلّى الله عليه وعلى آله الّذين أورثهم معارفه وعلّمهم من لدنه تعليماً.

و بعد: فهذه الرّوضة الثانية من رياض السّالكين تتضمّن شرح الدّعاء الثاني من أدعية صحيفة سيّد العابدين، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ علي صدرالدين الحسيني الحسني وفقه الله تعالى لمراضيه وجعل مستقبل حاله خيراً من ماضيه.

الكلام في هذا المقام يستدعي مباحث:

---

(١) سورة الاحزاب: الآية ٥٦.

....

الأوّل: اختلف العلماء في اشتقاق الصّلاة:

فقيل: من صليت العود بالنار إذا ليّنته وقوّمته لأنّ المصلّي يلين بالحنو(١) والعطف ويسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذي يعرض على النّار.

قال النووي: وفي هذا القول غباوة من صاحبه لأنّ الصلاة واويّة و«صليت العود» من ذوات الياء فكيف يصحّ الاشتقاق؟(٢).

قال الزركشي:(٣) وهو عجيب، فإنّ المشدّد تقلب منه الواو ياءً كما في زكّيت المال، والظاهر: إنّ النووي توهّم أنّه مأخوذ من صليت المخفّفة ذاهلاً عن كون الثقيلة وهي التصلية كالتزكية انّما هي مصدر لصلّى المشدّدة لا المخفّفة. انتهى(٤).

و هذا التعجب: أعجب وأعجب فإنّ كلاً من صليت العود وصلّيته المخفّفة والمشدّدة من ذوات الياء فلم تقلب الواو في المشدّدة ياءً كما زعمه الزركشي بل الياء فيهما من سنخ الكلمة بخلاف التزكية فإنّها واويّة فقلبت الواو ياءً مع التشديد وهذا ظاهر.

و قيل: من الصّلوين، وهما عرقان من جانبي الذنب وعظمان ينحنيان عند

---

(١) الحنو: الشفقة.

(٢) المجموع ـ شرح المهذب للنووى: ج٣ ص٢.

(٣) هو بدر الدين أبو عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي المنهاجي المصري التركي كان أبوه مملوكاً، وتعلّم ابنه محمد في صغره صنعة الزركش، ثم حفظ كتاب المنهاج في الفقه فقيل له المنهاجي، رحل الى حلب ودمشق لطلب العلم. له مؤلّفات عديدة.

منها: يقظة العجلان في أُصول الفقه، وسلاسل الذهب في الأُصول، وزهر العريش، وغيرذلك، توفّي بالقاهرة سنة ٧٩٤هجرية.

الكنى والألقاب: ج٢ ص ٢٦٦

(٤) لم نعثرعليه.

....

الإنحناء فناسب أن يراد بها الحنو والانعطاف المعنويّين(١).

و قال الزمخشري في الكشاف: الصلاة فعلة من صلّى، كالزكاة من زكّى، وكتبتا بالواو على لفظ المفخم، وحقيقة صلّى حرك الصلوين لأنّ المصلّي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده(٢) إنتهى.

فإن قلت: هذا الإشتقاق إنّما يناسب معنى الصلاة ذات الركوع والسجود لا المعنى المراد منها هنا.

قلت: أُجيب بأنّ المصلّي لمّا كان يتعطف في ركوعه وسجوده فكانت الصّلاة ذات الأركان مشتملة على التعطّف أُستعيرت للتعطّف على الغير حنوّاً وترؤُفاً.

و قيل: بل أصل الصلاة اللغوي، بمعنى الدعاء.

و يؤيّده: بأنّ الصّلاة بهذا المعنى في أشعار الجاهليّة كثيرة الإستعمال.

الثاني: قال الجمهور: الصلاة من الله تعالى؛الرحمة، ومن الملآئكة؛ الإستغفار، ومن الآدميّين؛ الدّعاء.

و أُستبعد من جهات: إحداها: إقتضاؤه الإشتراك ، والأصل عدمه لمافيه من الإلباس حتّى إنّ قوماً نفوه، ثم المثبتون له يقولون: متى عارضه غيره ممّا يخالف الأصل كالمجاز قدّم عليه، ولذلك تسمعهم يقولون: المجاز خير من الإشتراك .

الثانية: إنّا لا نعرف في العربيّة فعلاً واحداً يختلف معناه باختلاف المسند إليه إذا كان الإسناد حقيقيّاً.

الثالثة: إنّ الرّحمة فعلها متعدّ والصلاة فعلها قاصر ولا يحسن تفسير القاصر بالمتعدّي.

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات: الجزء الاول من القسم الثاني ص١٧٩.

(٢) الكشاف للزمخشري: ج١ ص٤٠.

....

الرابعة: إنّه لو قيل: مكان صلّى عليه، دعا عليه، انعكس المعنى، وحق المترادفين صحّة حلول كلّ منهما محلّ الآخر.

و قال المحقّقون: إنّها لغة بمعنى واحد وهو العطف، ثمّ العطف بالنسبة إلى الله تعالى الرّحمة اللائقة به، وإلى الملائكة الاستغفار، وإلى الآدميّين، دعاء بعضهم لبعض.

قال السهيلي في نتائج الفكر: الصلاة كلّها و إن إختلفت معانيها راجعة إلى أصل واحد فلا تظنّها لفظ إشتراك ولا إستعارة، إنّما معناها العطف ويكون محسوساً ومعقولاً(١) إنتهى.

و الحاصل: إنّ الإختلاف على هذا القول في أفراد معنى الصلاة، وعلى قول الجمهور في نفس معنى الصلاة.

الثالث: معنى الصلٰاة على رسول الله صلّى الله عليه وآله تعظيمه في الدنيا بإعلاء كلمته وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتضعيف مثوبته والزيادة في رفع درجته.

قيل: و غاية الدعاء بذلك عائدة إلى المصلّي، لأنّ الله تعالى قد أعطاه من إعلاء الكلمة وعلوّ الدرجة ورفع المنزلة ما لا يؤثّر فيه صلٰاة مصلّ ولا دعاء داع.

و قيل: بل غايته طلب زيادة كماله عليه السّلام وقربه من الله تعالى، إذ مراتب استحقاق نعم الله عزّوجلّ غير متناهية.

الرابع: الصلٰاة عليه صلّى الله عليه وآله في غير الصلاة وعند عدم ذكره مستحبّة عند جميع أهل الإسلام ولا يعرف من قال بوجوبها غير الكرخي فإنّه أوجبها في العمر مرّة كما في الشهادتين، وأمّا في الصّلاة فأجمع علماؤنا رضوان الله عليهم على وجوبها في التشهدين معاً.

---

(١) لم نعثر عليه.

....

و قال الشافعي(١): هي مستحبّة في الأوّل واجبة في الثاني(٢).

و قال أبو حنيفة ومالك :(٣): مستحبّة فيهما معاً(٤).

و امّا عند ذكره صلّى الله عليه وآله فظاهر كثير من الأخبار كقوله صلّى الله عليه وآله: «من ذكرت عنده ولم يصلّ عليّ دخل النار، ومن ذكرت عنده فنسي الصلاة عليَّ خُطّئ به طريق الجنّة» (٥) وقوله: «من ذكرت عنده ولم يصلّ عليّ

---

(١) هو أبو عبدالله محمّد بن إدريس بن العباس، ينتهي نسبه إلى عبدمناف، والشافعي أحد ائمة المذاهب الأربعة السنيّة، ولد سنة ١٥٠ بغزّة، ونشأ بمكة وكتب العلم بها و بالمدينة. وكان شديد التشيّع وهو القائل:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان انّي رافضي

وله حول الولاية أشعار كثيرة و مدائح غفيرة.

منها: هذان البيتان المشهوران:

يا اهل بيت رسول الله حبّكم... فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر انّكم من لا يصلّي عليكم لا صلاة له

و منها:

إذا في مجلس ذكروا علياً و شبليه وفاطمة الزكيّة

يقال تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضيّة

هربت إلى المهيمن من أُناس يرون الرفض حبّ الفاطميّة

على آل الرّسول صلاة ربي ولعنته لتلك الجاهليّة

الكنى والألقاب: ج٢ ص٣١٣

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ج١ ص١٣٢.

(٣) هو أبو عبدالله مالك بن أنس أحد أصحاب المذاهب الأربعة المسمى بالمذهب المالكي. ولد في المدينة المنورة سنة (٩٥) هجرية. وتوفي سنة (١٧٩) هجرية ودفن بالبقيع في المدينة المنوّرة. صنّف كتاب الموطأ وهو كتاب جمع فيه الأحاديث النبوية والفقه معاً. انظر مقدمة كتاب الموطأ: ص٧

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ج١ ص١٣٢.

(٥) الكافي: ج٢ ص ٤٩٥ ح١٩.

....

فدخل النار فأبعده الله»(١) انّها تجب كلّما ذكر وكلّما سمع ذكره لأنّ الوعيد أمارة الوجوب وهو مختار ابن بابويه والمقداد من أصحابنا، والطحاوي من العامّة.

قال الزمخشري: و هو الذي يقتضيه الاحتياط(٢).

و منهم من أوجبها في كلّ مجلس مرّة، و منهم من أوجبها في العمر مرّة.

و قال المحقق الأردبيلي:(٣) ولا شكّ إنّ احتياط الزمخشري أحوط، ويمكن اختيار الوجوب في مجلس إن صلّى آخراً، وإن صلّى ثم ذكر يجب أيضاً كما في تعدّد الكفّارة في تعدّد الموجب إذا تخلّلت، وإلا فلا(٤) إنتهىٰ.

و الحقّ: إنّ هذه التفاصيل عريّة عن المستند فالقول بشيء منها تحكّم، والأولى: الوجوب عند كل ذكر للأخبار الكثيرة الصّريحة بالأمر بها كلّما ذكر، والأصل في الأمر: الوجوب.

و أمّا القول بالإستحباب مطلقاً كما ذهب إليه جماعة مستدلين بالأصل والشهرة المستندين إلى عدم تعليمه عليه السّلام للمؤذّنين وتركهم ذلك مع عدم وقوع نكير عليهم كما يفعلون الآن ولو كان لنقل.

---

(١) ثواب الأعمال و عقاب الأعمال للصدوق: ص ٢٤٦ ح١. الوسائل: ج٤ ص٩٩٩ ح٣.

(٢) الكشاف: ج٣ ص٥٥٨.

(٣) هو العالم الرباني والفقيه الصمداني مولانا أحمد بن محمّد المعروف بالمقدّس الأردبيلي، قال عنه العلامة المجلسي: والمحقق الأردبيلي في الورع والتقوىٰ والزهد والفضل بلغ الغاية القصوىٰ ولم أسمع بمثله في المتقدّمين والمتأخرين، وذكره في البحار في باب من رأى الإمام صاحب الزمان أرواحنا فداه، حيث عرض عليه بعض المسائل العلميّة المعضلة فأجابه عليه السّلام عنها في محراب مسجد الكوفة.

له مصنّفات جليلة منها: آيات الأحكام، ومجمع الفائدة والبرهان، وحديقة الشيعة، توفي (رضوان الله عليه) في المشهد العلوي سنة ٩٩٣هجريّة ودفن فيه.

الكنىٰ والألقاب: ج٣ ص ١٦٦

(٤) زبدة البيان في احكام القرآن : ص٨٦ وفيه: «بتعدد الموجب».

....

ففيه: إنّ عدم التعليم ممنوع، وكذا عدم النكير، كعدم النقل، فقد روى ثقة الإسلام في الكافي في باب بدء الأذان والإقامة باسناده عن أبي جعفر عليه السّلام: «إذا أذّنت فأفصح بالألف والهاء وصلّ على النبيّ عليه السّلام كلّما ذكرته أو ذكره ذاكر في أذان وغيره»(١).

على أنّ عدم النقل لا يدلّ على عدمه، و اصالة البرائة لا يصحّ التّمسك بها بعد ورود القرآن والأخبار به.

ثمّ الظاهر من بعض الأخبار كقول الصادق عليه السّلام: «إذا ذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله فأكثروا الصلاة عليه»(٢). حيث رتّب الأمر بالصلاة على الذّكر بالفاء التعقيبيّة هو إيقاعها على الفور فلو أهمل الفورأثم على القول بالوجوب ولم تسقط، وكذا الظاهر أنّ الأمر بها عامّ لكلّ أحد وعلى كلّ حالة حتّى في الصلاة فلو ترك الإمتثال واشتغل بالقراءة فيها هل تبطل الصلاة على تقدير الوجوب أم لا ؟ فإن قلنا: إنّ الأمر بالشيء نهي عن ضدّه الخاص، والنهي في العبادة يقتضي الفساد بطلت، وإن قلنا بعدمه فلا وهو الرّاجح.

فلو تكرر الذّكر تكراراً كثيراً بحيث يخرج بالإشتغال بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله عن كونه مصلّياً، لا يبعد القول بسقوط التكليف بها لأنّ الفعلين إذا تضيّقا وتعذّر الجمع بينهما علمنا أنّ أحدهما ليس بواجب قطعاً، ولمّا كان مشتغلاً بالصلاة ووجب إتمامها والإستمرار فيها، كان ما ينافيه غير مأمور به فليتأمّل.

الخامس: إنّما كان عليه السّلام يدعو بالصلاة عليه صلوات الله عليه وآله بعد التحميد لما ورد في ذلك عن جدّيه عليهما السّلام، فعن أبي عبدالله عليه السّلام:

---

(١) الكافي: ج٣ ص ٣٠٣ ح٧.

(٢) الكافي: ج٢ ص ٤٩٢ ح٦.

....

«إنّ رجلاً دخل المسجد فصلّى ركعتين، ثم سأل الله عزّوجلّ فقال رسول الله - صلّى الله عليه وآله: أعجل العبد ربّه. وجاء آخر فصلّى ركعتين، ثم أثنى على الله عزّوجلّ وصلّى على النبيّ صلّى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: سل تعط»(١).

و عنه عليه السّلام: «إنّ في كتاب عليّ عليه السّلام: إنّ الثناء على الله، والصّلاة على رسوله قبل المسألة»(٢).

و لو لم يرد ذلك لكان فعله عليه السّلام أيضاً حجّة وسنّة ينبغي اقتفاؤها ؛ ثمّ الصّلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله من أعظم شروط الإجابة.

روى ثقة الإسلام في الكافي باسناده عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «لايزال الدعاء محجوباً حتّى يصلّى على محمد وآل محمّد»(٣).

و عنه عليه السّلام: «من دعا ولم يذكر النّبيّ صلّى الله عليه وآله رفرف الدعاء على رأسه، فاذا ذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله رفع الدعاء»(٤).

قال العلماء: و السرّ في قبول الدعاء إذا قرن بالصلاة، أمران:

الأوّل: أنّ النبيّ وآله عليهم السّلام وسائط بين الله سبحانه و بين عباده في قضاء حوائجهم ونجاح مطالبهم، وهم أبواب معرفته عزّوجلّ، فلابدّ من التوسّل بذكرهم في عرض الدعاء عليه وقبوله لديه، وذلك كما إذا أراد أحد من الرّعيّة إظهار حاجته على السلطان توسّل بمن يعظّمه ولا يردّ قوله.

الثاني: إذا ضمّ العبد الصلاة مع دعائه، وعرض المجموع على الله تعالى،

(١) الكافي: ج٢ ص ٤٨٥ ح٧. فيه: «عجّل».

(٢) الكافي: ج٢ ص ٤٨٥ ح٧.

(٣) الكافي: ج٢ ص ٤٩١ ح١.

(٤) الكافي: ج٢ ص ٤٩١ ح٢.

....

والصّلاة غير محجوبة، فالدعاء غير محجوب، لأنّه تعالى أكرم من أن يقبل الصلاة ويردّ الدعاء، فيكون قد قبل الصحيح وردّ المعيب، كيف؟ وقد نهى تعالى عباده عن تبعيض الصّفقه! ولا يمكن ردّ الجميع لكرامة الصلاة عليه، فلم يبق إلّا قبول الكلّ وهو المطلوب.

و في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السّلام: «إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة، فابدأ بمسألة الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله، ثمّ اسأل حاجتك، فإنّ الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأُخرى»(١).

السادس: الأخبار في فضل الصلاة عليه صلّى الله عليه وآله أكثر من أن تحصى.

فنها: ما رواه ثقة الإسلام في الكافي عن أبي عبدالله عليه السّلام إنّه قال: «إذا ذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله فأكثروا الصلاة عليه فإنّه من صلّى على النبيّ صلاة واحدة صلّى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة ولم يبق شيء ممّا خلقه الله إلّا صلّى على العبد لصلاة الله وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برئ الله منه ورسوله وأهل بيته»(٢).

و عنه عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «من صلّى عليّ صلّى الله عليه وملائكته، فمن شآء فليقلّ ومن شآء فليكثر»(٣).

و عنه عليه السّلام: «من صلّى على محمّد و آل محمّد عشراً صلّى الله عليه وملائكته ألفاً، أما تسمع قول الله عزّوجلّ: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ

(١) نهج البلاغة: حكمة ٣٦١ ص ٥٣٨.

(٢) الكافي: ج٢ ص ٤٩٢ ح٦.

(٣) الكافي: ج٢ ص ٤٩٢ ح٧

....

ليخرجكم من الظّلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً»(١).

وعن أحدهما عليهما السّلام قال: «ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمّد وآل محمّد، وانّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به فيخرج صلّى الله عليه وآله الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فترجح»(٢).

«وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إرفعوا أصواتكم بالصّلاة عليّ فإنّها تذهب بالنفاق»(٣).

السّابع: ما وقع في عنوان هذا الدّعاء من قوله صلّى الله عليه وآله بالعطف على الضمير المجرور من دون إعادة الخافض، مبنيّ على مذهب الكوفيّين، ويونس والأخفش من البصريّين، من عدم وجوب إعادة الخافض في ذلك، خلافاً لجمهور البصريّين، واختاره الشلوبين، وصحّحه ابن مالك وأبو حيّان، وجرى عليه ابن هشام في شرح الشذور(٤).

والتوضيح لثبوت ذلك: في فصيح الكلام كقراءة حمزة «وَاتَّقُوا اللهَ الَّذي تَسَاءَلُون بِهِ وَالأَرْحَامَ» (٥) بخفض الأرحام(٦) عطفاً على الضمير المخفوض بالباء.

وحكاية قطرب: ما فيها غيره وفرسه بخفض الفرس عطفاً على الهاء المخفوضة باضافة غير اليها. وقول الشاعر:

فَاذهبْ فما بِكَ والأيّام مِن عَجبِ(٧)

---

(١)و(٢) الكافي: ج٢ ص٤٩٣ و٤٩٤ ح١٤ و١٥.

(٣) الكافي: ج٢ ص ٤٩٣ ح١٣.

(٤) شذور الذهب: ص ٣٣٢.

(٥) سورة النساء: الآية ١.

(٦) مجمع البيان: ج٣-٤ ص١.

(٧) مجمع البيان: ج٣ - ٤، ص٢. أنشده سيبويه وصدر البيت: فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا.

وَ الحَمْدُ للهِ الَّذي مَنَّ عَلَيْنا بِمُحَمَّدٍ نبيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ دُونَ الاُمَمِ الْماضِيَةِ وَ الْقُرُونِ السّالِفَةِ.

بخفض الأيّام عطفاً على الكاف المخفوضة بالباء، والى ذلك أشارابن مالك بقوله في الخلاصة:

و عوْدُ خافِضٍ لَدى عطف على ضمير خَفضٍ لازماً قَدْ جُعِلا

و ليس عِندي لازماً إذ قَدْ أتى في النَّثر والنَّظم الصَّحيح مُثْبَتا(١)

و امّا ما زعمه بعضهم: من أن الشيعة تلتزم عدم إعادة الخافض وهو «على» في مثل هذه العبارة، لحديث يأثرونه وهو: «من فصل بيني وبين آلي بعلى فقد جفاني»، فزعم محض لا عين له ولا أثر، إذ لا تعرف الشيعة هذا الخبر ولم ترد به رواية من طرقهم، بل ولم يذكر ولا منقطعاً في شيء من كتبهم، كيف والأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السّلام مشحونة باعادة الخافض في مثل ذلك كما ستقف عليه مكرّراً في أدعية الصحيفة الشريفة والله المستعان.

قال سيّد العابدين و إمام الموحّدين صلوات الله عليه:(٢) *.

الواو: عاطفة للجملة على قوله في الدعاء السابق: «ثم له الحمد» لأنّه عليه السّلام كان يصل هذا الدعاء به من غير فصل كما هو ظاهر العنوان، أو هي استئنافيّة.

و معنى «المنّ» هاهنا: الإنعام على من لا يطلب الجزاء منه، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: «لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»(٣).

و محمّد: عَلَم منقول من الصفة التي معناها كثير الخصال المحمودة.

---

(١) كتاب السيوطي: ص ١٦٧ و١٦٨.

(٢) أي الدعاء الموجود في أعلى الصفحة.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

....

قال أهل اللغة: رجل محمّد: أي كثير الخصال المحمودة(١).

و قال ابن فارس: سُمّي نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله محمّداً لكثرة خصاله المحمودة(٢). يعني ألهم الله تعالى أهله تسميته بذلك لما علم من خصاله الحميدة(٣)

و قال السهيلي: في محمّد معنى المبالغة والتكرار فالمحمّد: هو الذي حمد مرّة بعد مرّة، كما أنّ المكرّم من كُرم مرّة بعد أخرىٰ، وكذلك الممدّح واسم محمّد مطابق لمعناه، والله تعالىٰ سمّاه به قبل أن يسمّىٰ به، وهو علم من أعلام نبوّته، إذ كان اسمه صادقاً عليه فهو صلّى الله عليه وآله محمود في الدنيا بما هدي إليه ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرّر فيه معنى الحمد كما يقتضيه اللفظ (٤) إنتهى.

و ورد في أخبار كثيرة من طرق أهل البيت عليهم السّلام، عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «سمّاني الله من فوق عرشه وشقّ لي اسماً من أسمائه فسمّاني محمّداً وهو محمود»(٥).

و أخرج البخاري في تاريخه الصغير: من طريق علي بن زيد قال: كان أبو طالب يقول:

و شقّ له مِن اسمِهِ ليُجلَّهُ فذوالعَرشِ مَحمُودٌ وَ هٰذا مُحَمَّدٌ(٦).

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الاول من القسم الثاني، ص٧٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ج٢، ص١٠٠.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الاول من القسم الثاني، ص٧٠.

(٤) تاج العروس: ج٢ ص ٣٣٩ من غير ان ينسبه إلىٰ أحد.

(٥) بحار الأنوار: ج١٦، ص ٩٢، ح٢٧. الخصال للصدوق: ص٤٢٥ ح١. معاني الأخبار للصدوق: ص٥٠ ح١. وشقّ أي فصّل.

(٦) شرح المواهب: ج٣، ص١٥٥. نقلا عنه.

....

قال القسطلاني في المواهب: وقد سمّاه الله تعالىٰ بهذا الاسم قبل الخلق بألفي عام، كما ورد من حديث أنس بن مالك من طريق أبي نعيم في مناجاة موسى (عليه السّلام)(١).

قال ابن قتيبة: و من أعلام نبوّته صلّى الله عليه وآله أنّه لم يسمّ أحد قبله باسمه محمّد صيانة من الله بهذا الاسم كما فعل بيحيى إذ لم يجعل له من قبل سميّاً، وذلك انّه تعالىٰ سمّاه في الكتب المتقدّمة وبشّر به الأنبياء، فلوجعل اسمه مشتركاً فيه لوقعت الشّبهة، إلّا أنّه لمّا قرب زمانه وبشّر أهل الكتاب بقربه سمّى قوم أولادهم بذلك رجاء أن يكون هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته(٢).

و هو أبو القاسم محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب، خاتم النّبيّين وسيّد المرسلين، حملت به أُمّه في أيّام التّشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطىٰ ليلة الجمعه، وهي آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة، وولد (صلّى الله عليه وآله) بمكة يوم الجمعة عند طلوع الشمس السابع عشر من شهر ربيع الأوّل عام الفيل.

و عند جمهور العامّة أنّه ولد يوم الإثنين من ربيع الأوّل ثمّ اختلفوا: فقيل: لليلتين خلتا منه، وقيل: لثمان خلون منه، وقيل: لعشر، وقيل: لإثنتي عشرة ليلة، وعليه عمل أهل مكّة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت.

و وافقهم على ذلك من أصحابنا ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني في الكافي(٣).

---

(١) شرح المواهب: ج٣، ص ١٥٦.

(٢) شرح المواهب: ج٣ ص ١٥٨ نقلا عنه.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٣٩.

....

و قيل: لسبع عشرة، وفاقاً لما عليه جمهور الشيعة. وقيل: ولد يوم عاشوراء، وقيل: في صفر، وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: في رجب، وقيل: في شهر رمضان.

و روي عن ابن عبّاس بإسناد لا يصحّ، وهو موافق للقول بأنّ اُمّه حملت به في أيّام التشريق(١).

و أمّا على المشهور بأنّه ولد في ربيع الأوّل، فيلزم منه الإشكال المشهور، وهو أنّه يلزم أن يكون مدّة حمله ثلاثة أشهر، أو سنة وثلاثة أشهر، وهذا مخالف لما اتّفق عليه الأصحاب من أنّ مدّة الحمل لا تزيد عن سنة، ولم ينقل أحد أنّ ذلك من خصائصه.

و الجواب: إنّ المراد بأيّام التشريق الأيّام المعلومة من شهر جمادي الأُولىٰ، وقع فيه حجّ المشركين في عام الفيل باعتبار النسيء حيث كانوا يؤخّرون الحجّ عن ذي الحجة فيحجّون سنتين في محرّم وسنتين في صفر وهٰكذا إلى أن يتمّ الدور ثمّ يستأنفونه.

و على القول بأنّ مولده كان في ثاني عشر من شهر ربيع الأوّل يكون مدّة الحمل عشرة أشهر بلا زيادة ولا نقصان، إذا فرض أنّ حمله كان في ثاني عشر من جمادي الأُولىٰ والله أعلم.

و نقل عن أبي معشر البلخي، وهو من مهرة علم النّجوم، انّه إستخرج طالع النّبيّ (صلّى الله عليه وآله) فكان عشرين درجة من الجدي حين كان زحل والمشتري في ثالث درجة من العقرب مقترنين في درجة وسط السماء، والمرّيخ في بيته في الحمل والشمس أيضاً في الحمل في الشرف، والزهرة في الحوت في الشرف، وعطارد أيضاً في الحوت، والقمر في أوّل الميزان، والرأس في الجوزاء في الشرف،

(١) الكافي: ج١، ص ٤٣٩.

والذنب في القوس في الشرف في بيت الأعداء، ذكر ذلك في روضة الأحباب(١).

و مات أبوه عبدالله بن عبدالمطلب، وهو ابن شهرين أو سبعة أشهر، ولمّا بلغ أربعاً أوستاً من السنن ماتت أمّه وكان في حجر جدّه عبدالمطلب ثماني سنين وشهرين وعشرة أيّام، فتوفّى عبدالمطلب و وليه عمّه أبوطالب عليه السّلام، وذهب به إلى الشام بعد ماتمّ له إثنتاعشرة سنة وشهران وعشرة أيّام، ورجع من بصرى وخرج إلى الشام مرّة أُخرى مع ميسرة غلام خديجة في تجارة لها قبل أن يتزوّجها، ثمّ تزوّجها بعد ما بلغ خمساً وعشرين وبقيت معه ثمانية عشرة سنة، ولمّا بلغ خمساً وثلاثين شهد بنيان الكعبة، فلمّا بلغ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً يوم الإثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل، فما من شجر وحجر إلّا سلّم عليه قائلاً: السلام عليك يا رسول الله، وفرض عليه التبليغ وقرائة القرآن، ولمّا تمّت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر،أُسري به «دَنىٰ فَتَدَلّىٰ * فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ»(٢) وفرض عليه خمس صلوات، ولمّا بلغ ثلاثاً وخمسين هاجر إلى المدينة يوم الإثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل، ودخلها ضحىٰ يوم الإثنين، وأُذن له في الجهاد في السنة الثانية لمن إبتدأه في غيرالأشهرالحرم، ثم أُبيح له إبتداؤهم فيها أيضاً وفيها فرض صوم شهر رمضان، واختلفوا في الزكاة هل فرضت قبله أو بعده؟ وفرض الحجّ في الخامسة أو السادسة؟ وفي السنة الخامسة كانت بيعة الرضوان، وفي الثامنة فتح مكّة، وأظلّت عليه حمامها(٣) يومئذ فدعا لها بالبركة، وفي العاشرة حجّة الوداع، وكانت وقفة عرفة فيها يوم الجمعة بالإجماع، ولم يحجّ بعد الهجرة إلّا إيّاها

---

(١) روضة الأحباب: كتاب فارسي، نقل عنه المجلسي (قدّس سرّه) في بحاره: ج١٥، ص٢٤٩.

(٢) سورة النجم: الآية ٨ ـ ٩.

(٣) أظلت عليه: اى أقبلت إليه ودنت منه، كناية عن قبول دعوة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

....

وقبلها لم يضبط واعتمر أربعاً، وكانت غزواته سبعاً وعشرين، وسراياه ستّاً وخمسين، وقيل غير ذلك، وتزوّج إحدى وعشرين إمرأة، طلّق ستّاً، وماتت عنده خمس، وتوفّي عن عشر واحدة منهنّ لم يدخل بها، وأولاده ستّة، ذكران وهما: القاسم وإبراهيم، وأربع بنات وهنّ: فاطمة عليها السّلام وزينت ورقيّة وأمّ كلثوم، وكلّهم من خديجة عليها السّلام، إلّا إبراهيم، هذا المتّفق عليه وأُختلف فيما سوى هٰولاء، ولمّا بلغ صلّى الله عليه وآله ثلاثاً وستّين وقيل: خمساً وستّين، إختار الرفيق الأعلىٰ يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة وقيل: لثنتي عشرة خلت من أوّل ربيعي السنة المذكورة، ودفن ليلة الثلاثاء أو الأربعاء في حجرته التي قبض فيها، هذه نُبذ ممّا ذكره أرباب السّير، وفي كون وفاته يوم الإثنين ثاني عشر أوّل الربيعين مع كون وقفة عرفة يوم الجمعة في السنة العاشرة إشكال يعرف بالتأمّل.

قوله عليه السّلام: «دون الأُمم الماضية». دون: بمعنى التجاوز، كما مرّ في شرح السند، فهي ظرف مستقر وقع حالاً من ضمير المتكلّمين في علينا، والعامل فيه «منّ» أي: مَنّ علينا بمحمّد صلّى الله عليه وآله، حال كوننا متجاوزين الأُمم الماضية في المنّة به علينا.

و قد يقال: إنّها مستعارة من معناها الوضعي الذي هو أدنىٰ مكان من شيء تقدّامه كما في قول الأعشى:

تُريكَ القَذىٰ مِن دُونِها وهي دُونه(١) ....

أي تريك القذىٰ قدّامها وهي قدّامه، فيكون ظرفاً لغواً معمولاً لـمنّ، والمعنى: منّ علينا بمحمّد صلّى الله عليه وآله بين يدي الأُمم الماضية أي: في مستقبلها.

---

(١) لسان العرب: ج١٣، ص١٦٥، وتمام البيت: إذا ذاقَها مَن ذاقَها يَتمطقُ.

....

و في القاموس: انها بمعنى أمام و وراء ضد، وعلى هذا فلا حاجة الى دعوى الاستعارة، وكما يصح جعلها هنا بمعنى أمام يصح جعلها بمعنى وراء أيضاً(١) وهو واضح.

و الأُمم: جمع أمّة وهي: الجماعة، وأصلها القصد من أمّه يؤمّه أمّاً إذا قصده كأنّهم قصدوا أمراً واحداً وجهة واحدة، وتأتي لمعان: الجماعة مطلقاً، وجماعة أُرسل إليهم رسول، والجيل من كلّ حيّ، ومنه: لولا أنّ الكلاب أُمّة تسبّح لأمرت بقتلها(٢)، ومن هو على الحقّ مخالف لسائر الأديان، ومنه: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً»(٣).

و الحين، ومنه «وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ»(٤). وقوم الرجل، وخلق الله.

و أمّة النبي نوعان:

أمّة الإجابة: وهم الذين أجابوا دعوته وصدّقوا نبوّته وآمنوا بما جاء به، وهؤلاء هم الذين جاء مدحهم في الكتاب والسنّة: كقوله تعالى: «جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً»(٥)، «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ»(٦)، وكقوله(صلّى الله عليه واله): «شفاعتي لأُمّتي»(٧)، «وتأتي أُمّتي غرّاً محجّلين»(٨). وغير ذلك.

---

(١) القاموس: ج٤ ص ٢٢٣.

(٢) النهاية لابن الاثير: ج١ ص٦٨.

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٠.

(٤) سورة يوسف: الآية ٤٥.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٧) سنن أبي داود: ج٤، ص ٢٣٦، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٨) سنن ابن ماجه: ج٢، ص ١٤٣١، ومسند احمد بن حنبل: ج٢ ص٤٠٠ مع اختلاف فيهما.

....

و أمّة الدعوة: وهم الذين بعث إليهم النبيّ عليه السّلام من مسلم وكافر، ومنه قوله صلّى الله عليه وآله: «والذي نفس محمّد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الاُمّة يهودي ولا نصراني ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلّا كان من أصحاب النار»(١).

قوله عليه السّلام: «والقرون السالفة» القرون: جمع قرن.

قال الهروي: القرن: كلّ طبقة مقترنين في وقت، ومنه قيل لأهل كلّ مدّة أو طبقة بعث فيها نبيّ قلّت السنون أو كثرت: قرن.

و منه: الحديث: «خيركم قرني» يعني أصحابي، «ثمّ الذين يلونهم» يعني التابعين لهم باحسان. واشتقاقه: من الاقتران.

و قيل: القرن: ثمانون سنة، وقيل: أربعون، وقيل: مائة. وقال إبن الأعرابي: القرن: الوقت. وقال غيره: قيل للزمان قرن لأنه يقرن أُمّة بأمّة وعالماً بعالم، وهو مصدر قرنت جعل اسما للوقت أو لأهله(٢). هذا آخر كلام الهروي.

و فيه أقوال أُخرى قال بعضهم: والذي أرى أنّ القرن كلّ أُمّة هلكت فلم يبق منها أحد.

و السالفة: المتقدّمة من سلف فلان، من باب قعد، سلوفاً: تقدّم، ومنه: سلف الرجل لآبائه المتقدّمين، ويقال: سلف سلفاً محرّكة أي: مضى وانقضى، وإنّما قيّد (عليه السّلام) المنّة علينا به (صلّى الله عليه وآله) المقتضية للحمد مطلقاً بقوله «دون الأُمم الماضية» لإفادته تعظيم المنّة واقتضائه تأكيد الحمد لما في ذلك من الكرامة التي خصّنا تعالى بها دونهم تفضيلاً لنا عليهم ومزيد عناية بنالم يحرزوها، إذ كانت الأنبياء والمرسلون فضلاً عن أُممهم يتمنّون أن يكونوا من أُمّته ويسألون الله أن

---

(١) صحيح مسلم: ج١، ص ١٣٤، ح٢٤٠.

(٢) الغريبين للهروي: مخطوط في مكتبة جامعة طهران في ذيل باب القاف مع الراء.

....

يجعلهم منهم، كما وردت به الأخبار المستفيضة من طرق الخاصّة والعامّة، فمن ذلك مارواه رئيس المحدّثين في كتاب معاني الأخبار بإسناده عن أبي عبدالله عليه السّلام: انّه كان فيما ناجى الله تعالى به موسى أن قال له: يا موسى لا أقبل الصلاة إلّا ممّن تواضع لعظمتي، وألزم قلبه خوفي، وقطع نهاره بذكري، ولم يبت مصرّاً على الخطيئة، وعرف حقّ أوليائي وأحبّائي. فقال: يارب تعني بأحبّائك وأوليائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فقال: هم كذلك يا موسىٰ إلّا إنّي أردت مَن من أجله خلقت آدم وحوّاء، ومَن من أجله خلقت الجنّة والنّار. فقال موسىٰ: ومن هو يارب؟ قال: محمّد أحمد شققت اسمه من اسمي، لأنّي أنا المحمود. فقال موسى: يارب اِجعلني من أُمّته. قال: ياموسىٰ أنت من أُمته إذاانت عرفته وعرفت منزلته ومنزلة أهل بيته(١) والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

و أخرج أبو نعيم(٢) في الحلية عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: إنّ موسىٰ لما نزلت عليه التوراة وقرأها وجد فيها ذكر هذه الأُمّة فقال: يارب انّي أجد في الألواح أُمة هم الآخرون السابقون فاجعلها أُمتي، قال: تلك أمة أحمد قال: يارب إنّي أجد في الألواح أُمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها ظاهراً فاجلعها أُمتي. قال: تلك أمة أحمد، قال: يارب إنّي أجد في الألواح أُمة يأكلون الفيء(٣)، فاجعلها أُمتي قال: تلك أُمة أحمد. قال: يارب انّي أجد في الألواح أُمة إذاهمّ أحدهم بالحسنة فلم

---

(١) معاني الأخبار للصدوق: ص ٥٤ ح١.

(٢) هو أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني من أكابر المحدثين والرواة، له كتاب حلية الأولياء، وهو كتاب معروف في أخبار المناقب، وله أيضاً كتاب الأربعين من الأحاديث التي جمعها في أمر المهدي عليه السّلام وله كتاب تاريخ اصبهان. توفي سنة ٤٠٢ هجرية.

الكنى والألقاب: ج١ ص١٥٩

(٣) الفيء: الخراج والغنيمة. المصباح المنير: ص ٦٦٦.

بِقُدْرَتِهِ الّتِى لاٰ تَعْجِزُ عَنْ شَيء وَ اِنْ عَظُمَ وَ لاٰ يَفُوتُهاٰ شَيء وَ اِنْ لَطُفَ.

يعملها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشر حسنات، فاجعلها أُمتي. قال: تلك اُمّة أحمد قال: يارب إنّي أجد في الألواح أُمة إذاهمّ أحدهم بسيّئة فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت سيّئة واحدة فاجعلها أُمتي. قال: تلك أُمة أحمد، قال: يارب إنّي أجد في الألواح أُمة يؤتون العلم الأوّل والآخر ويقتلون مع المسيح الدّجال فاجعلها أُمّتي قال: تلك أُمة أحمد. قال: يارب فاجعلني من أُمة أحمد، فأُعطي عند ذلك خصلتين فقال: ياموسىٰ إنّي إصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين، قال: قد رضيت ياربّ(١)

والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً ولله الحمد*.

متعلق بقوله «منّ علينا» والقدرة فينا، قوّة جسمانيّة منبثّة(٢) في الأعضاء محرّكة لها نحو الأفعال الإختياريّة، والعجز: ما يقابل القدرة بهذا المعنىٰ وهو عدمها عمّا من شأنه أن يقدر، كما في حقّ الواحد منّا، إذ لا يقال للجدار مثلاً إنّه عاجز، وقدرته تعالى تعود إلى إعتبار كون ذاته مصدر الإ ثارة(٣).

هذا قول الجمهور وقد أسلفنا الكلام علىٰ ذلك مبسوطاً فراجعه.

والشيء: بحسب مفهومه اللغوي يقع علىٰ كلّ ما يصحّ أن يُعلَم ويخبر عنه كائناً ما كان، علىٰ أنّه في الأصل مصدر شاء، اُطلق على المفعول واُكتفى في ذلك بإعتبار تعلّق المشيئة به من حيث العلم أو الإخبار به فقط، فيتناول الواجب والممكن والممتنع، وقد يخصّ بالممكن موجوداً كان أو معدوماً كما هنا لقضيّة إختصاص تعلّق

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني: ج٥ ص٣٨٥ نقلاً بالمعنىٰ.

(٢) منبثة: اى منتشرة.

(٣) الا ثارة: القدرة.

....

القدرة به، إذا المراد بها التمكّن من الإيجاد والإعدام الخاصّين به.

و ذهب القاضي في جمع من الأشاعرة: إلى أنّ الشيء يختصّ بالموجود، وأنّ المعدوم لا شيء ولا ذات ولا ماهيّة، وهو أيضا مذهب الحكماء على ما نقل عنهم، قالوا: الشيء اسم لما هو حقيقة الشيئيّة، ولا يقع على المعدوم والمحال، ولا علم بالمحال أصلاً إذ لا شيئيّة له، ولا هو ممّا يتمثّل في ذهن أو يتصوّر في وهم، وإنّما المعلوم المتصوّر المتمثّل في الذهن عنوان المفهوم من لفظه،[١] وهو ممكن ما من الممكنات ليس في إزائه حقيقة من الحقائق، وشيء من الأشياء أبداً، وإلى الأوّل ذهب المعتزلة وجماعة من الأشاعرة.

قال الزمخشري والنيسابوري: الشيء: أعمّ العام، كما أنّ الله أخص الخاصّ يجري على الجوهر والعرض، والقديم والحادث، بل على المعدوم والمحال(١)، وهذا العام مخصوص، بدليل العقل، فمن الأشياء، ما لا تتعلّق القدرة به كالمستحيل والواجب وجوده لذاته(٢).

و قال القطب العلّامة(٣): كلّ من قال: بأنّ الوجود، عين الماهيّة مثل الأشعري وأتباعه، قال: بأنّ المعدوم ليس بشيء لإنتفاء الماهيّة عند العدم، ومن قال: بأنّ الوجود غيرها، فهم قد اختلفوا في ذلك، والنزاع انّما هو في المعدوم

(١) الكشاف للزمخشري: ج١، ص٨٧ - ٨٨.

(٢) تفسير النيسابوري: ج١، ص ٦٢

(٣) هو قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي الشافعي الملقب بالعلامة تلميذ الخواجه نصير الطوسي. قيل: كان وحيد عصره في المعقول وكان في غاية الذكاء، وله تلاميذ كثيرة وتصانيف شهيرة منها: شروحه على القسم الثالث من المفتاح،وعلى المختصر الحاجي،وعلى كليات ابن سينا، توفي بتبريز سنة ٧١٠هجريّة.

الكنى والألقاب: ج٣، ص ٥٩.

....

الممكن، لا في المعدوم الممتنع فانّه ليس بشيء عند الفريقين(١)، إنتهى.

و هذا لا يرد على ما صرّح به الزمخشري والنيسابوري لأنّ كلامهما بحسب مفهومه لغة، وما ذكره من النزاع إنّما هو في الشيئيّة بمعنى التحقّق منفكّاً عن صفة الوجود، لا في إطلاق لفظ الشيء على مفهوم فانّه بحث لغوي مرجعه إلى النقل والسّماع لا يصلح محلا لاختلاف العقلاء الناظرين في المباحث العلميّة، ولهذا قال صاحب الكشف: النزاع في هذا لا ينبغي أن يقع بين المحقّقين لأنّه أمر لفظي، والبحث فيه من وظيفة أصحاب اللغة(٢)، انتهى.

تبصرة

قال العلماء: معنى كون قدرته تعالى لا تعجز عن شيء، وكونه على كلّ شيء قديراً: إنّ قدرته لا تعجز عن ما يمكن تعلّق القدرة به وأنّه على كلّ شيء يصحّ تعلّقها به قدير من كلّ ماهيّة إمكانيّة، أو شيئيّة تصوّريّة.

و أمّا الممتنعات فلا ماهيّة لها ولا شيئيّة حتّى يصحّ كونها مقدورة له تعالى وليس في نفي مقدوريّتها نقص على عموم القدرة، بل القدرة عامّة والفيض شامل والممتنع لا ذات له، وإنّما يخترع العقل في وهمه مفهوماً يجعله عنواناً لأمر باطل الذّات، كشريك البارى، واللا شيء، واجتماع النقيضين، أو يركّب بين معان ممكنة آحادها تركيباً ممتنعاً، فإنّ كلاً من المتناقضين كالحركة والسكون أمر ممكن خارجاً وعقلاً، وكذا معنى التركيب والإجتماع، أمر ممكن عيناً وذهناً.

و أمّا اجتماع المتنافيين، فلا ذات له في الخارج ولا في العقل، لكنّ العقل يتصوّر مفهوم إجتماع النقيضين على وجه التلفيق، ويجعله عنواناً، ليحكم على

---

(١) شرح كليات ابن سيناء لقطب الدين محمود بن مسعود علامة ج ص

(٢) لم نعثر على كتابه.

....

أفرادهما المقدّرة بامتناع الوجود. ومن هنا أُطلق على المستحيل أنّه شيء وإلّا فهو لا ماهيّة له ولا معنى، فلا تعلّق للقدرة به.

و أمّا الحديث المشهور الذي رواه ثقة الاسلام في الكافي: عن عليّ بن ابراهيم، عن محمّد بن إسحاق الخفّاف، أو عن أبيه، عن محمّد بن إسحاق، قال: إنّ عبدالله الدّيصاني سأل هشام بن الحكم، فقال له: ألك ربّ؟ فقال: بلى، قال: أقادر هو؟ قال: نعم قادر قاهر، قال: أيقدر أن يدخل الدّنيا كلّها في بيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟ قال هشام:النظرة، فقال له: أنظرتك حولاً، ثمّ خرج عنه، فركب هشام إلى أبي عبدالله عليه السّلام فاستأذن عليه فأذن له، فقال: يا ابن رسول الله أتاني عبدالله الديصاني بمسألة ليس المعوّل فيها إلّا على الله وعليك، فقال أبو عبدالله عليه السّلام: عمّا ذا سألك، فقال: قال لي: كيت وكيت، فقال أبو عبدالله عليه السّلام: يا هشام كم حواسّك؟ قال: خمس، قال: أيّها أصغر؟ قال: الناظر، قال: وكم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسة أو أقلّ منها، فقال له: يا هشام فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى، فقال: أرى سماء وأرضاً ودوراً وقصوراً وبراريّاً وجبالاً وأنهاراً، فقال له أبو عبدالله عليه السّلام: إنّ الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقلّ منها، قادر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة، فأكبّ هشام عليه وقبّل يديه ورأسه ورجليه وقال: حسبي يا ابن رسول الله(١). والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

و مثله ما رواه رئيس المحدّثين في كتاب التوحيد بسنده إلى أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: جاء رجل إلى الرضا عليه السّلام فقال: هل يقدر ربّك أن يجعل السماوات والأرض ومابينهما في بيضة؟ قال: نعم وفي أصغر من البيضة قد جعلها

(١) الكافي: ج١ ص٧٩ ح٤.

....

الله في عينك وهي أقلّ من البيضة لأنّك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض ومابينهما ولوشاء لأعماك عنها(١).

فقال بعضهم: إنّ السؤال في ذلك وهو إدخال الكبير مع كبره في الصغير مع صغره، وإن كان من قبيل المتنافيين، فكان حقيقة الجواب عنه أن يقال: إنّ هذا أمر محال، والمحال غير مقدور عليه، إذ لا ذات له ولا شيئيّة، إلّا أنّه عليه السّلام عدل عنه إلىٰ ما ذكره لقصور الأفهام العاميّة عن إدراك ذلك الوجه، فالذي أفاده عليه السّلام وجه إقناعيّ مبناه علىٰ المقدّمة المشهورة لدىٰ الجمهور: انّ الرّؤية بدخول المرئيّات في العضو البصري فاكتفى في الجواب بهذا القدر لقبول الخصم له وتسليمه إيّاه، قال: والذي يدلّ على صحّة ما حملنا عليه غرض هذا الحديث مارواه في كتاب التوحيد عن أبي عبدالله عليه السّلام: قال: قيل لأميرالمؤمنين عليه السّلام: هل يقدر ربّك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن تصغر الدنيا و تكبر البيضة؟ فقال: إنّ الله تعالى لا ينسب إلى العجز والذي سألتني لا يكون(٢).

و هذا الحديث صريح في أنّ الذي سأله ذلك الرجل، ممتنع بالذات محال، والمحال لا شيئيّة له، فليس بمقدور والله على كلّ شيء قدير، ولو لم يكن معنىٰ الروايتين الأُوليين ما أوّلناهما به، لكان بين الأخبار تناقض، وجلّت أحاديثهم عليهم السّلام عن أن يناقض بعضها بعضاً، لعصمة الجميع عن الخطأ.

و مثل الحديث المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السّلام، ما رواه في كتاب التوحيد أيضاً بسنده عن أبي عبدالله عليه السّلام إنّه جاء رجل إلى أميرالمؤمنين عليه السّلام فقال له: أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا يصغّر الأرض ولا يكبّر البيضة؟

---

(١) التوحيد للصدوق: ص ١٣٠ ح١١.

(٢) التوحيد للصدوق: ص ١٣٠ ح٩.

....

فقال له: ويلك إنّ الله لا يوصف بالعجز، ومَن أقدر ممّن يلطف الأرض ويعظّم البيضة(١).

فدلّت هذه الرواية: على أنّ إدخال العظيم أو تعظيم الصغير بنحو التكاثف والتخلخل ومايجري مجراهما وأنّ تلطيف الأرض إلى حدّ تدخل في البيضة، أو تعظيم البيضة إلى حدّ تدخل فيها الأرض غاية القدرة.

و قال بعض المعاصرين: إنّ هذه الأحاديث كلّها متفقة، لا تنافي ولا تناقض فيها، وأنّ الجواب في كلّ منها بحسب ما يقتضيه المقام وحال السائل، وكلامهم عليهم السّلام أصله واحد وقد أُمروا أن يكلّموا الناس على قدر عقولهم.

و بيان ذلك: إنّ الحديثين الأوّلين يدلّان على ما دلّ عليه الحديثان الآخران على وجه لطيف ومعنى شريف، وتوضيحه: إنّ الظاهر من حال الديصاني في الحديث الأوّل: إنّه كان مناظراً مجادلاً كما يظهر من سياق كلامه مع مثل هشام بن الحكم، وجواب الإمام عليه السّلام له على هذا النحو يدلّ على أنّه كان يعلم أنّ ما سأل عنه محال، والقدرة لا تتعلّق بالمحال، لنقصه عن الإستعداد لتعلّق القدرة به، فعدوله عليه السّلام إلى ما يدلّ على كمال القدرة مع وجوده، وعدم لزوم المحال فيه، مع كونه نظيراً لما أراده السّائل فيه، تمام الفصاحة والبلاغة، والإلزام لمن عرف عليه السّلام من حاله أنّه يفهم ذلك، وحال هشام في فهمه كحال الديصاني، وإلّا فمثل هشام مع العلم بحاله لا يخفى عليه أنّ السائل أراد غيرما أجابه عليه السّلام به ولم يراجعه في ذلك لأجل دفع مايورده السائل من أنّه أراد غير ما تضمّنه الجواب.

و حاصل الكلام: إنّه عليه السّلام نبّهه أنّ الله سبحانه قادر على أن يدخل

---

(١) التوحيد للصدوق: ص ١٣٠ ح١٠

....

الدّنيا في البيضة مثل دخول ماتراه بناظرك في الناظر وهو بهذا القدر و. ذلك بحيث لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا، كما أنّ ما يراه الناظر يدخل تحت قدرته بحيث لا يكبر الناظر ولا يصغر ماينظره.

وعلى هذا النحو سا في الحديث الآخر من قول الرضا عليه السّلام «نعم وفي أصغر من البيضة قد جعلها الله في عينك وهي أصغر من البيضة»(١) ففيه تنبيه للسائل على كمال قدرته تعالى مما هو ممكن، وغير محال، وأنّ ماسأل عنه لا ينبغي أن يسأل عنه لما ذكر من كونه محالاً، فظهر كون الأحاديث كلّها متّفقة لا تنافي فيها، وإلّا فكيف يتصوّر أن يخفى على الإمام عليه السّلام ما أراده السائل حتّى يجيبه بغير مادلّ عليه سؤاله؟ ومع ذلك لا يفرق هشام والسائل بين السؤال والجواب، وينقل مثل هذا أجلّاء العلماء من غير تعرّض لدفع ماذكر؟ وما ذلك إلّا لفهمهم وجه ذلك، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «و إن عظم» (إن) هذه هي التي يسمّيها أكثر المتأخرين وصليّة ومتصلة، وذلك حيث وقع الشرط بها مدلولاً على جوابه بما قبله من الكلام، وكان ضدّ الشرط أولى بجزائه من الشرط كقولك: أكرمه وإن شتمني، فالشتم بعيد من الإكرام، وضدّه وهو المدح أولى بالإكرام، ومثله قوله: «وإن عظم» فإنّ كون الشيء عظيماً بعيد في الظاهر عن القدرة عليه، وضدّه وهو كونه لطيفاً أولى بالقدرة عليه، ومثل إن في ذلك (لو) المستعملة في معناها نحو: «اطلبوا العلم ولو بالصين»(٢).

و الواو، قيل: للعطف على محذوف، وهو ضدّ الشرط المذكور، أي لا تعجز عن

---

(١) التوحيد للصدوق: ص ١٣٠ ح١١.

(٢) روضة الواعظين: ص ١١ في فضل العلم.

....

شيء إن لم يعظم وإن عظم.

و قيل: للحال، والعامل فيها، ما تقدّم من الكلام والمعنىٰ: لا تعجز عن شيء والحال أنّه عظيم.

و قيل: الجملة: إعتراضيّة، والواو للإعتراض وهي قد تأتي بعد تمام الكلام.

و فيه: إنّه لا يفيد إدخال الواو حينئذٍ كون الجزاء أولىٰ من الشرط، فإنّ واو الإعتراض هي الإستئنافيّه كما جزم به بعضهم.

و عظم الشيء بالضمّ: خلاف صغر، عظماً كعنب، وعظامة فهو عظيم.

قوله ـ عليه السّلام ـ: «ولا يفوتها شيء و إن لطف» فاته الشيء فوتاً وفواتاً: ذهب عنه، ولطف كعظم، لطفاً بالضم، ولطافة: صغر حجمه ودقّ فهو لطيف، أي لا يذهب عن قدرته شيء لصغره ودقّته كما لا يعجزها شيء لعظمه وكبره، بل هو علىٰ كلّ شيء قدير عظيماً كان أو لطيفاً، لعموم قدرته جلّ شأنه وعزّ سلطانه.

إكمال

قال بعضهم: الأولىٰ في إثبات عموم قدرته تعالىٰ و نحوه من المطالب التي لا يتوقف إرسال الرسول عليها بالأدلّة السمعيّة فيستدلّ علىٰ شمول القدرة بقوله تعالى: «وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(١).

و اعترض المحقّق الدواني(٢) بأنّ كون شمول القدرة ممّا لا يتوقّف عليه إرسال

---

(١) سورة الحشر: الآية ٦.

(٢) هو المولى جلال الدين محمد بن سعد الدواني الحكيم الفاضل، صاحب أنموذج العلوم، وشرح على متن التهذيب. وحاشية على شرح التجريد للفاضل القوشجي، وله رسالة نور الهداية وهي مصرّحة بتشيّعه كانت وفاته حدود سنه ٩٠٧ او ٩١٨ هجرية. والدواني نسبة إلى دوان من قرى كازرون في بلاد فارس.

الكنىٰ و الألقاب ج٢ ص ٢٠٦

....

الرسول، مسلّم إذ لو فرض قدرته على الإرسال فقط لكفى في صدور الإرسال عنه، لكن إثبات إرسال الرسول ممّا يتوقّف على شمول القدرة، إذ طريق إثباته: إنّ المعجزة فعل الله تعالى خارق للعادة وقد صدر عنه حال دعوى النبوّة، وإذا خالف الفاعل المختار عادته حين إستدعاء النبيّ تصديقه بأمر يخالف عادته دلّ ذلك على تصديقه قطعاً، وهذا يتوقّف على كونه فعلاً له، وكونه فعلاً له مثبت بشمول القدرة إذ لا دليل لنا على أنّ خصوص المعجزة فعل الله تعالى ومقدوره وإن زعمه المعتزلة، واحتمال وجوده لا يجدي نفعاً فلا يتمّ هذا القول.

و أورد أنّه لا يكفي في ثبوت المعجزة كون الأمر الخارق للعادة فعل الله تعالى بل يتوقّف على العلم بأنّ الله تعالى لا يصدق الكاذب، وهم لا يقولون بالحسن والقبح العقليّين، فيتوقّف على إخبار الرسول بذلك فيدور أيضاً.

و من الأدلّة العقليّة على عموم القدرة إنّ علّة المقدوريّة عامّة في جميع الممكنات فالقدرة عامّة في جميعها، أمّا أنّ علّة المقدوريّة عامّة في جميعها فلأنّ علّتها الإمكان، وهو وصف مشترك في جميع الممكنات، فيكون جميعها مقدوراً له تعالى.

قال جدّنا العلامة نظام الدين احمد قدّس سرّه: لو تم هذا الدليل لدلّ على أنّ قدرة العباد أيضاً عامّة، فإنّ الإمكان علّة للمقدوريّة على الممكن للعبد أيضاً، وإذا كانت علّة المقدوريّة عامّة في جميع الممكنات كانت قدرته أيضاً عامّة ولا قائل به أصلاً، والمشهور في الإستدلال على ذلك: إنّ المقتضي للقدرة، هو الذات، والمصحح للمقدوريّة هو الإمكان، فإنّ الوجوب والإمتناع يحيلان المقدوريّة ونسبة الذات إلى جميع الممكنات على السواء، فإذا ثبتت قدرته على بعضها ثبتت على كلّها. لكن هذا إنّما يتمّ إذا لم تكن الممكنات حال العدم ممتازة بعضها عن بعض ولا يكون لها مادّة كما هو مذهب الأشاعرة، بل المحقّقين من المتكلّمين. أمّا على القول بأنّ لها إمتيازاً حال العدم بأن يكون لها ثبوت دون الوجود فتكون ممتازة

....

بعضها عن بعض حال العدم كما هو مذهب المعتزلة القائلين بالوجود الذهني، وأنّ الموجودات الذهنيّة لها ثبوت دون الوجود، فيجوز أن يكون خصوصيّة بعض الممكنات في حال العدم مانعة عن تعلّق قدرته تعالىٰ به، فلا تكون نسبة الذات إلىٰ الجميع على السواء، وكذا على القول بأنّ لها مادّة كما هو مذهب الحكماء إذ يجوز أن تكون تلك المادّة معدّة لبعض الممكنات دون بعض، فما أعدّته المادّة كان مقدوراً له تعالىٰ دون غيره، فلا تتساوىٰ نسبة الذات إليها أيضاً على هذا القول. أمّا إذا لم تكن الممكنات حالة العدم ممتازة بعضها عن بعض ولم تكن لها مادّة كانت نسبة الذات إلى جميعها على السواء فيثبت عموم القدرة عليها.

قال جدّنا العلامة المذكور (قدّس سرّه): ويرد عليه أنّه على تقدير عدم ثبوت الممكنات حال العدم، وعدم المادّة أيضاً، يجوز أن يقال: لمّا كانت تلك الممكنات معلومة للواجب تعالىٰ في الأزل، كانت ممتازة بعضها عن بعض بحسب علمه، فيمكن أن يقال: لم لا يكون خصوصيّة بعضها في علمه تعالىٰ مانعة عن تعلّق قدرته به، فلا تكون نسبة الذات الىٰ جميعها على السواء لابدّ لنفي ذلك من دليل. إنتهى(١)، فتأمّل.

و الحقّ: إنّ المعوّل في ذلك على الدليل السمعي و إجماع الأنبياء عليهم السّلام الذين علموا ذلك بالوحي والعلم الشهودي، كما قال تعالىٰ مخاطباً لخاتم أنبيائه عليه وعليهم السّلام: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(٢).

و لزوم الدور، إنّما يرد على كون معرفة صدق النبي بالمعجزة موقوفاً على العلم بعموم القدرة، لكن العلم الضروري العادي يحصل بمجرّد ظهور المعجزة على صدقه

---

(١) انتهى كلام نظام الدين احمد.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

فَخَتَمَ بِنا عَلىٰ جَميعِ مَنْ ذَرأَ وَ جَعَلَنا شُهَدآءَ عَلىٰ مَنْ جَحَدَ وَ كَثَّرَنا بِمَنِّهِ عَلىٰ مَنْ قَلَّ.

كما جزم به جدّنا الأعظم غياث الحكماء في رسالته: دليل الهدى، ووافقه عليه بعض المحقّقين، فيحصل العلم بالقدرة والعلم وعمومهما من أخبارهم عليهم السّلام. فاعرف ذلك وابن عليه أمثال هذه المطالب فإنّه السبيل الذي لا يضلّ بسلوكه الطالب، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل *.

ختم الكتاب، من باب ضرب، وختم عليه ختماً: وضع عليه الخاتم وهو الطابع(١).

و الباء: للسببيّة. قال ابن مالك في شرح التسهيل: وهي الداخلة على صالح للإستغناء به عن فاعل معدّاها مجازا نحو: «فَأخْرِجْ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ»(٢) فلو قصد اسناد الإخراج إلى الهاء لحسن، ولكنه مجاز، قال: ومنه: كتبت بالقلم، وقطعت بالسكّين، فإنّه يقال: كتب القلم وقطعت السكّين. والنحويّون يعبّرون عن هذه الباء، بالإستعانة، وآثرت على ذلك التعبير بالسّببيّة، من أجل الأفعال المنسوبة إلى الله تعالىٰ، فإنّ إستعمال السببيّة فيها يجوز وإستعمال الإستعانة لا يجوز(٣).

و ذرأ الله الخلق ذرأً بالهمز من باب نفع: خلقهم.

قال ابن الأثير: و كأنّ الذرء مختص بخلق الذريّة (٤) إنتهىٰ.

و الذريّة مثلّثة: نسل الثقلين. والمعنى: إنّه تعالى جعلنا آخر جميع من خلق، من الأنبياء وأممهم كما قال تعالى: «وَإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلّا خَلا فِيها نَذيرٌ»(٥) فختمهم بنا، فلا

---

(١) الطابع: بفتح الباء و كسرها: ما يطبع به. المصباح المنير: ص٥٠٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢.

(٣) لا يوجد هذا الكتاب لدينا.

(٤) النهاية لابن الأثير ج٢ ص ١٥٦. (٥) سورة فاطر: الآية ٢٤.

....

أمة بعدنا يرسل إليها رسول كما أنّ نبيّنا صلّى الله عليه وآله، خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا أحد ينبئ بعده ولا يقدح فيه نزول عيسىٰ عليه السّلام بعده، لأنّه ممّن نبّئ قبله وحين ينزل إنّما ينزل عاملاً علىٰ شريعة محمّد صلّى الله عليه وآله مصلّياً إلى قبلته كأنّه بعض أُمته.

قوله عليه السّلام: «و جعلنا شهداء على من جحد» الشهداء: جمع شهيد، فعيل بمعنى فاعل من شهد على الشيء: اطّلع عليه وعاينه، فهو شهيد وشاهد.

و جحده حقه يجحده جحداً و جحوداً، من باب منع: أنكره، ولا يكون إلّا علىٰ علم من الجاحد به، وفي هذه الفقرة إشارة إلى قوله تعالى: «وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً»(١).

و الوسط في الأصل: اسم لما تستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة، ثم استعير للخصال المحمودة البشريّة، لكن لا لأنّ الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محوّطة كما قيل، فإنّ تلك العلامة بمعزل من الإعتبار في هذا المقام، إذ لا ملابسة بينها وبين أهليّة الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور، بل كون تلك الخصال، أوساطاً للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط، كالعفّة التي طرفاها: الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها: التهوّر والجبن، وكالحكمة التي طرفاها: الجربزة والبلادة، ثمّ اطلق على المتّصف بها مبالغة كأنّه نفسها، وسوّى فيه بين المفرد والجمع والمذكّر والمؤنّث رعاية لجانب الأصل كساير الأسماء التي يوصف بها، أي جعلناكم متصفين بالخصال الحميدة، خياراً، عدولاً، مزكّين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بأنّ الله تعالىٰ قد أوضح السبل فأرسل الرسل فبلّغوا ونصحوا إذكنتم واقفين على الحقايق المودعة في الكتاب المبين

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

....

المنطوي على أحكام الدين وأحوال الأمم أجمعين حاوياً لشرايط الشهادة عليهم.

روي: انّ الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء عليهم السّلام فيطالب الله تعالى الأنبياء بالبيّنة عليهم على أنّهم قد بلّغوا، وهو أعلم للحجة على الجاحدين وزيادة لخزيهم، فيؤتى بأُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله فيشهدون. فيقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: عرفنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيّه الصادق، فيؤتى عند ذلك بمحمّد صلّى الله عليه وآله ويُسئل عن أمته فيزكّيهم ويشهد بعدالتهم، وذلك قوله تعالى: «وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» ومن الحكمة في ذلك، تميز أُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله في الفضل عن ساير الأُمم حيث يبادرون إلى تصديق الله وتصديق جميع الأنبياء والإيمان بهم جميعاً، فهم بالنسبة إلى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق فلذلك تقبل شهادتهم على الأُمم، ولا تقبل شهادة الأُمم عليهم(١).

و إنّما لم يقل: و يكون الرسول لكم شهيداً، مع أنّ شهادته لهم لا عليهم؟ لما في الشهيد من معنى الرقيب، مثل: «وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»(٢) مع رعاية المطابقة للأول وتقديم الظرف، للدلالة على اختصاص شهادته عليه السّلام بهم.

و قيل: إنّ هذه الشهادة في الدنيا و ذلك أنّ الشاهد في عرف الشرع: من يخبر عن حقوق الناس بألفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة فكلّ من عرف حال شخص فله أن يشهد عليه، فإنّ الشهادة: خبر قاطع، وشهادة الأُمة لا يجوز أن تكون موقوفة على الآخرة لأنّ عدالتهم في الدنيا ثابتة بدليل «جعلناكم» بلفظ الماضي،

---

(١) انوار التنزيل للبيضاوي: ج١ ص٨٧ مع احتلاف يسير في العبارة وتفسير النيسابوري في هامش تفسير الطبري ج٢ ص١٢.

(٢) سورة البروج: الآية ٩.

....

فلا أقلّ من حصولها في الحال، ثمّ رتّب كونهم شهداء على عدالتهم، فيجب أن يكونوا شهداء في الدنيا.

فإن قيل: لعلّ التحمّل في الدنيا ولكن الأداء في الآخرة.

قلنا: المراد في الآية الأداء لأنّ العدالة إنّما تعتبر في الأداء لا في التحمّل، ومن هنا يعلم أنّ إجماعهم حجّة لا بمعنى أنّ كلّ واحد منهم محقّ في نفسه بل هيئتهم الإجتماعيّة تقتضي كونهم محقّين، وهذا من خواصّ هذه الأُمّة.

ثمّ لا يبعد أن يحصل لهم مع ذلك الشهادة في الآخرة فيجري الواقع منهم مجرى التحمّل لأنّهم إذا بيّنوا الحقّ عرفوا عنده من القابل ومن الرادّ ثمّ يشهدون بذلك يوم القيامة كما أنّ الشاهد على العقود يعرف ما الذي تمّ، ثمّ يشهد بذلك عند الحاكم أو يكون المعنى: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصحّ إلّا بشهادة العدول الأخيار.

قال النيسابوري: قيل: الآية متروكة الظاهر، لأنّ وصف الأُمة بالعدالة يقتضي إتّصاف كلّ واحد منهم بها، وليس كذلك، فلابدّ من حملها على البعض، فنحن نحملها على الائمة المعصومين سلّمناه، لكن الخطاب في جعلناكم للموجودين عند نزول الآية، لأنّ خطاب من لا يوجد محال، فالآية تدلّ على أنّ إجماع أولئك حقّ لكنّا لا نعلم بقاء جميعهم بأعيانهم إلى ما بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وآله فلا يثبت صحّة الإجماع وقتئذٍ.

و أُجيب: بأنّ حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس إلى غيره، فلِمَ لا يجوز أن لا يكون الشخص مقبول القول عند الإنفراد، ويكون مقبول القول عند الإجتماع والخطاب لجميع الأُمة من حين نزول الآية إلى قيام السّاعة كما في سائر التكاليف مثل: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ» «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ» فللموجودين بالذات وللباقين بالتبعيّة، لكنّا لو اعتبرنا أوّل الأُمة وآخرها بأسرها لزالت فائدة

....

الآية إذ لم يبق بعد إنقضائها من تكون الآية حجّة عليه، فعلمنا أنّ المراد بها أهل كلّ عصر، ثمّ إنّ الله تعالى منَّ على هذه الأمّة أن جعلهم خياراً وعدولاً عند الإجتماع، فلو أمكن إجتماعهم على الخطأ لم يكن بينهم وبين سائر الأمم فرق في ذلك فلا منّة(١) إنتهى.

قلت: أمّا عدم إجتماعهم على الخطأ فسلّم، لكن لا من حيث عصمتهم حال إجتماعهم عن الخطأ كما يزعمه المخالفون القائلون بجواز الخلوّ عن المعصوم، بل من حيث دخول المعصوم فيهم، لأنّ تحقّق الإجماع كاشف عن دخوله، والمسألة مستوفاة في كتب الأصول.

هذا والحقّ: انّ المراد بالشهادة، الشهادة في الآخرة، وبالشهداء الائمة المعصومين عليهم السّلام، لما روي عن الصادق عليه السّلام: إنّه قال: ظننت أنّ الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين، أفترى أنّ من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلاّ لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعني الأمّة الّتي وجبت لها دعوة إبراهيم «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» وهم الائمة الوسطى وهم خير أمة أُخرجت للنّاس(٢)

و روى الحاكم أبوالقاسم الحسكاني(٣) في كتاب شواهد التنزيل: باسناده عن

---

(١) تفسير النيسابوري: ج١ ص١٦١.

(٢) تفسير العياشي: ج١ ص ٦٣ ح١١٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) هو أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن أحمدبن محمد بن حسكان القرشي العامري النيسابوري ـ ويُعرف بابن الحذاء ـ شيخ متقن ذو عناية تامة بعلم الحديث، عمّر وعلا أسناده، وصنّف في الأبواب وجمع، وتوفي بعد تسعين وأربع مائة، له كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، وتبلغ عدد تصانيفه مائة مصنّف تقريباً.

أُنظر مقدمة كتاب شواهد التنزيل

....

سليم بن قيس الهلالي، عن عليّ عليه السّلام: إن الله تعالىٰ إيّانا عنى بقوله: «لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ» فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه وحجّته في أرضه، ونحن الذين قال الله تعالى: «وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ اُمَّةً وَسَطاً»(١).

و روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده، عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام قوله: «وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ اُمَّةً وَسَطاً لَتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ» قال: نحن الأُمّة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجّته في أرضه»(٢).

و بسنده، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: نحن الشهداء على الناس بماعندهم من الحلال والحرام وبما ضيّعوا منه(٣).

و على هذا فالضمير في جعلنا، من قوله «وَ جَعَلَنا شهداء على من جَحَد» للأُمّة بإعتبار بعضهم الذين هم الائمة عليهم السّلام.

قال بعض العلماء: فإن قلت: ما حقيقة هذه الشهادة وما فائدتها مع أنّ الله تعالى عالم الغيب والشهادة؟

قلت: أمّا حقيقتها: فيعود إلىٰ إطّلاعهم صلوات الله عليهم علىٰ أفعال الأُمّة، وبيان ذلك: إنّ للنفوس القدسيّة الإطّلاع على الأمور الغيبيّة والإنتقاش بها مع كونها في جلابيب من أبدانها، فكيف بها قبل ملابستها لها و بعد مفارقتها لهذا العالم والجسم المظلم، فإنّها إذن تكون مطّلعة علىٰ أفعال جميع الأمم ومشاهدة لها من خير وشر

و أمّا فائدتها: فقد علمت أنّ أكثر أحكام الناس وهمية، والوهم منكر للاله على الوجه الذي هو الإله، فبالحري أن ينكر كونه عالماً بجزئيات أفعال عباده ودقائق

---

(١) شواهد التنزيل للحسكاني: ج١ ص ٩٢ ح١٢٩.

(٢) الكافي ج١ ص ١٩١ ح٤ وفيه: عن بريد العجلي وفي بصائر الدرجات ص٨٢ ح٣.

(٣) ما وجد في الكافي ولكن في بصائر الدرجات ص٨٢ ح١، وتفسير نورالثقلين ج١ ص١٣٣.

....

خطرات أوهامهم، وظاهر أنّ ذلك الإنكار يستتبع عدم المبالاة بفعل القبيح والإنهماك في الأُمور الباطلة التي نهىٰ الله تعالىٰ عنها، فإذا ذكرلهم أنّ عليهم شهداء ورقباء وكتّاباً لما يفعلون مع صدق كلّ ذلك بأحسن تأويل، كان ذلك ممّا يعين العقل على كسر النفس الأمّارة بالسوء، وقهر الأوهام الكاذبة، ويردع النفس عن متابعة الهوىٰ، وإذا كان معنىٰ الشهادة، يعود إلى إطلاع الشاهد على ما في ذمّة المشهود عليه وعلمه بحقيقته وفائدتها حفظ ما في ذمّة المشهود عليه، وتخوّفه إن جحد، أولم يوصله إلى مستحقّه أن يشهد عليه الشاهد فيفضحه وينزع منه علىٰ أقبح وجه، وكان المعنىٰ والفائدة قائمين في شهادة الائمة عليهم السّلام إذ بها تحفظ أوامر الله وتكاليفه التي هي حقوقه الواجبة،ويحصل الخوف للمقصّرين فيها بذكر شهادتهم عليهم بالتقصير فينتضحوا في محفل القيامة ويستوفي منهم جزاء ما كلفوا به فقصّروا فيه بالعقاب الأليم، لا جرم ظهر معنىٰ كونهم شهداء الله على خلقه.

قوله عليه السّلام: «و كثّرنا بمنّه على من قلّ» كثرت الشيء تكثيراً وأكثرته إكثاراً: جعلته كثيراً، أي: جعلنا كثيرين وافرين العدد، دون سائر الأمم الذين هم قليلون بالنسبة إلينا، وعدّى كثّر بـ(علىٰ) لتضمينه معنى التفضيل، كأنّه قال: كثّرنا بمنّه مفضّلاً لنا على من قلّ.

و تكثيرنا، إمّا بإعتبار كون شرعه عليه السّلام مؤبّداً إلى يوم القيامة، فتكون أُمته مستمرة لا إنقطاع لها إلى إنقضاء الدنيا، بخلاف سائر الأُمم، أو باعتبار شمول رسالته إلى العرب والعجم والإنس والجنّ، أو باعتبار البركة في النسل كما قال صلّى الله عليه وآله: «تناكحوا تناسلوا فإنّي مكاثربكم الأُمم يوم القيامة»(١)،

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ص٩٦ ح١٤ مع اختلاف يسير في العبارة وهكذا في دعائم الاسلام: ج٢ ص١٩١ ح٦١٩.

....

أو باعتبار بقاء معجزه الذي هو القرآن إلى آخر الدهر.

و بالجملة، فقد عدّ العلماء من خصائصه عليه السّلام، كونه أكثر الأنبياء تابعاً. وروي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ انّه قال: «ما من الأنبياء نبيّ إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أُوتيت وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أنّي أكثرهم تابعاً يوم القيامة»(١). وهذا الخبر يؤيّد الإعتبار الأخير.

و فُسّر قوله تعالى: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ»(٢) بالكثير من أولاده وأتباعه ـ عليه السّلام ـ.

و يحتمل: أن يراد بالكثرة: الثروة، وبالقلّة: الفقر، يقال: رجل مُكثر، إذا كان ذامال، كما يقال: رجل مُقِلّ، إذا كان فقيراً، أي: جعلنا مكثرين موسرين، فائقين على من كان فقيراً مُقلاً.

و يحتمل أن يراد بهما: العزّة والذلّة، إذ كان من الشائع أن يكنّى بالكثرة عن العزّة، وبالقلّة عن الذلّة، أي: أعزّنا على من ذلّ.

قال الزجّاج في قوله تعالى: «وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ»: يحتمل كثرة العدد بعد القلّة، وكثرة العُدَد بعد النزارة، وكثرة القدرة والشدّة بعد الضعف والذلّة(٣).

و قال الزمخشري: «أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلاً عددكم فكثّركم الله ووفّر عددكم، ويجوز إذ كنتم فقراء مقلّين فكثّركم فجعلكم مكثرين موسرين، أو كنتم أقلّة أذلّة فأعزّكم بكثرة العَدد والعُدد»(٤).

---

(١) مسند احمد بن حنبل: ج٢ ص ٣٤١ و٤٥١ مع اختلاف يسير.

(٢) سورة الكوثر: الآية ١.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج١٤ ص١٧٥.

(٤) الكشاف: ج٢ ص ١٢٨.

اَللّٰهُمَّ فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ اَمينِكَ عَلىٰ وَحْيِكَ وَ نَجيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَ صَفِيِّكَ مِنْ عِبادِكَ .

أصل اللّهُمّ يا الله، حذف حرف النداء وعوّض عنه الميم، ولذلك لا يجمع بينهما إلّا ضرورة كقول الشاعر:

إنّي إذا ما حَدَثٌ ألمّا أقول يا اللّهُمّ يا اللّهُمّا(١)

و انّما أُخّرت الميم تبرّكا باسمه تعالى، وخصّت بذلك دون غيرها لأنّ الميم عهد زيادتها آخراً، كميم زرقم للشديد الزرقة، هذا مذهب البصريّين وذهب الكوفيّون إلىٰ أنّ الميم ليست عوضاً، بل بقيّة من جملة محذوفة وهي: أُمَّنَا بخير.

قال الرضي: و ليس بوجه لأنّك تقول: اللّهم لا تؤمّهم بخير(٢).

و قال أبو علي: و لأنّه لو كان كما ذكر لما حسن، اللّهم أُمَّنَا بخير، وفي حسنه دليل على أنّ الميم ليست مأخوذة منه، إذ لو كان كذلك لكان تكريراً(٣).

و قال بعضهم: أصل اللّهمّ: يا الله المطلوب للمهمّ، فحذف حرف النداء لدلالة الطلب والإهتمام عليه مع قيامه مقامه، ثمّ اقتصر من لفظي الصّفتين بأوّل الأوّل وآخر الثاني وأُدغم أحدهما في الآخر.

قوله عليه السّلام: «أمينك على وحيك» الأمين: فعيل من الأمانة، فهو إمّا بمعنى مفعول أي: مأمون من أمنه كعلمه، إذا استأمنه، أو بمعنىٰ فاعل من أمن هو ككرم فهو أمين.

و الوحي في اللغة: الإشارة والرساله والكتاب والإلهام وكلّ ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه فهو وَحْي كيف كان. وهو مصدر وَحَى إليه يَحِي من باب وعد، وأوحىٰ إليه بالألف مثله، وهي لغة: القرآن الفاشية، ثم غلب إستعمال الوحي فيما

---

(١) و (٢) شرح الكافية في النحو للرضي: ج١ ص١٤٦.

(٣) لم نعثر عليه.

....

يُلقىٰ إلىٰ الأنبياء من عندالله، والمراد بكونه أميناً على وحيه تعالىٰ: قوّته على ما كلّف به من ضبط الوحي في ألواح قواه الشريفة بحكم الحكمة الإلهيّة بها عليه، وكمال إستعداد نفسه الطاهرة لأسرار الله وعلومه، وحكمه، وحفظه لها، عن ضياعها، وصيانتها عن تدنّسها بأذهان غير أهلها، وعدم تطرّق تبديل أو زيادة أو نقصان إليها، إذ كان من شأن الأمين قوّته على ضبط ما يستأمن عليه، وإستعداده له وحفظه وصيانته عن التلف والأدناس والتبديل والزيادة والنقصان، ولهذا السرّ كانت العرب تسمّيه بالأمين قبل مبعثه لما شاهدوه من أمانته، وشهر بهذا الاسم قبل نبوّته و بعدها.

قوله-عليه السّلام-:«و نجيبك من خلقك» النجيب: الكريم النفيس في نوعه، فعيل بمعنى فاعل، من نَجُبَ ككَرُمَ نجابَة، ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول أي: اللُّباب الخالص الذي انتجبته من خلقك من قولهم: نجبت العُود من باب ضَرَب وقتل، وانتجبته؛ إذا قشرت نجَبَه بالتّحريك وهو: لحاؤه وقشره وتركت لبابه وخالصه.

و في حديث ابن مسعود: الأنعام، من نجائب القرآن أو نواجب القرآن(١).

قال في القاموس: نجائب القرآن: أفضله ومحصنه، ونواجبه؛ لُبابه الذي عليه نجب(٢).

و في نسخة ابن إدريس: نجيّك من خلقك بالياء المثناة من تحت مشدّدة بعد الجيم، وهو فعيل من النجوى بمعنى السرّ، يقال: ناجيته أي ساررته، وهو نجيّ فلان: مناجيه دون أصحابه.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٧.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي: ج١ ص ١٣٠ وفيه: (ليس عليه نجب).

....

و قال ابن الأثير في النهاية في حديث الدّعاء: «اللّهمّ بمحمّد نبيّك وموسى نجيّك» هو المناجي المخاطب للإنسان والمحدّث له، يقال: ناجاه يناجيه مناجاة فهو مناج، والنجيّ فعيل منه، وقد تناجيا مناجاة وإنتجاء ومنه: الحديث: «لايتناجى اثنان دون الثالث» وفي رواية: «لا ينتجي اثنان دون صاحبهما» أي لايتساران منفردين لأنّ ذلك ليسوؤه ومنه: حديث عليّ عليه السّلام: «دعاه رسول الله -صلّى الله عليه وآله- يوم الطائف فانتجاه فقال النّاس لقد أطال نجواه فقال: ما انتجيته ولكن الله انتجاه، أي إنّ الله أمرني أن أُناجيه»(١) إلى هنا كلام ابن الأثير.

قوله-عليه السّلام-:«وصفيّك من عبادك» الصفيّ إمّا بمعنى المصطفىٰ أي المختار، ومنه الصفي والصفيّة لما يختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة، أو بمعنىٰ الحبيب المصافي من صافاه الودّ والإخاء: صدّقه كأصفاه، يُقال: هو صفي من بين إخواني.

قال ابن الأثير: «هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول»(٢) وانتجاب الله تعالى وإصطفاؤه له عليه السّلام وكذلك مصافاته له يعود إلى إفاضة الكمال النبويّ عليه بحسب ماوهبت له العناية الإلهيّة من القبول والإستعداد ويحتمل أن يكون المراد باصطفائه تعالى له عليه السّلام جعله صفوة خلقه وعباده أي خيرتهم كما قال-صلّى الله عليه وآله-:«إن الله اصطفىٰ من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفىٰ من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(٣).

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٢٥ مع اختلاف يسير.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص ٤٠.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج١ ص ٨٢.

إِمَامِ الرَّحْمَةِ وَ قَائِدِ الْخَيْرِ وَ مِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ.

و في هذا المعنىٰ أخبار أُخر سيأتي ذكر بعضها في الروضة السادسة إن شاء الله تعالىٰ *.

بدل من محمّد، أو عطف بيان عليه، و الإمام: ما يقتدى به من رئيس أو غيره فيطلق على الخليفة، والعالم المقتدى به، ومن يؤتمّ به في الصلاة، ويستوي فيه المذكّر والمؤنّث، قال بعضهم: وربما أُنّث إمام الصلاة فقيل: إمرأة إمامة، وقيل: الهاء فيها خطأ والصواب حذفها لأنّ الإمام اسم لا صفة، وقال بعضهم: لا يمتنع أن يقال: إمرأة إمامة لأنّ في الإمام معنى الصفة.

و الرّحمة قيل: هي ميل القلب إلى الشفقة علىٰ الخلق والتّلطف بهم.

و قيل: هي إرادة إيصال الخير إليهم، وإضافة الإمام إليها، إمّا بمعنىٰ اللّام الاختصاصيّة، أي إمام للرحمة، والمعنى: الإمام المختصّ بالرحمة، أو بمعنى (من) البيانيّة أي إمام من جنس الرحمة، والمعنى: الإمام الذي هو الرحمة كأنّه نفس الرحمة مبالغة، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ»(١).

قال أهل العربيّة: يجوز أن تكون رحمة، مفعولاً له أي لأجل الرحمة، وأن تكون حالاً مبالغة في أن جعله نفس الرحمة، وإمّا على حذف مضاف أي ذا رحمة، أو بمعنىٰ راحم. وفي الحديث: «أنا نبيّ الرحمة»(٢) وفي آخر: «إنّما أنا رحمة مهداة»(٣).

وتفصيل هذه الرحمة من وجوه:

أحدها: أنّه الهادي إلى سبيل الرشاد، و القائد إلىٰ رضوان الله سبحانه، وبسبب هدايته يكون وصول الخلق إلىٰ المقاصد العالية ودخول جنّات النعيم التي هي غاية الرحمة.

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) مسند احمد بن حنبل: ج٤ ص ٣٩٥ فيه زيادة.

(٣) مجمع البيان: ج٧ ٨ ص٦٧.

....

الثاني: أنّ التكاليف الواردة على يديه أسهل التكاليف وأخفّها على الخلق بالنّسبة إلى سائر التكاليف الواردة على أيدي الأنبياء السّابقين لأممها. قال عليه السّلام: «بعثت بالحنيفيّة السهلة السمحة»(١) وذلك عناية من الله تعالى ورحمة اختص بها أُمّته على يديه.

الثالث: أنّه ثبت أنّ الله تعالى يعفو عن عصاة أُمّته ويرحمهم بسبب شفاعته.

الرابع: أنّه سأل الله أن يرفع عن أُمّته بعده عذاب الإستيصال، فأجاب الله دعوته ورفع العذاب رحمة.

الخامس: أنّ الله وضع في شرعه الرّخص تخفيفاً ورحمة لأُمّته.

السادس: أنّه عليه السّلام رحم كثيراً من أعدائه كاليهود والنصارى والمجوس، برفع السيف عنهم وبذل الأمان لهم وقبول الجزية منهم. وقال صلّى الله عليه وآله: «من آذى ذمّياً فقد آذاني»(٢) ولم يقبل أحد من الأنبياء الجزية قبله.

السابع: أنّ الله تعالى أخّر عذاب من كذّبه إلى الموت، أو القيامة كما قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ»(٣) وكلّ نبيّ من الأنبياء قبله كان إذا كذب أهلك الله من كذبه إلى غير ذلك من الوجوه التي لا تكاد تحصى كثرة.

فإن قلت: كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف وإستباحة الأموال حتّى قال في حديث آخر: «أنا نبيّ الملحمة»(٤) أي القتال.

قلت: إنّما جاء بالسيف لمن جحد وعاند وأراد خفض كلمة الله ولم يتفكّر ولم

---

(١) مسند احمد بن حنبل: ج٥ ص٢٦٦ وليس فيه لفظة: [السهلة].

(٢) لم نعثر عليه. بل وجدنا قريباً منه وإليك نصه: «من آذى ذمّياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة» الجامع الصغير: ج٢ص١٥٨.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٣.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ج٤ ص ٣٩٥ و٤٠٤.

....

يتدبّر، ألا ترى إنّه كان عليه السّلام لا يبدأ أحداً بقتال حتّى يدعوه إلى الله وينذره، ومن أسماء الله تعالى الرحمن الرحيم، ثمّ هو المنتقم من العصاة فلا شكّ إنّه عليه السّلام كان رحمة لجميع الخلق، للمؤمنين بالهداية وغيرها، وللمنافقين بالأمان، وللكافرين بتأخير العذاب، فذاته عليه السّلام رحمة تعمّ المؤمن والكافر.

و روي إنّه صلّى الله عليه وآله قال لجبرئيل لما نزل عليه بقوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ»: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم كنت أخشى سوء العاقبة فأمنت إن شاء الله بقوله تعالى: «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ»(١).

قوله عليه السّلام: «و قائد الخير» قاد الدابة قوداً، من باب قال، وقياداً: إذا تقدّمها آخذاً بقيادها وهو خلاف السّوق، ومنه: قائد الجيش لأميرهم كأنّه يقودهم، وجمعه: قادة وقوّاد. وقد يقال للدليل أيضاً: قائد بهذا الإعتبار.

و الخير، قيل: هو شيء من أعمال القلب نوراني زائد على الإيمان وغيره من الصفات المرضيّة، يدلّ على ذلك ما في حديث أنس: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن مثقال درّة»(٢).

و قيل: هو الوجود و يطلق على غيره بالعرض، و هو إمّا خير مطلق كوجود العقل لأنّه خير محض لا يشوبه شرّ و نقص، وإما خير مقيّد، كوجود كلّ من الصفات المرضيّة.

و قيل: هو ما يطلبه و يؤثره و يختاره كلّ عاقل، وهو ينقسم: إلى خير بالذات وخير بالعرض.

---

(١) مجمع البيان: ج٧-٨ ص ٦١ مع اختلاف يسير.

(٢) صحيح البخاري: ج١ ص ١٧ مع اختلاف يسير.

....

فالأوّل: هو الحقيقي و مرجعه إلى الوجود البحت، والموجود بما هو موجود كالعلم، والإيمان الحقيقيّين.

و الثاني: ما هو وسيلة إلى الأوّل، كالعبادة، و الزهد.

و قيل: هو ما يتشوّقه كلّ أحد بلا مثنويّة وهو المختار من أجل نفسه، والمختار غيره لأجله فإنّ الكلّ يطلبه بالحقيقة الخير وإن كان قد يعتقد في الشرّ أنّه خير فيختاره، فمقصده الخير ويضادّه الشرّ وهو المجتوَى من أجل نفسه، والمجتوى غيره من أجله.

و الحقّ: إنّ الخير، كلّيّ، يندرج تحته جميع الأعمال الصالحة كما يدلّ عليه قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «إفعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً، فإنّ صغيره كبير، وقليله كثير»(١) ويؤيّده: ما في بعض الأخبار: يخرج منها أي: من جهنّم ـ قوم لم يعملوا خيراً قط(٢) وهؤلاء الذين ليس معهم إلا الإيمان إنتهى.

و يقابله، الشرّ، فيكون كلّيّاً يندرج تحته جميع الأعمال السيّئة، وإضافة القائد إلى الخير من إضافة الفاعل إلى المفعول، وفيه إستعارة لطيفة، فإنّ القائد لمّا كان من شأنه أن يقود الدابّة حتّى يصل بها إلى الموضع المقصود، وكان عليه السّلام قد جاء بالخير وأوصله إلى الخلق، لا جرم حسنت إستعارة القائد له.

قوله عليه السّلام: «و مفتاح البركة» المفتاح: ما يفتح به المغلاق، والمفتح مثله، وكأنّه مقصور من الأوّل، وجمع الأوّل: مفاتيح، والثاني: مفاتح بغير ياء.

و البركة محرّكة: النماء والزيادة والسعادة، وفيه إستعارة بديعيّة جدّاً، وذلك: إنّ الكفر والضلال لمّا كانا ما نعين من نماء الأعمال وسعادة الدارين، شبّههما بالمغلاق

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج٥، ص ٤٤٧، ح٣٩٧.

(٢) الترغيب و الترهيب: ج٤ ص ٤١٢ ح ٥٩.

كَما نَصَبَ لأَمْرِكَ نَفْسَهُ وَ عَرَّضَ فيكَ لِلمَكْرُوه بَدَنَه.

الذي يمنع من الدخول إلى الدار. ولمّا كان عليه السّلام رافعاً للكفر، وماحياً للضلال، وكان سبباً للإقدام على إستفادة الخيرات الزاكية، والسعادات النامية، شبّهه بالمفتاح.

الكاف: للتّعليل عند من أثبته لها أي صلّ عليه لأجل نصبه لأمرك نفسه كما في قوله تعالى: «وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدٰيكُمْ»(١) أي: لهدايته إيّاكم، فما مصدريّة، وزعم الزمخشري(٢)، وابن عطيّة(٣)، وغيرهما: أنّها: كافّة.

قال ابن هشام: وفيه إخراج الكاف عمّا ثبت لها من عمل الجر من غير مقتض، ومن نفي ورود الكاف للتّعليل، أجاب بأنّه من وضع الخاص موضع العام إذ الذكر والهداية يشتركان في أمر وهو الإحسان، فهذا في الأصل بمنزلة «وأحسن كما أحسن الله إليك»*.

و الكاف للتشبيه لا للتعليل، فوضع الخاص وهو الذكر موضع العام وهو الإحسان، والأصل: وأحسنوا كما أحسن الله إليكم ثم عدل عن ذلك الأصل إلى خصوصيّة المطلوب وهو الذكر والهداية(٤).

و كذا القول في عبارة الدعاء إذا قلنا بأنّ الكاف فيها للتشبيه فيكون الأصل: فأحسن إليه كما أحسن ثمّ عدل عن ذلك إلى قوله: «فصلّ عليه» كما نصب للإعلام بخصوصيّة المطلوب ولا خفاء بما في ذلك من التكلّف.

و الحقّ: ورودها للتعليل، فإنّ معنى التعليل ظاهر في حكاية سيبويه(٥) «كما

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٨.

(٢) الكشاف: ج ١ ص ٢٤٧.

(٣) و (٤) مغني اللبيب لابن هشام: ص ٢٣٤ مع تقديم وتأخير.

(٥) مغني اللبيب لابن هشام: ص ٢٣٤.

....

أنّه لا يعلم فتجاوز الله عنه». وفي قول الشاعر:

و طرفَكَ إمّا جئتنا فاحبسنَّه كما يحسبُوا أنَّ الهوى حيث تنظرُ(١)

إذ معناه: إنّك إذا جئتنا فلا تنظر إلينا وانظر إلى غيرنا ليحسب الرقباء أنّ هواك مقصور على من تنظر إليه ليكون ذلك سبباً للستر وعدم الفضيحة.

قال ابن مالك: و نصب الفعل بعدها تشبيها بـ(كي) في المعنى(٢).

و نصب إمّا من النصب بسكون الصاد، مصدر نصبت الشيء من باب ضرب إذا أقمته، تقول: نصبته لأمر كذا فانتصب أي: أقمته له فقام.

و المعنى: أقام لأمرك نفسه، أو من النصب محرّكة بمعنى التعب يقال: نصب ينصب، كتعب يتعب، لفظاً ومعنى، ونصبه غيره وأنصبه نصّ عليه ابن الأثير في النهاية(٣) والمعنى: أتعب لأمرك نفسه.

و الأمر: إمّا بمعنى طلب الفعل أي لما أمرته به. أو بمعنى الدين والشرع كما في قوله تعالى: «وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ»(٤).

قوله-عليه السّلام-:«و عرّض فيك للمكروه بدنه» عرّضته لكذا تعريضاً فتعرّض نصبته له فانتصب كأنّك جعلته عرضة له أي: معروضاً.

و «فيك» أي: لأجلك. ففي: للتعليل كقوله تعالى: «فَذٰلِكُنَّ الَّذي لُمْتُنَّني فيهِ»(٥) أي لأجله.

و المكروه: ما يكرهه الإنسان و يشقّ عليه.

---

(١) و (٢) مغني اللبيب لابن هشام: ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٣) النهاية لابن الاثير: ج٥ ص٦٢.

(٤) سورة التوبة: الآية ٤٨.

(٥) سورة يوسف: الآية ٣٢.

....

و بدن الإنسان: قال الجوهري: جسده(١).

و قال الأزهري، والفيروزآبادي: هو من الجسد ما سوى الرأس والشوى(٢).

و قال بعضهم: هو ما سوى المقاتل.

و الصحيح: انّه جملة الجسد، كما يدلّ عليه: كلامه عليه السّلام، وفي هاتين الفقرتين إشارة إلى قيامه صلّى الله عليه وآله بأمر الله تعالى كما أمره و بذله مهجته وجسده في سبيله، ومقاساته للمكاره وتحمّله للمشاق في ذاته. فعن أبي عبدالله عليه السّلام: «إنّ الله تعالى كلّف رسوله ما لم يكلّف أحداً من خلقه، كلّفه أن يخرج على الناس كلّهم وحده بنفسه إن لم يجد فئة تقاتل معه، ولم يكلّف هذا أحداً من خلقه قبله ولا بعده، ثم تلا: هذه الآية: «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلِّفُ إِلاّ نَفْسَكَ »»(٣).

و أمّا ما لا قاه عليه السّلام من المكروه والمشقّة في ذات الله فمن قرأ كتب السير علم ذلك، كإستهزاء قريش به في أوّل الدعوة، ورميهم إيّاه بالحجارة حتّى أدموا عقبيه وصياح الصبيان به، وفرث الكرش على رأسه، وفتل الثوب في عنقه، وحصره مع أهله في شعب بني هاشم سنين عدّة محرّمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتّى كادوا يموتون جوعاً لولا أنّ بعض من كان يحنو عليهم لرحم أو لسبب غيره كان يسترق القليل من الدقيق أو التمر فيلقيه إليهم ليلاً، ثم قصدهم له بالأذى، ولأصحابه بالضرب والتعذيب بالجوع والوثاق في الشمس، وطردهم إيّاهم من شعاب مكة، حتّى خرج من خرج منهم إلى الحبشة وخرج هو عليه السّلام

---

(١) الصحاح: ج٥ ص ٢٠٧٧.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري: ج١٤ ص ١٤٣. والقاموس للفيروزآبادي: ج٤ ص٢٠٠.

(٣) تفسير البرهان: ج١ ص ٣٩٨.

وَ كَاشَفَ فِي الدُّعَآءِ اِلَيكَ حَامَّتَهُ وَ حَارَبَ فِي رِضَاكَ أُسْرَتَهُ وَ قَطَعَ فِي اِحْيَآءِ دِينِكَ رَحِمَهُ.

مستجيراً منهم تارة بثقيف، وتارة ببني عامر، وتارة بربيعة الفرس وبغيرهم، ثم أجمعوا على قتله والفتك(١) به ليلاً حتّى هرب منهم، لائذاً بالأوس والخزرج، تاركاً أهله وولده وماحوته يده، ناجياً بحشاشة نفسه، حتّى وصل إلى المدينة، فناصبوه الحرب ورموه بالكتائب، وصدقوه القتال والكفاح حتّى أدموا فمه وطاح مغشياً عليه، ولم يزل منهم في عناء شديد وحروب متّصلة إلى أن أكرمه الله تعالى بنصره وأيّده بظهور دينه. ومن له أُنس بالتواريخ يعلم من تفاصيل هذه الأحوال مايطول شرحه *.

كاشفه بالعداوة: باداه بها أي: جاهره من الكشف بمعنى الإظهار و(في): للتعليل، كاللتين بعدها.

و الدعاء إلى الله: طلب الخلق إلى توحيده و الإقبال إلى طاعته.

و حامّة الرجل: خاصّته و من يقرب منه، و هو الحميم أيضاً ومنه: الحديث: «انصرف كلّ رجل من وفد ثقيف إلى حامّته»(٢) قاله ابن الأثير.

و قال الجوهري: هٰؤلاء حامّة الرجل أي: أقرباؤه(٣).

و في القاموس: هي خاصة الرجل من أهله وولده(٤).

و الأُسرة: بالضم كغرفة، ومن ضبطه بالفتح فقد وهم، وهم رهط الرجل الأدنون، وأصلها من الأسر وهو الشدّ، لأنّ الرجل يشتدّ برهطه وعشيرته ويقوى

بهم

---

(١) فتكت به فتكاً: بطشت به أو قتلته على غفلة. المصباح المنير ص٦٣١.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج١ ص ٤٤٦.

(٣) الصحاح: ج ٥ ص ١٩٠٧.

(٤) القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٠٠.

....

و قطع رحمه قطعاً و قطيعة: هجرها و عقها أي: شقّ عصى إلفها وترك برّها، والحنو عليها.

و الرحم: ككتف و يخفّف بسكون الحاء مع فتح الراء ومع كسرها أيضاً في لغة بني كلاب، وفي لغة لهم: بكسر الحاء إتّباعاً لكسرة الراء، وهي: موضع تكوين الولد و وعاؤه في بطن أُمّه، ثم سمّيت القرابة رحماً لكونهم يرجعون إلى رحم واحدة. واختلف العلماء: في تحقيق معناها، فقيل: هي خلاف الأجنبي فتعمّ القرابة والوصلة من جهة الولاء، ذكره الفيومي في المصباح(١).

و قيل: هي قرابة الرجل من جهة طرفيه آباؤه و إن علوا، وأبنائه وإن سفلوا، وما يتّصل بالطرفين من الأعمام والعمات والإخوة والأخوات وأولادهم.

و قيل: الرحم التي تجب صلتها كلّ رحم بين اثنين لو كان أحدهما ذكراً لم يتناكحا، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام وأولاد الأخوال.

و قيل: هي نسبة و اتّصال بين المنتسبين تجمعهما رحم واحدة.

قيل: و هذا يشبه أن يكون دوريّاً و ليس بدوري، لأنّ الرحم الواقعة في التعريف بمعنى موضع تكوين الولد، فلا دور وهذا معنى قول بعضهم: هي عام في كلّ من يجمع بينك وبينه نسب وإن بَعُد، وهو أقرب إلى الصواب.

و يدلّ عليه: ما رواه: «عليّ بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ» أنّها نزلت في بني أميّة»(٢). و يؤيّده روايات اخر.

و في هذه الفقرات: إشارة إلى ما فعله صلّى الله عليه وآله مع قومه وعشيرته،

---

(١) المصباح المنير للفيومي: ج ١ ص ٣٠٣.

(٢) تفسير علي بن ابراهيم: ج ٢، ص ٣٠٨.

وَ اَقْصىَ الأَدْنَيْنَ عَلٰى جُحُودِهِمْ وَ قَرَّبَ الأَقْصَيْنَ عَلَى اسْتِجاٰبَتِهِمْ لَكَ .

وأُسرتَه، وأقربائه من قريش، وبني المطلب وبني هاشم الذين كذّبوه وحاربوه ليطفؤوا نورالله و يأبىٰ الله إلّا أن يتمّ نوره، فحاربهم وقاتلهم وقتل منهم الجمّ الغفير في بدر، وأُحد، وأسر منهم من أسر، لم تأخذه بهم رأفة ولا عطفته عليهم رحم، غضباً لله تعالى، وطلباً لمرضاته، وإحياءً لدينه، حتّى علت كلمته، وظهر دينه، ولو كره المشركون *.

أقصاه: أبعده، من قصا الشيء قصواً من باب قعد: إذا بَعُد.

و الأدنين و الأقصين، بفتح ما قبل علامة الجمع فيهما: الأقارب والأباعد، جمع أدنىٰ وأقصىٰ، وأصلهما: الأدنيين والأقصيين، تحرّكت ياؤهما المنقلبتان عن واو في الأصل، لأنّهما من الدنّو والقصوّ، وانفتح ما قبلهما فقلبتا ألفين، ثم حذفتا لإلتقاء الساكنين وبقيت الفتحة قبلهما دليلاً عليهما، وهذا الحكم جار في كلّ مقصور يجمع هذا الجمع فتحذف ألفه دون الفتحة التي قبلها لتدلّ عليها. وفي التنزيل: «وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ»(١) «وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ»(٢).

و جحده جحداً و جحوداً: أنكره مع علمه.

و إستجاب له إستجابة: إذا دعاه إلى شيء فأطاع.

و (على) في الفقرتين: للتعليل أي: لجحودهم، ولإستجابتهم كقوله تعالى: «لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلىٰ ما هَديكُمْ»(٣) أي: لهدايته إيّاكم.

و اعلم: أنّ الجحود على نوعين:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٩.

(٢) سورة ص: الآية ٤٧.

(٣) سورة الحج: الآية ٣٧.

وَ والىٰ فيكَ الأَبْعَدينَ وَ عادىٰ فيكَ الأَقْرَبينَ.

أحدهما: جحود تشبيه، إذ المشبّهون الله سبحانه بخلقه و إن إختلفوا في كيفيّة التشبيه بأسرهم جاحدون له في الحقيقة، وذلك انّ المعنى الذي يتصوّرونه ويثبتونه إلهاً ليس هو نفس الإله، مع أنّهم ينفون ماسوىٰ ذلك فكانوا نافين للإلٰه الحقّ في المعنى وجاحدين له.

و الثاني: جحود من لم يثبت صانعاً، وكلا الفريقين جاحد له من وجه ومثبت له من وجه أمّا المشبّهون فثبتون له صريحاً، جاحدون له لزوماً، وأمّا الآخرون فبالعكس، إذ كانوا جاحدين له صريحاً من الجهة التي يثبته العقلاء بها ومقرّون به إلتزاماً وإضطراراً، فإنّ كل أحد إذا وقع في محنة، واضطرّ في ضيق، فزع من دون إختيار إلى ربّه وتضرّع إليه في النجاة والخلاص، وإليه الإشارة بقوله تعالى: «وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً»(١) *.

الموالاة: ضدّ المعاداة والمراد بالأبعدين والأقربين: ماهو أعمّ من البعد في النسب والقرب فيه، فيدخل في الأبعدين: الأبعد نسباً أو سبباً، أو ولاءً أو داراً، وفي الأقربين الأقرب كذلك، وكذا الكلام في الأدنين والأقصين في الفقرتين الأولين، ولا حاجه إلى تخصيص الأولين بالقرابة والأخرين بالمكان تفادياً عن التكرار، والتأسيس خير من التأكيد، فانّ الأفعال كافية في التأسيس، إذ إختصاص الإقصاء والتقريب بالمكان ظاهر، ولا داعي إلى التعميم فيهما حتّى يكونا شاملين للموالاة والمعاداة فيلزم التكرار، وشمولهما لهما لزوماً لاينافي التأسيس.

و قوله: «فيك» (في) في كلا الفقرتين للتعليل أي: لأجلك، وفيه إعلام بحبّه وبغضه عليه السّلام لله تعالى، وهما من أعظم الأعمال، بل هما أوثق عرىٰ الإيمان

(١) سورة الاسراء: الآية ٦٧

وَاَدْأَبَ نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسالَتِكَ وَ اَتْعَبَها بِالدُّعاءِ اِلىٰ مِلَّتِكَ وَ شَغَلَها بِالنُّصْحِ لأَهْلِ دَعْوَتِكَ.

كما روي عن الصادق عليه السّلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأصحابه: أيّ عرىٰ الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله و رسوله أعلم. وقال بعضهم: الصلاة وقال بعضهم: الزكاة؛ وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لكلّ ما قلتم فضل وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله وتولّي أولياء الله والتبرّء من أعداء الله»(١).

و عن الصادق عليه السّلام أيضاً: «قال: من لم يحبّ على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له»(٢) والأخبار في هذا المعنى كثيرة *.

دأب الرجل في عمله كمَنع: إجتهد، وأدأب نفسه وأجيره: أجهدهما.

و التبليغ والإبلاغ: الإيصال، والاسم: البلاغ بالفتح.

و (في) للتعليل.

و الرسالة: بالكسر لغة: اسم من الإرسال و هو التوجيه، وعرفاً: تكليف الله تعالى بعض عباده بواسطة مَلَك يشاهده ويشافهه أن يدعو الخلق إليه ويبلّغهم أحكامه، وقد تطلق على نفس الأحكام المرسل بها كما وقع هنا.

و الملّة: بالكسر لغة: الطريقة المسلوكة، وإصطلاحاً: الطريقة الإلٰهيّة المجتمعة عليها المثبتة للأحكام المتضمّنة لمصالح العباد وعمارة البلاد والنجاة في المعاد، والملّة والشريعة والدين متحدة ذاتاً ومختلفة إعتباراً، فإنّ الطريقة الإلٰهيّة من حيث أنّها يجتمع عليها تسمّى ملّة، ومن حيث إظهار الله تعالى لها تسمّى شريعة، ومن حيث

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٢٥ ح٦ وفيه: (تولي وتبرّي).

(٢) الكافي: ج٢ ص ١٢٧ ح١٦ وفيه: كلّ من.

....

أنّه يطاع بها تسمّى ديناً. وإجهاد الرسول صلّى الله عليه وآله نفسه في تبليغ الرسالة، وإتعابه لها في الدعاء إلى الملّة من وجوه:

أحدها: مقاساته للمتاعب الكثيرة و المكاره الشديدة من المشركين في بدء دعوته حتّى قال: «ما اُوذي نبيّ مثل ما اُوذيت»(١).

و قال أميرالمؤمنين-عليه السّلام-مشيراً إلى ذلك: «خاض إلى رضوان الله تعالى كل غمرة، وتجرّع فيه كلّ غصّة، وقد تلوّن له الأدنون وتألّب عليه الأقصون، وخلعت إليه العرب أعنّتها، وضربت إلى محاربته بطون رواحلها، حتّى أنزلت بساحته عداوتها من أبعد الدار وأسحق المزار»(٢).

الثاني: شدّة حرصه على رجوع الخلق إلى الحقّ، و مبالغته في دعوتهم إليه، وكمال الإهتمام بشأنهم وكثرة تأسّفه وتحسّره على عدم إيمانهم، حتّى خاطبه ربّه بقوله تعالى: «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ»(٣) أي أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على أن لا يؤمنوا. وبقوله تعالى: «فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً»(٤) شبّهه برجل فارقه أعزّته وهو يتلهّف على آثارهم، ويهلك نفسه حسرة وتأسّفاً على فراقهم وقال له: «فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ»(٥).

الثالث: معالجته للأمراض النفسانيّة، و إزالته للأعراض الظلمانيّة من نفوس الجهّال وقلوب أهل الزيغ والضلال، فانّ النفوس الجاهلة وإن كانت في أوّل

---

(١) الجامع الصغير للسيوطي: ج٢، ص ١٤٤، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣ ص ٤٢٥ الخطبة ١٨٥.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٣.

(٤) سورة الكهف: الآية ٦.

(٥) سورة فاطر: الآية ٨.

....

الفطرة قابلة لنور العلم وظلمة الجهل، لكنّها بمزاولة الأعمال السيّئة والأفعال الشهويّة والغضبيّة صارت كالبهائم والسباع مظلمة الذوات، ورسخت فيها الجهالات والأخلاق الحيوانيّة والدواعي السبعيّة، فيحتاج معالجتها إلى جهد جهيد وعناء شديد حتّى يزيل عنها ظلمة الجهل ويجعلها قابلة لنور العلم، فيفيض عليها الحقائق العلميّة والمعارف اليقينيّة، هذا مع تفاوت مراتب الأذهان في قبول التعليم، وتباين الفطن والأفهام في الإستعداد للتفهيم، وفي ذلك من التعب والمشقّة ما لا خفاء به، ألا ترىٰ أنّ طبيب البدن يشقّ عليه علاج الأمراض الصعبة كحمى الدق والسل، والمرض المزمن ما لا يشقّ عليه غيرها، خصوصاً إذا كثرت عليه المرضىٰ واختلفت أمزجتهم في قبول الدواء، فإن الأنبياء عليهم السّلام ومن يقوم مقامهم أطبّاء النفوس المبعوثون لعلاج أمراضها، كما أنّ الحكماء أطبّاء الأبدان المخصوصون بمداواتها لغاية بقائها على صلاحها أو رجوعها إلى العافية من أمراضها. «رُئي المسيح عليه السّلام خارجاً من بيت فاجرة مجاهرة بالفجور فقيل، يا روح الله ما تصنع هاهنا؟ فقال: إنّما يأتي الطبيب المرضىٰ»(١).

الرابع: إشتغاله حال التبليغ و الدعوة بالخلق عن الحق، والإلتفات من المقام الأسنىٰ إلى المقام الأدنىٰ، فإنّه-صلّى الله عليه وآله-لمّا كان دائم التوجّه إلى الملأ الأعلىٰ، مستغرقاً في الإلتفات إليه، مرتبطاً به أشدّ الإرتباط، مقبلاً عليه وكان مع ذلك منصوباً لتشريع الشريعة، وتأسيس الملّة، وإرشاد الخلائق، وإفادة الحقائق، لم يكن له بدّ من النزول عن ذلك المقام العلوي إلى هذا العالم السفلي، فكان يجد عند ذلك من الجهد و التعب والمشقّة والنصب ما لا مزيد عليه، ومن هنا قال صلّى الله عليه وآله: «إنّه لَيُغَان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرّة»(٢).

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) سنن أبي داود: ج٢ ص ٨٤ ح١٥١٥.

....

قوله عليه السّلام: «و شغلها بالنُصح لأهل دعوتك» الشغل بالضم و بضمّتين: خلاف الفراغ، وشغله كمنعه، شغلاً بالفتح، ويضمّ ولا تقل: أشغله إشغالاً فإنّها لغة متروكة أوردية.

و ممّا يحكىٰ من أدب الصاحب بن عبّاد رحمه الله، إنّ بعض العمّال كتب إليه: إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله، فوقّع تحت الرقعة: من كتب إشغالي لا يصلح لأشغالي.

و يقال: إشتغل بأمره فهو مشتغل بالبناء للفاعل نصّ عليه الأزهري(١) وغيره.

و قال ابن فارس: ولا يكادون يقولون: إشتغل وهو جائز، يعني بالبناء للفاعل(٢).

و النصح: بالضمّ مصدر نصح له من باب منع، هذه اللغة الفصيحة، وعليها قوله تعالىٰ: «إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ»(٣) وفي لغة يتعدّىٰ بنفسه فيقال: نصحته، والاسم: النصيحة، وهي كلمة جامعة، ومعناها: حيازة الخير للمنصوح له، من نصحت العسل إذا صفيّته من الشمع، شبّهوا تخليص القول من الغشّ بتخليص العسل من الشمع.

و قال الراغب: أصلها من نصحت الثوب إذا خطته، وهي إخلاص المحبّة لغيرك في إظهار ما فيه صلاحه إنتهىٰ(٤).

و المراد بنصحه صلّى الله عليه وآله لهم: إرشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم، وتعليمهم إيّاها، وعونهم عليها، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والذّب عنهم

---

(١) المصباح المنير: ص ٤٣٠.

(٢) المصباح المنير: ص ٤٣١.

(٣) سورة هود: الآية ٣٤.

(٤) المفردات للراغب: ص ٤٩٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

وعن أعراضهم، والسخاء عليهم بموجوده، والإيثار لهم وحسن الخلق معهم، واغتفار سيئاتهم وإكرامهم على حسناتهم والدعاء لهم، وبالجملة جلب خير الدنيا والآخرة إليهم خالصاً مخلصاً لوجه الله، ومن ثمّ قيل: النصيحة في وجازة لفظها وجميع معانيها كلفظ الفلاح الجامع لخير الدنيا والآخرة.

و الدعوة بالفتح: اسم من الدعاء و ما دعوت إليه من طعام وشراب يقال: نحن في دعوة فلان، والمراد بها هنا: الدعوة التي نسبها الله تعالى إلى نفسه في قوله سبحانه: «﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾»(١). عن ابن عبّاس: «دعوة الحقّ: قول لا إله إلا الله»(٢).

قيل: و إنّما سمّيت دعوة لأنّها التي يُدعى إليها أهل الملل الكافرة.

و قيل: الدعوة العبادة، فإنّ عبادته تعالى هي الحق والصدق.

و قيل: هي بمعنى الدعاء الحقّ. أي الدعوة الثابتة الواقعة في محلّها المجابة عند وقوعها. وإضافتها إلى الحقّ، للإيذان بملابستها له واختصاصها به وكونها بمعزل عن شائبة الباطل، كما يقال: كلمة الحقّ.

قال الزجاج: و جائز أن يكون -والله أعلم- دعوة الحقّ أنّه من دعا الله تعالى موحّداً أُستجيب له دعاؤه(٣) إنتهى.

فالمراد بقوله-عليه السّلام-لأهل دعوتك: إمّا أهل توحيدك، أو أهل عبادتك، أو أهل دعائك. ويحتمل: أن يكون من قبيل الإضافة إلى الفاعل، أي الذين دعوتهم فأجابوا دعوتك وعلى كلّ وجه فالمراد بهم: المسلمون كما يقتضيه تشريفهم بإضافتهم إلى الدعوة المضافة إليه.

---

(١) سوره الرعد: الآية ١٤.

(٢) مجمع البيان: ج٥ ٦ ص٢٨٣.

(٣) لسان العرب: ج١٤ ص ٢٥٨.

وَ هاجَرَ اِلٰى بِلادِ الْغُرُبَةِ وَ مَحَلِ النَّاىِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ وَ مَوْضِعِ رِجْلِهِ وَ مَسْقِطِ رَأْسِهِ وَ مَأْنَسَ نَفْسِهِ.

قال بعضهم: و لا يبعد أن يراد بتبليغ الرسالة: مطلق الرسالة دون تبيين الأحكام الأُصوليّة والفروعيّة، وبالدعاء إلى الملّة: تبليغ الأحكام الأصوليّة كما يشعر به لفظ الملّة، وبالنصح لأهل الدعوة: تبليغ الأحكام المفصّلة الشرعيّة الفرعيّة كما يشعر به لفظ النصح، هذا كلامه والله أعلم *.

هاجر مهاجرة: إذا خرج من أرض إلى أرض، و الاسم: الهجرة بالكسر، والضمّ قليل.

قال الواحدي: المهاجر الذي فارق عشيرته ووطنه، وأصله من الهجر الذي هو ضدّ الوصل(١).

و البلاد بالكسر؛ جمع بلدة مؤنث بلد. وهو من الأرض ما كان مأوىٰ للإنسان وإن لم يكن فيه بناء، وجمعه: بلدان بالضمّ.

و الغُربة بالضم: البُعد والنوى، غَرُبَ الشخص بالضمّ غرابة كشرف شرافة: بَعُدَ عن وطنه فهو غريب فعيل بمعنى فاعل. وغرّبته أنا تغريبا، فتغرَّبَ واغترب وغرّب بنفسه أيضاً تغريباً، وأغرب بالألف دخل في الغربة.

و النأي بالهمز: البعد، نأي نأيا، من باب نفع: بَعُد، ويتعدّىٰ بنفسه، وبالحرف وهو الأكثر، فيقال: نأيته ونأيت عنه، ويتعدّىٰ بالهمزة إلى ثان، فيقال: أنأيته عنه، والمراد ببلاد الغربة ومحلّ النأي: مهاجره-صلّى الله عليه وآله-وهو المدينة المنوّرة وجمعية البلاد باعتبار ما حولها من القرىٰ.

و قوله: عن موطن رحله، متعلّق بهاجر، و يحتمل تعلّقه بالنأي، والموطن: الوطن، وهو مكان الإنسان ومقرّه، والرحل بفتح الراء وسكون الحاء المهملتين:

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الثاني من القسم الثاني ص١٧٩.

....

مركب للبعير وما يستصحبه المسافر من الأثاث.

و رَحْل الشخص: مأواه ومنزله في الحضر، ومنه: «إذا إبتلّت النعال فالصلاة في الرحال»(١).

و إنّما قيل لأمتعة المسافر (رحل) لأنّها مأواه في السفر، والمراد به هنا: إمّا رحل البعير، أو أثاث المسافر، فيكون موطن رحله: كناية عن مكان إقامته كما يقال: محط رحله وملق رحله، وفلان حط رحله وألقى رحله: أي: أقام وإن لم يكن له رحل، أو مأواه ومنزله، أي الموطن الذي فيه مأواه ومسكنه.

و موضع رجله: كناية عن منشئه ومرباه، لأنه أوّل موضع وضع فيه رجله حين نشأ وأخذ يمشي، كما أنّ مسقط رأسه كناية عن مولده.

و المسقط كمقعد و منزل: موضع السقوط، وسقط الولد من بطن اُمّه: خرج. وإنّما اُضيف المسقط إلى الرأس؛ لأنّ أوّل ما يسقط من الولد رأسه، يقال: هذا البلد مسقط رأسي، قال الشاعر:

خرجنا جميعاً من مساقط رؤوسنا   على ثقة منّا بجود ابن عامر

و لاينافي ذلك ما ورد في بعض الأخبار: «إنّ من خصائصه صلّى الله عليه وآله انّه وقع على قدميه حين الولادة لا على رأسه تكريماً له وتعظيماً»(٢) لأنّ مسقط رأس الرجل صار كناية عن مولده سواء ولد على رأسه أو على رجليه بناءً على الغالب عند الولادة.

على أنّ المشهور: إنّه عليه السّلام وقع على الأرض معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء(٣) والله أعلم.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٣ص٤٧٨ح٤.

(٢) السيرة الحلبية: ج١ ص ٥٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٩٧ ح٣٦.

....

و المأنس بفتح العين وكسرها: محلّ الأُنس بالضمّ وهو ضدّ الوحشة، أي المحلّ الذي كانت تأنس به نفسه.

و المراد بموطن رجله إلى آخره: مكّة شرّفها الله تعالىٰ، وقد كان يعزّ عليه صلوات الله عليه فراقها والهجرة عنها روي: «إنّه لمّا خرج منها مهاجراً إلتفت إليها فظنّ انّه لا يعود إليها ولا يراها بعد ذلك فأدركته رقّة وبكىٰ، فأتاه جبرئيل عليه السّلام ـ وتلا عليه قوله تعالىٰ: «إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد»(١).

و قيل: نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجرته، وقد إشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم عليه السّلام، فنزل جبرئيل عليه السّلام فقال له: أتشتاق إلى مكّة؟ قال: نعم، فأوحاها إليه(٢).

و روىٰ عبدالله بن الحمراء: «إنّه سمع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وهو واقف على راحلته يقول مخاطباً مكّة: «والله إنّك لخير أرض الله، وأحبّها إلى الله، ولو لا إنّي أُخرجت منك ماخرجت»(٣).

تبصـرة

قيل: في هذه الفقرات إشارة إلى أنّ مكّة ـ شرّفها الله ـ أفضل من سائر البقاع، لأنّه صلّى الله عليه وآله أفضل الأنبياء، فينبغي أن يكون موطنه ومنشأه ومولده ومأنسه أفضل الأماكن. وقد إختلفت العلماء من العامّة في التفضيل بين مكّة والمدينة:

---

(١) مجمع البيان: ج٧ ـ ٨ ص ٢٦٨ نقلا بالمعنى.

(٢) الدر المنثور: ج٥، ص١٣٩.

(٣) معجم البلدان للحموي: ج٥، ص١٨٣.

....

فذهب جمهورهم: إلى أفضليّة مكّة و بعضهم: إلىٰ أفضليّة المدينة، ولكلّ من الفريقين حجج عقليّة ونقليّة يطول ذكرها، وأجمعوا على أنّ الموضع الّذي ضمّ أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الأرض.

و المستفاد من أحاديث أهل البيت-عليهم السّلام-:أنّ مكّة أفضل من سائر الأرض وأنّ الصّلاة في المسجد الحرام أفضل من الصّلاة في مسجد النبيّ صلّى الله عليه وآله.

أمّا كون مكّة أفضل من سائر الأرض فيدلّ عليه ما رواه: رئيس المحدّثين في الفقيه باسناده عن أبي عبدالله عليه السّلام: قال: أحبّ الأرض إلى الله مكّة، وما تربة أحبّ إلى الله من تربتها، ولا حجرأحبّ إلى الله من حجرها، ولا جبل أحبّ إلى الله من جبالها، ولا ماء أحبّ إلى الله من مائها(١).

و أمّا كون الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجد النبيّ صلّى الله عليه وآله فيدلّ عليه صريحاً ماروواه: رئيس المحدّثين أيضاً في كتاب ثواب الأعمال بإسناده عن مسعد بن صدقة: عن الصادق عليه السّلام قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وآله-:صلاة في مسجدي تعدل عندالله عشرة آلاف صلاة في غيره من المساجد إلّا المسجد الحرام فإنّ الصلاة فيه تعدل مائة ألف صلاة(٢). وفي هذا المعنى أخبار أُخر.

و قال شيخنا الشهيد قدّس سرّه في الدروس: مكّة أفضل بقاع الأرض ماعدا قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله وروي: «في كربلا على ساكنيها(٣) السّلام،

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٤٣ ح ٢٣٠٤ وفيه زيادة واختلاف يسير.

(٢) ثواب الأعمال للصدوق: ص ٥٠ ح ١.

(٣) (الف) و(ج) ساكنها.

....

مرجّحات»(۱).

و الأقرب أنّ موضع قبور الائمّة عليهم السّلام كذلك أما البلدان التي هم فيها فمكّة أفضل منها حتّى المدينة.

و روى صامت عن الصادق عليه السّلام: «إنّ الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة»(۲) ومثله رواية السكوني عنه عن آبائه عنه عليه السّلام(۳).

و اختلفت الروايات في كراهة المجاورة بها واستحبابها والمشهور الكراهة:

إمّا لخوف الملالة و قلّة الاحترام. وإمّا لخوف ملا بسة الذنوب فإنّ الذنب بها أعظم، قال الصادق عليه السّلام :«كلّ الظلم فيها(٤) إلحاد حتّى ضرب الخادم»(٥) ولذلك كرّه الفقهاء سكنى مكّة. وإمّا ليدوم شوقه إليها إذا أسرع خروجه منها ولهذا ينبغي الخروج منها عند قضاء المناسك وروي: «أنّ المقام بها يقسّي القلب»(٦).

و الأصحّ: إستحباب المجاورة بها للواثق(٧) من نفسه بعدم هذه المحذورات لمارواه: ابن بابويه عن الصادق عليه السّلام: «من جاور بمكّة سنة غفر الله له ذنبه ولأهل بيته ولكلّ من استغفر له ولعشيرته ولجيرانه ذنوب تسع سنين قد مضت وعصموا من كلّ سوء أربعين ومائة سنة»(٨).

---

(۱) الكافي: ج٤ ص ٥٨٧ ح ٦.

(۲) و (۳) الكافي: ج٤ ص ٥٢٥ ح ٥ و ٦.

(٤) (الف) فيه.

(٥) الكافي: ج ٤ ص ٥٢٦ ح ٥.

(٦) علل الشرائع ص ٤٤٦ ح ۳.

(٧) (الف) للمواثق بها.

(٨) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص ٢٢٧ ح٢٢٦٠.

إِرادَةً مِنْهُ لإِعْزازِ دينِكَ وَ اسْتِنْصاراً عَلىٰ اَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ.

و روي: «أنّ الطاعم بمكّة كالصائم فيما سواها، وصيام يوم بمكّة يعدل صيام سنة فيما سواها»(١).

و من ختم القرآن بمكّة من جمعة إلى جمعة أو أقلّ أو أكثر كتب الله له من الأجر والحسنات من أوّل جمعة كانت في الدنيا إلى آخر جمعة تكون وكذا في سائر الأيّام (٢).

و قال بعض الأصحاب: إن جاور للعبادة استحب، وإن كان للتجارة ونحوها كُره، جمعاً بين الروايات.

و روى محمّد بن مسلم عن الباقر عليه السّلام: لا ينبغي للرجل أن يقيم بمكّة سنة(٣).

و فيها إشارة إلىٰ التعليل بالملل وأنّه لا يكره(٤) أقلّ من سنة)(٥) إلى هنا كلام الشهيد طاب ثراه*.

الإرادة: هي العزم على الفعل أو الترك بعد تصوّره وتصوّر الغاية المترتّبة(٦) عليه من خير أو نفع أو لذّة أو نحو ذلك، وهي: أخصّ من المشيئة، لأنّ المشيئة إبتداء العزم علىٰ الفعل، فنسبتها إلى الإرادة نسبة الضعف إلىٰ القوّة، والظنّ إلىٰ الجزم، فإنّك ربّما شئت شيئاً ولا تريده لمانع عقليّ أو شرعيّ، وأمّا الإرادة فمتىٰ حصلت صدر الفعل لا محالة، وقد يطلق كلّ منهما علىٰ الأُخرىٰ توسّعاً.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص ٢٢٧ ح ٢٢٥٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص ٢٢٦ ح ٢٢٥٦.

(٣) علل الشرائع: ص ٤٤٦ ح ٤.

(٤) (الف) لا يكرهه.

(٥) الدروس للشهيد: ص ١٣٩.

(٦) (الف) المرتّبة.

....

و إنتصابها علىٰ المفعول لأجله أي: هاجر لأجل إرادته إعزاز دينك أي: لتقويته، من العزّة بمعنىٰ الشدّة والقوّة.

قال في المحكم: عززت القوم وأعززتهم وعزّزتهم: قوّيتهم، وفي التنزيل: «فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ» أي فقوينا وشددنا(١). إنتهىٰ.

أو لإكرام دينك من عزّ عليّ يعزّ عزّاً وعزّة وعزازة: كرم، وأعززته: أكرمته.

و الدين: في اللغة: الطاعة، و في العرف الشرعي: هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل عليهم السّلام، ولمّا كان إتّباع الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصاً من الشارع للعام بأحد مسمّياته، ولكثرة إستعماله صار حقيقة دون سائر المسمّيات، لأنّه المتبادر إلى الفهم حال إطلاق لفظة الدين.

و الإستنصار: طلب النصرة، إستنصره و إستنصربه فنصره علىٰ عدوّه: أعانه وقوّاه.

و قوله «بك»: يحتمل تعلّقه به و بالكفر، إذ يقال: كفره و كفربه.

و المراد بأهل الكفر: أهل الملل المتفرّقة و الأهواء المنتشرة الذين كانوا عند مقدمه ـ صلّى الله عليه وآله ـ كما قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: «بعث الله محمّداً ـ صلّى الله عليه وآله ـ لإنجاز عدته، وتمام نبوّته، مأخوذاً علىٰ النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرّقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتّة، بين مشبّه(٢) لله بخلقه، أو ملحد في إسمه، أو مشير إلىٰ غيره، فهداهم به من الضّلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة»(٣).

---

(١) المحكم في اللغة لابن سيده: ج١ ص ٣٣.

(٢) (الف) و (ج) متشبّه.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج١ ص١٩٩ وفيه: [طرائف] بدل طرائق.

....

قال بعض العلماء: إعلم أنّ الخلق عند مقدمه(١) صلّى الله عليه وآله إمّا عليه اسم الشرائع، أو غيرهم. أمّا الأوّلون: فاليهود والنصارىٰ والمجوس، وقد أديانهم إضمحلت من أيديهم وإنّما بقوامتشبّهين بأهل الملل، وقد كان الغالب عليهم دين التشبيه ومذهب التجسّم، كما حكىٰ القرآن الكريم عنهم: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ»(٢) «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ»(٣).

و المجوس أثبتوا أصلين آسندوا إلىٰ أحدهما: الخير و إلى الثاني: الشر، وسمّوهما: النور والظلمة، وبالفارسيّة: يزدان وأهرمن، ثم زعموا أنّه جرت بينهما محاربة، ثم إنّ الملائكة توسّطت وأصلحت بينهما علىٰ أن يكون العالم السفلي خالصاً لأهرمن الذي هو الظلمة، سبعة آلاف سنة، ثمّ يخليّ العالم ويسلّمه إلىٰ يزدان الذي هو النور، إلى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم.

و أمّا غيرهم من أهل الأهواء المنتشرة والطرائق(٤) المتشتّة فنهم: العرب أهل مكّة وغيرهم، وقد كانت منهم معطّلة ومنهم محصّله(٥) نوع تحصيل. أمّا المعطلة؛ فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة وقالوا: بالطبع المحيي والدهر المفني، وهم الذين حكىٰ القرآن عنهم: «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ»(٦) وقصروا(٧) الموت والحياة على تحلّل الطبائع المحسوسة وتركبها،

---

(١) (الف) و (ج) موته.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣٠.

(٤) (الف) الطرق.

(٥) (الف) محلة.

(٦) سورة الجاثية: الآية ٢٤.

(٧) (الف) وقصر.

....

فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر: «وَمَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ»(١).

و صنف منهم: أقرّوا بالخالق و إبتداء الخلق عنه، وأنكروا البعث والإعادة، وهم المحكي عنهم في القرآن الكريم: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ»(٢).

و صنف منهم: إعترفوا بالخالق ونوع من الاعادة،لكنّهم عبدوا الأصنام وزعموا أنّها شفعاؤهم عندالله كما قال تعالىٰ: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَاللهِ»(٣) ومن هٰؤلاء: قبيلة ثقيف وهم أصحاب اللات بالطائف، وقريش، وبنو كنانة، وغيرهم أصحاب العزّىٰ.

و منهم: من كان يجعل الأصنام على صور الملائكة ويتوجّه بها إلى الملائكة.

و منهم: من كان يعبد الملائكة كما قال تعالى: «بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ»(٤).

و أمّا المحصّلة: فقد كانوا في الجاهليّة علىٰ ثلاثة أنواع من العلوم:

أحدها: علم الأنساب و التواريخ والأديان.

و الثاني: علم تعبير الرؤيا.

و الثالث: علم الأنواء، وذلك ممّا يتولّاه الكهنة والقافة منهم.

و عن النبيّ-صلّى الله عليه وآله-: «من قال: مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمّد»(٥).

---

(١) سورة الجاثيه: الآية ٢٤. (٢) سورة يس: الآية ٧٨ و ٧٩.

(٣) سورة يونس: الاية ١٨.

(٤) سورة سبأ: الآية ٤١.

(٥) سنن أبي داود: ج٤ ص ١٦ ح٣٩٠٦ مع اختلاف يسير في العبارة، وكذا في الموطأ ج١ ص١٩٢ ح٤، ومسند أحمد بن حنبل: ج٤ ص١١٧.

....

و من غير العرب: البراهمة من أهل الهند، ومدار مقالتهم على التحسين والتقبيح العقلّيين، والرجوع في كلّ الأحكام إلى العقل وإنكار الشرائع، وإنتسابهم إلى رجل منهم يقال له: براهام.

و منهم: أصحاب البددة(١) والبددة(٢) عندهم شخص في هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت.

و منهم: أهل الفكرة، وهم أهل العلم منهم بالفلك وأحكام النجوم.

و منهم: أصحاب الروحانيّات الذين أثبتوا وسائط روحانيّة تأتيهم بالرسالة من عندالله في صورة البشر من غير كتاب فتأمرهم وتنهاهم.

و منهم: عبدة الكواكب.

و منهم:عبدة الشمس.

و منهم: عبدة القمر، وهٰؤلاء يرجعون بالأخرة إلى عبادة الأصنام، إذ لا تستمرّ لهم طريقة إلّا بشخص حاضر ينظرون إليه ويرجعون إليه في مهمّاتهم، ولهذا كان أصحاب الروحانيّات والكواكب يتّخذون أصناماً علىٰ صورها، فكان الأصل في وضع الأصنام ذلك، إذ يبعد ممّن له أدنىٰ فطنة أن يعمل خشباً أو حجراً بيده ثمّ يتّخذه إلٰهاً، إلّا أنّ الخلق لما عكفوا عليها وربطوا حوائجهم بها من غير إذن شرعي وبرهان من الله تعالىٰ كان عكوفهم عليها وعبادتهم لها إثباتاً لإلٰهيّتها(٣)، ووراء ذلك من أصناف الآراء الباطلة والمذاهب الفاسدة أكثر من أن تحصىٰ وهي مذكورة في الكتب المصنّفة في هذا الفنّ، ويدخل أربابها جميعهم تحت أهل الكفر.

---

(١) (الف) و (ج) البدوة.

(٢) (الف) و (ج) البدوة.

(٣) ج: لحقيّتها.

حَتى اسْتَتَبَّ لَهُ ما حاوَلَ في اَعْدائك وَ اسْتَتَمَّ لَهُ ما دَبَّرَ في اَوْليائك

قال ابن الأثير في النهاية في حديث الدعاء: حتّى استتبّ له ما حاول في أعدائك أي: إستقام وإستمرّ(١).

و قال الجوهري: إستتبّ له الأمر أي: تهيّأ واستقام(٢).

و قال الزمخشري في الأساس: إستتبّ له الأمر أي: إستقام وتمّ، ويجوز أن يقال للإستقامة والتمام:الإستتباب، أي طلب التباب لأنّ التباب يتبع التمام إنتهى(٣).

يريد بالتباب: النقص و الهلاك لأنّ الشيء إذا تمّ نقص وخلص، فكأنّه هلك.

و حاول الشيء: أراده. و قيل: المحاولة: طلب الشيء بحيلة، واستتمّ أي: تمّ كقرّ واستقرّ.

قال الرضي: و لابدّ في إستقرّ من مبالغة(٤).

و دبّر الأمر تدبيراً: فعله عن فكر و رويّة، مأخوذ من الدّبر كأنّه نظر في دبره أي في عاقبته وآخرته. ومفعولا حاول ودبّر محذوفان أي: ماحاوله ودبّره، والمراد بما حاوله في الأعداء غلبته عليهم والقهر لهم، وبما دبّر في الأولياء صدق رغبتهم في الجهاد وإجتماع قلوبهم عليه لما عرفهم من عظيم فضله وجزيل أجره فعلم حينئذٍ أنّهم سيغلبون وينتصرون كما يدلّ على ذلك قوله عليه السّلام.(٥)

---

(١) النهاية لابن الاثير: ج١ ص ١٧٨.

(٢) الصحاح: ج١ ص ٩٠.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري: ص٥٩

(٤) شرح الشافية للرضي: ج١ ص١١١.

(٥) أي: قوله عليه السّلام كما يأتي في المتن في الصفحة الآتية: «فنهد اليهم...».

فَنَهَدَ اِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحاً بِعَوْنِكَ وَ مُتَقَوِّياً عَلٰى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ.

نهد إلى العدوّ نهداً من بابي نفع و قتل: نهض و برز، والفاعل: ناهد، والجمع: نهّاد مثل: كافر وكفّار، وناهدته مناهدة: ناهضته، وتناهدوا في الحرب: نهض بعضهم إلىٰ بعض للمحاربة.

و مستفتحاً: أي مستنصراً وطالباً للفتح، فالباء: للإستعانة يقال: فتح الله علىٰ نبيّه، أي: نصره، وهو يستفتح الله للمسلمين علىٰ الكفّار. ويحتمل أن يكون بمعنىٰ مفتتحاً والباء للملابسة، أي: مفتتحاً للجهاد حال كونه ملتبساً بعونك، أو للسببيّة أي: بسبب عونك له.

و متقوّياً: اسم فاعل من تقوّىٰ، أي: صار ذا قوّة.

و (على): بمعنى مع، أي: مع ضعفه، مثلها في قوله تعالى: «وَآتَى الْمَالَ عَلٰى حُبِّهِ»(١).

و الضعف بالفتح و الضمّ: خلاف القوّة. وقيل: هو بالضمّ في الجسد و بالفتح في العقل والرأي.

و يروى عن ابن عمر أنّه قال: «قرأت على النبيّ صلّى الله عليه وآله: «الذي خلقكم من ضَعف» بالفتح، فأقرأني «من ضُعف» بالضمّ(٢).

و الضَّعَفُ محرّكة: لغة في الضَّعْف حكاها ابن الأعرابي(٣).

و النصر: الإعانة علىٰ العدّو، و فيه إشارة إلى أنّ إستفتاحه عليه السّلام وتقوّيه على الكفار إنّما كان بعون الله ونصره، لا بالأسباب الظاهرة والتدبير الذي دبّره، كما قد يتوهم من الفقرة السابقة، فإنّها بمعزل عن التأثير، وإنّما التأثير مختصّ به تعالىٰ كما قال تعالى: «وَمَا النَّصْرُ إلّا مِنْ عِنْدِاللهِ»(٤) أي: كائن من عنده من غير

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٢) الدر المنثور للسيوطي: ج٥ ص ١٥٨.

(٣) لسان العرب: ج٩، ص ٢٠٣.

(٤) سورة آل عمران: الاية ١٢٦.

فَغَزاهُمْ في عُقْر دِيارِهِمْ وَ هَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرارِهِمْ.

أن يكون فيه شركة من جهة الأسباب والعدد وإنّما هي مطابقة له بطريق جريان السنّة الإلٰهيّة *.

غزاه غزواً: أراده و قصده كإغتزاه، ومنه: مغزى الكلام أي: مقصده. وغزا العدّو: سار إلىٰ قتالهم وإنتهابهم غزواً وغزواناً وغزاوة. وقيل: إنّما يكون غزو العدو في بلاده.

و عقر الدار بضم العين و فتحها: أصلها، و قيل: وسطها، قاله في المحكم(١).

و قال الأزهري: قال أبوعبيد : سمعت الأصمعي يقول: عُقر الدار بالضمّ في لغة أهل الحجاز، فامّا أهل نجد فيقولون: عَقر بالفتح، ومنه قيل: العَقار-بالفتح- وهو المنزل والأرض والضياع(٢).

و قال بعضهم: عقر الدار: أصلها في لغة الحجاز، و تضمّ العين وتفتح عندهم، وعقرها معظمها في لغة غيرهم وتضمّ لاغير(٣).

و قال الزجاج: عقر دار القوم: أصل مقامهم الذي عليه معوّلهم وإذا انتقلوا منه لنجعة رجعوا إليه(٤).

و الديار: جمع دار وهي: المحل بجميع البناء والعرصة والبلد.

قال الجوهري: الدار مؤنّثة وانّما قال تعالى: «وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ»(٥) وذكّر على معنى المثوىٰ كما قال تعالىٰ: «نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا»(٦) فأنّث على المعنى

(١) المحكم لابن سيده: ج١ ص ١٠٦.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري: ج١ ص ٢١٧.

(٣) المصباح المنير للفيومي: ص ٥٧٦.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الثاني من القسم الثاني ص٢٨.

(٥) سورة النحل: الآية ٣٠.

(٦) سورة الكهف: الآية ٣١.

....

وادنى العدد أدؤر ، والهمزة فيه مبدلة من واو مضمومة ولك أن لا تهمز والكثير ديار مثل جبل وأجبل وجبال ودور أيضاً مثل أَسَد وأُسد(١) انتهى.

و هجم عليه هجوماً من باب قعد: دخل بغتة على غفلة منه.

و بحبوحة الدار و المكان بالضمّ: وسطه، وبحبح وتبحبح: إذا تمكّن وتوسّط المنزل والمقام.

و القرار بالفتح: المكان الّذي يستقرّ فيه و هذا من جملة ما حاوله عليه الصلاة والسّلام في أعداء الله و دبرّه في أوليائه إذ غزا الكفار في عقر ديارهم وبحبوحة قرارهم ليكون أعظم في ذلهم وأشدّ في هوانهم كما قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلّا ذلّوا»(٢).

قيل: و علّة ذلك أنّ للأوهام أفعالاً عجيبة في الأبدان تارة بزيادة القوّة وتارة بنقصانها حتّى أنّ الوهم ربّما كان سبباً لمرض الصحيح لتوهّمه المرض وبالعكس فكان السبب في ذلّ من غزي في داره وإن كان معروفاً بالشجاعة هو الأوهام أمّا أوهامهم، فلأنّها تحكم بانّه لم يقدم على غزوهم في مكانهم إلّا لقوّة غازيهم وإعتقاده فيهم الضعف بالنسبة إليه فتنفعل إذن نفوسهم عن تلك الأوهام وتنقهر عن المقاومة وتضعف عن الإنبعاث وتزول غيرتها وحميّتها فتحصل على طرف رذيلة الذلّ وأمّا أوهام غيرهم فلأنّ الغزو الذي يلحقهم يكون باعثاً لكثير من الأوهام على الحكم بضعفهم ومحرّكاً لطمع كلّ طامع فيهم فيثير ذلك لهم أحكاماً وهميّة تعجزهم عن المقاومة فتكون سبباً للإنتصار عليهم والقهر لهم والإيقاع بهم أمّا الذين غزاهم صلّى الله عليه وآله في عقر ديارهم فقبائل كثيرة:

---

(١) الصحاح للجوهري: ج٢ ص٦٥٩ و٦٦٠.

(٢) نهج البلاغة: ص ٦٩ خطبة ٢٧

....

منهم: بنو قينقاع بفتح القاف و سكون الياء المثناة من تحت و تثليث النون والضمّ أشهر ثم قاف مفتوحة و بعد الألف عين مهملة وهم: حيّ من اليهود منازلهم عند جسر بطحان ممّايلى العالية حاصرهم عليه السّلام في حصنهم حتّى نزلوا على حكمه فربطهم ثم أجلاهم

وغطفان غزاهم بنجد فلمّا سمعوا بمهبطه عليه السّلام هربوا في رؤوس الجبال.

و بنو النضير قبيلة كبيرة من اليهود وكانوا أهل حصون وعقار ونخل كثير غزاهم صلّى الله عليه وآله في أماكنهم وحاصرهم في حصونهم خمسة عشر يوماً فجهدهم الحصار فأرسلوا إليه عليه السّلام إنّا نخرج من بلادك فأمرهم بالخروج فخرجوا وانمار(١) وثعلبة وغيرهم جمعوا جموعاً لقصد المسلمين فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله فمضى إليهم حتّى أتى محالّهم بذات الرقاع فهربوا إلى رؤوس الجبال فلم يجد المسلمون إلّا نسوة فأخذوهنّ.

و أهل دومة الجندل: قال سعد: غزاها النبيّ صلّى الله عليه وآله ونزل بساحة أهلها فلم يجدوا إلّا الأنعام و لشياه فهجم على ما شيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب في كلّ وجه من هرب.

و بنو المصطلق: وهم بطن من خزاعة غزاهم في قرارهم، وهو ماء لهم يسمّى المريسيع بالتصغير والعين المهملة في آخره فهجم عليهم وأغاروهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقاتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الماء.

و بنو قريظة: وهم إحدى قبائل اليهود غزاهم صلّى الله عله وآله في أماكنهم وحاصرهم في حصنهم خمساً وعشرين ليلة حتّى جهدهم الحصار فنزلوا على أن يحكم

---

(١) (الف) وانماد.

....

فيهم سعد بن معاذ بحكمه فحكم فيهم بقتل الرجال وغنم الأموال وسبي الذراري والنساء فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة فجاء بهم إلى المدينة مقرّنين(١) في الأصفاد، وهم ثمانمائة رجل أو أكثر ثم ضرب أعناقهم.

و بنو الحيّان: غزاهم في منازلهم فهربوا وتمنّعوا بشعف الجبال.

و يهود خيبر:غزاهم في ديارهم وحاصرهم في حصونهم حتّى أنزلهم من صياصيهم وكان قدم عليهم ليلاً فلم يشعروا بقدومه فلمّا أصبحوا فتحوا حصونهم وخرجوا بمساحيهم ومكاتلهم إلى أعمالهم فلمّا رأوه قالوا: هذا والله محمّد والخميس معه فولّوا هاربين إلى حصونهم وجعل صلّى الله عليه وآله يقول: ألله أكبر خربت خيبر فإذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، ثمّ حاصرهم حتّى فتح الله عليه جميع حصونهم وهى عشرة.

و يهود وادى القرى غزاهم و حاصرهم ليالي وفتح الوادي وأصاب المسلمون به أموالاً كثيرة وأمتعة وميرة(٢).

و قريش: غزاهم بمكّة و فتحها فكان الفتح المبين والنصر العزيز.

و هوازن:غزاهم بحنين.

و ثقيف: غزاهم بالطائف. هؤلاء الّذين غزاهم صلّى الله عليه وآله بنفسه في عقر ديارهم وهجم عليهم في بحبوحة قرارهم سوى غزواته الأُخروسوى سراياه، وكان جميع غزواته بنفسه الشريفة: ستّا وعشرين غزوة وجميع سراياه: ستّاً وثلاثين سريّة وتفصيل ذلك تتكفّل به كتب السير والله أعلم.

---

(١) (الف) مقترنين.

(٢) الميرة بكسر الميم: الطعام. المصباح المنير للفيومي ص١٠٧.

حَتّٰى ظَهَرَ اَمْرُكَ وَ عَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

ظهر الشيء يظهر من باب منع، ظهوراً: تبيّن و برز بعد الخفاء وظهر عليه: غلب وعلا وأظهره الله.

و أمر الله تعالى هنا: دينه و شريعته كما فسّر به قوله تعالى: «وَظَهَرَ أَمْرُاللهُ وَهُمْ كَارِهُونَ» أى غلب دينه وعلا(١).

و العلو: الإرتفاع و الغلبة والقهر أي: إرتفعت كلمتك أو غلبت وقهرت من قولهم علا فلان فلاناً: إذا غلبه وقهره.

و كلمته تعالى، قيل: كلمة التوحيد.

و قيل: الدعوة إلى الإسلام قال تعالىٰ: «وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلىٰ وَكَلِمَةُ اللهُ هِيَ الْعُلْيا»(٢).

قال المفسّرون: كلمة الّذين كفروا هي دعوتهم إلى الكفر وعبادة الأصنام.

و السفلى: الدنيّة التي لا يبالى بها،و كلمة الله: هي دعوته إلى الإسلام أو كلمة التوحيد لا إله إلّا الله،والعليا العالية إلى يوم القيامة.

قوله عليه السّلام: «ولو كره المشركون» جواب (لو) محذوف لدلالة ماقبله عليه والجملة معطوفة علىٰ جملة قبلها مقدّرة،وكلتاهما في موضع الحال أى ظهر أمرك وعلت كلمتك لو لم يكره المشركون ذلك،ولو كرهوه أي على كلّ حال مفروض وقد حذفت الجملة في الباب حذفاً مطرداً لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لأنّ الشيء إذا تحقّق عند المانع فلئن يتحقّق عند عدمه أولى، وعلى هذا السرّ يدور ما في (إن) و(لو) الوصليتين من التأكيد، وقد مرّ زيادة تحقيق لهذا على إن في صدر الدعاء.

و المشركون: هم الذين أشركوا بالله تعالى فجعلوا له شركاء في العبادة.

---

(١) تفسير الكشاف: ج٢ ص ٢٧٧ وفي آخره: شرعه.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠.

....

قال العلماء: و ليس أحد في العالم يثبت لله سبحانه شريكاً في الوجوب والعلم والقدرة ولكن الثنوية يثبتون إلهين إثنين حكيماً يفعل الخير وسفيهاً يفعل الشرّ أمّا المتخذون معبوداً سوى الله تعالى فكثيرون منهم: عبدة الكواكب وهم: الصابئة، ومنهم: عبدة المسيح. ومنهم: عبدة الأوثان ولا دين باطل أقدم من دينهم،لأنّ أقدم الأنبياء الّذين نقل إلينا تاريخهم هو نوح عليه السّلام وهو لـمّا جاء بالردّ عليهم «وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً»(١) ودينهم باق إلى الآن وعبادتهم لها في مبدء الأمر لم تكن لاعتقادهم فيها أنّها آلهة إذ العلم بأنّ هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماوات والأرض علم ضروريّ فيمتنع إطباق جمع عظيم عليه فوجب أن يكون لهم غرض آخر سوى ذلك وقد ذكروا فيه وجوهاً:

أحدها: أنّ بعضهم كأهل الصين والهند كانوا مجسّمة فاتّخذوها أشباهاً لله تعالى وملائكته واعتكفوا على عبادتها لقصد طلب الزلفى إلى الله وملائكته.

الثاني: أنّهم إتّخذوها أصناماً للكواكب وقصدوا بعبادتها عبادة الكواكب وهم بالحقيقة عبدة الكواكب.

الثالث: أنّ أصحاب الأحكام إتّخذوها طلاسم في أوقات مخصوصة وعظموها لإعتقادهم الإنتفاع بها.

الرابع: أنّهم إتّخذوها على صور رجال كانوا يعتقدون فيهم إجابة الدعوة وقبول الشفاعة فعبدوها على إعتقاد أنّ أُولئك الرجال يكونون شفعاء لهم يوم القيامة عندالله وقالوا هؤلاء شفعائنا عندالله.

الخامس: لعلّهم إتّخذوها قبلة لصلاتهم و عبادتهم يسجدون إليها لا لها كما إنّا

(١) سورة نوح: الآية ٢٣.

اَللّٰهُمَّ فَارْفَعْهُ بِـماٰ كَدَحَ فيكَ اِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْياٰ مِنْ جَنَّتِكَ حَتّٰى لاٰ يُساٰوىٰ في مَنْزِلَةٍ وَلاٰ يُكـاٰفأُ في مَرْتَبَةٍ وَلاٰ يُواٰزِيـهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَ لاٰ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

نسجد إلى القبلة لا للقبلة.

السادس: لعلّهم كانوا حلوليّة فاعتقدوا جواز حلول الربّ فيها.

فهذه الوجوه هي الّتي يمكن حمل مذهبهم عليها حتّى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة ثمّ لمّا تطاول الأمد ونسي مبدء الأمر ظنّ جهّال القوم أنّها آلهة لهم يجب عبادتها فعبدوها وسمّوها آلهة واشبهت حال من يعتقد أنّها آلهة مساوية لله تعالى في ذاته وصفاته تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً فسمّوا مشركين وسمّى الله آلهتهم أنداداً تهكّماً بهم(١) وتشنيعاً عليهم فقال: «فَلاٰ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْداٰداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»(٢)*.

الفاء: فصيحة، أي إذا كان كذلك فارفعه.

و الباء: للسببيّة، و «ما»، مصدريّة: أي بسبب كدحه كقوله تعالى: «فَذُوقُوا بِماٰ نَسيتُمْ لِقاٰءَ يَوْمِكُمْ هٰذاٰ»(٣).

و الكدح: جهد النفس في العمل و الكدّ فيه بحيث يؤثّر فيها، من كدح جلده: إذا خدشه.

و قيل: في قوله تعالى: «ياٰ أَيُّهَا الْإِنساٰنُ إِنَّكَ كاٰدِحٌ إِلىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاٰقيهِ»(٤) إنّ المراد بالإنسان محمّد صلّى الله عليه وآله والمعنى: إنّك تكدح في تبليغ رسالات ربّك فأبشر فإنّك تلقى الله بهذا العمل.

---

(١) تهكّم به: أى استهزء به واستخفّ. النهاية لابن الأثير ج٥ ص٢٦٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢.

(٣) سورة السجدة: الآية ١٤.

(٤) سورة الإنشقاق: الآية ٦.

....

و (في)، من قوله: «فيك» للتعليل: أي لأجلك أو ظرفيّة علىٰ حذف مضاف أي في سبيلك.

و الدرجة: المرقاة و الطبقة.

و العليا: اسم تفضيل مؤنث الأعلى و أصلها العلوى لأنّها من: علىٰ يعلو فقلبت الواو ياءً تخفيفاً لما في كون الضمّة في أوّل الكلمة والواو قرب الآخر من نوع ثقل مع قصد الفرق بين الاسم والصّفة فقلبت الواو ياءً في الاسم دون الصفة، لكون الاسم أسبق من الصفة وإنّما حكموا بأنّ العليا اسم لا صفة لأنّها لا تكون وصفاً بغير الألف واللام، فلا تقول: درجة عليا، كما لا تقول دار دنيا، بل الدرجة العليا والدار الدنيا فأجريت مجرى الأسماء الّتي لا تكون وصفاً لأنّ الصفة لا تلزم حالة واحدة وإنّما شأنها أن تكون مختلفة تارة نكرة وتارة معرفة فلمّا اختصّ الوصف بها بحال التعريف كان كونها صفة كلا صفة ومثلها في ذلك الدّنيا.

قال ابن جني: العليا و الدنيا و إن كانتا صفتين إلّا أنّهما خرجتا إلى مذهب الأسماء كالأجرع والأبطح(١).

و الجنّة لغة: البستان من النخل و الشجر المتكاثف بإلتفاف أغصانها فعلة من جنّة: إذا ستره كأنّها سترة واحدة لإلتفافها، وشرعاً اسم لدار الثواب كلّها، ولمّا كانت الجنّة درجات متفاضلات ومنازل متفاوتات كما قال تعالى: «أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجاٰتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ»(٢). وقال سبحانه: «لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهاٰ غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهاٰرُ»(٣). وكان من مقتضى عدل الله تعالى أن يبلغ نفساً هي محلّ الرسالة أقصى ما استعدّت له من درجات الكمال

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤.

(٣) سورة الزمر: الآية ٢٠.

....

ويعدّها بذلك لكمال أعلى، دعا له صلّى الله عليه وآله أن يرفعه تعالى إلى الدّرجة العليا الّتي لا درجة أعلى منها.

و عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فاسئلوا الله لي الوسيلة(١).

و في خبر آخر: الوسيلة درجة في الجنّة ليس في الجنّة درجة أعلى منها فاسئلوا الله أن يؤتينيها(٢) على رؤوس الخلايق(٣). فكأنّ ما في الدعاء إشارة إلى ذلك:

قوله عليه السّلام: «حتّى لا يساوى في منزلة» يجوز أن تكون حتّى بمعنى (كى) التعليليّة وأن تكون بمعنى إلى أن.

و ساواه مساواة: ماثله وعادله قدراً وقيمة، ومنه قولهم: هذا يساوي درهماً: أي يعادل قيمته درهماً، وأمّا قولهم: يسوى درهماً فليس عربيّاً صحيحاً.

و قيل: هي لغة قليلة.

و المنزلة: المكانة عند الملك ونحوه يقال: له منزلة عند الأمير وهي إستعارة من موضع النزول.

قوله عليه السّلام: «ولا يكافأ في مرتبة» كافأ فلانَ فلاناً مكافأة وكفاء: ماثله وهو كفؤه أي مماثله.

و المرتبة: المنزلة والمكانة كالرتبة بالضمّ من رتب الشيء رتوباً بمعنى ثبت.

قال الزمخشري في الأساس: و من المجاز لفلان مرتبة عند السلطان ومنزلة وهو من أهل المراتب وهو في أعلى الرتب(٤) إنتهى.

---

(١) مسند احمد بن حنبل: ج٣ ص ٨٣ وفيه: (أن يؤتيني).

(٢) (الف) يؤتينها.

(٣) مسند احمد بن حنبل: ج٢ ص ٣٦٥ روى شطراً منه.

(٤) أساس البلاغة: ص ٢١٩.

....

و التنكير في الفقرتين للتعميم أي في شيء من المنازل والمراتب.

قوله عليه السّلام: «ولا يوازيه لديك ملك مقرّب» الإزاء: المحاذاة والمقابلة.

قال الجوهري: هوبازائه أي بحذائه وقدآزيته: إذاحاذيته ولا تقل وازيته(١) انتهى.

و في أساس اللغه:(٢) بنوفلان يؤازون بنى فلان أى يقاومونهم في كونهم إزاء للحرب وفلان لا يؤازيه أحد(٣). إنتهى وما منعه الجوهري من قول وازيته(٤) أثبته بعضهم وقال: إنّها لغة لأهل اليمن تبدل الهمزة واواً فيقال: وازيته وواتيته وهو المشهور على ألسنة الناس.

تبصرة

قال بعضهم: فائدة دعاء الأُمّة للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم برفعه إلى الدرجة العليا وأقصى مراتب الزلفى أنّ الله سبحانه قدّر له تلك الدرجة والمنزلة بأسباب:

منها: دعاء أُمّته و رغبتهم إلى ربّهم أن ينيله إيّاها وذلك بمانالوه على يده من الإيمان والهدى كما يدلّ عليه أمره صلّى الله عليه وآله وسلّم لأُمّته أن يسألوها له كما مرّ في حديث الوسيلة وأنكر هذا جماعة من المتكلمين وخصوصاً الأصحاب وجعلوا هذا من قبيل الدعاء بما وقع إمتثالاً لأمر الله تعالى في قوله: «صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً»(٥) وإلّا فهو صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أعطاه الله من علوّ الدرجة وقرب

---

(١) الصحاح للجوهري: ج٦ ص ٢٢٦٨.

(٢) هكذا في الاصل: ولكن الصحيح أساس البلاغة.

(٣) أساس البلاغة: ص ١٦.

(٤) الصحاح للجوهري: ج٦ ص٢٢٦٨.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

وَ عَرِّفْهُ فِي أَهْلِهِ الطَّاهِرِينَ وَ أُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلَّ مَا وَعَدْتَهُ.

المنزلة وعظيم الفضل والجزاء مالا يؤثر فيه دعاء داع وجد أو عدم وفائدة الدعاء إنّما يعود إلى الأمّة الداعين له لينالوا به زيادة الإيمان ويستفيدوا به الزلفى من الله تعالى وحسن الثواب كما جاء: «من صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه عشراً»(١).

و لعلّ الأقرب من الصواب ما قاله بعض المحققين من أصحابنا: إنّه لمّا كانت مراتب إستحقاق نعم الله تعالى غير متناهية كان غاية ذلك طلب زيادة كماله عليه السّلام وقربه من الله عزّوجلّ وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك*.

عرّفه الأمر تعريفاً: أعلمه إيّاه و عرّفه بيته: أعلمه بمكانه، وأمّا عرّفه به فبمعنى وسمه.

قال صاحب المحكم: «قال سيبويه: عرّفته زيداً فذهب إلى تعدية عرّف بالتثقيل إلى مفعولين يعني أنّك تقول عرفت زيداً فيتعدّى إلى واحد ثم تثقّل الراء فيتعدّى إلى مفعولين قال: وأمّا عرّفته بزيد فإنّما تريد عرّفته بهذه العلامة وأوضحته بها فهو سوى المعنى الأوّل وإنما عرّفته بزيد كقولك سمّيته بزيد»(٢) انتهى.

و أهل الرجل: عشيرته و أقاربه والمراد بهم هنا: أهل الكساء(٣) مع باقي الائمّة الإثنى عشر عليهم السّلام لوصفهم بالطاهرين أي النقيّين من الدنس والرجس في الميلاد والأعمال البريّين من المآثم والذنوب صغائرها وكبائرها كما قال تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ اهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»(٤).

أخرج الطبراني: عن أمّ سلمة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال

---

(١) مسند احمد بن حنبل: ج٢ ص ٤٨٥.

(٢) المحكم في اللغة لابن سيده: ج٢ ص ٧٨.

(٣) (الف) الكسا.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

....

لفاطمة عليها السّلام: إئتيني بزوجك وابنيه فجاءت بهم فألقى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليهم كساء فدكيّاً ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللّهم هؤلاء أهل محمّد وفي نسخة لفظ [آل محمّد] فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد كما جعلتها على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد قالت أمّ سلمة فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال إنّك على خير(١) وفي هذا المعنى روايات كثيرة سيأتي ذكر شيء منها إن شاء الله تعالى.

و الشفاعة: قيل: هي إصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع إليه وهذا دوري والأولى أن يقال: هي السؤال في التجاوز عن الذنب من الذي وقع الجناية في حقّه ويقال: شفّعت في الأمر شفاعة إذا طالبت بوسيلة أو ذمام والمراد بحسن الشفاعة: قبولها والرضا عمّن شفع فيهم وبتعريفه ذلك: أن ينجّز له وعده به فيعرفه واقعاً متحقّقا معرفة شهوديّة حضوريّة وإن كان هو الآن به عالماً علماً يقينيّاً، فإنّ الأشياء قبل وجودها تكون معلومة للعالم بها وبعد وجودها تكون مشهودة له وإنّما استعمل التعريف في هذا المعنى لأنّه إذا شاهده عرف أنّه ذلك الذي علم به من قبل فكأنّه عرّفه إيّاه، وماقيل: من أنّ معنى عرّفه: أذقه بعيد جدّاً. وأبعد منه قول بعضهم: يجوز أن يكون من العرف بالفتح، بمعنى الرائحة الطيّبة وأن يكون من العُرف بالضم بمعنى المعروف بل لا يكاد يصحّ. وإنّما دعا الله تعالى بذلك مع العلم بأنّه لا يخلف الميعاد لأنّه سأل له أجلّ الموعود وعدم الخلف يصدق على إنجاز أدناه وإن لوحظ سعة كرمه تعالى فلا يكون اللايق به جلّ شأنه إلّا إنجاز أجلّ ما وعد خصوصاً مع أحبّ خلقه إليه وأكرمهم لديه فلأنّ معظم الغرض في الدعاء إظهار سيماء العبوديّة، أو المراد: وفّق أهل شفاعته للأعمال الّتي بها يصيرون أهلاً لأجل ماوعدته به من

---

(١) الدر المنثور للسيوطي: ج٥ ص١٩٨.

....

حسن الشفاعة وأعصمهم عمّا لا يستحقون به ذلك كما في قوله تعالى: «رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ»(١).

فإن قلت: كيف تكون الشفاعة في أهله الطاهرين وهم معصومون من جميع الذنوب وقد قال عليه السّلام: «إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي وأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل»(٢)؟

قلت: قد علمت أنّ معظم الغرض في الدعاء إظهار سيماء الإفتقار والعبوديّة فلا منافاة،أو المراد بالشفاعة فيهم شفاعة مخصوصة لا السؤال في التجاوز عن الذنوب ولذلك عبّر بحسن الشفاعة وسيأتي أنّ الشفاعة على أقسام منها: رفع الدرجات وفي الحديث: «إنّه لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلّا وهو محتاج إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم القيامة»(٣).

و يحتمل أن يكون المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم لا الشفاعة لهم وكذا شفاعة امّته المؤمنين فتكون «في» من قوله: «في أهله الطاهرين» متعلّقاً بوعدته، أو هي للمصاحبة بمعنى مع كقوله تعالى: «أُدْخُلُوا فِي أُمَمٍ»(٤) أي معهم فيكون ظرفاً مستقرّاً في محلّ النصب على الحال من الضمير المنصوب في عرّفه لا متعلّقاً بالشفاعة، والمعنى عرّفه مع أهله الطاهرين وأُمّته المؤمنين أجلّ ما وعدته من حسن الشفاعة في يوم القيامة فلا يكون المشفوع فيهم له ذكر هنا وقد نقل إجماع المفسّرين في قوله تعالى: «عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً»(٥)، على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج١١ ص٢٦٦ ح١١ باب٤٧ من ابواب جهاد النفس.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ٤٠٥ رسالة أبي عبدالله عليه السّلام إلى جماعة الشيعة مع اختلاف

(٤) سورة الاعراف: الآية ٣٨.

(٥) سورة الاسراء: الآية ٧٩.

....

و عن الباقر عليه السّلام: في قوله تعالى: «وَتَرىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعىٰ إلىٰ كِتابِها اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» قال: ذاك النبيّ عليه السّلام وعليّ يقوم على كوم قد علا على الخلايق فيشفع ثم يقول: يا عليّ إشفع فيشفع ويشفع الرجل في القبيلة ويشفع الرجل في أهل البيت ويشفع الرجل للرجلين على قدر علمه(١) فذلك المقام المحمود(٢).

و عنه عليه السّلام: في قوله تعالى: «وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ» قال: شفاعة النبيّ «والذي جاء بالصدق»: شفاعة عليّ، «أولئك هم الصدّيقون»: شفاعة الائمّة (٣) .

و روي: انّ أقلّ المؤمنين شفاعة من يشفع في ثلاثين ألفاً(٤)، والأخبار في ذلك كثيرة.

و إن حملت معنى أهله الطاهرين عليهم السّلام على الذين هم أعمّ من المعصومين عليهم السّلام وفسّرت الطهارة بالطهارة في الميلاد والنسب، فلك جعل الشفاعة فيهم وفي اُمّته المؤمنين، وكانت (في) متعلّقة بالشفاعة فيكون أهله واُمّته هم المشفوع فيهم كما روي عنه عليه السّلام إنّه قال: أوّل من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب(٥).

و عن ابن عباس: في قوله تعالى: «وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضىٰ» ولسوف يشفّعك يا محمّد يوم القيامة في جميع أهل بيتك تدخلهم كلّهم الجنّة ترضى بذلك

---

(١) (الف) عمله هكذا في المناقب.

(٢) المناقب لابن شهراشوب: ج٢ ص ١٦٥ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) المناقب لابن شهراشوب: ج٢ ص ١٦٥.

(٤) اعتقادات الصدوق ضمن شرح باب الحادي عشر ص ٨٤ وفيه: [لثلاثين ألفاً].

(٥) لم نعثر عليه، إلّا أنّ قريباً منه في المناقب لابن شهراشوب: ج٢ ص١٦٤.

....

عن ربّك(١)

و عن علي عليه السّلام: انّه قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذن لا أرضى وواحد من اُمّتي في النار(٢).

و عن الصادق عليه السّلام: رضا جدّي صلّى الله عليه وآله أن لا يدخل النار موحّد(٣).

و لقد أغرب من زعم انّ المراد بحسن الشفاعة، الشفاعة الحسنة في قوله تعالى: «مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا»(٤).

ثم قال: و قد فسّرت الشفاعة الحسنة بالشفاعة فيما يجوز في الدين والدعاء للمؤمنين أو أن يصير الإنسان شفيع صاحبه في جهاد عدوّه لتحصيل الغنيمة عاجلاً والثواب آجلاً والإصلاح بين الا ثنين والشفاعة السيّئة: بعكس هذا قال: والتفسير الأخير بعيد في هذا المقام(٥) إنتهى كلامه ولا يخفى بعده عن الصّواب.

تتمّة

قال بعض العلماء: الشفاعات خمس:

الأولى: الإراحة من هول الموقف، وهذه يشترك فيها جميع الأمم كما دلّت عليه الأخبار.

الثانية: في إدخال قوم الجنّة بغير حساب.

---

(١) المناقب لابن شهراشوب: ج٢ ص ١٦٥.

(٢)و(٣)غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج٣ ذيل الآية ٥ من سورة الضحى.

(٤) سورة النساء: الاية ٨٥.

(٥) مجمع البيان: ج٣ ص ٨٤ نقلاً بالمعنى.

يَا نَافِذَ الْعِدَةِ يَا وَافِيَ الْقَوْلِ يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ إِنَّكَ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

الثالثة: في إدخال قوم حوسبوا و استحقّوا العذاب أن لا يعذّبوا.

الرابعة: في إخراج من أُدخل النّار من العصاة.

الخامسة: في رفع الدرجات.

و أنكر بعض المعتزلة و الخوارج؛ الشفاعة الرابعة، وتمسّكوا بقوله تعالىٰ: «فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةَ الشَّافِعِين»(١) وبقوله تعالىٰ: «مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ»(٢).

و أُجيب: بأنّ هذه الآيات في الكفّار ومذهب أصحابنا والأشاعرة جواز الشفاعة عقلاً و وجوبها سمعاً لصريح قوله تعالى: «يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ إلّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً»(٣). وقوله تعالىٰ: «وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ ارْتَضىٰ»(٤) وقد جاءت الأخبار الّتي مبلغها التواتر بصيغة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين جعلنا الله ممّن تناله شفاعة نبيّه وآله الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين *

نافذ العدة بالذال المعجمة: أي ماضيها، من نفذ السهم كقعد نفوذا: إذا خرق الرمية و خرج منها، أي: لا خلف لعدته بل هي ماضية لا مردّ لها كالسهم النافذ لا مردّ له ولا وقوف.

و العدة: الوعد، وأصلها وعْدة بالكسر استثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى العين ثمّ حذفت الواو ولزمت تاء التأنيث عوضاً منها.

---

(١) سورة المدّثر: الآية ٤٨.

(٢) سورة الغافر: الآية ١٨.

(٣) سورة طه: الآية ١٠٩.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

....

قال الفرّاء: يقال: وعدته خيراً و وعدته شرّاً بإسقاط الألف(۱).

فإذا أسقطوا الخير والشرّ قالوا في الخير: وعدته، وفي الشرّ: أوعدته بالألف، وفي الخير: الوعد والعِدة، وفي الشرّ: الإيعاد والوعيد، فإذا قالوا أوعدته بالشرّ: أثبتوا الألف مع الباء.

قال صاحب المحكم: و قال ابن الأعرابي: أوعدته خيراً بالألف وهو نادر وأنشد:

يبسطني مرّة و يوعدني   فضلاً طريقاً إلى أياديه إنتهى (۲)

و الخلف في الوعد عند العرب كذب، و في الوعيد كرم قال الشاعر:

إذا وعد السرّاء أنجز وعده   و إن أوعد الضرّاء فالعفو مانعه

و لخفاء الفرق في ذلك من كلام العرب إنتحل بعض أهل البدع القول بوجوب الوعيد قياساً على الوعد لجهلهم باللغة العربيّة.

و قد نقل: انّ أبا عمرو بن العلاء نبّه عمرو بن عبيد وهو طاغية المعتزلة على ذلك فلم يقبل(۳).

حكى المبرد: عن أبي عثمان المازني قال: حدّثني محمّد بن مسعر، قال: جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد في مسجدنا فقال له: أبوعمرو ما الذي يبلغني عنك في الوعيد؟ فقال: إنّ الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً فهو منجز وعده ووعيده فقال أبوعمرو: أبيت أبا عثمان إلّا العجمة ولا أعني عجمة لسانك ولكن فهمك ان العرب تعدّ الرجوع عن الوعد لوماً وعن الوعيد كرماً وأنشد:

---

(۱) تاج العروس: ج۲ ص ٥٣٦.

(۲) المحكم لابن سيده: ج۲ ص ۲۳۷.

(۳) المصباح المنير: ص ۹۱٦.

....

و انّي إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي و منجز موعدي(١)

و ذلك أنّ الوعد حقّ عليه والوعيد حقّ له، و من أسقط حقّ نفسه فقد أتى بالجود و الكرم، ومن أسقط حقّ غيره فذلك هو اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد، على أنّ كلّ ما ورد من وعيد الفسّاق فهو مشروط بعدم العفو كما أنّه مشروط بعدم التوبة وفاقاً فلا يلزم من تركه الكذب في كلام الله تعالىٰ.

و وافى القول: أي: صادقه يقال: و فى و أوفى بمعنى.

و القول: الكلام، و قيل: القول: في الخير، و القال و القيل والقالة في الشرّ.

قوله عليه السّلام: «يا مبدّل السيّئات بأضعافها من الحسنات» إشارة إلى قوله تعالىٰ: «إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» عن إبن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة: انّ هذا التبديل إنّما يكون في الدنيا فيبدّلهم بالشرك إيماناً وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصاناً(٢) فبشّرهم الله تعالى أنّه يوفّقهم لهذه الأعمال الصالحة إذا تابوا وآمنوا وعملوا سائر الأعمال الصالحات.

و قال الزجاج: السيّئة بعينها لا تصير حسنة ولكن السيّئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة(٣).

و ذهب سعيد بن جبير: إلى ظاهر الآية وهو انّه تعالى يمحو السيّئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة وأكّد هذا الظاهر بما روى مرفوعاً: «ليتمنّينّ أقوام أنّهم أكثروا من السيّئات قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين يبدّل سيّئاتهم

---

(١) المصباح المنير: ص ٩١٦ مع تقديم وتأخير.

(٢) مجمع البيان للطبرسي: ج٧ - ٨ ص١٨٠ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٢٤ ص ١١٢.

....

حسنات»(١).

و قال القاضي و القفّال: انّه تعالى يبدّل بالعقاب الثواب، فذكر السبب وأراد المسبّب(٢).

و قيل: يبدّل بملكة المعصية و دواعيها في النفس ملكة الطاعة بأن يزيل الأُولىٰ ويأتي بالثانية.

و روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي جعفر و إبراهيم، عن أبي الحسن الرضا عليه السّلام: قال: إذا كان يوم القيامة أوقف الله المؤمن بين يديه وعرض عليه عمله فينظر في صحيفته فأوّل مايرى سيّئاته فيتغيّر عند ذلك لونه فيقول الله عزّوجلّ: بدّلوا سيئاته حسنات وأظهروها للناس فيبديها الله لهم فيقول الناس أما كان لهؤلاء سيّئة واحدة وهو قوله تعالى: «يبدل الله سيّئاتهم حسنات(٣).

و في رواية عن الصادق عليه السّلام: إذا كان يوم القيامة تجلّى الله تعالى لعبده المؤمن فيقفه علىٰ ذنوبه ذنباً ذنباً ثمّ يغفر له لا يطّلع على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلاً ويستر عليه ما يكره أن يقف عليه أحد ثمّ يقول: لسيّئاته كوني حسنات(٤)، وروى مسلم في صحيحه مرفوعاً إلى أبي ذر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال: عملت يوم كذا كذا وكذا وهو مقرّ لا ينكر، وهو مشفق من الكبار فيقال: أعطوه مكان كلّ سيّئة عملها حسنة فيقول: إنّ لي ذنوباً ما أراها هاهنا قال: ولقد

---

(١) الدر المنثور للسيوطى: ج٥ ص ٧٩ و ٨٠.

(٢) انوار التنزيل للبيضاوي: ج٢ ص١٥١ وكذلك في التفسير الكبير: ج٢٤ ص١١٢.

(٣) تفسير القمي: ج٢ ص ١١٧.

(٤) عيون اخبار الرضا: ج٢ ص ٣٣ وفيه: عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

....

رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ضحك حتى بدت نواجده(١).

فإن قلت: الآية إنّما دلّت على تبديل السيّئات حسنات فما بال الأضعاف الواقعة في الدعاء؟

قلت: أمّا على القول بأنّ هذا التبديل يكون في الدّنيا إمّا بالتوفيق للأعمال الصالحة بعد الأعمال السيّئة كما نقل عن ابن عباس(٢)، وإمّا تبديل ملكة المعصيته بملكة الطاعة فوجه الاضعاف ظاهر لأنّ: «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها»(٣) بنصّ الكتاب.

و أمّا على القول بأن التبديل يكون في الآخرة كما دلّت عليه الأخبار المذكورة فالظاهر أنّه إذا بدّل سيئة العبد حسنة فكأنّه جاء بالحسنة، وقد قال تعالى: «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمثالِها»(٤) ويفعل الله بالمؤمنين مايشاء من الخير ولذلك ختم الدعاء بقوله عليه السّلام: «إنّك ذو الفضل العظيم» تذييلاً لما سبق وتقريراً لمضمونه.

و الفضل: الخير و الإحسان إبتداءً.

و العظيم: ضدّ الحقير، كما أنّ الكبير ضدّ الصغير، وكما أنّ الحقير دون الصغير، فكذلك العظيم فوق الكبير، ويستعملان في الصور والمعاني يقال: رجل عظيم وكبير: أي جثّةً أو قدراً، وهو هنا صفة للفضل كما وقع في التنزيل مكرراً: «وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ»(٥).

---

(١) صحيح مسلم ج١ ص ١٧٧ ح ٣١٤/١٩٠ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) كتاب مجموعة من التفاسير: ج٤، ص ٤٥٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

(٥) سورة الجمعة: الآية ٤.

....

و وقع في نسخة مضبوطاً بالضمّ علىٰ أنّه صفة له تعالى والأوّل أنسب بالمقام وفيه إيذان بأنّ جميع الإحسان الواقع والمرجوّ، رشحة من بحار افضاله وعظيم إحسانه ونواله وإنّ من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لعدم إستعداد المحروم وقابليّته نسأل الله أن لا يحرمنا من فضله العظيم وجوده العظيم بجاه نبيّه الكريم وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين والحمد لله ربّ العالمين.

قال مؤلّفه: العبد عليّ بن أحمد الحسيني كان الله تعالىٰ له هذا آخر الروضة الثانية من رياض السالكين من شرح صحيفة سيّد العابدين، وتتلوها بعون الله وتوفيقه الروضة الثالثة في شرح دعائه عليه السّلام في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرّب ولله الحمد.

إلى هنا ينتهي الجزء الأوّل من هذا الكتاب النفيس حسب تجزئتنا ويليه الجزء الثاني و أوّله الروضة الثالثه ان شاء الله تعالى.

فهرس الموضوعات

الروضة الأُولى

الروضة الثانية

فهرس فواتح الجمل من أدعية الصحيفة

فواتح الأدعية | الصفحة

الدعاء الاوّل

فواتح الأدعية	الصفحة
والحمدلله على ما عرّفنا من نفسه وألهمنا من شكره	٣١٤
وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيّته	٣٢٠
ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيده	٣٢٢
وجنّبنا من الإلحاد والشكّ في أمره	٣٢٥
حمداً نعمّر به فيمن حمده من خلقه، ونسبق به من سبق إلى رضاه وعفوه	٣٢٧
حمداً يضيئ لنا به ظلمات البرزخ	٣٣٠
ويسهّل علينا به سبيل المبعث	٣٣٨
ويشرّف به منازلنا عند مواقف الأشهاد	٣٤٠
يوم تجزي كلّ نفس بما كسبت وهم لايظلمون	٣٤١
يوم لايغني مولًى عن مولى شيئاً ولاهم ينصرون	٣٤٢
حمداً يرتفع منّا إلى أعلى علّيين في كتاب مرقوم يشهده المقرّبون	٣٤٣
حمداً تقرّ به عيوننا إذا برقت الأبصار، وتبيضّ به وجوهنا إذا اسودّت الأبشار	٣٤٦
حمداً نُعتق به من أليم نارالله إلى كريم جوارالله	٣٤٩
حمداً نزاحم به ملائكته المقرّبين، ونضامّ به أنبيائه المرسلين.	٣٥٠
في دار المقامة التي لا تزول، ومحلّ كرامته التي لاتحول.	٣٥٥
والحمدلله الذي اختار لنا محاسن الخلق	٣٥٨
وأجرى علينا طيّبات الرزق	٣٦١
وجعل لنا الفضيلة بالملكة على جميع الخلق	٣٦٢
فكلّ خليقته منقادة لنا بقدرته، وصائرة إلى طاعتنا بعزّته	٣٦٤
والحمدلله الذي أغلق عنّا باب الحاجة إلّا إليه	٣٦٧
فكيف نطيق حمده أم متى نؤدّي شكره لامتى	٣٦٨
والحمدلله الذي ركّب فينا آلات البسط، وجعل لنا أدوات القبض.	٣٧٠

فواتح الأدعية الصفحة

الدعاء الثاني

فهرس الآيات

(٢) سورة البقرة

(١٧) سورة الاسراء

(١٨) سورة الكهف

(٢٣) سورة المؤمنون

(٢٤) سورة النور

(٢٥) سورة الفرقان

* * *

* * *

* * *

فهرس الأحاديث

حرف الألف

***

القائل

حرف السين

حرف الشين

حرف الظاء

حرف العين

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون